قام الطالب بتصحيح الأخطاء التي لوحظت عليه أثناء المناقشة

لجنة المناقشة

الدكتور عثمان عبد المنعم

الدكتور / ناصر عبد الكريم العقل

١٤٠٦/٨/١٨

الدكتور / أحمد عطية الغامدي

١٤٠٦/٨/١٠ هـ

المملكة العربية السعودية
جامعة أم القرى
كلية الشريعة والدراسات الإسلامية
قسم الدراسات العليا الشرعية
فرع العقيدة

الطالب / عبد الله عبد الحي أبوبكر

٦-١١----٢-١-٣

الوحي في الإسلام وإبطال الإيحاءات الشيطانية

رسالة مقدمة

لنيل درجة التخصص الأولى " الماجستير "

إعداد

الطالب / عبد الله عبد الحي أبوبكر

إشراف

فضيلة الأستاذ الدكتور / عثمان عبد المنعم عيش

١٤٠٥ / ١٤٠٦ هـ

١٩٨٥ / ١٩٨٦ م

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

وَبِهِ نَسْتَعِينُ

شكر وتقدير

بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وتقدير

الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله ، فله الحمد والشكر أولا وآخرا ، أن وفقنى لاتمام هذا البحث ، فأسأله سبحانه وتعالى أن يجعله عملا صالحا مقبولا ، وأن ينفعنى به وسائر المسلمين ، انه سميع قريب مجيب الدعوات .

وبعد :

فاذا كان شكر الله عز وجل واجبا على المسلم فكذلك شكر الناس لقوله صلى الله عليه وسلم : (لا يشكر الله من لا يشكر الناس) وفى لفظ آخر قال صلى الله عليه وسلم : (من لم يشكر الناس لم يشكر الله)(1).

ولهذا فاننى أتقدم بالشكر الجزيل ، والعرفان بالجميل لكل من كان له علىّ فضل بعد الله فى انجاز هذه الرسالة ، وأخص بالشكر :-

القائمين بادارة جامعة ام القرى بمكة المكرمة ، وخاصة كلية الشريعة والدراسات الاسلامية ، الذين لم يدخروا وسعا فى اتاحة الفرصة والامكانات لى لكى أنهلّ من معين العلم الذى لا ينضب ، فى رحاب هذا البلد الأمين ، فجزاهم الله عنى وعن الاسلام والمسلمين خير الجزاء .

كما أتقدم بوافر الشكر وأعظم التقدير لفضيلة الاستاذ الدكتور عثمان عبد المنعم يوسف ، المشرف على الرسالة على ما بذله من توجيه وارشاد وصبر ، فقد وجدت فيه الاستاذ المرشد والمعلم ، وقد فتح لى قلبه وعقله وداره ، حيث كنا نمضى

---

(1) مسند الامام أحمد ج ٢ ص ٢٥٨ ، ٢٩٥ ، ٣٠٣ ، ٣٨٨ ، ٤٦١ ، ٤٩٢ ، وسنن أبى داوود كتاب الأدب باب فى شكر المعروف ٤ / ٤٨١١ ص ٢٥٥ وغيرهما عن أبى هريرة رضى الله عنه مرفوعا .

الساعات الطوال دون ملل منه أو كلل ، حتى اكتمل هذا البحث ، واستوى على سوقه ، وصار أسطرا تقرأ فله مني كل الشكر ، وكل التقدير ، سائلا الله عز وجل أن يديم عليه الرضا والعفو والعافية .

كما أتقدم بالشكر لكل من تفضل بالنصح والارشاد من أساتذتي و زملائي فالله أسأل أن يوفق الجميع ويكرمهم ويحسن اليهم ويجزيهم الأجر والثواب ، فهو ولي ذلك والقادر عليه .

عبدالله عبدالحي أبوبكر

المُقَدِّمة

المقدمـــة

الحمد لله الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره الكافرون . والصلاة والسلام على من لا نبى بعده وعلى آله وصحبه

وبعد :

فان من البداهة بمكان أن دعوة ما لا تعد رسالة الهية الا اذا قام بهـا صاحبها على وحى الهى ،وجاءته بكل أصولها ،وتفاصيلها عن هذا الطريق .

ذلك أن مجئ الرسالة عن طريق الوحى ، هو الخاصة الأولى لها ، واليهما ترجع كل الميزات التى تميزها عن الأديان الانسانية ، والمذاهب الوضعية ، ممـا يكون من نتاج الفكر الانسانى ، وما يبذله من جهد عقلى فى سبيل معرفة الحق ، وتوجيه العمل الانسانى ، وجهة الخير . وبهذه الخاصة تتحقق للرسالـــة حقيقتها الالهية وبدونها لا تخلص لها هذه الحقيقة مهما بلغ فيها من الحـــق والخير .

أضف الى ذلك أن كل دعوة لا يكون الوحى طريقها فهى تفقد القداســة والعموم والكمال ،مما هو من خصائص الرسالة الالهية ، فوحى الرسالة من اللـه هو مناط امتيازها بهذه الخصائص وغيرها .

فالوحى اذن هو الأساس الأول الذى يقوم على حقيقته معنى النبوة والرسالـة وهو الفيصل بين الانسان الذى يبلّغ عن ربه دون أن يغير أو ينفى أو يزيد شيئا مما أوحى اليه .

ومن هنا كانت أهمية الوحى بالنسبة لحقيقة النبوة والرسالة ،وتثبيت أمرهما ، وتأثيرهما فى الحياة ، ومن ثم فقد كان أمور الوحى الانكار من المنكرين ، سواء كانوا مـن الماديين المنكرين لوجود الله أو القائلين بوجود الله ، ولكنهم ينكرون النبـوة ، أو القائليـن بصحة النبوة ،ولكنهم يطعنون فى نبوة محمد صلى الله عليه وسلـم

والوحي اليه . وقد كان لهؤلاء وأولئك من الشبهات التي أثاروها حول حقيقة الوحي ، وامكانه ، ووقوعه وكذلك حول صحة الوحي لمحمد صلى الله عليه وسلم ما سودوا به صفحات كتبهم قصدا الى زلزلة العقائد ، وصرف الناس عن هداية الله التي جاءتهم عن طريق الوحي الى الأنبياء ، الى مذاهب بشرية مليئة بالخطأ والقصور البشريين .

لما كان الوحي في مكانته من الدين بهذه الأهمية ، وكان الدين لا يستقر القول بصحته الا اذا ثبت أنه وحي من الله ، وتم دحض الشبهات التي تثار حوله .

ولما كان الأمر كذلك فقد اتجه تفكيري في بحثي لنيل درجة (الماجستير) الى هذا الموضوع ، تحت عنوان :

(الوحي في الاسلام ، وابطال الشبهات حولـــه)

عرضا لحقيقة الوحي واستدلالا على امكانه ، وبيانا لوقوعه ، وتفصيلا لطرقه . ثم دفاعا عنه بابطال جميع الشبهات من التفسيرات الفلسفية الباطلة ، وانكار الماديين المنكرين ، وشبهات المستشرقين الطاعنين في الوحي الإلهي ، ثم لابطال دعاوى أدعياء الوحي بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقد كان منهجي الذي سلكته في هذا البحث هو الاعتماد في تصوير الحقائق الدينية على القرآن الكريم ، والأحاديث النبوية الشريفة . وقد استقيت الآراء من المصادر الأصلية لأصحابها ، ما وسعني ذلك ، وقد تحريت الدقة والإنصاف في المناقشة والرد دون تعصب .

وقمت كذلك بترقيم الآيات القرآنية وتخريج الأحاديث النبوية ، والترجمة لبعض الاعلام الذين استشهدت بأقوالهم خلال البحث .

خطة البحث :

أما خطتي في الرسالة فقد جاءت على النحو التالي :

جعلت هذه الدراسة في بابين تسبقهما مقدمة ، وتتلوهما خاتمة .

أما المقدمة - وهي التي بين أيدينا - فقد ذكرت فيها موضوع البحث ، وبيان أهميته ، ودوافع الكتابة فيه . مع بيان المنهج الذي سرت عليه ، ثم ختمتها ببيان خطة الرسالة .

أما الباب الاول : وعنوانه (الوحي في الاسلام) : فيتضمن أربعة فصول :

الفصل الاول : عن (حقيقة الوحي) . وقد تناولت فيه معاني الوحي في كل من اللغة ، والقرآن الكريم ، وفي اصطلاح علماء العقيدة ، ثم بيان الفرق بينه وبين الالهام .

أما الفصل الثاني : فعن (امكان الوحي) ، وقد تناولت فيه بالاثبات ، الأطراف الموضوعية لحقيقة الوحي ، وهي : وجود الله ، والملائكة ، والروح الانساني وقدرة الله تعالى على الإيحاء إلى الملائكة والأنبياء . وقد تم لي بذلك اثبات امكان الوحي ، وعدم استحالته ، على أساس من الأدلة العقلية والعلمية .

أما الفصل الثالث : فعن (وقوع الوحي) وقد ابتدأته باثبات صدق وقوع الوحي للنبي صلى الله عليه وسلم لأن دراسة وقوع الوحي لمحمد صلى الله عليه وسلم هي الدراسة التي تتوفر لها أساليب التحقيق العلمي الدقيق وذلك لتوفر المادة العلمية التي تستخدم في هذه الدراسة وسلامتها من الضياع والتحريف وأهمها القرآن الكريم وذلك دون غيره من الأنبياء الذين حرفت كتبهم وأقوالهم ولم تحقق سيرتهم ، ولأن اثبات صدق وقوع الوحي لمحمد صلى الله عليه وسلم يتضمن اثبات صدق وقوع الوحي لجميع الأنبياء السابقين عليه ، والذين ورد ذكرهم في الكتاب والسنة ، بل هو الطريق الوحيد الصحيح لاثبات الوحي الى هؤلاء الانبياء .

من أجل هذا افتتحت هذا الفصل باثبات وقوع الوحى للنبى محمد صلى الله عليه وسلم قبل اثباته للأنبياء السابقين عليه .

وفى سبيل اثبات صحة وقوع الوحى لمحمد صلى الله عليه وسلم وصحة نبوته ، استدللت على ذلك بالانفصال التام بين ماجاء به الوحى ، وبين البيئة العربية من جهة ، وبينه وبين شخصيته صلى الله عليه وسلم من جهة أخرى . ثم بأحواله صلى الله عليه وسلم عند نزول الوحى ، وبسمو أخلاقه ،ورجحان عقله ،واستدللت على ذلك أيضا بالمعجزات الحسية التى ظهرت على يديه . وباعجاز القرآن باعتباره المعجزة الكبرى الدالة على صدقه . وقد تناولت بالحديث عن اعجاز القرآن ما تضمنه من الاخبار بالمغيبات التى لم تكن قد وقعت بعد ، ثم وقعت ، والحقائق العلمية الكثيرة والاسرار الالهية البالغة ، والاعجاز التشريعى المرن الذى يتجاوب تجاوبا كاملا وشاملا مع حاجات الناس ،ومصالحهم العامة منها والخاصة ،علاوة على الاعجاز البيانى الذى أعجز العرب قبل العجم .

ثم تحدثت عن القرآن الكريم من حيث هو كتاب منزل من عند الله ، فبينت معنى التنزيل فى اللغة ، وتنزلات القرآن ، وتواتره ،وكتابته وجمعه ،وحفظ الله له وبينت أن القرآن اسم لما بين الدفتين من كلام الله نزل وحيا من الله تعالى بألفاظه ومعانيه جميعا .

وبعد أن تم لى بذلك اثبات صحة وقوع الوحى لمحمد صلى الله عليه وسلم أثبت وقوع الوحى لمن سبقه من الأنبياء فبينت اثبات القرآن الكريم ، والسنة النبوية الشريفة وجود الأنبياء والمرسلين قبل محمد صلى الله عليه وسلم ولا سيما الذين خصهم القرآن الكريم بالذكر ،وذكرت ما أثبته القرآن الكريم لهؤلاء الأنبياء من معجزات أجراها الله على أيديهم ،تصديقا لهم فى وقوع الوحى اليهم من الله وتحدثت عما تمثل فيه هذا الوحى ،من الكتب والصحف التى أنزلها الله تعالى على

بعض هؤلاء الأنبياء ،فتحدثت عن الصحف التى أنزلت على ابراهيم وموسى عليهما السلام ،وعن التوراة ، والزبور والانجيل ،وذكرت العلاقة بينها ، وبين القـــرآن الكريم .

وبذلك تم الاستدلال فى هذا الفصل على صحة وقوع الوحى لجميع الأنبياء والمرسلين .

أما الفصل الرابع والاخير من هذا الباب ،فكان عن (طرق الوحـــــــى)

وقد تناولت فيه الحديث عن الملائكة عموما ، مادة خلقهم ، والأدلة على وجودهم ، وتشكلهم ، وأعمالهم التى يكلفون أداءها ومع البشر فى الدنيا والآخرة . ثم خصصت بالاسهاب الحديث عن ملك الوحى جبريل عليه السلام ، ومكانته ، فبينت معنى اسمه هذا ، وذكرت بقية أسمائه وصفاته التى نعت بها فى القرآن ،وأوردت الأدلة من القــرآن الكريم ، والسنة النبوية الشريفة على أنه هو الموكل بالوحى للأنبياء .

وبعد هذا التمهيد تطرقت لبيان طرق الوحى الى الأنبياء قبل محمد صلى الله عليه وسلم حيث أوردت التعبيرات القرآنية عن الوحى الى هؤلاء الأنبيــــاء وشرحت دلالتها على أن الوحى كان ينزل عليهم بمختلف طرقه التى تضمنها قولـــه تعالى :(وما كان لبشر أن يكلمه الله الا وحيا أو من وراء حجاب أو يرسل رســولا فيوحى باذنه ما يشاء انه على حكيم)(١) .

وكذلك أوردت ما سجلته أسفار التوراة من صور الوحى الى الأنبياء ، كالوحـــى من وراء حجاب ، ومجىء الملائكة فى الصور البشرية ، والوحى بالرؤيا المنامية ، وسماع أصوات الملائكة من بُعد وفى خفاء .

وختمت هذا الفصل بالحديث عن طرق الوحى الى النبى صلى الله عليه وسلم وشرحت ظواهر الوحى اليه ، وأدلة ثبوته فى المتفق عليه من هذه الطرق ، وهى :

---

(١) سورة الشورى الآية ٥١ .

الرؤيا الصادقة ، ونزول جبريل عليه السلام ، وسماع النبي لصوته دون أن يـــراه ، ونزول جبريل عليه السلام في صورة بشرية ، ونزوله بالوحي في صورته الحقيقيـــة ، والنفث في الروع ، وكلام الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم من وراء حجاب .

وبجانب ذلك أوضحت الطرق المختلف فيها ، وهي وحي اسرافيل للنبي صلى الله عليه وسلم ، وتكليم الله له كفاحا ، واجتهاداته صلى الله عليه وسلم .

أما الباب الثاني : وعنوانه : (ابطال الشبهات حول الوحي) ، فيندرج تحته خمسة فصول :-

الفصل الاول : وهو عن (ابطال التصور الفلسفي للوحي) . وقد بسطت فيه القول عن نظريتي الفارابي وابن سينا في الوحي ، وبينت الأسس الميتافيزيقية[1] والنفسية التي تنبني عليها هاتان النظريتان . ثم شرحت تفسيرهما للوحي ورؤيـــة الملك .

ثم أعقبت الشرح ببطلان هاتين النظريتين بابطالي للأسس التي تقومان عليهما وكذلك ابطالي لتصويرهما الفلسفي لكيفية الوحي الى الأنبياء ، وذلك كله بأدلـــة عقلية وعلمية ودينية .

أما الفصل الثاني : فهو عن (ابطال شبهات الماديين حول امكان الوحي) وقد أوضحت فيه الاتجاه المادي في فهم الوجود ، وانكار عالم الغيب ، واعتبـــار الماديين معجزات الأنبياء أمورًا طبيعية تتم حسب سنن معينة معروفة وان كانـــت مجهولة لأتباع الأنبياء .

وقمت بعد الايضاح ، باثبات الوجود الروحي بدحض شبهات الماديين حـــول الجانب الروحي ، أو الغيبي في الوجود ، آخذين بشهادة الحس ، والعقل ، وشهادة العلم الحديث .

وقد دللت على ذلك أيضا بتجارب بعض العلماء ، وتفسيرهم لكثير من الظواهر الكونية تفسيرا روحيا بعد أن تعذر عليهم تفسيرها تفسيرا ماديا .

---

(1) الميتافيزيقية :

وبذلك أبطلت حجج الماديين الذين ينكرون امكان الوحي باعتباره ظاهرة روحية تقوم على أساس وجود الله والملائكة، والأرواح البشرية .

أما **الفصل الثالث** : فهو عن : (ابطال شبهات المشركين حول وقوع الوحي الى النبي صلى الله عليه وسلم) . وقد أوضحت فيه الشبهات التي أثارها المشركون من قبل ، وأوضحت أن هذه الشبهات قديمة ، صاحبت نزول القرآن الكريم على ألسنة هؤلاء المشركين الذين ردوا القرآن الكريم الى ذاته ، وشخصه صلى الله عليه وسلم ، وقالوا بأنه عليه الصلاة والسلام أخذه من بعض أهل الكتاب، وردوه في بعض الأحيان الى عاطفته ،فنسبوه الى الشعر ... الى غير ذلك من الترهات .

وقد أوردت ما سجل القرآن الكريم على ألسنتهم من شبهات، وما أبطل به هذه الشبهات .

أما **الفصل الرابع** : فعن (ابطال شبهات المستشرقين حول الوحي المحمدي) القائلة بأن الوحي المحمدي ليس الا مجرد أفكار ورغبات تجمعت في المجال اللاشعوري للنبي صلى الله عليه وسلم ، فهو يظن أنه يتلقاها من ذات خارجية ولكن شيئا من ذلك لم يكن ، أو أن الوحي اليه وليد مؤثرات كتابية ، أو قوى فكرية ، أو تعبيرٌ عن ظواهر مرضية الى غير ذلك من أقوالهم الفاسدة .

فقمت بابطال هذه المزاعم بالحقائق التاريخية . فبيئته التي عاش فيها ،وثقافة أهلها ، وبعدها عن مراكز أهل الكتاب ،الى غير ذلك ، كل ذلك يثبت أن الوحي المحمدي ليس وليد مؤثرات كتابية .

وأوضحت كذلك أن النظرة الموضوعية في القرآن الكريم تريبنا أن الوحي لم يكن وليد قوة فكرية ، فالحقائق العلمية الحديثة التي جاءت بعد جهود دراسية مضنية ، قد جاء بها القرآن الكريم في وقت كانت البيئة التي ظهر فيها النبي صلى الله عليه وسلم بعيدة كل البعد عن كل اشعاع علمي ،فهي سابقة لعصرها ، مما يؤكد

لنا الانفصال التام بين الوحى ، والفكر النبوى الشريف .

وأوضحت كذلك أنه فى انحباس الوحى وانقطاعه عنه صلى الله عليه وسلم ، فى ظروف عصيبة ، وما كانت تنتابه من الاعراض الجسدية ، والأحوال النفسيــة ، من احمرار الوجه وتتابع الأنفاس الى غير ذلك كل ذلك يدلنا على الانفصال التام بين الوحى شكلا وموضوعا ، وبين الذات المحمدية فكراً ومعرفةً .

ثم ختمت هـذا الفصل ،بابطال زعم المستشرقين من أنه صلى الله عليـــه وسلم ،كان يعانى من النوبات الهستيرية ، فقمت بالتفرقة بين الحالات الـــتى كانت تنتابه صلى الله عليه وسلم أثناء الوحى ، وبين النوبات الهستيريـــة ، مستشهدا فى ذلك بكتب المختصين فى ذلك ، وآراء بعض الأطباء .

أما الفصل الخامس والاخير من هذا الباب: فقد كان بعنوان : (ابطال ادعاء الوحى والنبوة بنبوته صلى الله عليه وسلم ، مستشهدا بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية وأقوال المفسرين ، واجماع الأمة على ذلك .

وقد عرضت فـى هذا الفصل ملف ادعياء الوحى منذ عهده صلى الله عليهوسلم حتى العصر الحاضر . وقد بينت أسباب قيام أدعياء الوحى بادعاءاتهم الباطلة التى تنحصر فى العصبية القبلية والمطامع المادية ،كما هو واضح فى المتنبئين فى صدر الاسلام . وتأثر بعضهم بالفكر الشيعى والفكر الفارسى الوثنى ، فكـــرة النور والظلمة كما نجد ذلك واضحا فى المتنبئين فى العصرين الأموى والعباسى . واللجوء الى التفسير الباطنى للقرآن الكريم حيث زعم الشيعة الامامية الاثنـــا عشرية أن القرآن الكريم كله أمثال ورموز ، وأن الناس لا يعلمون من معانية شيئـا الا الائمة الذين يزعم الامامية نزول الوحى عليهم ،ومن أيده الامام بالقوة المعرفية الخاصة .

وعرضت كذلك لدعوى ابن عربى فتح باب النبوة ،ونزول الوحى الى الاولياء ، وتفسيراته الباطلة لآية الختم ،زاعما أن هذه الآية تختم باب النبوة التشريعية ،

دون النبوة العامة التى أبقى بابها مفتوحا على الأولياء ، فكان محمد صلى الله عليه وسلم عنده خاتم الرسل ، وليس خاتم الأنبياء .

ثم تحدثت بعد ذلك عن أدعياء الوحى فى العصر الحديث وهم : على رضا الملقب بالباب ، وحسين على المازندرانى الملقب بالبهاء . وهما زعيما البابية والبهائية . وقد قاما بادعاء الوحى فى ايران ، ثم غلام أحمد القاديانى زعيم القاديانية الذى ادعى الوحى والنبوة فى بلاد الهند . فشرحت دعوى كل منهم وما يستدل به - بزعمه - على نزول الوحى عليه ، وارسال الله له ، وذكرت طرفا من هذا الوحى المزعوم لكل منهم ، وكيف قام بدعوته ، وما انتهى اليه أمره .

وقد تتبعت كل هذه الادعاءات ورددت عليها ردا شافيا بالكتاب الكريم والسنة النبوية المطهرة ، وبينت ضلال أصحابها وزيفهم حيث لم يقدموا للانسانية الا ضلالا فى العقيدة وبطلانا فى التشريع ، وتحريفا لآية الختم ، دون أن يكون لهم دليل على صحة ما يدعونه من الوحى اليهم ، بل على العكس من ذلك بينت دلالة أخلاقهم ، وقرائن أحوالهم ، واحتضان أعداء الاسلام لهم ، على كذب دعواهم هذه ، بل بينت الدلالة الموضوعية من كتبهم على بطلان كونها وحيا من الله اليهم ببيان ما فيها من تهافت وتناقض .

وبهذا الذى أجملت الاشارة اليه ، الى ما تضمنه هذا الفصل ، تَمّ ابطال ادعاء الوحى بعد النبى صلى الله عليه وسلم منذ عهده حتى الآن ، وستبقى عقيدة ختم النبوة بنبوّة محمد صلى الله عليه وسلم عقيدة راسخة يشهد لها التاريخ فى ماضيه وحاضره ومستقبله الى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

أما الخاتمة : فقد ضمنتها أهم نتائج البحث .

والله سبحانه وتعالى أسأل أن يرزقني من التوفيق في بحثي هذا بقدر ما بذلت فيه من جهد واخلاص ، وهو أول خطوة لي على طريق البحث العلمـــي ، ونسأل الله سبحانه وتعالى التوفيق في هذا الطريق ، وأن يجعل عملي خالصا لوجهه الكريم ، وأسأله تعالى أن يجعلني من الذين اذا أحسنوا استبشروا واذا أساءوا استغفروا وعلى الله قصد السبيل ، ومنه جل وعلا استلهم الهدى والسداد . والحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات ، وما توفيقي الا بالله وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين .

عبدالله عبدالحي أبوبكر

البَابُ الأَوَّل

الوَحْيُ فِي الإِسلَامِ
وَفِيهِ فُصُولٌ

الفصل الأول : حقيقة الوحى
الفصل الثانى : إمكان الوحى
الفصل الثالث : وقوع الوحى
الفصل الرابع : طرق الوحى

الفصـــل الأول

حقيقـــة الـــوحــــــى

١- معانى الوحى فى اللغة :

بتتبع كلمة الوحى ومشتقاته فى المعاجم اللغوية نجد أنها وردت بمعـــــــان عديدة ، واستعمالات كثيرة ، وأنها كلمة أصيلة فى اللغة العربية .

قال الجوهرى [1] صاحب الصحاح :

الوحى : الكتاب . وجمعه : وحىّ ، مثل : حلى ، وحلىّ . يدل علـــــى ذلك قول لبيد [2] :-

فمدافع الريان عرّى رسمهـــــــــا

خلقا كما ضمن الوحى سلامهـــــــــا . [3]

والوحى أيضا : الاشارة والكتابة والرسالة والالهام ، والكلام الخفـــــى ، وكلّ ما ألقيته الى غيرك .

يقال : وحيت اليه الكلام ، وأوحيت : وهو أن تكلمه بكلام تخفيه .

---

(١) هو اسماعيل بن حماد الجوهرى الفارابى ، اللغوى الأديب أصله مـــــن بلاد الترك من فاراب . رحل الى العراق وقرأ العربية على أبى على الفارسى ، وأبى سعيد السيرافى ، توفى بنيسابور عام ٣٩٣ هـ .
راجع معجم المؤلفـــــــين الجزء الأول ، تأليف عمر رضا كحالـــــة ، مطبعة الترقى بدمشق ١٣٧٦ هـ ص ٢٦٧ .

(٢) هو لبيد بن ربيعة بن مالك العامرى . انظر الشعر والشعراء لابن قتيبة دار الثقافة بيروت ج ١ ص ١٩٤

(٣) الريان : اسم جبل ببلاد عامر . انظر الصحاح ج /٦ تحقيق أحمد عبـــــد الغفور عطار دار العلم للملايين بيروت باب الواو والياء فصل الراء ص ٢٣٦٤ ورسم الدار : ما كان من آثارها لاصقا بالارض . راجع الصحاح ج ٥ ص ١٩٣٢ باب الميم فصل الراء .
والسلام : جمع سلمة وهى الحجارة . راجع الصحاح ج ٥ ص ١٩٥٠ - ١٩٥١ باب الميم فصل السين .

ومن ذلك قول العجاج :

وحى لها القرار فاستقــــــرت

وشد ها بالراسيــات الثبـــت .

ويروى : أوحى ،ووحى ،أيضا : أى كتب .

قال العجاج :

حتى نحاهــم جدنا والناحــى

لقد ر كــان وحــاه الواحـــــى . (١)

وأوحى اليه : أى أشار .

قال تعالى : (فَأَوْحَى إِليهم أَنْ سَبِّحُوا بكرةً وعشيًّا) (٢)

والوحى : مثال الوغى ، الصوت .

قال الشاعر :

منعناكم كراء وجانبيه * كما منع العرين وحى اللهام . (٣)

ويضيف الى ذلك ابن سيد ه (٤) صاحب المحكم والمحيط فى اللغة فى معنى الوحــى فيقول : الوحى ،والوحى والوحاة: بمعنى الصوت ، يكون فى الناس وغيرهم . وقد استشهد لذلك بقول أبى زبيد :

---

(١) انظر البيتين فى الصحاح للجوهرى ج ٦ ص ٢٥٠٤ . ونحاهم: مـــن التنحية ، يقال نحيته عن موضعه تنحية فتنحى .
والناحى : يريد نواحى السيوف . انظر الصحلح ج ٦ ص ٢٥٠٤ . باب الواو والياء فصل النون .

(٢) سورة مريم الآية ١١

(٣) كراء : اسم لموضع . انظر الصحاح ج ٦ ص ٢٤٧٤ باب الواو فصل الكاف .
اللهام : الجيش الكثير . انظر الصحاح ج ٥ ص ٢٠٣٧ باب الميم فصـــل اللام .

(٤) هو علي بن اسماعيل الاندلسى ،الضرير المعروف بابن سيد ه عالم بالنحــو وباللغة والاشعار وأيام العرب . ولد بمرسية عام ٣٩٨ هـ ،وتوفى بدانيــة لاربع بقين من ربيع الآخر عام ٤٥٨ هـ، وفى رواية عام ٤٤٨ هـ .
انظر معجم المولفين ج ٧ طبعة ١٣٧٨هـ ص ٣٦

مرتجز الخوف بوحي أعجم .

ويقول ابن الاعرابي[1] :

يذود بسحماوين لـم يتفـــــللا

وحى الذئب عن طفل مناسمه مخســـل[2]

أما ابن منظور[3] صاحب لسان العرب ، فلم يزد على المعاني السابقة لكلمــة الوحي الا قليلا . لكنه أورد علــى المعاني السابقة شواهد زائدة على ما تقدم من القرآن الكريم ، ومن الحديث الشريف ، ومن كلام العرب .

من ذلك ما حكاه بعد أن ذكر المعاني المتعددة للوحي مستشهــــــدا بحديث الحرث الأعور على أن الوحي يكون للمكتوب ،والكتاب . قال :-

قال علقمة : (قرأت القرآن في سنتين ، فقال الحرث : القرآن هيّن . الوحي أشد منه)[4]

(1) هو محمد بن زياد بن الأعرابي مولى بني هاشم ت ٢٣٢هـ ، وقيل ٢٣١هـ انظر بغية الوعاة للسيوطي ص ١٠٥، ١٠٦.

(2) بسحماوين : الأسحم هو القرن . بسحماوين أي بقرنين . انظر الصحاح ج ٥ المصدر السابق ص ١٩٤٧ .
الفل (بالفتح) : واحد فلول ، وهي الكسور . وتفللت مضاربه: أي تكسرت انظر المصدر السابق ص ١٧٩٢-١٧٩٣ باب اللام فصل الفاء .
المنسم: بكسر السين : الخف . المصدر نفسه ص ٢٠٤٠

(3) محمد بن مكرم بن علي بن أحمد بن أبي القاسم بن حبقة بن منظــــور الأنصاري الأفريقي المصري ، أديب لغوي ، ناظم ، ناثر . ولد في أول المحرم بمصر ، وقيل بطرابلس الغرب عام ٦٣٠ هـ وتولى القضاء في طرابلس وعاد الى مصر فتوفي بها في شعبان عام ٧١١ هـ . انظر معجم المؤلفين ج ١٢ المصدر السابق طبعة ١٣٨٠هـ ص ٤٦ .

(4) انظر لسان العرب لابن منظور الأفريقي ج ١٥ دار الفكر بيروت ،فصل الواو مادة وحى ،ص ٣٧٩
أما الحديث فقد أورده ابن الأثير في النهاية فـي غريب الحديث ج ٥ تحقيق محمد الطناحي ص ١٦٣ . وذكر ابن الأثير أن المفهوم من كلام الحارث عنــــد الأصحاب شيء يقوله الشيعة أنه أوحى الى رسول الله صلى الله عليه وسلــم شيء فخصّ به أهل البيت .

أراد بالقرآن القراءة ، وبالوحى الكتابة والخط .

ويقول ابن منظور : أوحى اليه : ألهمه . ويستشهد لذلك بما جاء فى التنزيل : (وأوحى ربك الى النحل)[١] وأيضا بقوله تعالى : (بأن ربك أوحى لها)[٢] أى أمرها .

وأوحى اليه : كلمه بكلام يخفيه عن غيره .

قال تعالى : (يُوحِى بعضُهم إلى بعضٍ زُخْرُفَ القَولِ غرورًا)[٣]

وقال الشاعر :

فأوحت الينا والأنامل رسلها[٤]

ويستنتج من كلام صاحب اللسان أن أصل الوحى فى اللغة الاعلام فى خفاء فقد أسهب فى ايراد الشواهد له وتعضيد كلامه بمن سبقه ونقل عنه ، كأبى اسحاق والازهرى ، والاصفهانى وغيرهم.[٥]

ويضيف الفيروزآبادى[٦] صاحب القاموس المحيط الى ما تقدم قوله :

---

(١) سورة النحل الآية ٦٨

(٢) سورة الزلزلة الآية ٥

(٣) سورة الانعام الآية ١١٢

(٤) لسان العرب لابن منظور ج ١٥ ص ٣٨٠ مادة وحى .

(٥) راجع لسان العرب لابن منظور ج ١٥ ص ٣٧٩ وما بعدها مادة وحى .

(٦) هو محمد بن يعقوب بن محمد بن ابراهيم الفيروزآبادى الشيرازى الشافعى لغوى مشارك فى عدة علوم ، ولد بكازرون من أعمال شيراز عام ٧٢٩ هـ وتوفى بزبيد ليلة العشرين من شوال عام ٨١٧ هـ .

راجع معجم المؤلفين ج ١٢ ص ١١٨ .

يقال : أوحت اليه نفسه : أى وقع فيها خوف .

واستوحاه : حركه ودعاه ليرسله ، واستفهمه .(١)

أما الزبيدى(٢) صاحب تاج العروس فى شرح القاموس فقد أورد المعانى التى سقناها آنفا ، سوى أنه أضاف بيتين لابن الاعرابى يستشهد بهما على اطلاق الوحى فى الصوت ، علاوة على البيت الذى ذكره ابن سيده لابن الاعرابى فى هذا المعنى ـ كما تقدم ـ(٣) فيقول :

وبلدة لا ينال الذئب أفرخهـــا * ولا وحى الولدة الداعين عرعـــار(٤)

كأن وحى الصردان فى جوف ضالة * تلهجم لحييــه اذا ما ترنمـــا(٥)

ويذكر الزبيدى كذلك أن الوحى كالفتى : (السيد الكبير) من الرجال ويستشهد لذلك بقول الشاعر :

---

(١) راجع القاموس المحيط للفيرزآبادى ج ٤ دار الفكر بيروت فصل الواو ، بـــاب الواو والياء ص ٣٩٩ وما بعدها .

(٢) هو محمد بن محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسينى الزبيدى الملقب بمرتضى لغوى ، نحوى ، محدث ، اصولى ، أديب ، مؤرخ ، نسابة .... الخ أصله من واسط فى العراق ولد فى بلجرام فى الشمال الغربى من الهنـــد عام ١١٤٥هـ ونشأ فى زبيد باليمن ، وتوفى بالطاعون فى مصر فى شعبـــان عام ١٢٠٥ هـ . انظر معجم المؤلفين ج ١١ طبعة ١٣٨٠هـ ص ٢٨٢

(٣) انظر ص ٥ من هذا البحث

(٤) الـــوَلَـــدَ ، والوُلْـــــــدُ : جمع ولد مثل : أسد وأسد . والولدة : الأتراب . انظر الصحاح ج ٢ ص ٥٥٤ . والعرعرة لعبة الصبيان فالصبى اذا لم يجد أحدا رفع صوته . انظر الصحاح ج ٢ ص ٧٤٣

(٥) الصردان : عرقان يستبطنان اللسان . الصحاح ج ٢ ص ٤٩٦ . اللهج بالشىء الاغراء والولوع به . الصحاح ج ١ ص ٣٣٩ .

وعلمت أني ان علقت بحبلــه * نشبت يداى الى وحى لـم يصقع (١)

ويأتى الوحى بمعنى النار .

قال ثعلب كما حكاه الزبيدى ، سألت ابن الاعرابى : ما الوحى ؟

قال : الملك .

فقلت : ولم سمى بذلك ؟

قال : كأنه مثل النار يضر وينفع . (٢)

والوحى العجلة .

يقولون : (الوحى ، الوحى) بالمد والقصر ،أى السرعة ، السرعة . ويعضـد كلام الزبيدى فى تفسيره للوحى بالسرعة ، الحديث الذى حكاه ابن الأثير فـى النهاية فى غريب الحديث والاثر وهو : (اذا أردت أمرا فتدبر عاقبته ، فان كانت شرا فانته ، وان كانت خيرا فتوحه) أى أسرع اليه . (٣)

مما تقدم يتضح لنا أن الوحى : اسم مشتق من وحى ،وأوحى . وان أوحى ووحى ،كأوى وومى ،بمعنى واحد للشواهد التى نقلتها آنفا من المعاجـم اللغوية . وقد ذكر الزمخشرى فى تفسيره فائدة لغوية رجح فيها أن أصل كلمـة (أوحى) ، (وحى) فقال عند تفسيره لقوله تعالى : (قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الجِنِّ) (٤)الآية قال : (قرئ : احى ،وأصله وحى . يقال أوحى اليه ، ووحى اليه . فقلبت الواو همزة ، كما يقال : أُعِد وأُزِن : (وإذا الرُّسُلُ أُقِّتَتْ) (٥)

---

(١) لم يصقع : يريد لم يذهب عن طريق المكارم مشتق من الصقع . راجع تاج العروس للزبيدى ، دار مكتبة الحياة بيروت ج ١٠ ص ٣٨٤ . والصحاح المصدر السابق ج ٣ ص ١٢٤٤

(٢) انظر تاج العروس ج ١٠ ص ٣٨٤ وما بعدها

(٣) النهاية فى غريب الحديث والأثر ج ٥ ص ١٦٣

(٤) سورة الجن الآية ١

(٥) سورة المرسلات الآية ١١

وهو من القلب المطلق جوازه فى كل واو مضمومة) .[1]

ولكن بالتتبع والاستقراء لآيات القرآن الكريم نجد أن كلمة (أوحى) بالألف مع التعدية ب (الى) هى لغة القرآن الفاشية .

وغاية ما ننتهى اليه من استعراضنا للمعانى اللغوية لكمة الوحى : أنها تدل على الكلام أو الاشارة ، أو الاعلام مطلقا فى سرعة وخفاء . وكذلك الالهام والالقاء فى القلب والرسالة ، والصوت والكتابة .

وسوف نرى فيما بعد علاقة هذه المعانى اللغوية للوحى مطلقا بالمعنى الاصطلاحى لوحى الله - سبحانه وتعالى - الى أنبيائه .

---

(١) تفسير الكشاف لأبى القاسم جار الله الزمخشرى ، شركة ومطبعة مصطفى البابى الحلبى ج ٤ ص ١٦٦ .

(٢) معانى الوحى فى القرآن الكريم

وردت كلمة (الوحى) ومشتقاتها فى القرآن الكريم فى سبعين آية ، فى ثلاث وثلاثين سورة من سور القرآن الكريم . منها أربع وستون آية مكية ، وست آيات مدنية .

أما كلمة (الوحى) نفسها فجاءت فى القرآن الكريم ست مرات فى سور كلها مكيــة . (١)

وأما فعل (الوحى) فنجده فى الغالب الأعم مسندا الى الله تعالى . وقد ورد اسناده فى بعض الآيات الى غير الله ، كما سيتضح لنا ذلك فيما يلى .

فبتتبعنا الاستعمالات القرآنية لكلمة الوحى ، نجد أن الوحى قد يكون من الله الى البشر من الانبياء وغيرهم ، والى الملائكة والى الاحياء من غير البشر ، والى الجمادات . وقد يكون من الملائكة الى البشر ، ومن البشر الى البشر . وقد يكون من الشياطين بعضهم لبعض ، ومنهم كذلك الى البشر .

وفيما يلى تفصيل القول فى هذه الاستعمالات القرآنية لمادة الوحى ومعانيها فى كل استعمال :

أولا : الوحى من الله

١- الوحى من الله الى الانبياء :

وهذا هو النوع الغالب فى استعمالات القرآن لكلمة الوحى ومشتقاتهــا - كما ذكرنا آنفا - وسأكتفى هنا بايراد بعض الأمثلة لذلك :

قال تعالى : (ذَٰلِكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ، وما كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ) (٢) الآية

---

(١) انظر المعجم المفهرس لالفاظ القرآن الكريم ، وضع محمد فؤاد عبد الباقى دار مطابع الشعب ص ٧٤٦ وما بعدها .

(٢) سورة آل عمران الآية ٤٣

قال الطبري : (المراد بالايحاء هنا التنزيل .. أخبر الله تعالى ذكره نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم أنه أوحى ذلك اليه حجة على نبوته ، وتحقيقا لصدقه ، وقطعا منه به عذر منكرى رسالته من كفار أهل الكتابين الذين يعلمون أن محمداً صلى الله عليه وسلم لم يصل الى علم هذه الانباء مع خفائها ،ولم يدرك معرفتها مع خمولها عند أهلها الا باعلام الله ذلك اياه . اذ كان معلوما عندهم أن محمدا صلى الله عليه وسلم أمي لا يكتب فيقرأ الكتب ..) (١)

وقال القرطبي : (الايحاء هنا الارسال الى النبى صلى الله عليه وسلم) (٢)

وقال الفخر الرازى : (الايحاء ورد الكتاب به على معان مختلفة يجمعها تعريف الموحى اليه بأمر خفى من اشارة أو كتابة أو غيرهما ... فلما كان سبحانه ألقى هذه الأشياء الى الرسول صلى الله عليه وسلم بواسطة جبريل عليه السلام بحيث يخفى ذلك على غيره سماه وحيا) (٣)

ومن أمثلة الوحى من الله الى الانبياء كذلك قوله تعالى : (وأوحينا الى موسى وأخيه أن تبوءا لقومكما بمصر بيوتا) (٤)

قال الرازى : (أمر موسى وهرون باتخاذ المساجد والاقبال على الصلوات) (٥)

وقال تعالى: (إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَىٰ نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِن بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا) (٦)

---

(١) جامع البيان عن تأويل آى القرآن للطبرى تحقيق محمود محمد شاكر الطبعة الثانية دار المعارف بمصر ج ٦ ص ٤٠٤

(٢) الجامع لأحكام القرآن للقرطبى مطبعة دار الكتب المصرية القاهرة ١٣٥٦ هـ الطبعة الثانية ج ٤ ص ٨٥

(٣) التفسير الكبير للامام الفخر الرازى ، المطبعة البهية المصرية ،الطبعة الاولى ج ٨ ص ٤٥

(٤) سورة يونس الآية ٨٧

(٥) التفسير الكبير للفخر الرازى ج ١٧ ص ١٤٧

(٦) سورة النساء الآية ١٦٣

فقد بين سبحانه وتعالى في هذه الآية أنه أوحى الى عبده ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم ، كما أوحى الى غيره من الأنبياء المتقدمين . فقد جاء في سبب نزولها عن ابن عباس رضي الله عنهما وغيره قال : قال سُكَيْن وعدى بن زيد يا محمد ما نعلم أن الله أنزل على بشر من شيء بعد موسى . فأنزل الله هذه الآية . (١)

---

(١) انظر تفسير القرآن العظيم لابن كثير ج ٢ أشرف على طبعها وتصحيحها لجنة من العلماء ص ٤٥٠

٢- الوحى من الله الى غير الأنبياء من البشر

قال تعالى : (وإذْ أَوْحَيْتُ إلى الحَوَارِيِّين أنْ آمِنُوا بِى وبِرَسُولِى ، قَالُوا آمَنَّا واشْهَد بأَنَّنا مُسْلِمُون) (١)

قال ابن كثير فى تفسيره : (قيل : المراد بهذا الوحى : وحى الهام ، كما قال تعالى : (وَأَوْحَيْنَا إلىٰ أُمِ مُوسَىٰ أَن أَرْضِعِيه) (٢) وهو وحى الهام بلا خلاف .. وهكذا قال بعض السلف فى هذه الآية : (وإذ أَوْحَيْتُ إلىٰ الحَوَارِيِّين) أى ألهموا ذلك فامتثلوا ما ألهموا) (٣)

ونقل ابن كثير أيضا عن الحسن البصرى : أن الله عز وجل ألهمهم ذلك وعن السدى : قذف فى قلوبهم ذلك .

وقال أيضا : (ويحتمل أن يكون المراد وإذ أوحيت اليهم بواسطتك فدعوتهم الى الايمان بالله وبرسوله ، واستجابوا لك وانقادوا وتابعوك ، فقالوا : (آمنَّا بالله واشهد بأننا مسلمون) (٤)

وان كنت أرى أن هذا الاحتمال فى تفسير الوحى الى الحواريين ، احتمال بعيد . والا لكان جميع من استجابوا للأنبياء موحى اليهم من الله .

ومثال الوحى كذلك من الله الى غير الأنبياء من البشر قوله تعالى : (إذْ أَوْحَيْنَا إلىٰ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰ) (٥)

قال القرطبى : (قيل : (أوحينا) : ألهمنا . وقيل : أوحى اليها فى النوم . وقال ابن عباس : أوحى اليها كما أوحى الى النبيين) (٦)

---

(١) سورة المائدة الآية ١١١
(٢) سورة القصص الآية ٧
(٣) تفسير القرآن العظيم ج ٢ ص ٦٧٨ .
(٤) المصدر نفسه ص ٦٧٩
وراجع أيضا فتح القدير للشوكانى مكتبة ومطبعة الحلبى بمصر ج ١ ص ٥٣٨
(٥) سورة طه الآية ٣٨
(٦) الجامع لأحكام القرآن ج ١١ ص ١٩

وقال الفخر الرازى : (اتفق الأكثرون على أن أم موسى عليه السلام ما كانت من الأنبياء والرسل فلا يجوز أن يكون المراد من هذا الوحى هو الوحى الواصل الى الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ....

ثم ان المفسرين اختلفوا فى المراد بهذا الوحى على وجوه :

أحدها : المراد رؤيا رأتها أم موسى عليه السلام .

ثانيها : أن المراد عزيمة جازمة وقعت فى قلبها دفعة واحدة ،فكل من تفكر فيما وقع اليه ظهر له الرأى الذى هو أقرب الى الخلاص . ويقال لذلك الخاطر أنه وحى .

وثالثها : المراد منه الالهام . لكنا متى بحثنا عن الالهام كان معناه خطور رأى بالبال ،وغلبة على القلب فيصير هذا هو الوجه الثانى .

رابعها : لعله أوحى الى بعض الأنبياء فى ذلك الزمان كشعيب عليه السلام أو غيره ، ثم ان ذلك النبى عرفها امامشافهة أو مراسلة .

خامسها : لعل الانبياء المتقدمين : ابراهيم واسحاق ويعقوب عليهم السلام اخبروا بذلك ،وانتهى ذلك الخبر الى تلك المرأة .

سادسها : لعل الله بعث اليها ملكا لا على وجه النبوة كما بعث الى مريم (فتمثل لها بشرا سويا) (١))

وهذه الآراء قد يكون بعضها أرجح من بعض ،ولكن ليس ثمة مرجح ظاهر يمكن التعويل عليه . غير أن بعضها خلاف الظاهر ،كابلاغ نبى من الانبياء لها شفاهة أو مراسلة . فانه لم ينقل أنه كان نبى فى مصر زمن فرعون قبل موسى عليه السلام كما حكى ذلك الالوسى (٢) .

---

(١) التفسير الكبير للفخر الرازى ج ٢٢ ص ٥١ . وأيضا تفسير روح المعانى للالوسى دار الفكر بيروت ـ المجلد السادس ج ١٦ ص ١٨٧

(٢) انظر تفسير روح المعانى ، المجلد السابع ج ٢٠ ص ٤٥ ، والمجلد السادس ج ١٦ ص ١٨٧

وكانتهاء الخبر اليها من الأنبياء المتقدمين كابراهيم واسحاق ويعقوب لأن ذلك مما تتناقله الأجيال اذا كان حاصلا فيكون البعض ان لم يكن الكل عالما بذلك وخاصة الكهنة فمن باب أولى علم فرعون بذلك ،لأن الأمر يهمه أكثر من غيره ، كما علم بعلامات ظهور موسى من الكهنة . فيرصد لذلك مرصده .

وقد نقل الألوسى فى تفسيره رأيا للجمهور منهم ابن عباس وقتادة فى الوحى الى أم موسى ، بأنه الالهام كما فى قوله تعالى : (وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ)(١) .

ويرى أبو حيان أنه كان - أى الوحى - ببعث ملك اليها لا على جهة النبوة ، كما بعث الى مريم .

وقال قتادة : أتاها جبريل بذلك ،فعلى هذا فهو وحى اعلام لا الهام(٢) .

وتفسير (الوحى) الى أم موسى بالاعلام والالهام كلاهما جائز . ولكن الراجح عندى - والله أعلم - أن المراد بالوحى هنا الالهام لأن مثول الملك لمريم بنت عمران وما دار بينهما من نقاش مصرح به فى القرآن . قال تعالى : (فَاتَّخَذَتْ مِن دُونِهِم حِجَاباً فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَراً سَوِيّاً ، قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيّاً ، قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَاماً زَكِيّاً ،قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيّاً) (٣)

أما فيما وردت به الآيات من خبر أم موسى فلم تدل على هذا التصريح بجبريل ولا غيره من الملائكة . والسنة الشريفة لم تذكر أن ملكا قد نزل عليها بذلك . فترجح أن يكون المراد هنا ،وحى الهام ، لا اعلام .

---

(١) سورة النحل الآية ٦٨

(٢) انظر تفسير روح المعانى ،المجلد السابع ج ٢٠ ص ٤٥ والمجلد السادس ج ١٦ ص ١٨٧ . وراجع أيضا الجامع لأحكام القرآن للقرطبى ج ١٣ ص ٢٥٠

(٣) سورة مريم الآيات ١٧ - ٢٠

ثمّ إنّ سياق الآيات التي وردت في شأن أم موسى عليه السلام يدل على ذلك حيث كان الحديث في الآيات عن فؤادها وقلبها . قال تعالى : (وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَارِغاً ، إِن كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلا أَنْ رَبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِها لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِين) (١)

قال القرطبي في تفسيره : (الربط على القلب : الهام الصبر) (٣)

---

(١) سورة القصص الآية ١٠

(٢) الجامع لأحكام القرآن ج ١٣ ص ٢٥٦

٣ - الوحي من الله الى الملائكة

قال تعالى : (إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الذين آمنوا سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الذِين كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ) (١)

قال ابن كثير فى تفسيره : (يوحى اليهم فيما بينه وبينهم أن ثبتوا الذين آمنوا . قال ابن اسحاق : وازروهم . وقال غيره : قاتلوا معهم ، وقيل كثروا سواد هم) (٢)

ومما جاء فى وحى الله الى الملائكة قوله تعالى : (وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ ،حَتَّى إِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا : مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ؟ قَالُوا الحَقَّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ) (٣)

قال القرطبى : (والمعنى أنه اذا أذن لهم فى الشفاعة وورد عليهم كلام الله فزعوا ، لما يقترن بتلك الحال من الامر الهائل ، والخوف ان يقع فى تنفيذ ما أذن لهم فيه تقصير ، فاذا سرى عنهم قالوا للملائكة فوقهم ،وهم الذين يورد ون عليهم الوحى بالاذن (ماذا قال ربكم) ، أى ماذا أمر به ؟ فيقولون لهم (قالوا الحق وهو العلى الكبير) . (٤)

وقال تعالى : (يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ) (٥)

---

(١) سورة الانفال الآية ١٢

(٢) تفسير القرآن العظيم ج ٣ ص ٢٩٠

(٣) سورة سبأ الآية ٢٣

(٤) الجامع لأحكام القرآن ج ١٤ ص ٢٩٥ . ويجوز أن يكون هذا إذنا لهم فى الدنيا فى شفاعة أقوام ، ويجوز أن يكون فى الآخرة ، لأن بعثة محمد صلى الله عليه وسلم عند أهل السموات من أشراط الساعة . انظر نفس المصدر والجزء ص ٢٩٧ .

(٥) سورة النحل الآية ٢

قال القرطبى : (بالروح) أى بالوحى ، وهو النبوة . قاله ابن عباس . وقيل بكلام الله وهو القرآن .(١) وقيل الروح هنا هو جبريل .(٢) والباء فى قوله تعالى : (بالروح) بمعنى (مع) كقولك خرج بثيابه أى مع ثيابه .

وهذه الآيات جميعها تتضمن وحى الله الى الملائكة وشاهدة على ذلك .

وقد ورد فى السنة ما يدل على أن الله يكلم الملائكة دون واسطة بكلام يليق بشأنه يفهمه الملائكة .

جاء فى صحيح البخارى عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : (إذا قضى الله الأمر فى السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خضعانا لقوله ، كأنه سلسلة على صفوان)(٣)

وجاء فى الحديث الذى رواه النواس بن سمعان رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (اذا أراد الله تعالى أن يوحى بأمر تكلم بالوحى ، أخذت السماء رجفة شديدة من خوف الله . فاذا سمع ذلك أهل السموات صعقوا وخروا سجدا . فيكون أول من يرفع رأسه جبريل عليه السلام ، فيكلمه الله من وحيه بما أراد . فيمضى به جبريل عليه السلام على الملائكة عليهم السلام كلما مر بسماء سأله ملائكتها : ماذا قال ربنا ياجبريل ؟ فيقول : (قال الحق وهو العلى الكبير) فيقولون كلهم مثل ما قال جبريل عليه السلام فينتهى عليه السلام بالوحى حيث أمره الله تعالى من السماء والارض)(٤)

ففى هذا الحديث دليل ظاهر على كيفية الوحى من الله الى الملائكة ، وأثر هذا الوحى الشديد عليهم .

---

(١) قاله الربيع بن أنس . انظر الجامع لأحكام القرآن ج ١٠ ص ٦٧

(٢) قاله أبو عبيدة . انظر المصدر نفسه والصفحة .

(٣) أخرجه البخارى فى صحيحه ، كتاب التوحيد ، باب قوله تعالى : (ولا تنفع الشفاعة الا لمن اذن له . . . ١٣ / ٧٤٨١ ، وابن ماجة فى سننه ، المقدمة باب فيما أنكرت الجهمية ١ / ١٩٤ . والصفوان : الحجر الأملس ، وجمعه صفى . انظر النهاية فى غريب الحديث والأثر ، لابن السعادات المبارك بن محمد الجزرى ابن الأثير ، تحقيق طاهر حمد الزاوى ومحمود الطناحى . الناشر المكتبة الاسلامية ج ٣ ص ٤١

(٤) الدر المنثور فى التفسير بالماثور للسيوطى ، الناشر محمد امين دمج ، بيروت لبنان ج ٥ ص ٢٣٦

٤- الوحي من الله الى الاحياء من غير البشر

قال تعالى : (وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ) (١)

قال ابن كثير : (المراد بالوحى هنا الالهام والهداية والارشاد للنحل أن تتخذ من الجبال بيوتا تأوى اليها ، ومن الشجر ، ومما يعرشون) (٢)

ويقول الرازى فى معنى الهام النحل كلاما ملخصه : وأما الهام النحل فهو أن الله قرر فى أنفسها هذه الأعمال العجيبة التى تعجز عنها العقلاء من بناء بيوتها مسدسة من أضلاع متساوية لا يزيد بعضها على بعض بمجرد طباعها والعقلاء من البشر لا يمكنهم بناء مثل تلك البيوت الا بالآلات ، وأدوات مثل المسطر والفرجار. (٣)

وقال الألوسى : (وفسر بعضهم الايحاء اليها بتسخيرها لما أريد منها . ومنعوا أن يكون المراد حقيقة الايحاء . لأنه انما يكون للعقلاء ، وليس النحل منها ... والصوفية كما ذكر الشعرانى فى غير موضع لا يمنعون ارادة الحقيقة ، وقد أثبتوا فى سائر الحيوانات رسلا وأنبياء ، والشرع يأبى ذلك) (٤)

ويقول سيد قطب فى تفسيره لهذه الآية : (والنحل تعمل بالهام من الفطرة التى أودعها إياها الخالق ، فهو لون من الوحى تعمل بمقتضاه . وهى

---

(١) سورة النحل الآية ٦٨

(٢) تفسير القرآن العظيم ج ٤ ، ص ٢٠٥

(٣) انظر التفسير الكبير ج ٢٠ ، ص٦٩

(٤) روح المعانى للالوسى ج ١٤ ، ص١٨١

تعمل بدقة عجيبة يعجز عن مثلها العقل المفكر سواء في بناء خلاياها ، أو في تقسيم العمل بينها ، أو في طريقة افرازها للعسل المصفى)(١)

وهذا مصداقٌ لقوله تعالى : (قال ربنا الذى أعطى كل شئ خلقه ثم هدى)(٢)

قال الامام القرطبى بعد أن أورد عدة أقوال فى تفسير هذه الآية قال : (أعطى كل شئ زوجه من جنسه ، ثم هداه الى منكحه ومطعمه ، ومشربه ،ومسكنه وقيل : أعطى كل شئ ما ألهمه من علم وصناعة)(٣) .

---

(١) فى ظلال القرآن لسيد قطب ، ج ٤ ص ٢١٨١ — طبعة دار الشــروق

(٢) سورة طه الآية ٥٠

(٣) الجامع لأحكام القرآن ج ١١ ص٢٠٤-٢٠٥

٥- الوحي من الله الى الجمادات

قال تعالى : (فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظاً ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ)(١)

قال القرطبي : (قال قتادة والسدى : خلق فيها شمسها وقمرها ونجومها ، وأفلاكها ، وخلق في كل سماء خلقها من الملائكة ... وهو قول ابن عباس)(٢)

وقال الالوسى : (أى خلق فى كل منها ما استعدت له واقتضت الحكمة أن يكون فيها من الملائكة والنيرات وغير ذلك مما لا يعلمه الا الله ... فالوحى عبارة عن التكوين كالامر مقيد بما قيد به المعطوف عليه من الوقت ، أو أوحى الى أهل كل منها أوامره وكلفهم ما يليق بهم من التكاليف ..)(٣)

ومن الوحي من الله الى الجمادات قوله تعالى : (يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا) .(٤)

قال القرطبي : (أى أنها تحدث أخبارها بوحى الله (لها)أى اليها .. وقيل (أوحى لها) أى أمرها . قال مجاهد ، وقال السدى :(أوحى لها) : أى قال لها ،وقيل سخرها)(٥)

وقال الالوسى فى قوله تعالى : (بأن ربك أوحى لها) : (أى تحدث بسبب ايحاء ربك لها ، وأمره سبحانه اياها بالتحديث ... والوحى يحتمل أن يكون

---

(١) سورة فصلت الآية ١٢
(٢) الجامع لأحكام القرآن ج ١٥ ص ٣٤٥
(٣) روح المعانى للالوسى ج ٢٤ ص ١٠٣-١٠٤
(٤) سورة الزلزلة الآيتان ٤ ، ٥
(٥) الجامع لأحكام القرآن ج ٢٠ ص ١٤٩

وحى الهام ، وأن يكون وحى ارسال بأن يرسل سبحانه اليها رسولا من الملائكة بذلك . . . وقيل يحتمل الايحاء على تقدير كون التحديث حقيقيا أيضا مجاز عن احداث حالة ينطقها سبحانه بها كايحاء الحياة وقوة التكلم والاخبار على ما سمعت آنفا .

وقال يحى بن سلام: تحدث بما أخرجت من أثقالها ويشهد له ما في حديث ابن ماجة في سننه : (فتقول الأرض يوم القيامة يا رب هذا ما استودعتنى)[1] وعن ابن مسعود : تحدث بقيام الساعة اذا قال الانسان : ما لها ؟ فتخبر أن أمر الدنيا قد انقضى ، وأمر الآخرة قد أتى . فيكون ذلك جوابا لهم عن سؤالهم)[2].

(١) سنن ابن ماجة كتاب الزهد باب ذكر الموت والاستعداد له ٢ / ٤٢٦٣

(٢) روح المعانى للالوسى ج ٣٠ ص ٢٦٨

ثانيا : الوحي من البشـــــر

الوحي من البشر للبشر

قال تعالى : (فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا بُكْـــرَةً وَعَشِيًّـــا) [(١)]

قال الطبري : (فألقى اليهم ايماء . . وقد يكون بكتاب)[(٢)]

وقال ابن كثير : (فأوحى اليهم) أى أشار اشارة سريعة (أن سبحوا بكـــرة وعشيا) أى موافقة له فيما أمر به فى هذه الأيام الثلاثة زيادة على أعماله شكرا للـــه على ما أولاه .

قال مجاهد : ((فأوحى اليهم) : أى أشار . وبه قال وهب وقتادة . وقـــال مجاهد فى رواية عنه : (فأوحى اليهم) أى كتب لهم فى الأرض ، وكذا قال السدى)[(٣)]

قال الشوكانى : (قيل معنى (أوحى)ـ هناـ أومأ ، بدليل قوله فى آل عمران (الا رمزا))[(٤)]

---

(١) سورة مريم الآية ١١

(٢) تفسير جامع البيان للطبرى ج ٦ ص ٤٠٥ - ٤٠٦

(٣) تفسير القرآن العظيم ج ٤ ص ٤٤١

(٤) فتح القدير للشوكانى ج ٣ ص ٣٢٤ ، ٣٢٥

ثالثا : الوحي من الملائكـــة

الوحي من الملائكة للبشر

قال تعالى : (وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَه اللَّهُ إِلاَّ وَحْياً أَوْ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرسِلَ رَسُولاً فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ)(١)

قال الطبري : (أو يرسل الله من ملائكته رسولا اما جبريل واما غيره فيوحي باذنه ما يشاء ،يقول : فيوحي ذلك الرسول الى المرسل اليه باذن ربه ما يشاء)(٢)

ويقول القرطبي في تفسيره : (وهذا الوحي من الرسل خطاب منهم للأنبياء يسمعونه نطقا ويرونه عيانا .

قال ابن عباس: (نزل جبريل عليه السلام على كل نبي فلم يره منهم الا محمد وعيسى وموسى وزكريا عليهم السلام . أما غيرهم ،فكان وحيا الهاما في المنام)(٣).

ويقول الألوسي : ((أو يرسل رسولا) : أي ملكا ، فيوحي ذلك الرسول الى المرسل اليه الذي هو الرسول البشري (باذنه) أي بأمره تعالى وتيسيره سبحانه (ما يشاء)) .(٤)

وقد ثبت كذلك في السنة أن الملائكة كانت تنزل على بعض الناس. ففي الحديث الذي أخرجه مسلم وغيره ،عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (ان في بني اسرائيل أبرص وأقرع(٥) وأعمى فأراد الله أن يبتليهم فبعث اليهم ملكا فأتى الأبرص فقال : أي شيء أحب اليك ؟ فقال : لون حسن وجلد حسن ويذهب عني الذي قذرني الناس . قال فمسحه

---

(١) سورة الشورى الآية ٥١
(٢) تفسير جامع البيان للعلامة الطبري ج ٢٥ ص ٢
(٣) الجامع لأحكام القرآن ج ١٦ ص ٥٣
(٤) روح المعاني ج ٢٥ ص ٥٤
(٥) الأقرع : الذي لا شعر على رأسه.
انظر : النهاية في غريب الحديث والأثر ج ٤ ص ٤٤

فذهب عنه قذره ،وأعطى لونا حسنا وجلدا حسنا ....)[(١)] الحديث .

---

(١) أخرجه الشيخان : صحيح البخارى ، كتاب أحاديث الأنبياء ، باب حديث أبرص وأعمى وأقرع فى بنى اسرائيل ٦/٣٤٦٤ . صحيح مسلم : كتاب الزهد والرقاق ، باب ١٠ بدون تبويب ٤/٢٩٦٤ .

والحديث بطوله على النحو الآتى : عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :(إِنَّ ثلاثة من بنى إِسرائيل : أبرص : وأقرع وأعمى أراد الله أن يبتليهم فبعث اليهم ملكا . فأتى الأبرص فقال أى شئ أحب اليك؟ قال :لون حسن ، وجلد حسن ، ويذهب عنى الذى قذرنى الناس . فمسحه فذهب عنه قذره ، وأعطى لونا حسنا وجلدا حسنا . فقال أى المال أحب اليك؟ قال : الابل . فأعطاه ناقة (عشراء) .(وهى الحامل التى أتى على حملها عشرة أشهر).فقال : بارك الله لك فيها .

ثم أتى الأقرع فقال : أى شئ أحب اليك ؟ قال : شعر حسن ويذهب عنى هذا الذى قذرنى الناس . فمسحه فذهب عنه ،وأعطى شعرا حسنا . قال : فأى المال أحب اليك ؟ قال : البقر . فأعطى بقرة حاملا ،وقال : بارك الله لك فيها .

ثم أتى الأعمى فقال : أى شئ أحب اليك ؟ قال : أن يرد الله علىّ بصرى فأبصر به الناس . فمسحه ،فرد الله عليه بصره . قال : فأى المال أحب اليك ؟ قال : الغنم. فأعطى شاة والدا.والشاة الوالد(التى عرف منها كثرة الولد والنتاج) .

فأنتج هذان - أى صاحبا الابل والبقر- وولد هذا - أى صاحب الشاة - فكان لهذا واد من الابل ، ولهذا واد من البقر ، ولهذا واد من الغنم ثم انه أتى الأبرص فى صورته وهيئته فقال : رجل مسكين ،فقد انقطعت بى الحبال فى سفرى ،فلا بلاغ لى اليوم الا بالله ثم بك .

أسألك بالذى أعطاك اللون الحسن ، والجلد الحسن ،والمال . بعيرا اتبلّغ به فى سفرى . فقال له :الحقوق كثيرة . فقال له: كأنى أعرفك؟ ألم تكن أبرص يقذرك الناس ،فقيرا فأعطاك الله ؟ فقال : انما ورثت هذا المال كابرا عن كابر . فقال : ان كنت كاذبا فصيرك الله الى ما كنت .

وأتى الأقرع فى صورته فقال له: مثل ذلك ، وردّ عليه مثل ما رد الأول . فقال : ان كنت كاذبا فصيرك الله الى ما كنت .

ثم أتى الأعمى فى صورته وهيئته ، فقال له : رجل مسكين وابن سبيل ، وتقطعت بى الحبال فى سفرى ، فلا بلاغ اليوم الا بالله ثم بك . أسألك بالذى رد عليك بصرك شاة أتبلّغ بها فى سفرى .

فقال : قد كنت أعمى فرد الله على بصرى وفقيرا قد أغنانى ، فخذ ما شئت ، ودع ما شئت ،فوالله لا أجهدك اليوم لشئ أخذته لله

فقال : أمسك مالك فانما ابتليتم . فقد رضى عنك ،وسخط على صاحبيك)

ومعنى قذره: كرهه واجتنبه . انظر: النهاية فى غريب الحديث والاثر ج ٤ ص ٢٨

وقد سلمت الملائكة على عمران بن حصين رضي الله عنه والقصة مشهورة.[1]

---

(١) من ذلك ما رواه مطرف بن عبد الله رحمه الله تعالى قال : قال لي عمران بن حصين : (أحدثك حديثا عسى الله أن ينفعك به : ان رسول الله صلى الله عليه وسلم جمع بين حجة وعمرة . ثم لم ينه عنه حتى مات . ولم ينزل فيه قرآن يحرمه - وقد كان يسلم علي حتى اكتويت فتركت . ثم تركت الكي فعاد)
صحيح مسلم كتاب الحج باب جواز التمتع ٢/١٦٧ .

رابعا : الوحى من الشياطين

١- الوحى من الشياطين الى البشر

قال تعالى : (وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ ، وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ) (١)

قال ابن كثير فى تفسيره: (قال ابن أبى حاتم حدثنا أبو سعيد الاشج حدثنا أبو بكر بن عياش عن أبى اسحاق قال : قال رجل لابن عمر : ان المختار يزعم أنه يوحى اليه ، قال : صدق ، وتلا هذه الآية (وان الشياطين ليوحون الى أوليائهم ..)

وفى رواية عن أبى زميل قال : كنت قاعدا عند ابن عباس ، وحج المختار ابن ابى عبيد فجاءه رجل فقال : يا ابن عباس ، زعم أبو اسحاق أنه أوحى اليه الليلة . فقال ابن عباس : صدق ، فنفرت وقلت يقول ابن عباس صدق . فقال ابن عباس : هما وحيان : وحى الله ووحى الشيطان ، فوحى الله الى محمد صلى الله عليه وسلم ووحى الشيطان الى أوليائه ، ثم قرأ : (وان الشياطين ليوحون الى اوليائهم ....) (٢)

قال القرطبى فى تفسير وحى الشياطين الى أوليائهم من البشر : أى يوسوسون فيلقون فى قلوبهم الجدل بالباطل .

وروى أبو داود عن ابن عباس فى قوله : (وان الشياطين ليوحون الى أوليائهم) يقولون ما ذبح لله فلا تأكلوه ، وما ذبحتم أنتم فكلوه فأنزل الله : (ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه) (٣)

---

(١) سورة الأنعام الآية ١٢١

(٢) تفسير القرآن العظيم ج ٣ ص ٩١

(٣) الجامع لأحكام القرآن ج ٧ ص ٧٧

وقال الرازى فى قوله تعالى : (وإنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إلَى أَوْلِيَائِهِم)

قال : فيه قولان :

الاول : أن المراد من الشياطين ههنا ابليس وجنوده وسوسوا الى أوليائهم من المشركين ليجادلوا محمداً صلى الله عليه وسلم وأصحابه فى أكل الميتة .

الثانى : قال عكرمة : وان الشياطين يعنى مردة المجوس ليوحون الى أوليائهم من مشركى قريش) .(١)

(١) التفسير الكبير للفخر الرازى ج ١٣ ص ١٦٩

ب - **الوحي من الشياطين بعضهم لبعض**

قال تعالى : (وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوّاً ، شَيَاطِينَ الإِنْسِ وَالجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُم إِلى بَعْضٍ زُخْرُفَ القَوْلِ غُرُوراً . . .)(١)

قال الشوكاني : (معنى يوحى بعضهم الى بعض : يغرونهم بذلك غرورا . .).(٢)

(وأخرج ابن المنذر وابن أبي حاتم عن ابن عباس في قوله تعالى : (يوحى بعضهم الى بعض) قال : شياطين الجن يوحون الى شياطين الانس . . .)(٣)

وقد أخرج الامام أحمد في مسنده عن أبي امامه رضى الله عنه قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم في المسجد جالسا ،وكانوا يظنون أنه ينزل عليه فأقصروا عنه حتى جاء أبو ذر ، فأقحم فأتى فجلس اليه ، فأقبل عليه النبى صلى الله عليه وسلم فقال : يا أبا ذر هل صليت اليوم ؟ قال لا . قال: قم فصلّ ، ولما صلى أربع ركعات الضحى أقبل عليه فقال : يا أبا ذر تعوذ من شر شياطين الجن والانس . قال: يانبى الله : وهل للإنس شياطين ؟ قال : نعم . شياطين الانس والجن يوحى بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا . . .)(٤) الحديث

وقال القرطبى في معنى الايحاء في الآية المتقدمة : (عبارة عما يوسوس به شياطين الجن الى شياطين الانس . وسمى وحيا لأنه انما يكون خفية ، وجعل تمويههم زخرفا لتزيينهم اياه . . .)(٥)

---

(١) سورة الانعام الآية ١١٢

(٢)(٣) فتح القدير للشوكاني ج ٢ ص١٥٣ ، ١٥٤

(٤) أخرجه الامام أحمد في مسنده ج ٥ ص٢٦٥

(٥) الجامع لاحكام القرآن للامام ابى عبدالله محمد بن احمد القرطبى ،دار الكتاب العربى للطباعة والنشر القاهرة ج ٧ ص ٦٧ .

ويتضح لنا بعد استعراضنا لمعانى كلمة الوحى واستعمالاتها فى القرآن الكريم أن الآيات القرآنية قد استعملت الوحى بالمعانى اللغوية السابقة من الاشارة والكتابة والرسالة والالهام ، والالقاء فى القلب ، والكلام الخفى .. الخ وهذه المعانى كلها كما ترى تتمثل فيها خصائص الوحى من الله الى الانبياء مثل قوله تعالى : (ذَلِكَ مِن أَنبَاءِ الغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيكَ) [1] أى ننزله . وقوله تعالى : (إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَىٰ نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِن بَعْدِهِ) [2] الآية أى اعلامك على سبيل الخفاء ... الخ الآيات .

وكل هذه المعانى معتبرة فى الوحى من الله الى الانبياء وهو موضوع دراستنا .

(١) سورة آل عمران الآية ٤٤

(٢) سورة النساء الآية ١٦٣

(٣) الوحى فى اصطلاح علماء العقيـــدة

أ- تعريف المتكلمين للوحى بالمعنى المصدرى :

الوحى كماتقدم فى المعنى اللغوى يطلق ويراد به الرسالة والاشارة والالهام وكل ما ألقيته الى غيرك فى خفاء وسرعة . ولكن كلمة الوحى قد غلب استعمالها فيما يلقى الى الأنبياء من قبل الله تعالى . فأصبح بذلك الاطلاق حقيقة شرعية خاصة.

وقد ذكر الشيخ محمد عبده تعريف بعض علماء العقيدة للوحى فقال : « وقد عرّفوه بأنه اعلام الله تعالى لنبى من أنبيائه بحكم شرعى ونحوه »(١)

أما الحكم الشرعى : فهو : (خطاب الله تعالى المتعلق بفعل المكلف من حيث انه مكلف به)(٢)

وأما ما يكون (نحوه) مما يأتى به الوحى : فكقصص الأنبياء ، والحديث عن اليوم الآخر وما فيه .

وواضح أن هذا التعريف تعريف للوحى بالمعنى المصدرى . أى الايحاء وهو يصدق على ما يكون من الله تكليما مباشرا ، أو قذفا فى القلب . وما يكون عن طريق الملك عيانا ، أو مع سماع صوته دون رؤيته ،أو عن طريق النفث فى الروع . وما يكون كذلك عن طريق الرؤيا الصادقة .

فكل ذلك يصدق عليه أنه اعلام من الله سواء كان مباشرا ،أو بواسطة وسواء كان باللفظ أو بالمعنى ، وسواء كان صريحا أو مؤولا .

---

(١) رسالة التوحيد للشيخ محمد عبده ١٩٦٩م ص ٩٦ .

(٢) مذكرة اصول الفقه تأليف الشيخ محمد الأمين الشنقيطى من مطبوعات الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة ص٨ .

ب : تعريف الغزالي ومحمد عبده للوحي بالمعنى الحاصل بالصدر

وقد عرف الامام الغزالي الوحي بهذا المعنى ببيان طبيعته باعتباره علما يأتي من الله بغير الطرق الكسبية المعروفة ، بل عن طريق ملك الوحي في غالب أحواله . فيعرفه بأنه : " العلم الذى يحصل لا بطريق الاكتساب وحيلة الدليل . ثم الواقع في القلب بغير حيلة وتعلم واجتهاد من العبد ينقسم الى :-

١ - مالا يدرى العبد أنه كيف حصل له ، ومن أين حصل .

٢ - والى مايطلع معه على السبب الذى منه استفاد ذلك العلم ، وهو مشاهدة الملك الملقى في القلب .

والاول يسمى الهاما ، ونفثا في الروع ، والثاني يسمى وحيا ويختص به الأنبياء ".(١)

وللشيخ محمد عبده تعريفا آخر للوحي بالمعنى الحاصل بالصدر ، قال في رسالة التوحيد :-

انه " عرفان يجده الشخص من نفسه مع اليقين بأنه من قبل الله بواسطة أو بغير واسطة . والأول بصوت يتمثل لسمعه ، أو بغير صوت . ويفرق بينه وبين

---

(١) احياء علوم الدين للامام الغزالي دار الشعب القاهرة ج ٨ ص ١٣٧٠

الالهام بأن الالهام وجدان تستيقنه النفس وتنساق الى ما يطلب على غير شعور منها من اين أتى . وهو أشبه بوجدان الجوع والعطش والحزن والسرور) (١)

وفيما يتعلق بتعريف الشيخ محمد عبده للوحى فانه قد لوحظ عليه : أنه يشمل ما يسمى بالوحى النفسى . ولكن الشيخ رشيد رضا يرى : أنه يشمل الوحى النفسى اذا نظرنا الى صدر التعريف وحده ، لولا ما تضمنه التعريف فى عجزه من التفرقة بينه وبين الالهام ، ومن النص على أن الوحى لا يكون الا مع اليقين بانه من قبل الله ، وبأنه يكون بواسطة الملك بخلاف الالهام فى ذلك .

والواقع أننا اذا نظرنا الى تعريف الشيخ محمد عبده للوحى ، وهو أنه : عرفان يجده الشخص من نفسه مع اليقين بأنه من قبل الله) . فاننا نجده يشمل الوحى النفسى . وحتى لو وضعناه فى اعتبارنا ما ذيل به الشيخ محمد عبده تعريفه من بيان أنواع الوحى ، طرقه مايكونُ منه بواسطة الملك ، وما يكون بغير

---

(١) رسالة التوحيد للشيخ محمد عبده ١٩٦٩م ص ٩٦ .

واسطة الملك ، فان مايكون بغير واسطة الملك يدخل في مفهوم هذا الوحي النفسي ، ولا تجدى التفرقة بينه وبين الالهام بأن الوحي يكون مع اليقين بأنه من قبل الله عز وجل لأن صاحب الوحي النفسي يكون لديه هو الآخر ، مثل هذا اليقين بأن مايجده في نفسه وفكره ، انما هو من قبل الله عز وجل .

وقد يؤيد اعتبار الشيخ محمد عبده لهذا النوع من الوحي ـ الى جانب الوحي بواسطة الملك ـ تعريفه للنبوة والرسالة ، واعتباره للفطرة الالهية في حقيقتها . فيقول : (قد يعرف النبي بانسان فطر على الحق ، علما وعملا ، بحيث لا يعلم الا حقا ، ولا يعمل الا حقا على مقتضى الحكمة .

وذلك يكون بالفطرة ، أى لا يحتاج فيه الى الفكر والنظر ولكن التعليم الالهي .

فان فطر أيضا على دعوة بنى نوعه الى ما جبل عليه ، فهو رسول أيضا ، والا فهو نبى فقط وليس برسول فتفكر فيه فانه دقيق) .(١)

فاذا كان النبى نبيا ، والرسول رسولا بنفسه المفطورة على معرفة الحق ، والدعوة اليه فحديث هذه النفس وحي من الله بهذا الاعتبار .

وقد علق الدكتور سليمان دنيا حفظه الله تعالى على كلام الشيخ محمد عبده فقال : (وعندى أن المسألة ليست مسألة تواضع واصطلاح ، ولكنها

---

(١) الشيخ محمد عبده ، تحقيق الدكتور سليمان دنيا ، القسم الاول ، طبعة دار احياء الكتب العربية ، الطبعة الاولى ١٣٧٧هـ ، ص ٤٠ .

محاولة اكتشاف لمراد الله تعالى ، من ألفاظ وردت في كتبه المقدسة ، مثل قوله تعالى : (ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ، ولكن رسول الله وخاتم النبيين) (١)

فعلام أعتمد الشيخ محمد عبده في أن تفسيره هذا لمعنى (النبى) ومعنى (الرسول) يمكن أن يكون مراد الله من هاتين الكلمتين ؟ .

ان المعنى - في ذاته - معنى لطيف ، ولو كانت المسألة مسألة تواضع واصطلاح لما وجدت أية غضاضة في قبوله والتسليم به ، ولكنها مسألة : (تعرف مراد الله ، ومراد رسوله من كلمتي (النبى) و(الرسول) حين يستعملانها .

ثم لو كان مراد الشيخ محمد عبده ، أن لنا أن نطلق لفظتي (النبى) و(الرسول) على ما ذكرهم من الناس ، بصرف النظر عن امكان انطباق المعنى الشرعى عليهم أو عدم امكانه .

هل يكون في وسع الشيخ محمد عبده أن يحكم بأن هذا النوع من الأنبياء والرسل ، جائز وجوده بعد قبض سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم أم يعتبر رسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ونبوته نهاية أيضا لذلك النوع من الانبياء والرسل) . (٢)

والواقع أن ما يسمى بالوحى النفسى لا يمكن أن يكون بأى اعتبار جزءا من الوحى بالمعنى الدينى . فما يسمى بالوحى النفسى نابع من الذات بأفكار

---

(١) سورة الاحزاب الآية ٤٠ .

(٢) الشيخ محمد عبده للدكتور سليمان دنيا ص ٤٠ .

وتجاربها وانفعالاتها . أما الوحي الشرعي فتلقين الهي لأحد أنبيائه بمعرفة خارجة عن نفسه وعقله وحسه . انه كما يقول الشيخ محمد المبارك : "اتصال بين الله الخالق القادر العليم ، والمختارين من خلقه وعباده للنبوة والرسالة . لا يشبه اتصال الحواس بالمحسوسات ، ولا العقل بالمدركات العقلية . بل هو نوع من الادراك مختلف عن ذينك النوعين الحسي والعقلي بطبيعته الخاصه التي لا تدخل تحت نطاق التجربة البشرية . وقد عبر عنه القرآن بلفظ الوحي . وهي كلمة تفيد في أصول اللغة معنى السرعة والاشارة معا . وتقرب الى الذهن هذا النوع من الاتصال والادراك فتفير معنى التلقين الخفي عن طريق سريع جدا أشبه بومضات البرق ، وانتشار الموجات الضوئية" (١)

جـ - تعريف علماء السلف للوحي بالكلام الموحى به من الله .

أما علماء السلف فيعرفون الوحي بأنه الكلام الموحى به من الله .

فقد أخرج ابن أبي حاتم من طريق عقيل عن الزهري - سئل عن الوحي فقال : "الوحي ما يوحي الله الى نبي من الانبياء فيثبته في قلبه فيتكلم به ويكتبه . وهو كلام الله . ومنه مالا يتكلم به ، ولا يكتبه لأحد ، ولا يأمر بكتابته ، ولكنه يحدث به الناس حديثا ، ويبين لهم أن الله أمره أن يبينه للناس ويبلغهم اياه" (٢)

---

(١) نظام الاسلام العقيدة والعبادة ، تأليف محمد المبارك ، دار الفكر بيروت ص ١٠٠ .

(٢) الاتقان للسيوطي ج ١ ص

ويعرف الآجرى الوحى بقوله : " الوحى : مايوحى الله عز وجل الى النبى . . ما أراد من وحيه فى قلب النبى . . يتكلم به النبى ، ويبينه . وهو كلام الله عز وجل ووحيه ". (١)

وحكى الامام ابن تيميه - رحمه الله تعالى - عن عقبة عن ابن شهاب فى تعريف الوحى قال : " والوحى مايوحى الله الى النبى من أنبيائه عليهم السلام ليثبت الله عز وجل ما أراد من وحيه فى قلب النبى ويكتبه ، وهو كلام الله ، ووحيه ". (٢)

وتعريف السلف للوحى تعريفا له بالشىء الموحى به من الله فان مايوحى به من الكلام والمعانى يسمى وحيا . وما ينقله الملك الى النبى من ذلك فهو كلام الله على الحقيقة ، لأن الله هو الذى تكلم به أولا :

وظاهر أن الوحى ينظر اليه من ثلاث جهات : جهة كونه فعلا وهو الايحاء وجهة كونه علما ومعرفة تحصل للنبى بذلك الايحاء . وجهة كونه كلاما حاصلا بهذا الايحاء . وقد نظر كل من أصحاب التعريفات السابقة للوحى الى احدى هذه الجهات فعرفه من قبلها .

وقد جمع الشيخ أبوشهبه - رحمه الله تعالى - فى تعريف الوحى بين هذه الاعتبارات الثلاثة . اذ يقول : " وأما فى الشرع ، فيطلق ويراد به المعنى المصدرى .

---

(١) كتاب الشريعة للامام أبى بكر محمد بن الحسين الآجرى (ت ٣٦٠ هـ) تحقيق محمد حامد الفقى . الناشر حديث أكاومى باكستان ص ٤٥٢ - ٤٥٣ .

(٢) مجموع الفتاوى لشيخ الاسلام ابن تيمية ج ١٢ ص ٣٩٧ .

ويطلق ويراد به المعنى الحاصل بالمصدر . ويطلق ويراد به : المعنى الموحى به .

ويعرف من الجهة الاولى : بأنه : " اعلام الله أنبياءه بما يريد أن يبلغه اليهم من شرع أو كتاب بواسطة أو غير واسطة " . فهو أخص من المعنى اللغوى لخصوص مصدره ومورده . فقد خص المصدر بالله سبحانه وتعالى . وخص المورد بالأنبياء .

ويعرف من الجهة الثانية : بأنه : " عرفان يجده الشخص من نفسه مع اليقين بأنه من عند الله سواء أكان الوحى بواسطة أم بغير واسطة " .

ويعرف من الجهة الثالثة بأنه : " ما أنزل الله على أنبيائه ، وعرفهم به من أنباء الغيب ، والشرائع والحكم ، ومنهم من أعطاه كتابا ومنهم من لم يعطه " (١)

والتعريف من الجهة الثانية الذى ذكره الدكتور أبو شهبة للمعنى الحاصل بالمصدر هو تعريف الشيخ محمد عبده الذى عرضناه فيما سبق ورددنا عليه .

وقد جمع الشيخ أبوشهبه فى كلامه هذا ـ كما هو ظاهر ـ بين تعريفات كل من المتكلمين ، والشيخ محمد عبده والسلفيين .

ومما تقدم نلحظ أن معنى الوحى فى الشرع أخص منه فى اللغة من جهة مصدره وهو الله سبحانه وتعالى ، ومن جهة الموحى اليهم وهم الرسل .

---

(١) المدخل لدراسة القرآن الكريم للدكتور محمد محمد أبوشهبة ، الطبعة الثانية ص ٨٤ .

الوحي والتكليم من حيث العموم والخصوص

لكل من الوحي والكلام اعتباران فكل منهما اما عام ، واما خاص ، فالوحي العام بمعنى الايحاء والتبليغ مطلقا ، وعلى أى صورة كان . والوحي بالمعنى الخاص هو وحي الالقاء في القلب . والتكليم العام هو بمعنى التبليغ مطلقا ،والتكليم الخاص ، ما يكون بالصوت المسموع ، وبين الوحي ، والتكليم على هذا عموم وخصوص وجهى . فاذا أطلق التكليم العام : فانهيشمل الوحي الخاص ، أى الالقاء في القلب . والتكليم الخاص من وراء حجاب ، والوحي عن طريق الملك كما في آية الشورى :(وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلاَّ وَحْياً أَو مِن وَرَاءِ حِجَابٍ أَو يُرْسِلَ رَسُولاً فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ) .(١)

واذا اطلق الوحي العام بمعنى التبليغ فانه يشمل أيضا الوحي الخاص ، والكلام الخاص كما في قوله تعالى : (إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِن بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلى إِبْرَاهِيمَ وإِسْمَاعِيلَ وإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ والأَسْبَاطِ وعِيسَى وأيوب ويُونُسَ وهَرُونَ وَسُلَيْمَانَ ، وآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُوراً ، وَرُسُلاً قَدْ قَصَصْنَاهُم عَلَيكَ مِن قَبلُ ، وَرُسُلاً لَم نَقْصُصْهُم عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيماً)(٢)

وقال : (فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّك بِالوَادِ المُقَدَّسِ طُوَى ،وأَنَا اخترتك فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى)(٣)

حيث يشتمل الوحي العام على الكلام المسموع ، وصدق على هذا الكلام أنه وحي .

---

(١) سورة الشورى الآية ٥١

(٢) سورة النساء الآيات ٦٣ - ٦٤

(٣) سورة طه الآيات ١١-١٣

أما اذا أطلق الكلام بالمعنى الخاص فانه لا يشتمل على الوحى بالمعنى الخاص ، أى الالقاء فى القلب كما فى قوله تعالى : (تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ على بَعْضٍ مِنْهُم مَن كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُم دَرَجَاتٍ)(١)

وقوله تعالى : (وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ . .)(٢) .

وكذلك إذا اطلق الوحى بالمعنى الخاص ، فانه لا يشمل على الكلام بالمعنى الخاص . لأنّ الإلقاء فى القلب قد يكون للنبى ، ولغير النبى وليس فيه كلام . أما الكلام الخاص فيكون بصوت مسموع للنبى ، وهو خاص بالانبياء .

وقد أشبع الامام ابن تيمية رحمه الله تعالى هذا الموضوع بحثا فأوضح أن التكليم والوحى يندرجان فى بعضها فى حالة العموم ، وينفرد كل منهما فى حالة الخصوص . اذ يقول :

(وقد دلّ كتاب الله على أن اسم الوحى والكلام فى كتاب الله فيهما عموم وخصوص ، فاذا كان أحدهما عاما اندرج فيه الآخر كما اندرج الوحى فى التكليم العام فى هذه الآية - يعنى قوله تعالى : (وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْياً أَوْ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ أَو يُرْسِلَ رَسُولاً فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ)(٣)- واندرج التكليم فى الوحى العام حيث قال تعالى : (فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰ)(٤)

وأما التكليم الخاص الكامل فلايدخل فيه الوحى الخاص الخفى ، الذى يشترك فيه الانبياء ، وغيرهم ، كما أن الوحى المشترك الخاص لا يدخل فيه التكليم الخاص

---

(١) سورة البقرة الآية ٢٥٣

(٢) سورة الاعراف الآية ١٤٣

(٣) سورة الشورى الآية ٥١

(٤) سورة طه الآية ١٣

(٥) سورة مريم الآية ١١

الكامل ، كما قال تعالى لزكريا :(قَالَ آيَتُكَ أَلاَّ تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلاثَ لَيالٍ سَوِيًّا)(١) ثم قال تعالى : (فَخَرَجَ عَلىٰ قَومِهِ مِن المِحْرَابِ فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِم أَن سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِياً)(٢) فالايحاء ليس بتكليم ، ولا ينـاقض الكلام .

وقوله في الآية الأخرى : (قَالَ آيَتُكَ أَلاَّ تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلاثَةَ أَيَّامٍ إِلاَّ رَمْزاً)(٣) . ان جعل معنى الاستثناء منقطعا ، اتفق معنى التكليم في الآيتين وان جعـل متصلا كان التكليم مثل التكليم في سورة الشورى وهو التكليم العام .

وقد تبين أنه انما كلم موسى تكليما خاصا كاملا بقوله: (مِنْهُم مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ)(٤) مع العلم بأن الجميع أوحى اليهم ، وكلمهم التكليم العام . وبأنه فرّق بين تكليمـه وبين الايحاء الى النبيين . . . وبأنه جعل التكليم من وراء الحجاب قسما غير ايحائه وبما تواتر عن النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه من تكليمه الخاص لموسى منه اليه ، وقد ثبت أنه كلمه بصوت سمعه موسى كما جاءت الآثار بذلك عن سلف الأمة وأئمتهـا موافقة لما دلّ عليه الكتاب والسنة) . (٥)

---

(١) سورة مريم الآية ١٠

(٢) سورة مريم الآية ١١

(٣) سورة آل عمران الآية ٤١

(٤) سورة البقرة الآية ٢٥٣ .

(٥) مجموع الفتاوى لشيخ الاسلام ابن تيمية جمع وترتيب عبد الرحمن محمد بن قاسم وولده محمد ، تصوير الطبعة الاولى ١٣٩٨هـ ج ١٢ ص ٤٠٢ - ٤٠٣

(٤) الفرق بين الوحى والالهـــــام

قبل اجراء المقارنة بين الوحى والالهام ينبغى أن نوضح معنى الالهـــام فى اللغة والاصطلاح .

الالهام فى اللغة :

يقول صاحب اللسان[1] : (ألهمه الله خيرا : لقّنه اياه .

واستلهمه اياه : سأله أن يلهمه اياه .

والالهام : ما يلقى فى الروع .

وهو أن يلقى الله فى النفس أمرا يبعثها على الفعل أو الترك ، وهو نوع مـــن الوحى يخص الله به من يشاء من عباده) .

أما فى اصطلاح علماء العقيدة :

فقد عرّفه الامام الغزالى ، بأنه : العلم الواقع فى قلب العبد بغير حيلـة وتعلم واجتهاد ، واذا لم يدر العبد أنه كيف حصل له ، ومن أين حصل ، يسمى هذا العلم الهاما ونفثا فى الروع ،ويختص به الاولياء والاصفياء . (٢)

ويقول الامام الغزالى فى التفريق بين الوحى والالهام :(واعلم أن العلـوم التى ليست ضرورية[3] وانما تحصل فى القلب فى بعض الأحوال تختلف الحال فـــى حصولها ، فتارة تهجم على القلب كأنه القى فيه من حيث لا يدرى ،وتارة تكتسب بطريق الاستدلال والتعلم .

---

(١) لسان العرب لابن منظور ، ج ١٢ ص ٥٥٥ .

(٢) انظر احياء علوم الدين ج ٨ ص ١٣٧٠

(٣) العلم الضرورى : هو العلم الذى يلزم نفس المخلوق لزوما لا يمكنه معــه الانفكاك عنه ـ راجع الفتاوى لشيخ الاسلام ابن تيمية ج ١٣ ص ٧٠ .

فالذى يحصل لا بطريق الاكتساب وحيلة الدليل يسمى الهاما . والذى يحصل بالاستدلال يسمى اعتبارا واستبصارا . ثم الواقع فى القلب بغير حيلة ، وتعلم واجتهاد من العبد ينقسم الى :

١- ما لا يدرى العبد أنه كيف حصل له ، ومن أين حصل .

٢- والى ما يطلع معه على السبب الذى منه استفاد ذلك العلم ، وهو مشاهدة الملك الملقى فى القلب .

والاول يسمى الهاما ، ونفثا فى الروع ، والثانى يسمى وحيا ويختص به الانبياء . والاول يختص به الاولياء والاصفياء . والذى قبله وهو المكتسب بطريق الاستدلال يختص به العلماء .) (١)

ويعرّف الشيخ محمد عبده الالهام فيقول : (الالهام وجدان تستيقنه النفس وتنساق الى ما يطلب على غير شعور منها من أين أتى وهو أشبه بوجدان الجوع والعطش والحزن والسرور) . (٢)

ويُفرّق بينه وبين الوحى - كما قدمنا - بأن الوحى (عرفان يجده الشخص من نفسه مع اليقين بأنه من قبل الله بواسطة أو بغير واسطة ، والاول بصوت يتمثل لسمعه أو بغير صوت) (٣)

نخرج من الفروق التى ذكرها الامام الغزالى والشيخ محمد عبده بين الوحى والالهام :

---

(١) احياء علوم الدين ج ٨ ص ١٣٧٠

(٢) رسالة التوحيد ص ٩٦

(٣) نفس المصدر والصفحة .

أن سماع الخطاب الالهى ، ومشاهدة الملك من الوحى الذى اختص الله به الانبيـــاء .

أما الالهام لغير الأنبياء من البشر(١) فلا يكون فيه سماع من هذا النوع ، ولا مشاهدة الملك ،ولكنه مجرد القاء فى الروع .

ونلحظ على تعريف الشيخ محمد عبده ،أنه جعل الالهام نوعا من أنـــواع الوجدانات ، وليس من المعارف . وفى نفس الوقت لم ينص على أنه من قبل الله.

ويذهب الصوفية الى أن للالهام ملكا خاصا يسمى ملك الالهام. كما كـان للوحى ملكه الخاص وهو جبريل عليه السلام . يقول الشعرانى : (اعلم أن وحـــى الأنبياء لايكون الا على لسان جبريل يقظة ومشافهة ، وأما وحى الأولياء فيكـــون على لسان ملك الالهام)(٢) ومن هذا المنطلق ذهب الشعرانى فعرّف الالهام بقوله : (هو اخبار من الله تعالـــى للعبد على يد ملك مغيّب عن الملهم) .(٣)

ويرجع ابن عربى انكار المنكرين لهذا الملك الى عدم التذوق . يقـــول ابن عربى : (وسبب غلط الغزالى وغيره فى منع تنزل الملك على الولى عدم الذوق وظنهم أنهم قد عمّوا بسلوكهم جميع المقامات ،فلما ظنوا ذلك بأنفسهم ،ولم يروا ملك الالهام نزل عليهم أنكروا ،وقالوا ذلك خاص بالانبياء فذوقهم صحيح وحكمهم باطل) (٤)

---

(١) أما الالهام بالنسبة للمخلوقات الأخرى ،فهو عبارة عن فطرة الله لها علـــى مايصلح شأنها من الأحوال والأعمال . ومن أمثلة هذا الالهام ، الأعمال العجيبة التى تقوم بها النحل : من بناء بيوتها مسدسة من أضلاع متساوية من غير آلات وأدوات . وقد ثبت فى الهندسة أنه لو كانت هذه الأشكال سوى المسدسات فانه يبقى بالضرورة فيما بينها فرج خالية .
وقد يعبر الله عن هذه الالهامات بالوحى كقوله تعالى (وأوحى ربـــك الى النحل أن اتخذى من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون) . سورة النحل الآية ٦٨

(٢) ، (٣) اليواقيت والجواهر للشعرانى ج ٢ مصطفى البابى الحلبى ، الطبعـــة الاخيرة ١٣٧٨ هـ ص ٨٣

(٤) الفتوحات المكية لابن عربى ،المجلد الثانى ،دار صادر بيروت ص٦٣٢

فأما أن يكون للالهام ملك خاص فليس هناك ما يمنع منه ،ولكن هذا يحتاج الى دليل .

وبتتبعنا للفتوحات المكية (١) ، واليواقيت والجواهر (٢) لم نجد دليلا واحدا ولا استشهاداً صحيحًا من الكتاب والسنة يقدمه الصوفية دليلاً على وجود هذا الملك.

والواقع أنّ تنزل الملائكة بصفة عامة على المؤمنين دون تخصيص قد أثبتته الأدلة الواردة فى الكتاب والسنة .قال تعالى (إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِم الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا ، وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنيَا وفِي الآخِرَةِ وَلَكُم فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ، نُزُلاً مِن غَفُورٍ رَحِيمٍ) (٣)

فقوله تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا) قال مجاهد وعكرمة وزيد بن أسلم: (أى ماتقدمون عليه من أمر الآخرة .

(ولا تحزنوا) : على ما خلفتموه من أمر الدنيا من ولد وأهل ومال أو دَيْن فانا نخلفكم فيه) (٤)

وجاء فى حديث البراء رضى الله عنهُ قال : (ان الملائكة تقول لروح المؤمن أخرجى أيتها النفس الطيبة فى الجسد الطيب ،أخرجى حميدة وأبشرى بروح وريحان ورب غير غضبان) (٥)

---

(١) انظر الفتوحات المكية من ص ٦٢٨ - ٦٣٢

(٢) انظر اليواقيت والجواهر ص ٨٣ وما بعدها

(٣) سورة فصلت الآيات من ٣٠ - ٣٢

(٤) تفسير القرآن العظيم ج ٦ ص ١٧٤

(٥) سنن ابن ماجة: كتاب الزهد ،باب ذكر الموت والاستعداد له ٢/ ٤٢٦٢

وقوله تعالى : (نحن أولياؤكم فى الحياة الدنيا وفى الآخرة) قال ابن كثير : (أى تقول الملائكة للمؤمنين عند الاحتضار نحن كنا أولياءكم ، أى قرناءكم فى الحياة الدنيا نسددكم ونوفقكم ، ونحفظكم بأمر الله . وكذلك نكون معكم فى الآخرة نؤنس منكم الوحشة في القبور وعند النفخة فى الصور ، ونؤمنكم يوم البعث والنشور ، ونجاوز بكم الصراط المستقيم ، ونوصلكم إلى جنات النعيم)(١).

ومن ذلك أيضا قول الله تعالى : (لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ لا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ، ذَلِكَ هو الْفَوْزُ الْعَظِيمُ)(٢) .

وقال تعالى : (تَنَزَّلُ الْمَلائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم من كُلِّ أَمْرٍ)(٣).

ففى هذه الآيات المتقدمة ذكر لتنزل الملائكة بالتثبيت وبالبشرى للمؤمنين ولكنها لم تذكر اسم ملك بعينه ينزل بالالهام ، والتثبيت ، ولم نجد فى السنة كذلك ذكر لملك يختص بالالهام .

والذى عليه سلف هذه الأمة وعامتهم أن الملك الملهم لا يرى لغير الأنبياء من البشر فقد ثبت فى السنة الشريفة أ نَّ عمر بن الخطاب رضى الله عنه كان محدثا ملهما . فعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (لقد كان فيما قبلكم من الأمم ناس محدثون فان يك فى أمتى أحد فانه عمر)(٣)

وقيل مما قيل فى معنى (محدث) : انه من يجرى الصواب على لسانه من غير قصد ،وقيل مكلم- أى تتكلم الملائكة على لسانه.وقد ورد هذا من حديث أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه مرفوعا ولفظه: (قيل يا رسول الله ، وكيف يحدَّث؟ قال :

---

(١) تفسير القرآن العظيم ج ٦ ص ١٧٤ .
(٢) سورة يونس الآية ٦٤
(٣) سورة القدر الآية ٤
(٤) متفق عليه :أخرجه البخارى فى صحيحه :كتاب فضائل الصحابة ، باب مناقب عمر بن الخطاب رضى الله عنه ٧/ ٣٦٨٩ . ومسلم فى صحيحه :كتاب فضائل الصحابة ، باب فضائل عمر رضى الله عنه ٤/ ٢٣٩٨

تتكلم الملائكة على لسانه)[١]

فلم ترد رواية من الروايات الكثيرة تدل على أن ملكا معينا كان ينزل عليه بما يحدث .

أورد ابن كثير في البداية أنّ عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : (ان لله جنودا ولعل بعضها أن يبلغهم -أى صوته-)[٢].

فلم يحدد عمر بن الخطاب ملكا بعينه كذلك .

وأما ما يقع لكثير من المتعبّدين من سماع ، فهو أحد وجوه ثلاثة لا رابع لها كما ذكر ذلك الامام ابن القيم :-

(أعلاها : أن يخاطبه الملك خطابا جزئيا ، فان هذا يقع لغير الأنبياء ، فقد كانت الملائكة تخاطب عمران بن حصين بالسلام ، فلما اكتوى تركت خطابه فلما ترك الكى عاد اليه خطاب ملكى)[٣]

وهذا الخطاب نوعان :

خطاب يسمعه باذنه ، وهو نادر الى عموم المؤمنين . وخطاب يلقى في قلبه يخاطب به الملك روحه . كما في الحديث المشهور : (ان للملك لمة بقلب ابن آدم ، وللشيطان لمة . فلمة الملك ، ايعاد بالخير وتصديق بالوعد ، ولمة الشيطان ، ايعاد بالشر وتكذيب بالوعد)[٤]

وهذا مصداق قوله تعالى : (الشَّيْطَانُ يَعِدُكُم الفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالفَحْشَاءِ ، وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلاً)[٥].

---

(١) هو من حديث أبي سعيد الخدرى مرفوعا وقال الحافظ بن حجر : رويناه في فوائد الجوهرى وحكاه القابسى وآخرون . فتح البارى بشرح صحيح البخارى ج ٧ ص ٥٠ .

(٢) البداية والنهاية لابن كثير ج ٧ ص ١٣٠

(٣) مدارج السالكين لابن قيم الجوزية تحقيق محمد محى الدين عبد الحميد ج ١ ص ٤٥

(٤) أخرجه الترمذى عن عبد الله بن مسعود مرفوعا في كتاب تفسير القرآن ٥ / ٢٩٨٨ ومعنى اللمة : الهمة والخطرة تقع في القلب ، أراد الماء الملك أو الشيطان به والقرب منه . فما كان من خطرات الخير فهو من الملك ، وما كان من خطرات الشر فهو من الشيطان . انظر النهاية في غريب الحديث والاثر ج ٤ ص ٢٧٣

(٥) سورة البقرة الآية ٢٦٨

فهذا الواعظ فى قلوب المؤمنين هوالالهام الالهى بواسطة الملائكة ، كما في الحديث عن النواس بن سمعان عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (ضرب الله مثلا صراطا مستقيما وعلى جنبى الصراط سوران فيهما أبواب مفتحة وعلى الابواب ستور مرخاة وعلى باب الصراط داع يقول : يا أيها الناس ادخلوا الصراط جميعا ولا تعوجوا . وداع يدعو من جوف الصراط فاذا أراد أن يفتح شيئا من تلك الابواب قال ويحك لا تفتحه فانك ان تفتحه تلجه . والصراط الاسلام ، والسوران حدود الله تعالى والابواب المفتحة محارم الله تعالى ، وذلك الداعى على رأس الصراط كتاب الله عز وجل ، والداعى فوق الصراط واعظ الله فى قلب كل مسلم)(١)

ولعل ما قدمنا يوضح لنا الفرق بين وحى الأنبياء والهامات الأولياء الصالحين . وهذه التفرقة بينهما تعطينا مزيدا من التوضيح لحقيقة الوحى كما شرحناها فى هذا الفصل .

---

(١) أخرجه الامام احمد فى مسنده : ٤/١٨٢-١٨٣ واللفظ له والترمذى فى كتاب الأمثال باب : ما جاء فى مثل الله لعباده ه : ٢٨٥٩ .

ومعنى (لاتعوجوا) : أى لا تقيموا . يقال عاج بالمكان وعوّج أى أقام ، وقيل عطف اليه ومال ، وألم به .

انظر النهاية فى غريب الحديث والأثر ج ٣ ص ٣١٥ .

الفصل الثاني

إمكانُ الوحيِ

الفصل الثانى
امكـان الـوحـــى

الوحى كما شرحناه سابقا حقيقة غير مادية فيها يكون الاتصال بين الله والملك وقلب النّبي اتصالا غير مادى ، حيث يوحى الله إلى نبيه من المعرفة مـــا يوحيه مباشرة أو بواسطة الملك فيكسبه تلك المعرفة عن غير طريق الحواس والعقل حتى اذا انجلت عنه حقيقة الوحى بكل أحوالها الخاصة ، أمكن للنبى أن يُبلغ غيره ما تلقاه وحيا من الله على نحو ما تلقاه دون أى تدخل شخصى منه .

فهل ظاهرة الوحى بما فيها من اتصال فائق للطبيعة بين الله والملـــك والنبى ، وبما فيها من اكتساب النبى للمعرفة عن غير الطريق المألوف ـ طريـــق الحواس والعقل ـ هل ظاهرة الوحى بكل ذلك ظاهرة ممكنة؟.

وقبل أن نجيب عن ذلك نتساءل متى تكون الظاهرة ممكنة ؟.

تكون الظاهرة ممكنة اذا كانت أطرافها الموضوعية موجودة بالفعل أو ممكنة الوجود على أقل تقدير ، هذا أولا . وثانيا : اذا كان الاتصال بين أطـرا ف هذه الظاهرة لاحداثها أمرا ممكنا كذلك . ولم يكن هناك ما يحكم باستحالـــة وجود هذه الأطراف الموضوعية للظاهرة ، ولا باستحالة الاتصال بينها لاحداثها بكل ما يصاحبها من أحوال ونتائج .

فهل ظاهرة الوحى بهذه المثابة حتى نحكم بامكانها ؟

نعم هى كذلك .

فأطرافها الموضوعية ليست ممكنة الوجود فقط بل هى موجودة بالفعـــل ، وأعنى بذلك [وجود] الموحى وهو الله ، والموحى اليه ، وهو الروح النبوى ، والواسطـــة بينهما فى ابلاغ الوحى وهو الملك . وذلك اذا كان الوحى عن طريقـــه . ولا استحالة فى اتصال الله بملائكته ورسله ، ولا فى اتصال الملائكة بهؤلاء الرســـل اتصالا يتلقون فيه المعارف الالهية عن غير طريق حواسهم وعقولهم ، وحيا من الله

اليهم . فهذا الاتصال أمر ممكن لا استحالة فيه . وسنشرح امكان هذا الاتصال ـ أى امكان الوحى ـ بعد أن نقيم الأدلة على وجود الموحِى ، وهو الله ، والموحَى اليه ، وهو الروح النبوى ، والواسطة بينهما فى تلقى الوحى وابلاغه وهم الملائكة ، وعلى رأسهم ملك الوحى .

فالموحِى وهو الله موجود والأدلة على وجوده كثيرة تملأ الآفاق والأنفس ، وتعرض نفسها على كل ذى حس سليم وعقل مستقيم . وبدهى أن هذا ليس مقام الاطالة فى موضوع تضيق به الأسفار الضخام . ومن ثم فسوف نوجز الكلام بما يكفينا فيما نحن بصدده من اثبات امكان الوحى باثبات وجود مصدره .

اذا نظرنا فى أنفسنا فاننا نجد أفعالنا توجد بعد أن لم تكن ـ أى نجدها حادثة ـ وهى بحدوثها تدل على حاجتها الى من يحدثها ـ أى تدل على حاجتها الينا ـ فكل حادث لا بد له من علة تحدثه ، كما يدل عليه ذلك الادراك البدهى منا .

*

والعالم شأنه كذلك، فهو حادث ، وهو بهذا يشارك أفعالنا فى صفة الحدوث ، فلا بد وأن يشاركها فيما يترتب على هذه الصفة من ضرورة وجود علة تحدثه . فالمحدَث والمحدِث أمران اضافيان ، لا يوجد أحدهما بدون الآخر ، ولا يمكن أن يكون العالم علة وجود نفسه ، فالعلة متقدمة بالضرورة على المعلول . والشىء لا يتقدم على نفسه بالوجود . ولا أن يكون بعضه علة لوجوده ، والا لكان الشىء متقدما بالوجود على نفسه وعلى علته ، وذلك محال .

ولو جاز أن تكون بعض الأجسام علة فى وجودها لجاز أن نكون نحن علة فى وجود أنفسنا ، وذلك محال ، والا لأعطينا أنفسنا من الخيرات والكمالات ، ما ليس لنا . فمحدث العالم غيره بالضرورة . فالخالق لا يكون من جنس المخلوق وذلك المحدِث هو الله عز وجل .

واذا نظرنا الى الكون وآفاقه ،والمادة وخصائصها ،فاننا نجد فيهما من مظاهر العناية والقصد ، والتدبير ما يدل على وجود مدبر يشمل بعنايته هذا الكون الواسع . فما وصل اليه علم الانسان من أسرار العالم ، حاسم فى ابعاد كل شبهة توهم أنه وجد كيفما اتفق .

فالنظام الدقيق المختص فى طوايا الذرة مثلا ، مطرد فيما بين أفلاك السماء الرحبة من أبعاد . (١)

قال تعالى : (تَبَارَكَ الَّذِى جَعَلَ فِى السَّمَاءِ بُرُوجاً ، وجَعَلَ فِيها سِرَاجاً وَقمَراً مُنيراً . وهُوَ الَّذى جَعَلَ اللَّيلَ والنَّهارَ خِلْفَةً لِمَنْ أَرَادَ أن يذَّكَّرَ أو أَرَادَ شُكُوراً) (٢)

وقال : (اللَّهُ الذِى سَخَرَ لَكُمُ البَحْرَ لِتَجْرِىَ الفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِه وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُون . وَسَخَرَ لكُم مَا فِى السَّمٰوَاتِ وَما فِى الأَرْضِ جَمِيعاً مِنْه ، إنَّ فِى ذَلِك لآيَاتٍ لِقَومٍ يَتَفَكَّرُون) (٣)

ثم انظر الى هذه السيارات من الكواكب (والتى تلزم مدارا واحدا ، لا تنحرف عنه يمينا أو يسارا ، وتلزم سرعة واحدة ، لا تبطىء فيها ولا تعجل ،ثم نرقبها فى موعدها المحسوب فلا تخالف عنه أبدا !! .

ان الكرة تنطلق من أقدام اللاعبين ثم لا تلبث أن تهوى بعد تحليق .

أما هذه الكرات الغليظة الحجم ، الحى منها والميت ، المضىء منها والمعتم . فهى معلقة لا تسقط ، سائرة لا تقف . . كل فى دائرته لا يعدوها .

---

(١) انظر عقيدة المسلم : للشيخ محمد الغزالى ، عنى بطبعه ونشره عبد الله بن ابراهيم الانصارى على نفقة ادارة احياء التراث الاسلامى - الدوحة - قطر ص ٢١ ، ٢٢ .

(٢) سورة الفرقان الآيتان ٦١ - ٦٢ .

(٣) سورة الجاثية الآيتان ١٢ - ١٣ .

وقد يصطدم المشاة والركبان على أرضنا وهم أصحاب بصر وعقل .

أما هذه الكواكب التي تزحم الفضاء ، فانها لا تزيغ ولا تصطدم) .[1] قال تعالى : (والشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ العَزِيزِ العَلِيمِ . والقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّى عَادَ كَالعُرْجُونِ القَدِيمِ . لا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ القَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ)[2]

فـ(من الذى هيمن على نظامها ، وأشرف على مدارها ؟ بل من الذى أمسك بأجرامها الهائلة ، ودفعها تجرى بهذه القوة الفائقة ؟

انها لا ترتكز فى علوها الا على دعائم القدرة ، ولا تطير بأجنحة أعارها لها القدر الأعلى) .[3]

قال تعالى : (إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَٰوَاتِ وَالأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِنْ زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ ، إِنَّهُ كَانَ حَلِيماً غَفُوراً) .[4]

ان العالم ليس واجب الوجود فلا استحالة فى أن ينعدم وليس كذلك مستحيل الوجود لأنه موجود بالفعل فهو اذن ممكن الوجود والعدم . فاذا وجد بعد عدم فانما يكون ذلك لمرجح رجّح وجوده على عدمه وهو الله القادر ، والا فان الترجيح بلا مرجح باطل بداهة .

واذا ولينا أفكارنا نحو آفاق العلم الحديث فاننا نجد أن الاكتشافات العلمية الحديثة الدقيقة لما في الكون من سنن وقوانين قد أوصلت العلماء الى أدلة أخرى تؤكد فى يقين لا يتطرق اليه شك أن وراء هذه القوانين الدقيقة ربا قادرا عالما . وأنها لا يمكن بحال من الأحوال أن تكون وليد المصادفة . (٥)

---

(١) عقيدة المسلم للغزالي ص ٢٢ .

(٢) سورة يس الآيات ٣٨ - ٤٠ .

(٣) عقيدة المسلم للغزالي ص ٢٢ .

(٤) سورة فاطر الآية ٤١ .

(٥) انظر الاسلام يتحدى ، وحيد الدين خان ، ترجمة ظفر الاسلام خان ، مراجعة وتقديم د .عبد الصبور شاهين ، الطبعة السادسة . الناشر المختار الاسلامي بالقاهرة ص ٤٨ وما بعدها .

يقول (هرشل) العالم الفلكي الانجليزى : (كلما اتسع نطاق العلم ازدادت البراهين الدامغة القوية على وجود خالق أزلى لا حدّ لقدرته ، ولا نهاية . فالجيولوجيون ، والرياضيون ، والفلكيون ، والطبيعيون ، قد تعاونوا ، وتضامنوا على تشييد صرح العلم ، وهو صرح عظمة الله وحده) . (١)

ويقول (ادوارد لوثركسيل) : (ان البحوث العلمية اثبتت تلقائيا وجود الاله لأن كل شيء ذى بداية لا يمكن أن يبتدىء بذاته ، ولابد وأن يحتاج الى المحرك الأول الخالق وهو الاله) (٢)

ثم ان هذا التوازن المدهش فى الكون يرينا أن لهذا الكون الها .

فسمك قشرة الأرض التى نعيش فيها لو زاد عن سمكه الحالى بمقدار عشرة أقدام لما وجد الأكسجين اذ تمتصه القشرة الجديدة ، وبدون الأكسجين تستحيل الحياة على ظهر الأرض .

وعمق البحار الذى لو زاد على القاع الحالى بضعة أقدام لانجذب ثانى أكسيد الكربون والأكسجين اللذين يمتصهما الماء فى وضعه الجديد . وبدونهما يستحيل وجود النباتات على الأرض فضلا عن الحياة . (٣)

ثم ان هذا الأكسجين الذى لا يستغنى عنه الأحياء كان ينبغى أن يستنفده الأحياء الذين لا ينقطعون عن النَفَس أبدا .

(ولكن الذى يقع أن النبات الأخضر يأخذ (الكربون) ويعطى بدله (أوكسجين) وبهذه المعارضة الغريبة يبقى التوازن فى طبيعة الغلاف الهوائى الذى يحيا فى جوفه اللطيف الحيوان والنبات جميعا .

---

(١) دائرة المعارف ، محمد فريد وجدى ، مادة (اله) ج ١ ص ٥٠٣ .

(٢) نقلا عن وحيد الدين خان ، الاسلام يتحدى ص ٥٠ .

(٣) انظر دراسات فى العقيدة الاسلامية والأخلاق تأليف لجنة من قسم العقيدة والفلسفة بجامعة الازهر الطبعة الأولى ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م . الناشر مكتبة الازهر - قضية الالوهية - ص ٦٢ .

أفتحسب أن هذا التوافق حدث من تلقاء نفسه؟؟ . . هل الصدفة هي التي أشرفت على ذلك ؟ أي صدفة ؟ ان انشاء الحياة في أصغر خلية يتطلب نظاما بالغ الاحكام .

ومن الحمق تصور الفوضى قادرة على خلق (جزء) في جسم دودة حقيرة فضلا عن خلق جهازها الهضمي أو العصبي . فما بالك بخلق هذا الانسان الرائع البنيان ، الهائل الكيان)[1]

قال تعالى : (أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ)[2] أي أوجدوا من غير موجد ؟ أم هم أوجدوا أنفسهم؟ لا هذا ولا هذا ، فالله هو الذي خلقهم وأنشأهم بعد أن لم يكونوا شيئا مذكورا .[3]

وهكذا يتقرر وجود الله بشهادة الحس والعقل واثبات العلم والادراك الفطري السليم ، وهو سبحانه وتعالى مصدر كل وجود في هذا الكون ، وهو كذلك مصدر الوحي والتدبير .

أما وجود الملائكة الذين هم واسطة بينه وبين خلقه في هذا الوحي ، وهذا التدبير فليس هناك ما يمنع منه . انه أمر ممكن بل واقع بالفعل .

إنها أجسام نورانية خاصة ، وهي مما لم تدركه الاحساسات في هذا الوجود ، لكن لا ينبغي أن يكون ذلك دليلا على عدم وجودها . فالاحساسات لا يمكن أن تحكم على ما لا تدركه بأنه غير موجود . (فمن الخطأ الظن بأن الاحساس يتعدى نفسه ، فمن حقه ادراك المادة الموجودة ، وليس له أن يدرك أنها كل الوجود ، ثم ان حواس الاحياء تتفاوت فيما بينها في ادراك جوانب الوجود ، فتدِقّ الحاسة في بعضها ، حتى تدرك بها ما لا يدركه الانسان ، وما هو بالنسبة اليه في عداد المعدومات ، ولم يحل عدم ادراكه له بينه وبين الحكم

---

(١) عقيدة المسلم ص ٢٥
(٢) سورة الطور الآية ٣٥
(٣) تفسير القرآن العظيم ج ٦ ص ٤٣٦ .

بوجوده ، وقد كنا الى عهد قريب ، قبل أن يمدنا العلم الحديث بمجاهره وأدواته ، لا ندرك من الأشعة التى تملأ الفضاء من حولنا ، إلا ما تصل إليه إحساساتنا القاصرة ، ولا نحس بالميكروبات . لأنها تدق عن كلّ احساس مجرد . ولا تزال أمام الاحساسات آفاق ممتدة من القوة والشمول سواء بنفسها أو بوسائل العلم على ادراك ما خفي من جوانب الكون المحسوس . . .

ونصل من ذلك الى أن الشيء قد يكون موجودا ولا نحسه أو لم يثبت لحواسنا وجوده ، أما أن نقول أنه غير ثابت على الاطلاق أو أنه لا يقبل الاثبات فهى مجازفة فى الحكم ، ومجاوزة به للحد الذى تنتهى اليه المقدمات .

فالوجود الكونى أعم من الاحساس الانسانى ، هذه حقيقة لا شك فيها) .(١)

وقد أتى العلم بالجديد الذى أطاح بكل أوهام الماديين اذ حطم حجاب المادية فى الكون ، وأثبت الجانب الروحى فيه ، لا عن طريق التجربة التحليلية للمادة الكونية ، ولكن عن طريق الملاحظة الدقيقة للكثير من الظواهر التى لم يجد لها العلماء تفسيرا ماديا ـ كما سنوضح ذلك عند دحضنا لشبه الماديين فى انكارهم لعالم الغيب ـ .

يقول الشيخ محمد المبارك : (ان الكون المعروف فى القرآن عام شامل . فهو لا يقتصر على وصف البلاد الصحراوية التى لا تعرف الأنهار ، ولا على بلاد بعينها ، بل يشمل الأرض كلها ، ثم يتجاوزها الى النجوم والكواكب ، والى الشمس والقمر ، ويشمل ما يبصره الانسان ، وما لا يبصره ، وما خلق وما سيخلق) .(٢)

---

(١) الرسالة الالهية ، دراسة ودفاع . د . عثمان عبد المنعم يوسف ، جامعة الأزهر ـ كلية أصول الدين ، ج ٢ ص ١١٧ .

(٢) نظام الاسلام العقيدة والعبادة محمد المبارك ص ٢٨ .

فما دامت احساساتنا لم تستوعب كل ما حولنا من موجودات ، وما دام العلم يثبت وجودا غير مادى فما المانع من أن تكون الملائكة ضمن هذه الموجودات التى لم تستوعبها احساساتنا ؟ .

وما المانع من أن يخلق الله الذى أثبتنا وجوده مخلوقات غير مرئية لنا ؟ .

بالبديهة العقلية نقول : انه لا مانع من ذلك فهو على ما يشاء قدير.

ونحن لا نتوقف عند القول بامكان وجود الملائكة بناء على ما قدمنا ، ولكننا نتجاوز ذلك الى القول بأنهم موجودون بالفعل ، وبأن لهم فى هذا الكون آثارا ظاهرة ، ولهم ببعض الناس صلات قوية . فقد أخبر بوجودهم أناس أصحاء العقول والأجسام والنفوس والأرواح . ولم يعهد من واحد منهم ما يخل بفكره السليم ، ولا بحكمه المستقيم ، ولا بخلقه الكريم ، وهم الأنبياء عليهم السلام ، وعلى رأسهم محمد صلى الله عليه وسلم فقد أخبروا عن وجود هؤلاء الملائكة ، ورؤيتهم لهم وكلامهم معهم . أفلا يكون لنا من صحة عقولهم وسلامة فطرهم ، وقوة مداركهم ، وصدق أخبارهم ، وأمانة أسرارهم - أفلا يكون لنا فى كل ذلك - ما يجعلنا نثق بشهادتهم على وجود الملائكة كجانب من عالم الغيب الذى يخبرون عن مشاهدته ، ولا سيما أنه قد ظهر على أيديهم من الخوارق والأعمال المعجزة مالا يقدر على مثله البشر . بل يختص بالقدرة عليه خالق القُوى والقُدَر . ويدل اجراؤها على أيديهم أنه يصدّقهم بها فيما يخبرون به عن الله تصديقا بالحال مكان التصديق بالمقال ، فهم اذن صادقون فيما يخبرون به عن ربهم وملائكته ، وذلك بتصديق الله اياهم وبمعجزاته فاذا أضفنا ذلك الى ما قررناه من ضرورة الثقة بشهادتهم بوجود الملائكة نظرا لما اتصفوا به من كمال الخُلق ، وتمام العقل . والى ما قدمناه كذلك من عدم استحالة وجود الملائكة حسا وعقلا وعلما - اذا أضفنا ذلك كله بعضه الى بعض - فاننا نخرج منه بنتيجة هى أن الملائكة ليست ممكنة الوجود فقط ، ولكنها موجودة

بالفعل . وبثبوت وجودها يثبت وجود الواسطة بين الله وبين أنبيائه فى تلقى الوحى عنه وهو جبريل عليه السلام رأس هؤلاء الملائكة .

أما وجود الطرف القابل للوحى ، وهو الروح النبوى ،فهو جزء من الجانب الروحى فى الوجود كما سنوضح ذلك بأمثلة فى ختام هذا المبحث ،من أن العلم الحديث قد أثبت هذا الجانب الروحى عن طريق الدراسة لمجموعة من الظواهر يتعذر عليه تفسيرها تفسيرا ماديا ، ولا مناص له من تفسيرها على أنها من الظواهر الروحية فى هذا الكون وهذه قضية سنفيض القول فيها - كما ذكرنا من قبل - فى الباب التالى عند ابطالنا للمذهب المادى .

أضف الى ذلك ما قدمناه من بطلان اعتبار الحواس مقياسا للحكم بالوجود وما قدمنا من الأدلة العقلية والعلمية على اثبات وجود الله على قمة عالم الغيب . وكذلك وجود الملائكة كجانب من جوانب هذا العالم ، ومظهرا من مظاهر الروحانية فيه .

من ذلك كله يثبت لنا وراء الحس والمادة عالم روحانى غير ما يملأ الكون من الأشياء والأشخاص ومن هذا العالم الروحانى ، روح الانسان .

ويقوم على وجود الروح الانسانى غير ما دل على وجود العالم الروحانى بصفة عامة أدلة أخرى تكمن فى الانسان نفسه . وفيما يصدر عنه من أعمال وينتابه من الظواهر والأحوال .

فالتدين ومحاولة الاحاطة بمبدأ الكون وغايته والتعرف على خالقه وعبادته والالتزام بالقيم الأخلاقية والتطلع الى تحقيق المثل الأعلى فى الحياة ،وتحصيل المعرفة ، واستعمالها فى ترقية النفس ، وترقية الحياة البشرية ،وثورة الانسان على حاضره ، والعمل على تغيير هذا الحاضر ، والتقدم الى غد أفضل ، والوجدانات والمشاعر النبيلة ، والاحساس بالجمال الكونى وتذوقه ، والابداع الفنى ، والشعور بالحرية والمسئولية الفردية . كل ذلك وغيره من المبادئ والأعمال ، والظواهر البشرية ، لا يرجع فى حياة الانسان الى كيانه المادى الذى يشارك فيه غيره من

الكائنات ، وان امتاز فيه عنها ، ولا ترجع أصالته فى الكيان الانسانى الى البيئة المحيطة به ولا الى تأثير العوامل الاقتصادية لأن الكون حول الانسان ملىء بأنواع الحيوانات بكياناتها المادية التى تحوطها نفس العوامل البيئية والمؤثرات الاقتصادية . ومع ذلك فليس لشىء منها ما للانسان من المبادىء والأعمال والظواهر التى تملأ حياته . انها اذن ترجع الى ذلك العنصر المميز للجوهر الانسانى ، هو عنصر الروح . فكل ما قدمناه من الظواهر الروحية بأوسع معانيها تدلّ على وجود هذا الروح ،وتفرد الانسان به بين الكائنات .

فالانسان ما هو الا قبضة من طين الأرض ، ونفخة من روح الله امتزجتا امتزاجا كاملا ، وترابطتا وتفاعل كل منهما مع الآخر فأصبح من حصيلتهما هذا الانسان .

فالانسان مادة وروح كل منهما يؤثر فى الآخر ويتأثر به ، وان ظلّت الروح فى مركز القيادة . فهما متحدان لا روحا بحتا ، ولا مادة صرفة .

يقول محمد قطب عن الانسان : (فاذا جرده الشيوعيون من نفخة الروح وجعلوه طينا فحسب فكيف يفسرون سيادة الطين على الطين ، أوسيادة جزء من المادة على بقية المادة المماثلة لها تماما فى التركيب ؟! .

هل حدث خلال ألوف الملايين من السنين أن خرجت قطعة من المادة فسودت نفسها أو زعمت لنفسها سيادة بقية المادة المتفقة معها فى جوهرها وأعراضها .

أم لابد بداهة أن تكون قطعة المادة التى سودت نفسها ،أو منحت السيادة على بقية المادة ،متميزة فى تركيبها عن بقية المادة ، وزائدة عنها بنوع من الزيادة أيا كان ؟؟

أليست الزيادة التى اقتضت التميز والسيادة ـ أيا كان نوعها ـ تقتضى أن يكون لها معاييرها الخاصة وقوانينها الخاصة ؟)(1)

---

(1) مذاهب فكرية معاصرة للشيخ محمد قطب ، دار الشروق الطبعة الاولى ١٤٠٣ هـ ص ٣١٦ - ٣١٧

فالمؤمنون بالله ورسله ،يؤمنون بأن الانسان من مادة هذا الكون كما دلت الآيات الكثيرة على ذلك كقوله تعالى : (ولقد خلقنا الانسان من صلصال من حمأ مسنون)(١) .

وقوله تعالى : (إذْ قَالَ رَبُّكَ لِلمَلَائِكَةِ إنِّي خَالِقٌ بَشَراً مِن طِينٍ)(٢) .

ولكنهم مع ذلك يؤمنون بأن هناك شيئا آخر غير الطين ، يميز المادة جعل الانسان انسانا و ميزه على بقية الخلق . وذلك هو النفخة العلوية فيه(٣) .

قال تعالى : (إذْ قَالَ رَبُّكَ لِلمَلَائِكَةِ إنِّي خَالِقٌ بَشَراً مِن طِينٍ ، فَإذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ)(٤) .

فهو عندهم : (في لحظة الشهوة الجامحة غير المنضبطة يكون أقرب الى قبضة الطين لأنه يتعامل بجسده أكثر من أي جانب آخر من جوانبه ،ومع ذلك لا يكون أبدا جسدا خالصا كالحيوان ....

وفي لحظة الرفرفة الشفيفة المهوّمة يكون أقرب الى نفخة الروح ، لأنه ينطلق بروحه من اطار الحس المحدود . ومع ذلك لا يكون أبدا روحا خالصة كالملائكة لأن له جسدا لا يستطيع أن يتخلص من وجوده ، وعقلا لا يكف تماما عن التفكير .... هذا هو الانسان بعنصريه المكونين له : قبضة الطين ،ونفخة الروح)(٥) .

وباثبات وجود الروح الانساني كطرف قابل للوحي يكمل اثبات وجود الاطراف الموضوعية لظاهرة الوحي (الله ، الروح ، الملائكة) .

هذه هي الأطراف الموضوعية لظاهرة الوحي . فهل في الامكان الاتصال بين هذه الأطراف ، وهل ترتفع الأسباب العقلية التي يمكن أن تحول بينه وبين ذلك الامكان ؟

---

(١) سورة الحجر الآية ٢٦
(٢) سورة ص الآية ٧١
(٣) انظر مذاهب فكرية معاصرة ص ٣١٦ .
(٤) سورة ص الآيتان ٧١ - ٧٢ .
(٥) مذاهب فكرية معاصرة للشيخ محمد قطب ص ٣٩٢ - ٣٩٣

وبعبارة أخرى هل يمكن بعد ما قدمناه أن تكون ظاهرة الوحي ، ظاهرة ممكنة بما فيها من اتصال الله بالملائكة ، وأرواح الانبياء ، وافاضة المعرفة الدينية عليهم بطريق العرض والتلقى لا بطريق العقل والحواس ؟ .

نعم ذلك ممكن ، وليس لدى العقل ما يحيل تحققه فى الوجود .

فبقدر ما يشترك الناس فى الانسانية نجدهم يتفاوتون فى درجات عقولهم . ويكون بينهم من التفاوت العقلى والروحى آمادا شاسعة فأى مانع فى أن يكون بعض ما فى عليا هذه المراتب من الأرواح وهى أرواح الأنبياء موضع اتصال الله والملائكة ، ومهبط وحيه ، لما يكون بينها وبين عالم الملائكة من تجانس .

يقول الشيخ محمد عبده : (ما شهدت به البديهة أن درجات العقول متفاوتة يعلو بعضها بعضا ، وأن الأدنى منها لا يدرك ما عليه الأعلى الا على وجه من الاجمال . وان ذلك ليس لتفاوت المراتب فى التعلم فقط بل لا بد معه من التفاوت فى الفطر التى لا مدخل فيها لاختيار الانسان ، وكسبه ، ولا شبهة فى أن من النظريات عند بعض العقلاء ما هو بديهى عند من هو أرقى منه . ولا تزال المراتب ترتقى فى ذلك الى ما لا يحصره العدد . وأن من أرباب الهمم ، وكبار النفوس ما يرى البعيد عن صغارها قريبا ، فيسعى اليه . ثم يدركه والناس دونه ينكرون بدايته ، ويعجبون لنهايته ثم يألفون ما صار اليه ، كأنه من المعروف الذى لا ينازع ، والظاهر الذى لا يجاحد . فاذا أنكره منكر ثاروا عليه ثورتهم فى بادىء الأمر على من دعاهم اليه . ولا يزال هذا الصنف من الناس على قلته ظاهرا من كل أمة الى اليوم ...

وأما وجود بعض الأرواح العالية - وهم الملائكة المكرمون - وظهورها لأهل تلك المرتبة السامية فمما لا استحالة فيه ما عرفنا من أنفسنا ، وأرشدنا اليه العلم قديمه وحديثه من اشتمال الوجود على ما هو ألطف من المادة ، وان غُيِّب عنا . فأى مانع من أن يكون بعض هذا الوجود اللطيف مشرفا لشىء من العلم الالهى

وأن يكون لنفوس الأنبياء اشراف عليه . فاذا جاء به الخبر الصادق حملنا على الاذعان بصحته) .(1)

لا شك أن الاتصال بين الله وملائكته وأنبيائه ليس أمرا مستحيلا . فالله قادر على أن يصطفى من هؤلاء الملائكة ، ومن البشر ويفهمهم مراده بالكيفية التى يراها سبحانه وتعالى ، وفى الوقت الذى يريده .

لا شيء يمنع ذلك ما دام العقل يثبت امكان هذا الاتصال بالنسبة لقدرة الله تعالى . وأن ليس هناك ما يعجزه عن ذلك . وبالضرورة فان هذا الاتصال أمر فائق للطبيعة لا يجرى على سننها ، والمعرفة التى تأتى عن طريقه ليست آتية عن طريق الحس أو العقل . أى أنها تأتى للنبى ،هى الأخرى بطريق غير طبيعى .

ومن المفيد فى بيان امكان ذلك كله أن نقرِّبَهُ إلى التَّصوُّر بذكر بعض أنواع من الاتصالات والتأثيرات الروحية التى تجرى بين البشر أنفسهم ،والتى تتضمن كثيرا من المعارف التى تأتى أصحابها عن غير طريق الحواس والعقل . وهذه الاتصالات والتأثيرات قد كشف عنها العلم الحديث ،وكشفت عنها التجارب الروحية ونحن لا نقول ان الوحى من هذا النوع من الاتصال والتأثير الذى نذكره ، ولا شبيه به ،وانما هى مجرد نماذج تقرّب الى الأذهان ما نقرره للوحى الالهى من الامكان

وأدل مانقرب به تصور الوحى وامكانه من نماذج الاتصال والتأثير بين البشر ما يكون فى التنويم المغناطيسى ،أو التنويم الطبيعى .

التنويم المغناطيسى من المقررات العلمية التى ظهرت فى آوربا سنة ١٧٧٥م بواسطة الدكتور (مسمر)الألمانى الذى قرر أن فى الانسان سيالا مؤثرا سماه :

---

(١) رسالة التوحيد للشيخ محمد عبده ص ١٠٤ - ١٠٥ .

(المغنطيس الحيواني) لا يعرف كيف ينبعث من الانسان بإرادته ويؤثر على الأشياء والأشخاص تأثيرا خاصا . وقرر أن كل الناس يتمتعون بهذا السيال المؤثر ولكن على اختلاف في الدرجات .(١)

وبالتنويم المغناطيسي تتّضح النّفس الإنسانية بقوة أعلى منها يحدث فيها أثره البالغ ،حيث يستطيع الرجل القوى الارادة أن يتسلط بإرادته على من هو أضعف منه ،فينومه نوما عميقا ، ويكون رهن اشارته ، ويلقنه ما يريد فيجرى على قلبه ولسانه ما يشاء من المعرفة والكلام .(٢)

فاذا كان العلم قد أثبت عن طريق التنويم المغناطيسي قدرة الانسان على التأثير الروحي الى هذا الحدّ ، وذلك بالتأثير على المنوم تنويما مغناطيسيا يثبت به المنوم في نفسه بالايحاء ما يريد من معرفة حتى ليستطيع أن يمحو من نفسه أشد افكاره وعواطفه ثباتا وأصالة كدينه واسمه . وأن يثبت فيها الأغاليط على أنها حقائق .

اذا كانت الأدلة العلمية قد أثبتت ذلك ، فلا استحالة في القول بقدرة الله على التأثير الروحي على أحد من خلقه بما يحفظه أو ينسيه اياه من العلم والمعرفة ، سواء كان ذلك مباشرة أو بطريق الملك الروحاني .(٣)

فقدرة الله المطلقة التي لا تدانيها قدرة مبدأ صحيح قامت عليه البراهين وهي في شمولها واطلاقها تتعلق بكل ظاهرة كونية وانسانية ممكنة . والوحي واتصال الملك بالنبي جزء من هذه الظواهر التي تخضع للقدرة الالهية .

يقول الشيخ عبد العظيم الزرقاني بعد أن عاين تجربة التنويم المغناطيسي بنفسه : (بهذه التجربة ـ أيضا ـ يثبت لي أنا من طريق علمي ،ما يقرّب الىّ الوحي

---

(١) انظر الاسلام وعصر العلم ـ محمد فريد وجدى ص ٧٥٤

(٢) انظر النبأ العظيم د . محمد عبد الله دراز ـ ص ٧٥ .

(٣) انظر مناهل العرفان . للشيخ محمد عبد العظيم الزرقاني ـ دار احياء الكتب العربية ـ عيسى البابي الحلبي ج ١ ص ٤٢ ، ٤٣ .

علميا ، وما جعلنى أعلله تعليلا علميا . فالوحى -عن طريق الملك - عبارة عن اتصال الملك بالرسول ،اتصالا يؤثر به الأول فى الثانى ،ويتأثر فيه الثانى بالأول. وذلك باستعداد خاص فى كليهما . فالأول فيه قوة الالقاء والتأثير ،لأنه روحانى محض . والثانى فيه قابلية التلقى عن هذا الملك لصفاء روحانيته ، وطهارة نفسه المناسبة لطهارة الملك . وعند تسلط الملك على الرسول ينسلخ الرسول عن حالته العادية ، ويظهر أثر التأثير عليه ،ويستغرق فى الأخذ والتلقى عن الملك وينطبع ما تلقاه فى نفسه ،حتى اذا انجلى عنه الوحى ، وعاد الى حالته الأولى وجد ماتلقاه ماثلا فى نفسه ، حاضرا فى قلبه ،كأنما كتب فى صحيفة فؤاده كتابا). (١)

وقد أثبت العلماء بواسطة التنويم المغناطيسى الذى أصبح من المقررات العلمية الحديثة (٢) :-

* أن للانسان عقلا باطنا أرقى من عقله المعتاد كثيرا .
* وأنه وهو فى حالة التنويم ، يرى ويسمع من بعد شاسع ، ويخبر ببعض ما لا يوجد فى عالم الحس أقل علامة عليه .
* أن للتنويم درجات بعضها فوق بعض ، يزداد العقل الباطن سموا بتنقله فيها .
* وأثبتوا من وراء ذلك أن هناك روحا ، وأن الروح مستقلة عن الجسم كل الاستقلال . وأن الروح لا تنحل بانحلاله ،وأنها تتصل بالأرواح التى سبقتها اذا تجردت عن المادة .

واثبات الروح الانسانى نتيجة لهذه التجربة ،واتصالها بالأرواح الأخرى ، هو المهم عندنا فيما نحن بسبيله من اثبات امكان الوحى عن طريق هذا الاتصال الروحى .

---

(١) مناهل العرفان للزرقانى ج ١ ص ٦٨ .

(٢) انظر نفس المصدر ج ١ ص ٦٦ .

ومن نماذج الاتصال والتأثير على البعد بين البشر بطريق غير طبيعي ، ما يكون عن طريق التأثير الروحي بين شخصين متباعدين حيث يمكن لأحدهما أن يبث في الآخر ما يشاء من المشاعر والأفكار والكلمات بحيث يشعر بها وينطق رغم ما بينهما من مسافات بعيدة .

وقد رويت في هذا النوع من الاتصال والتأثير حوادث عدة قديما وحديثا(١) . وليس ببعيد عن أذهاننا نداء عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - وهو يخطب على المنبر في المدينة المنورة ، على سارية وجنده وهو في العراق : يا سارية الجبل ، الجبل ، حيث سمع سارية وجنده هذا النداء فاحتموا بالجبل ، ونجوا بذلك من عدوهم .

يقول وحيد الدين خان بعد أن ذكر عدة حوادث من هذا النوع :

---

(١) عدّ الاستاذ العقاد عدة ملكات نفسانية تدور عليها بحث العلماء في الوقت الحاضر ، والتي تجاوزت مألوف الحواس الانسانية . من ذلك قراءة ، أو معرفة الأشياء عن الانسان مع ملامسة بعض متعلقاته ، وتفسير الأحلام ، والاستيحاء الباطني ، والوسواس ، والكشف ، والتوجيه على البعد ، والتنويم المغناطيسي ، والشعور على البعد أو ما يسمى بالتلباثي " Telepathy " أشيع هذه الملكات وأقربها الى الثبوت ، وأغناها عن أدوات المعالجة والتناول بأساليب التلقين والتدريب وفحواها أنهم يستحضرون في أخلادهم سيرة انسان بعيد لغير سبب يعلمونه ، فاذا هو ماثل أمامهم ساعة استحضاره أو يقلقون لغير سبب في لحظة من اللحظات . . . الخ

وقد جرب باحثون مختلفون ، منهم المؤمن بالنفس ومنهم الملحد الذي لا يؤمن بغير المادة ، ومنهم المتدين الذي يلتمس لهذا الشعور علة من العلل الطبيعية ، ولا يرى ضرورة للرجوع به الى عالم الروح والعقل المجرد .

من ذلك ما اعترف به الدكتور (ت.و. متشل) عام ١٩٢٧م في خطابه لقسم المباحث النفسيه في المعهد البريطاني : (لابد من الاعتراف بالتلباثي أو بوسيلة من الوسائل التي قد نسميها الآن خارقة للمادة . لأننا اذا أنكرناه وقفنا حائرين بين يدي الظواهر المعززة بأدلة الثبوت مما لا نستطيع له نفيا ولا تعليلا) .

للمزيد انظر (الله) كتاب في نشأة العقيدة الالهية للاستاذ عباس محمود العقاد - الطبعة السادسة - دار المعارف مصر ص ٤١ - ٥٧ -

" لما كان الانسان يستطيع تحويل الافكار بأكملها الى انسان آخر على بعد غير عادى ، وبدون استعمال أى واسطة مادية ظاهرية ، فلماذا تستحيل نفس العطية بين الاله وعباده ؟ " (١)

ومما يقرب الينا المسأله ما أجاب به شيخ الاسلام ابن تيميه عندما سئل عن هم العبد اذا كان سرا بين العبد وبين ربه ، فكيف تطلع الملائكة عليه ؟ .

أجاب رحمه الله : " الحمد لله : قد روى عن سفيان بن عيينة فى جواب هذه المسألة قال : " اذا همّ العبد بحسنة شمّ الملك رائحة طيبة ، واذا هم بسيئة شمّ رائحة خبيثة " .

والتحقيق : أن الله قادر أن يعلم الملائكة بما فى نفس العبد كيف شاء ، كما هو قادر على أن يطلع بعض البشر على ما فى الانسان .

فاذا كان بعض البشر قد يجعل الله له من الكشف مايعلم به أحيانا ما فى قلب الانسان : فالملك الموكل بالعبد أولى بأن يعرفه الله ذلك " . (٢)

فاذا كان الملك يعلم ما فى السرائر ، وبعض البشر يجعل الله له من الكشف مايعلم به أحيانا ما فى قلب الانسان ، وكل ذلك لا يكون الا بقدرته وعلمه ومشيئته تعالى . فان امكان الوحى الى الرسل أهون على الله من ذلك . فهو على مايشاء قدير .

---

(١) الاسلام يتحدى لوحيد الدين خان ص ١٠٩ .

(٢) مجموع فتاوى شيخ الاسلام ابن تيمية ج ٤ ، ص ٢٥٣ .

واذا نزلنا عن هذا الأفق درجة ، فاننا نجد الانسان قد استطاع أن ينتفع بما اكتشفه فى هذا الكون من الموجات الصوتية والضوئية والمغناطيسية - قد استطاع أن ينتفع بذلك - انتفاعا كبيرا فى مجال الاتصالات على البعد عن طريق ما اخترعه من أجهزة الارسال ، والاستقبال ، وآلات التسجيل ، بحيث أمكنه وفى لحظات خاطفة أن يرسل الكلام والصور ويستقبلها عبر المسافات الشاسعة ، وأن يسجل ما شاء من ذلك ويستحضره من جديد فى ثوان معدودة ، رغم كثرته وضخامته .

فاذا كان الانسان بقدرته المحدودة ، وعلمه القاصر قد استطاع أن يصل فى مجال الاتصالات هذا الشأو البعيد ، ولا يزال المستقبل يدخر له مزيدا من التقدم والابداع فى هذا المجال - اذا كان الانسان بهذه المثابة - فكيف بالخالق القادر فى قدرته الكاملة ، وعلمه المحيط بالملائكة ، والأرواح ، وما أودعه فيها من الخصائص والأسرار ، أفتعجز قدرته سبحانه وتعالى عن أن يكون بينه وبين صفوته من ملائكته ، ورسله من الاتصال ، والتأثير الروحى ما يتم به وحيه لدينه .

نحن لا نقول ان الوحى يكون على شبه بشىء مما ذكرنا بين البشر ، سواء كان ذلك بواسطة الروح ، أو بمعونة العلم الحديث . فالذى ذكرناه من ذلك ليس إلاّ أمثلة ذكرناها لنقرب بها تصور الوحى ، وأنه أمر ممكن لا استحالة فيه .

وأى استحالة فى أن يختار الله من ملائكته ورسله من يكونون أهلاً لأن يفيض الله عليهم من علمه ويبلغهم من أمره ونهيه ، ما هو ضرورى للانسان فى معرفته بربه وعبادته له ، واستهدائه بهديه فى حياته ، حيث لا تكفى فى ذلك الفطرة ، ولا يستقل به العقل .

ليس الوحى أمرا ممكنا فقط ، ولكنه واقع بالفعل قد تحقق وقوعه فيما أوحاه الله من دينه الى من اصطفاهم من خلقه من الرسل والانبياء .

ووقوع الوحى بالفعل كحقيقة وجودية هو موضوع الفصل التالى ان شاء الله .

تمهيـــد :

د رسنا في الفصل السابق امكان الوحي من جميع وجوهه ، فلم نجد وجهـــا واحدا تأتي الاحالة من قبله دون امكان الوحي . فهو كحقيقة قد تحقق له مايلزم للحكم بامكانها ، من طبيعتها وأطرافها الموضوعية ، ومن ارتفاع الموانع التي تحول بينها وبين امكان تحققها .

وبعد الذى سقناه عن امكان الوحي حرى بنا أن نثبت أنه ليس أمرا ممكنـــا فقط بل هو حقيقة واقعة بالفعل حيث أوحى الله الى أنبيائه ما أوحاه اليهم مـــن العقائد والعبادات والشرائع وأنزل وحيه على من شاء منهم كتبا وصحائف متضمنـــة لتلك العقائد والعبادات والشرائع .

وطريقنا الى اثبات وقوع الوحي لهولاء الأنبياء انما يكون بدراسة سيرتهـــم وقرائن أحوالهم ، والظواهر التي كانت تظهر عليهم أثناء وقوع الوحي اليهم ، وكذلك كتبهم التي أنزلت عليهم وحيا من الله . على أن يكون كل ذلك قد حظي بالحفـظ التام والوثاقة التاريخية والنصية بحيث يصبح مادة صالحة للدراسة الصحيحة القائمة على أسس قوية . فبمثل هذه الدراسة يمكن الاستدلال على صدق هؤلاء الأنبيـاء في دعوى وقوع الوحي لهم من الله عز وجل وبذلك يتحقق ماقلناه من أن الوحي ليس أمرا ممكنا فقط ، وانما هو واقع بالفعل .

لكن الأنبياء الذين عرفت أسماؤهم وأعلنوا نبوتهم عن الله كثيرون ولا يمكن إجراء مثل هذه الدراسة في حقّهم ، وذلك لكثرة عددهم ، ولأنه لم يحفظ لنا من سيرتهم وكتبهم بهذه المثابة التي تحدثنا عنها مايصلح مادة لدراسة وقوع الوحي اليهم ، اللهم الا محمدا صلى الله عليه وسلم الذى بقيت لنا سيرته مفصلة وبقيت لنا أقواله الصحيحة بعد أن تم تمييزها عمالا تصح نسبته اليه منهـا .

وبقى لنا قبل هذا ، وبعد هذا كتابه الموحى اليه من الله تعالى سالما مـــن التحريف والتبديل : (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ)(١) .

---

(١) سورة الحجر الآية ٩ .

ومن ثم فاننا سنقتصر فى دراسة وقوع الوحى على دراسة وقوعه لمحمد صلى الله عليه وسلم لثلاثة أسباب :

أولا : أنه يكفى فى دراسة وقوع الوحى اثبات وقوعه ولو لنبى واحد ، فليس بالضرورة أن ندرس ذلك بالنسبة لجميع المعروفين من الأنبياء . بل يكفى اثبات وقوعه لنبى واحد للدلالة على أن الوحى ليس ممكنا فقط بل هو أمر واقع بالفعل .

ثانيا : ان دراسة وقوع الوحى لمحمد صلى الله عليه وسلم ، هى الدراسة التى تتوفر لها أساليب التحقيق العلمى الدقيق لوفرة المواد التى تستخدم فى هذه الدراسة وسلامتها . وذلك دون غيره من الأنبياء الذين قد لا نعرف من تاريخهم إلا النزر اليسير ، أو الذين اختلطت تواريخهم بالأساطير ، ونال كتبهم التحريف والتبديل ، ولم يتوفر لنقل سيرتهم وكتبهم ما هو ضرورى من شرائط النقل الدقيق .

ثالثا : ان اثبات صحة وقوع الوحى لمحمد صلى الله عليه وسلم هو الطريق الصحيح لاثبات وقوعه الى جميع الأنبياء الذين ورد ذكرهم فى القرآن . ذلك أن التحقق من صدق وقوع القرآن وحيا من الله يستلزم بالضرورة تصديقه فى كل ما تضمنه من أحكام وأخبار . ومن هذه الأحكام والأخبار حكمه بنبوة من ذكرهم من الأنبياء والمرسلين ، وسوقه لأخبارهم مع أممهم ، وتصديقه لما نزل عليهم من الوحى سواء كان مكتوبا أو غير مكتوب .

لهذا كله فاننا سنقتصر - كما قلنا - على دراسة صحة وقوع الوحى لمحمد صلى الله عليه وسلم مكتفين بعد ذلك بشهادة القرآن لنبوة الأنبياء السابقين عليه صلى الله عليه وسلم .

- أ -

صدق وقوع الوحى للنبى صلى الله عليه وسلم والادلة على ذلك

١- الانفصال التام بين الوحى الإلهى وبين بيئة النبى صلى الله عليه وسلم وشخصيته دليل على صدقه .

لقد أصيبت البيئة العربية قبل مبعث الرسول صلى الله عليه وسلم بانحطاط دينى شديد ، حيث الوثنية السخيفة قلما تجد لها نظيرا فى الأمم المعاصرة . ويكفينا وصفا ما جاء فى الصحيح عن أبى الرجاء العطاردى قال : (كنا فى الجاهلية اذا لم نجد حجرا جمعنا حثية من التراب وجئنا بالشاة فحلبناها عليه ثم طفنا بها) (١).

حقا كان هناك حنفاء فى منأى عما يفعله القوم فقد ذكر ابن هشام فى سيرته قال : قال ابن اسحاق : (اجتمعت قريش يوما فى عيد لهم عند صنم من أصنامهم كانوا يعظمونه ، وينحرون له ، ويعكفون عنده ، ويدورون به ، وكان ذلك عيدا لهم فى كل سنة يوما .

فخلص منهم أربعة نفر نجيا ، ثم قال بعضهم لبعض : تصادقوا وليكتم بعضكم على بعض . قالوا : أجل . وهم : ورقة بن نوفل ، وعبيد الله بن جحش بن رئاب . . وكانت أمه أميمة بنت عبد المطلب . ، وعثمان بن الحويرث وزيد بن عمرو بن نفيل . . . فقال بعضهم لبعض : تعلمون والله : ما قومكم على شئ ، لقد أخطأوا دين أبيهم ابراهيم ! ! ما حجر نطوف به لا يسمع ، ولا يبصر ، ولا يضر ، ولا ينفع ! ! يا قوم التمسوا لأنفسكم دينا فانكم والله ما أنتم على شئ ، فتفرقوا فى البلدان يلتمسون الحنيفية ، دين ابراهيم .

---

(١) البداية والنهاية لابن كثير - مكتبة المعارف بيروت - الطبعة الثانية ١٩٧٧م ج ٢ ص ١٨٨ .

فأما ورقة بن نوفل : فاستحكم في النصرانية ، واتبع الكتب من أهلها حتى علم علما من أهل الكتاب .

وأما عبيد الله بن جحش: فأقام على ما هو عليه من الالتباس حتى أسلم ثم هاجر مع المسلمين الى الحبشة ... فلما قدمها تنصر ...

وأما عثمان بن الحويرث : فقدم على قيصر ملك الروم فتنصر وحسنت منزلته عنده .

وأما زيد بن عمرو بن نفيل : فوقف فلم يدخل في يهودية ولا نصرانية ، وفارق دين قومه ، فاعتزل الأوثان ، والميتة ، والدم ، والذبائح التي تذبح على الأوثان ، ونهى عن قتل المؤودة . وقال : أعبد رب ابراهيم . وبادى قومه بعيب ما هم عليه) .(١)

ولكن هؤلاء الحنفاء الذين نأوا بأنفسهم عن وثنية قومهم كانوا قليلين ولم يكن لهم من أثر فيما ذكرناه عن البيئة العربية في تلك الحقبة من انحطاط ديني شديد ، ولم يقتصر الأمر على وضع الوثنية ، بل كان ذلك هو الحال بالنسبة للنصرانية واليهودية .

فأما النصرانية فقد كانت موجودة في بلاد الشام واليمن . وأما اليهودية فقد كانت موجودة هي الأخرى بيثرب وليس من موضوع حديثنا أن نتحدث عما نال هاتين الديانتين من الانحراف والتحريف في عقائدهما ، وشرائعهما ، وكتبهما . وانّما نودّ أن نقول إنّ هاتين الديانتين مع ما نالهما من ذلك كله ، مع أنهما لم يقلا عن الوثنية فيما أصيب به أهلها من انحطاط ديني ، فانهما لم يكن لهما وجود حقيقي في مكة المكرمة حيث نشأ صلى الله عليه وسلم . فلم يوجد من النصارى في مكة الا بضعة نفر من ذوي الحرف الممتهنة ، حفظت أسماؤهم ، ودونت أخبارهم ، فلم يك هناك البتة لهم في مكة من نشاط للتبشير بالمسيحية قبل الاسلام(٢) .

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام ، ج ١ تحقيق طه عبد الرؤوف سعد - مكتبة الكليات الازهرية ص ٢٠٤ - ٢٠٦ بتصرف .

(٢) انظر المصدر نفسه ج ١ ص ١٦٧
وكذلك الوحي المحمدي ص ٩٩

أما اليهود فلم يكن لهم وجود البتة فى مكة .

وأيا ما كان الأمر فالبيئة العربية فى تلك البقعة من الأرض لم يكن للنصرانية ولا لليهودية منها وجود يذكر. والأشخاص الذين وجدوا بمكة من اتباع النصرانية - ممن ذكرنا آنفا - لم يكونوا من الثقافة الدينية أو من المكانة الاجتماعية بحيث يكونون مصدرا لثقافة نصرانية فى تلك البيئة العربية ، ولم يكن أهل مكة فى رحلتى الشتاء والصيف حريصين على تلقى مثل هذه الثقافة من أهلها الموجودين فى أطراف الجزيرة بقدر حرصهم على رواج تجارتهم تعصبا منهم لوثنيتهم .

فاذا أضفنا الى ذلك وجود الدهريين ، وعبدة الكواكب أدركنا الى أى مستوى بلغه انحطاط الوضع الدينى ، وأنه لم يكن هناك من يفكر أو يعمل على اصلاح ذلك الوضع ، وأدركنا كذلك مستوى الأفكار الدينية الشائعة فى مثل هذه البيئة .

واذا جئنا الى الأفكار العلمية والاجتماعية فى البيئة العربية فاننا لانجد من ذلك الا ما تضمنته أشعارهم ، وخطبهم وحكمهم وأنسابهم ، وليس فى شىء من ذلك ما يصلح مجتمعا أو يؤسس عقيدة ، أو يقيم شريعة ، واذا كان له من القيمة ، فهى قيمة محدودة بحدود ما تضمنه من اسلوب بليغ ، أو معرفة بظواهر البيئة ، أو حفظ لتاريخ العرب ، أو استخلاص لحكمة الحياة .

هذه هى باختصار شديد البيئة الفكرية العربية التى نشأ فيها الرسول صلى الله عليه وسلم . وإذا كان من الطبيعى أن تأتى ثقافته الإسلامية على نهج ثقافة بيئته - لأن ما يكون وليد البيئة لا يكون حكرا على أحد - .

فإنه عليه الصلاة والسلام لم يكن كذلك إذ حيث جاء على رأس الأربعين بكتاب منفصل تماما عن البيئة الثقافية التى نشأ فيها صلى الله عليه وسلم ، وذلك بما تضمنه من حقائق علمية وروايات تاريخية ، وأصول أخلاقية وتشريعية وعقائد صحيحة مغايرة تمام المغايرة

لكل ما فى بيئته أو حولها من العقائد الباطلة . بل وجاء كذلك بالتصحيح الدقيق لكل ما انتشر فى بيئته من الأباطيل العقدية والأخلاقية والعلمية ، والتاريخية .

واذا تأملنا فى هذا الانفصال التام بين ما جاء به صلى الله عليه وسلم وبين ما كان فى بيئته ولاسيما وأنه جاء بما جاء به بعد اكتمال نضجه ، وما يتبعه من مظنة اكتمال تأثير البيئة الفكرية عليه . اذا تأملنا ذلك الانفصال بين الشخصية المحمدية والبيئة العربية فاننا نحكم بالضرورة بالمصدر الالهى لكل ما جاء به صلى الله عليه وسلم وأن ما جاء به انما كان وحيا من الله اليه .

ومن السنن المعروفة كما يقول الشيخ محمد عبده : (أن يتيما فقيراً أميا مثله تنطبع نفسه بما تراه من أول نشأته الى زمن كهولته ، ويتأثر عقله بما يسمعه ممن يخالطه لاسيما ان كان من ذوى قرابته ، وأهل عصبته ، ولا كتاب يرشده ، ولا استاذ ينبهه ، ولا عَضُدَ اذا عزم يؤيده . فلو جرى الأمر فيه على جارى السنن ، لنشأ على عقائدهم ، وأخذ بمذاهبهم ، الى أن يبلغ مبلغ الرجال ، ويكون للفكر والنظر مجال ، فيرجع الى مخالفتهم ، اذا قام له الدليل على خلاف ضلالتهم ، كما فعل القليل ممن كانوا على عهده .

ولكن الأمر لم يجر على سنته ، بل بُغِّضَتْ اليه الوثنية من مبدأ عمره فعالجته طهارة العقيدة ، كما بادره حسن الخليقة) (١) .

وقد عقب الشيخ محمد رشيد رضا على قول شيخه فقال : (وجملة القول أن استعداد محمد صلى الله عليه وسلم للنبوة والرسالة عبارة عن جعل الله تعالى روحه الكريمة كمرآة صقيلة حيل بينها وبين كل ما فى العالم من التقاليد الدينية والأعمال الوراثية ، والعادات المنكرة ، الى أن تجلى فيها الوحى الالهى بأكمل معانيه وأبلغ مبانيه لتجديد دين الله المطلق الذى كان يرسل به رسله الى أقوامهم خاصة ، بما يناسب حالهم ، واستعدادهم ، وأراد اكمال الدين به فجعله خاتم النبيين ، وجعل رسالته عامة دائمة لا يحتاجون بعدها الى وحى آخر) (٢) .

---

(١) رسالة التوحيد - للشيخ محمد عبده ص ١٢٠ .
(٢) الوحى المحمدى - محمد رشيد رضا - الطبعة التاسعة - المكتب الاسلامى ص ١٣٣

٢ - دلالة أحوال النبى صلى الله عليه وسلم عند نزول الوحى على صدق وقوعه من الله .

لقد قطع الدليل التاريخى المتمثل فى القرآن الكريم والسنة الصحيحة المطهرة ، والسيرة النبوية ، قطع على أعداء الاسلام والناعقين من ورائهم ردّ ظاهرة الوحى وتكذيبه ،ولقد اتفق جميع الباحثين بمافيهم المستشرقون على صحة وقوع هذه الحقيقة التى فى مقدمتها قصة بدء الوحى المروية فى صحيح البخارى وغيره كما سيأتى . وان كانوا مختلفين فى تفسيرهم لها .

وسوف نتعرض لظاهرة الوحى فى حياته صلى الله عليه وسلم كما يرويها فى أول أمرها حديث بدء الوحى ، لنثبت صحة وقوعه له عليه الصلاة والسلام عن طريق دراسة هذه الظاهرة ، ودراسة أحواله خلالها .

فعن عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها أنها قالت: (أول ما بدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحى الرؤيا الصالحة فى النوم . فكان لا يرى رؤيا الا جاءت مثل فلق الصبح . ثم حبب اليه الخلاء ، وكان يخلو بغار حراء فيتحنث فيه الليالى ذوات العدد قبل أن ينزع الى أهله ويتزود لذلك ، ثم يرجع الى خديجة فيتزود لمثلها ،حتى جاءه الحق وهو فى غار حراء ، فجاءه الملك فقال : اقرأ .قال : ما أنا بقارئ . قال : فأخذنى فغطنى حتى بلغ منى الجهد ، ثم أرسلنى ، فقال : اقرأ . قلت: ما أنا بقارئ . فأخذنى فغطنى الثانية حتى بلغ منى الجهد ،ثم أرسلنى فقال : اقرأ . قلت: ما أنا بقارئ فأخذنى فغطنى الثالثة ، ثم أرسلنى فقال : (اقرأ باسم ربك الذى خلق ، خلق الانسان من علق ، اقرأ وربك الأكرم) فرجع بها رسول الله صلى الله عليه وسلم يرجف فؤاده فدخل على خديجة بنت خويلد رضى الله عنها فقال : زملونى ، زملونى . فزملوه حتى ذهب عنه الروع) . (1)

---

(1) متفق عليه : صحيح البخارى : كتاب بدء الخلق ،الباب الثالث ١ / ٣٠ . صحيح مسلم : كتاب الايمان باب بدء الوحى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ١ / ١٦٠
ومعنى يتحنث: يتعبد ويعتزل الأصنام مثل تحنف. انظر الصحاح للجوهرى

لقد فوجئ محمد صلى الله عليه وسلم وهو في غار حراء بجبريل عليه السلام يراه بعينه وهو يقول له اقرأ ،وبهذا يتبين أن الوحي ليس أمرا موهوما ، وانما هو استقبال وتلق لحقيقة خارجية لا علاقة له بذاته . وضم الملك اياه ثم ارساله ثلاث مرات، قائلا في كل مرة : اقرأ. يعتبر هذا تأكيدا لهذا التلقي ، ووقوعا لأمر خارجي هو الوحي .

ولقد داخله الخوف والرعب مما ألم به وهو في الغار ما دعاه لقطع خلوته وسرعة عودته الى بيته يرجف فؤاده ، حتى يخيل اليه أنه قد ألم به فيمضي مسرعا الى زوجته الحانية، يشركها في فكرته المسيطرة عليه، وفي اضطرابه وخوفه .

ومع ذلك كله ، وحتى وهو في كنف زوجته الحانية الرقيقة لا تزايل رؤية جبل النور عينيه ، كأنما هي مطبوعة على باصرته بشعاع ثابت غير منظور ، فتحسرت زوجته خديجة ، وألقت خمارها ثم قالت: هل تراه ؟ قال : لا . قالت : يا ابن عم . . . اثبت وأبشر فوالله انه ملك ، وما هو بشيطان .[1]

ذلك كله لكي يتبين لكل عاقل أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن متشوفا للرسالة التي سيدعى لحملها وبثها في العالم، وأن ظاهرة الوحي هذه التي حلت به لم تأت منسجمة أو متممة لشيء مما كان يتصوره أو يخطر في باله ، وانما طرأت طروءا مثيرا على حياته ، وفوجئ بها دون أي توقع سابق .[2] وصدق الله

ج ١ باب الثاء فصل الحاء مادة (حنث)

(غطني) : الغط: العصر الشديد ، والكبس. انظر النهاية في غريب الحديث والاثر ج ٣ ص ٣٧٣ .

(الجهد) : الجَهد والجُهد : الطاقة. انظر الصحاح للجوهري ج ٢ باب الدال فصل الجيم ، مادة (جَهَدَ) .

(الروع) : بالفتح : الفزع. انظر الصحاح للجوهري ج ٣ باب العين فصل الراء، مادة (روع)

(١) انظر السيرة النبوية لابن هشام ج ١ ص ٢٢٣ .

(٢) انظر كبرى اليقينيات الكونية د . محمد سعيد رمضان البوطي الطبعة الخامسة دار الفكر ص ٢٠٣

العظيم اذ يقول : (وَمَا كُنتَ تَرْجُو أَن يُلْقَىٰ إِلَيْكَ الْكِتَابُ إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيراً لِّلْكَافِرِينَ) (١) .

ثم ان ذهاب خديجة رضي الله عنها به عليه الصلاة والسلام الى ورقة بن نوفل المستحكم فى النصرانية العالم بأحوال النبى المنتظر وأوصافه ومولده ومهجره ، ورقة بن نوفل الذى قالت عنه عائشة رضى الله عنها فى حديث بدء الوحى : (... ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى - ابن عم خديجة - وكان امرءا تنصر فى الجاهلية وكان يكتب الكتاب العبرانى ، فيكتب من الانجيل بالعبرانية ما شاء الله أن يكتب ، وكان شيخا كبيرا قد عمى ، فقالت له خديجة : يا ابن عم اسمع من ابن أخيك فقال له ورقة : يا ابن أخى ماذا ترى؟ فأخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم خبر ما رأى . فقال له ورقة : هذا الناموس الذى نزّل الله على موسى ، يا ليتنى فيها جَذَعاً ، ليتنى أكون حيا اذ يخرجك قومك . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أومخرجيّ هم ؟ قال : نعم لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به الا عودى . وان يدركنى يومك أنصرك نصرا مؤزرا . ثم لم ينشب ورقة أن توفى ، وفتر الوحى .) (٢)

ففى هذا الذهاب دليل على أن هناك شيئا قد وقع ، فالعادة جرت على أن العامة دائما ما يهرعون الى العظماء والعلماء فى الأمر الجليل من تفسير أحلام وحل معضلة ، وغير ذلك ، ودليل كذلك أن الأمر الذى وقع هو وحى من الله تعالى أوحاه اليه بشهادة ورقة بن نوفل نفسه ، وهو من هو كما قلنا فى علمه بالنبوات وأحوال الأنبياء والوحى الذى أوحى اليهم .

---

(١) سورة القصص الآية ٨٦

(٢) صحيح البخارى بشرح فتح البارى كتاب بدء الوحى باب ٣ ج ١ / ٢٣ .

وينقطع الوحى عنه بعد ذلك لفترة من الزمن على اختلاف كتب السيرة فى تحديدها مابين ثلاثة أيام الى أربعين يوما،[1] حتى استبد به القلق وكاد أن يرمى بنفسه من قمم الجبال الشاهقة من سوء ما بلغ به .

ومرة ثانية يتشرف برؤية الملك الذى سبق أن رآه فى حراء على هيئته وقد ملأ وجوده ما بين السماء والأرض يقول : يا محمد إنك رسول الله الى الناس . فيعاود عليه الصلاة والسلام الكرة خائفا وجلا الى بيته حيث نزل عليه قوله تعالى (يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرْ قُمْ فَأَنْذِرْ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ..)[2] .

أليس فى هذا الارسال وهذا الانقطاع وما صحبهما من خوف، وأمل ورجاء دليل آخر على صحة وقوع الوحى كظاهرة غير اختيارية غشيت محمدا صلى الله عليه وسلم. والا فما معنى هذا الانقطاع وما صاحبه من أحوال نفسية ، لولم يلق ذلك الأمر خارجا عن ارادته وخارجا عن أحواله النفسية ، بل وخارجا عن أحواله الفكرية كما سبق أن ذكرنا .

وبنظرة فاحصة للأحوال التى كانت تظهر على وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم حين نزول الوحى عليه ،يتبين لنا صدق هذا النزول .

فقد كانت هذه الأحوال تبدوا على وجهه الكريم فى كل مرة ينزل عليه فيها القرآن . وكان ذلك لا يخفى على أحد ممن ينظر اليه . فكانوا يرونه وقد احمّر وجهه فجأة وأخذته البُرَحاء حتى يتفصد جبينه عرقا ويثقل جسمه حتى يكاد يَرُضّ فخذه فخذَ صاحبه الجالس الى جانبه ، وكان يسمع عند وجهه أصواتا مختلفة تشبه دوى النحل ، ثم لا يلبث أن تُسرّى عنه تلك الشدة فاذا هو يتلو قرآنا وذكرا .

---

(١) هناك رواية حكاها البدر العينى عن الامام أحمد أن مدة الفترة كانت ثلاث سنين . ولكنها غير المشهور عن السلف. وهذه مسألة يتفاوت العلم فيها بين الرواة . والقطع فيها يحتاج الى توقف على نص منه صلى الله عليه وسلم ولم يثبت ذلك النص . على أن اختلاف التقدير لا يضر ،ولا ينافى ما نحن بصدده وهو فترة الوحى زمنا ما . انظر عمدة القارى شرح صحيح البخارى للعينى ج ١ ص ٦٢ .

(٢) سورة المدثر الآية ١ وما بعدها .

فدلالة حالاته عليه الصلاة والسلام حين يتنزل الوحي عليه ، تدل على أنه كان يخضع لظاهرة فائقة . وقد كان يدرك بنفسه هذا .

فعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال : (كان نبي الله صلى الله عليه وسلم اذا أنزل عليه كرب لذلك، وتربد له وجهه)(١) وفي رواية : (كان اذا أنزل عليه الوحي عرفنا ذلك فيه ، وغمض عينيه وتربد وجهه . فنزل عليه يوما فسكتنا ، فلما سري عنه قال : خذوا عني ، خذوا عني ، قد جعل الله لهن سبيلا ، البكر بالبكر جلد مائة ثم نفي عام ، والثيب بالثيب جلد مائة ثم الرجم)(٢) .

وعن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال : (أنزل الله على رسوله وفخذه على فخذي ، فثقلت عليّ حتى خفت أن ترض فخذي)(٣) .

وفي قصة الافك قالت عائشة : (فوالله ما رام رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا خرج أحد من أهل البيت حتى أنزل عليه ، فأخذه ما كان يأخذه من البرحاء حتى انه ليتحدر منه مثل الجمان من العرق في يوم شات من ثقل القول الذي ينزل عليه)(٤)

---

(١) صحيح مسلم : كتاب الحدود ، باب رجم الثيب في الزنا ٣ / ١٦٩٠ .
كرب : أي أصابه الكرب ، فهو مكروب . انظر النهاية في غريب الحديث والأثر ج ٤ ص ١٦١ .
تربد وجهه : أي تغير الى الغُبرة ، وقيل الرُبدة ، لون بين السواد والغبرة انظر : النهاية في غريب الحديث والأثر ج ٢ ص ١٨٣ .

(٢) صحيح مسلم : كتاب الحدود ، باب رجم الثيب في الزنا ، ٣ / ١٦٩٠ عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه مرفوعا . ومعنى (سري عنه) : أي كشف عنه الخوف . انظر : النهاية في غريب الحديث والأثر ج ٢ ص ٣٦٤ .

(٣) صحيح البخاري : كتاب الصلاة ، باب مايذكر في الفخذ ... ، ١ / ٣٧٠ .

(٤) رام : رامه يُريمُه رَيْمًا ، أي بَرِحَه ، يقال لا ترِمْهُ ، أي لا تبرحه . انظر الصحاح للجوهري ج ٤ مادة (ريم) .
البرحاء : أي شدة الكرب من ثقل الوحي . انظر النهاية في غريب الحديث والأثر ج ١ ص ٣٠١ .
يتحدر : أي يتنزل . انظر الصحاح للجوهري ج ٢ مادة (حدر) .
الجمان : اللؤلؤ الصغار ، وقيل حب يتخذ من الفضة أمثال اللؤلؤ . انظر النهاية في غريب الحديث والأثر ج ١ ص ٣٠ .
والحديث متفق عليه عند الشيخين : اخرجه البخاري في صحيحه كتاب التفسير =

فهذه الحالات تدلنا على أن أمرا خارجيا قد وقع بالفعل وهو الوحى اليه عليه الصلاة والسلام ولا شك أنها كانت تدله صلى الله عليه وسلم على أنه بعد طروء هذه الحالات عليه غيره قبل أن تطرأ عليه ، وأنه كان يقارن بين حالين يتبادلان عليه ، وأن الحالة الثانية تتميز بالمعاناة التى يعانيها من اتصال ملك الوحى به ، وتتميز بما يجده بعد هذه المعاناة من الأقوال والعلوم التى لا عهد له بها بل ولا قدرة له على مثلها ، فيقطع بصدق الوحى اليه من الله .

= باب (لولا اذ سمعتموه قلتم مايكون لنا أن نتكلم بهذا ..) ٨/٤٧٥٠ .
ومسلم فى صحيحه ، كتاب التوبة ، باب فى حديث الافك ٤/٢٧٧٠

٣- دلالة سمو أخلاقه ورجحان عقله على صدق الوحي اليه من الله

لقد كان محمد صلى الله عليه وسلم صادقا في خبر الوحي اليه من الله ، ولم يحفظ عنه ما يقدح في سمو خلقه . فكان ما عرف عنه من الصدق والأمانة وخصال الخير ، دليلاً على صدقه فيما أخبر به من الوحي إليه من الله تعالى .

فقد كان لنزول الوحي عليه بغار حراء وطأة شديدة على نفسه فرجع الى زوجه خديجة رضى الله عنها يرجف فؤاده . وقال : زملوني ، زملوني ، زملوني ، حتى اذا ذهب عنه الروع قال : يا خديجة مالي ؟ وأخبرها خبر ما رأى ، وقال لها : قد خشيت على نفسي ، فقالت له خديجة : (كلا ، أبشر فوالله لا يخزيك الله أبدا انك لتصل الرحم ، وتصدق الحديث ، وتحمل الكل ، وتكسب المعدوم ، وتقرى الضيف ، وتعين على نوائب الحق) .(١)

ووقف النبي صلى الله عليه وسلم يوما على الصفا ونادى بطون مكة : يا بني عبد المطلب ، يابني عبد مناف ، يا فلان ، فلما اجتمعوا اليه قال لهم : (أرأيتم لو أخبرتكم أن خيلا بالوادي تريد أن تغير عليكم أكنتم مصدقي ؟ قالوا : نعم ، ما جربنا عليك كذبا ، فقال : (اني نذير لكم بين يدى عذاب شديد) .(٢)

فقد أخذ النبي صلى الله عليه وسلم الاقرار على صدقه الذى هو بعض أخلاقه العظيمة ، والتي يعرفونها فيه ، وذلك قبل أن يطلب اليهم الايمان بصدقه في دعوى النبوة عن الله عز وجل .

---

(١) صحيح البخاري : كتاب بدء الوحي ، باب ٣ ، ١/ ٣

ومعنى الكل : جمع كلول اليتيم . انظر الصحاح للجوهري ج ٥ مادة كلل .
تقرى الضيف : قرى الشيء يقريه اذا جمعه ويريد هنا ايواء الضيف . انظر النهاية في غريب الحديث والأثر ج ٤ ص ٥٦ .
تكسب المعدوم : توصل الشيء المعدوم عند الناس اليهم . انظر النهاية في غريب الحديث والأثر ج ٤ ص ١٧١ .

(٢) صحيح البخاري : كتاب التفسير ، باب في تفسير السورة (١١١ ، ٨/ ٦٩٧١ .
صحيح مسلم : كتاب الايمان ، باب في قوله تعالى : "وأنذر عشيرتك الاقربين" ١/ ٢٠٨ . مسند احمد ج ١ ص ٣٠٧ .

وبعث الرسول عليه الصلاة والسلام خالد بن الوليد رضى الله عنه الى بعض أحياء العرب يدعوهم الى الاسلام ،فقالوا : يا خالد ،صف لنا محمدا . قال : بايجاز أم باطناب؟ قالوا : بايجاز . قال : هو رسول الله ، والرسول على قدر المرسل).(١)

فقد سألوه عن صفات الرسول عليه الصلاة والسلام ليستدلوا بها على صدق نبوته .

والأمثلة فى هذا المجال لا حصر لها . فاذا قال صلى الله عليه وسلم انه يوحى اليه فاننا نصدقه ،لأن من يكون مثل ما هو عليه من الصدق والأمانة وسمو الخلق لا يكون الا صادقا فيما يخبر به عن الله ،وما يذكره من الوحى اليه .

ولم يكن صلى الله عليه وسلم ليُخدع عن حقيقة الوحى اليه فلم يكن متعلقا بالأوهام ، بل كان موضوعى التفكير صحيح الجسم راجح العقل فى تجارته فى التعامل مع مجتمعه ، لم يعرف أنه ضعف أو استكان لرأى أو مشورة ،راجح العقل فى دعوته استطاع بفكره الثاقب جمع شتات الأمم المختلفة . فكان كل وحى لا بد وأن يكون قد مرّ بوعيه ،واتخذ فى نظره صورة مطلقة غير شخصية ،روحانية فى جوهرها الروحى ، وفى الطريقة التى تظهر بها .(٢)

وفى يوم دفن ولده ابراهيم الوحيد الذى رآه يكبر ، حدث كسوف كلى للشمس كما روى عن المغيرة بن شعبة رضى الله عنه حيث قال : (انكسفت الشمس على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم مات ابراهيم ، فقال الناس : انكسفت الشمس لموت ابراهيم ،فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الشمس والقمر آيتان

---

(١) اعلام النبوة للماوردى ـ مكتبة الكليات الازهرية - ١٣٩١ هـ ١٩٧١م ص٢٨ .

(٢) انظر الظاهرة القرآنية ـ لمالك بن نبى ـ ترجمة عبد الصبور شاهين دار الفكر ص ١٩٠ .

من آيات الله لا ينكسفان لموت أحد ولا لحياته ، فاذا رأيتموهما فادعوا الله وصلوا)[١].

وقد فسر الناس الظلمات المفاجئة بأنها آية على مشاركة الطبيعة للنبي صلى الله عليه وسلم في حزنه . وبدلا من أن يستغل هذا الموقف ساعة دفنه وتصايح المسلمين حول قبره للدعاية لنفسه ، كما يفعل ذلك أصحاب الدعوات الكاذبة . بدلا من ذلك يتفجر لسانه حكمة ، ويصحح في حزم خطأ صحابته قائلا : ان الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا ينكسفان لموت أحد ولا لحياته . .

فبادرهم عليه الصلاة والسلام لساعته مذكرا لهم أن ذلك من آيات الله . لا يد له فيه .

فنلاحظ أن الخوارق جاءت طائعة لنبي الاسلام فصدقها الناس وأبى لهم عليه الصلاة والسلام أن يصدقوها ، أو يفهموها على غير حقيقتها ، ولو أنه سكت عنها لحسبوها له معجزة من المعجزات التي لم يتحقق مثلها لأحد من المرسلين[٢].

فلو كان صلوات الله وسلامه عليه ، ممن يتصيدون الخوارق أو ينكرونها لأنهم لا يستطيعون أن يدعوها ، لماكلفته هذه الخارقة شيئا الا أن يسكت عنها فلا يدعيها ولا ينكرها ، ولكنه عليه الصلاة والسلام لم ينس في ساعة حزنه أمانة الهداية للمؤمنين بدينه .

فمثل هذا الموقف يثبت لنا مدى ادراكه ورجاحة عقله ، هذا الادراك يودى بنا بلا ريب الى تصديق ما يخبر به من ايحاء الله اليه .

ولا شك أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يدرك تماما الفرق بين حاليه قبل الوحي وبعده ، حيث تتميز كل منهما بطابعهما الخاص .

---

(١) متفق عليه : أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب بدء الخلق ، باب صفة الشمس والقمر ٦ / ٣٢٠١ . صحيح مسلم : كتاب الكسوف باب صلاة الكسوف ٢ / ٩٠١ .

(٢) للاستزادة راجع حقائق الاسلام وأباطيل خصومه ، للعقاد - طبعة دار الاسلام بالقاهرة ص ٦٢ ، ٦٣ .

الأولى كانت مجردة تماما مما صاحب الوحي بعد ذلك من أقوال وأفعال .
والثانية كانت مليئة بتلك الأحوال والأقوال بأمور خارجة عن ذاته صلى الله عليه وسلم والتي لا يمكن عند الدراسة الدقيقة أن تعتبر منه صلى الله عليه وسلم صناعة أو تكلفا . (١)

وهذا الفرق يدركه كل عاقل فما بالك بالنبي صلى الله عليه وسلم الذى يشهد له معارضوه بالصدق ، وسلامة الفطرة ورجاحة العقل .

روى ابن اسحاق عن بعض أهل الرواية أن قريشا عند ما اختصموا في وضع الحجر الأسود قال أمية بن المغيرة : (يا معشر قريش اجعلوا بينكم - فيما تختلفون فيه - أول من يدخل من باب هذا المسجد يقضي بينكم فيه ، ففعلوا . فكان أول داخل عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم . فلما رأوه قالوا : هذا الأمين رضينا ، هذا محمد . فلما انتهى اليهم وأخبروه الخبر ، قال صلى الله عليه وسلم (هلم اليّ ثوبا فأتى به ، فأخذ الركن فوضعه فيه بيده ، ثم قال : لتأخذ كل قبيلة بناحية من الثوب ، ثم ارفعوه جميعا ، ففعلوا ، حتى اذا بلغوا به موضعه وضعه هو بيده ، ثم بنى عليه) . (٢)

لقد كان صلى الله عليه وسلم أبعد القوم حتى الحنفاء من دنس الجاهلية في شبابه وفي كهولته . فلا شك ان ما جاء به وحي من الله سبحانه وتعالى .

---

(١) انظر النبأ العظيم ، د . محمد عبد الله دراز ص ٧١ .

(٢) السيرة النبوية لابن هشام ج ١ ص ١٨٢ .
صحيح بشواهده . وقد اخرج الامام احمد مثله في مسنده ج ٣ ص ٤٢٥ ، من حديث السائب بن عبد الله رضي الله عنه . وقال الهيثمي عنه في مجمع الزوائد جـ ٨ ص ٢٢٩ ، رجاله رجال الصحيح غير هلال بن خباب وهو ثقة . واخرجه الحاكم في المستدرك ٤٥٨/١ . وقال صحيح على شرط مسلم . وله شاهد صحيح على شرطه .

٤ - المعجزات الحسية ودلالتها على صدق الوحي المحمدي

النبوة أو الرسالة عن الله تتضمن من النبي أو الرسول دعوى نزول الوحي عليه من الله ، ولا بد لكل دعوى من دليل ، واذا لم تقم الأدلة على الدعاوى ، كان أصحابها مجرد أدعياء لا يقبل الناس منهم قولا .. فالناس قد طبعوا على طلب الدليل حتى لا يختلط أمر الصادقين بالكاذبين .

والأدلة على صدق الأنبياء في دعوى الوحي عليهم من الله كثيرة تكمن في مضمون الوحي الذي أوحي اليهم ،أو في قرائن أحوالهم أو فيما يجريه الله على أيديهم من المعجزات .

واذا كنا قد تحدثنا عن دلائل قرائن الأحوال المحمدية على صدق الوحي اليه في أول هذا الفصل ، ونرجئ الحديث عن دلائل مضمون الوحي الى ختامة ، فاننا نخص بالحديث في هذا الموضع دلالة المعجزات المحمدية على صحة وقوع الوحي الى النبي صلى الله عليه وسلم شأنه في ذلك شأن جميع الانبياء والمرسلين .

يقول الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام : (ما من الانبياء من نبي الا قد أعطى من الآيات ما مثله آمن عليه البشر ، وانما كان الذي أوتيت وحيا أوحى الله الي فأرجو أن أكون أكثرهم تابعا يوم القيامة .)(1)

وقد اتفق العلماء حسب الروايات التي أوردها الامام النووي في شرحه لصحيح مسلم عند شرحه لهذا الحديث - اتفقوا - على أن لكل نبي معجزة مؤيدة ، ولكنهم اختلفوا في تفسيرها على أقوال :-

أحدها : ان كل نبي أعطى من المعجزات ما كان مثله لمن كان قبله من الأنبياء فآمن به البشر . وأما معجزة النبي الخاتم العظيمة الظاهرة فهي القرآن الذي لم يعط أحد مثله ، فلهذا كان عليه الصلاة والسلام أكثرهم تابعا .

---

(1) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة ، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم بعثت بجوامع الكلم ١٣ / ٧٢٧٤ . ومسلم في صحيحه كتاب الايمان ، باب وجوب الايمان برسالة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ١ / ١٥٢ واللفظ له .

ثانيا : أن الذى أوتيه النبى صلى الله عليه وسلم لا يتطرق الى تخييل بسحر ولا شبهة ، بخلاف معجزة غيره فانه قد يخيل الساحر بشئ مما يقارب صورتها كما خيلت السحرة فى صورة عصا موسى عليه السلام والخيال قد يروج على بعض العوام ، والفرق بين المعجزة والسحر والتخييل يحتاج الى فكر ونظر ، وقد يخطئ الناظر فيعتقدها سواء .

والثالث : أن معجزات الأنبياء انقرضت بانقراض أعصارهم ولم يشاهدها الا من حضرها بحضرتهم ، ومعجزة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم القرآن المستمر الى يوم القيامة مع فرق العادة فى أسلوبه وبلاغته واخباره بالمغيبات وعجز الجن والانس عن أن يأتوا بسورة من مثله مجتمعين أو متفرقين فى جميع الأعصار.(١)

وآيات الانبياء ، هى الادلة البينة الدالة على الحق . . ، ومن الممتنع أن يرسل الله رسولا يأمر الناس بتصديقه ولا يكون هناك مايعرفون به صدقه .

وقبل أن نذكر معجزات الرسول صلى الله عليه وسلم الدالة على صدقه فى نبوته من الله نثبت هنا من كلام شيخ الاسلام ابن تيميه مايبين فيه كيف أن مايظهره الله على يد الانبياء من المعجزات التى يعجز البشر عن مثلها ـ كيف أن هذه المعجزات ـ هى الآيات والبراهين الدالة على صدق الانبياء التى اختصم الله بها ، فلا يظهرها على أيدى غيرهم من المتنبئين والسحرة ، ولا على أيدى المكذبين لهم . ومن ثم تأتى بالضرورة دالة على صدقهم .

يقول شيخ الاسلام ابن تيميه رحمه الله تعالى : " فالآيات التى تكون آيات

---

(١) انظر شرح صحيح مسلم للامام النووى كتاب الايمان ج ١ ص ١٨٨ .

للانبياء هي دليل وبرهان ، والله تعالى سماها برهانا في قوله لموسى : " فذانك برهانان من ربك " [١]. وهي العصا واليد ، وسماها برهانا وآيات في مواضع كثيرة من القرآن . فحدها حد الدليل والبرهان ، وهي أن تكون مستلزمة لصدق النبي فلا يتصور أن توجد مع انتفاء صدق من أخبر أن الله ارسله . فليس له الا حالان اما ان يكون الله أرسله فيكون صادقا ، أو لا يكون أرسله فلا يكون صادقا . فآيات الصدق لا توجد الا مع أحد النقيضين وهو الصدق ، ولا توجد قط مع الاخر وهو انتفاء الصدق ، كسائر الادلة التي هي البراهين والآيات ، والعلامة فانها لا توجد الا مع تحقق المدلول عليه ، لا توجد مع عدمه قط ، اذا كانت مستلزمه له يلزم من وجود الدليل وجود المدلول عليه . فلا يوجد الدليل مع عدم المدلول عليه فلا توجد آياتهم مع عدم صدقهم . فيجب أن يتصور هذا الموضع فانه حق معلوم بعد تصوره لكل العقلاء بالضرورة . فلا يمكن أحدا كذب النبي أن يأتي بمثلها ، فانه لو أتى بمثلها مع تكذيب النبي لكانت قد وجدت مع قوله اني صادق . ومع قول هذا المكذب انه كاذب . فلم تختص بصدقه ، ولم تستلزمه ، فلا يلزم

---

(١) سورة القصص الآية (٣٢) .

اذا قال : اني صادق أن يكون صادقا ، وهذا قد أتى بمثل ما أتى به ، وقال انه كاذب، ولا يكون اعلاما من الله لعباده ، واخبارا لهم بأني ارسلته ولا تصديقا له ، كما لو قال رجل "ان فلانا ارسلني وجاء بعلامة ذكر أنه خصه بها . مثل أن يقول العلامة أنه اعطاني خاتمه ، فيقول المكذب ، وأنا أيضا أعطاني خاتمه الأخرى لأصلحها له ، أو لأختم بها كذا ، وأنت انما أعطاك خاتمه لتصلحها أو تختم بها . فاذا أتى المكذب له بمثل ما أتى به امتنع كونها آية ، ولكن لو كان قد جاء بالخاتم غيره لأمر آخر أرسله له لم يمتنع ذلك . بل قد جرت عادته معهم بأنه من أرسله يرسل معه خاتمه ، فقد صار ارسال الخاتم عادة له يدل على صدق من أرسله . فهو يميز رسله بالخاتم لا يخص بها واحدا منهم . وهي عادة منه لرسله ليست لغيرهم لا عادة ولا غير عادة ، فهذا شأن الآيات والعلامات التي يقصد الدال بها أن يدل بها". (١)

ولا نحب أن نطيل القول في هذا المقام بذكر نقد شيخ الاسلام ابن تيمية لآراء المتكلمين في المعجزة وشرائطها ووجه دلالتها . فليس في موضوع هذا البحث دراسة المعجزة . فلمثل هذه الدراسة كتبها ورسائلها الخاصة بها ، وانما نقصد فقط بما ذكرناه هنا عن المعجزة بيان وجه دلالتها على صدق الرسول صلى الله عليه

---

(١) كتاب النبوات لشيخ الاسلام ابن تيمية المطبعة السلفية ومطبعتها القاهرة ١٣٨٦هـ ص ٢٠٥ - ٢٠٦ .

وسلم ، كواحد من الأدلة الكثيرة التي يمكن الاستدلال بها على صدقه شأنه في ذلك شأن جميع الانبياء السابقين عليه . فهو صلى الله عليه وسلم يسير في هذا الجانب ـ وفي جميع جوانب نبوته ـ على خط النبوات الصادقة قبله . ومعجزاته من براهين صدقه كما كانت معجزات الانبياء السابقين من براهين هذا الصدق .

والذى ينبغي التنويه به أن من الناس من يدرك افادة المعجزة صدق الرسول بالضرورة . ومنهم من يحتاج الى معرفة صدق الرسول بالمعجزة الى النظر والاستدلال ليتبين لهم أن المعجزة يستلزم صدق الرسول ، وأن الحكم بصدقه لازم للمعجزة . واذا نظر الانسان الى عجز الخلق عن معارضة المعجزة علم أنها من الخالق جل جلاله . وان الله تعالى حكم عادل ، تأبى حكمته أن يمنح الكاذب تأييدا خاصا يعينه على كذبه واضلاله للبشر . بل الحكمة الالهية اقتضت بأن الله تعالى يمنح الرسول الذى أرسله الى خلقه برهانا خاصا يبين صدقه لاخراج البشر من الظلمات الى النور ، للاعتصام بهداية الله تعالى .(١)

---

(١) للمزيد من التفصيل والأمثلة راجع كتاب النبوات لشيخ الاسلام ابن تيمية ، المطبعة السلفية ومكتبتها القاهرة ١٣٨٦هـ ص ٢٣٧ - ٢٣٩ ، وكذلك انظر الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح لشيخ الاسلام ابن تيمية مطابع المجد التجارية ج ٤ ص ٣٠٩ وما بعدها .

على يد النبي الذى يستدل بها على صدقه فى أنه يوحى اليه من الله ـ كأنه يقول لهم بذلك: (صدق عبدى فيما يبلغ عنى) .

وبالمثال يتضح المقال :

(حكى القرآن الكريم لنا فى قصة ابراهيم عليه السلام حين أشعلت النيران لحرق ابراهيم ، واستغلت الاسباب العادية لذلك . فابراهيم عليه السلام جسم وهو قابل للاحتراق ، والنار عنصر فى هذا الكون ومن خاصيتها الاحراق اذا توافرت لها الظروف المواتية ، وقانون المادة يقضى بأنه اذا حدث اتصال بين جسم قابل للاحتراق ، وبين النار بخاصيتها التى هى الاحراق وكانت ظروف القانون فعلا ملائمة حدث الاحراق لا محالة كأثر حتمى للقانون . وأعداء ابراهيم عليه السلام يدركون هذه الخواص جميعها ، وأرادوا التخلص من ابراهيم عليه السلام باستغلال هذا القانون الالهى فأشعلوا نارا حامية ، وأرادوا قذف ابراهيم فيها .

وكان من الممكن أن تتدخل العناية الالهية بطريقة مألوفة لدينا ، فتعطل ظرفا من ظروف تنفيذ القانون كهبوب الريح العاصفة ، وسقوط المطر الغزير ... الخ . ولكن مثل هذه الوسائل مقدور عليها بالنسبة للبشر . أعنى أن الله أعطى للبشر امكانية اخماد النار ، واخماد النار فعل معتاد بالنسبة لسائر الخلائق .

غير أن الذى لم يتعوده البشر ولم يألفوه هو أن يكون القانون بكل ظروفه ، ولكن لا يعمل ، وان تكون القاعدة بكل مقوماتها ولكنها تنتج أثرا مباينا تماما للأثر الذى تعودناه منها وألفناه .

وقذف ابراهيم عليه السلام فى النار ، ولم يخمد الله النار ، وانما رتب على القانون أثرا لم يكن متوقعا ولم يتعوده الخلائق ، من القانون على طول الزمان وعرضه وكان من الاعجاز للبشر أن يخاطب الله النار بقوله : (يا نور كونى بردا وسلاما على ابراهيم ، وأرادوا به كيدا فجعلناهم الأخسرين) .[1]

---

(٢) نظرية النبوة فى الاسلام ، للدكتور طه الدسوقى ، دار الهدى للطباعة ص ٧٦ ، ٧٧ والآيتان من سورة الأنبياء ٦٩ ، ٧٠ .

ومن أمثلة ذلك أيضا ماحدث لموسى عليه السلام حيث أتى فرعون وقومه بدعوى الرسالة اليهم من الله (اذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ، فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ، قَالَا رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَن يَطْغَىٰ ، قَالَ لَا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ، فَأْتِيَاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكَ وَالسَّلَامُ عَلَىٰ مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَىٰ) .(١)

وقال : (وَقَالَ مُوسَىٰ يَا فِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ، حَقِيقٌ عَلَىٰ أَن لَّا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ قَدْ جِئْتُكُم بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَائِيلَ) .(٢)

فطالبه فرعون وقومه بالدليل على صدقه قائلين كماحكى القرآن ذلك: (قَالَ إِن كُنتَ جِئْتَ بِآيَةٍ فَأْتِ بِهَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ) .(٣) (فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ، وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ)(٤)

وكان في هـذه الاعمال الخارقة المعجزة للبشر لم يستطع أن يأتي بمثلها أمهر الناس في ذلك الشأن ، وهم السحرة فقد ألقوا حبالهم وعصيهم حتى خيل الى الناس من سحرهم أنها تسعى : (قَالَ أَلْقُوا فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ)(٥)

وقال (قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِمَّا أَن تُلْقِيَ وَإِمَّا أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَىٰ ، قَالَ بَلْ أَلْقُوا ، فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ)(٦)

ولكن موسى كان كما قال الله له : (وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ) .(٧) وقال : (وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ، فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) . (٨)

---

(١) سورة طه الآيات ٤٣ - ٤٧ .
(٢) سورة الأعراف الآيتان ١٠٤-١٠٥ .
(٣) سورة الأعراف الآية ١٠٦ .
(٤) سورة الأعراف الآيتان ١٠٧-١٠٨ .
(٥) سورة الأعراف الآية ١١٦ .
(٦) سورة طه الآيتان ٦٥ ، ٦٦ .
(٧) سورة طه الآية ٦٩ .
(٨) سورة الأعراف الآيتان ١١٧-١١٨ .

ويطول بنا الحديث لو ذهبنا نتحدث عن المعجزات التي أجراها الله على أيدي الأنبياء ، وتحدوا بها أقوامهم وعجزوا عن الاتيان بمثلها ، ومن ثم استدلوا بذلك الاعجاز على أنها أفعال من الله تعالى قصد بها الدلالة على صدقهم .

والذي نقصد اليه في هذا المقام بعد تقرير هذه الحقائق عن المعجزة ووجه دلالتها على صدق الوحي - هو أن نذكر أن محمدا صلى الله عليه وسلم كانت له معجزات بهذه المثابة التي ذكرناها دالة على صدقه ، ومع أن معجزته الكبرى التي تحدى بها البشر هي القرآن ، الا أنه كانت له مع ذلك كبقية الأنبياء السابقين معجزات حسية استدل ببعضها على صدقه ، والبعض الآخر أجراه الله على يديه فدلت على هذا الصدق ، وان لم يأخذ منها النبي صلى الله عليه وسلم دليلا عليه .

ومن هذه المعجزات معجزة انشقاق القمر ، تكثير الأطعمة القليلة حتى تكفي الجمع الكثير ، وتفجير الماء من بين أصابعه صلى الله عليه وسلم حتى يشرب الناس ويرووا ، وحنين الجذع شوقا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتسبيح الحصى في كفه ، وابراء المرضى بلمسه . وغير ذلك من الخوارق الكثيرة التي تفيض بها كتب السنة والسيرة النبوية .

وقد رويت هذه المعجزات بأسانيدها الصحيحة أو الحسنة والتي ميزها العلماء عما ضعف منها .

ونذكر فيما يلي بعض الروايات التي تتضمن ذكر بعض المعجزات المحمدية من ذلك : ما رواه عبد الواحد بن أيمن عن أبيه قال : (قلت لجابر بن عبد الله حدثني بحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم سمعته منه أرويه عنك ، فقال جابر : كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الخندق نحفر فلبثنا ثلاثة أيام لم نطعم طعاما ولا نقدر عليه فعرضت في الخندق كدية[1] غليظة لا يعمل فيها الفأس

---

(١) الكدية : قطعة غليظة صلبة لا تعمل فيها الفأس. انظر : النهاية في غريب الحديث والأثر ج ٤ ص ١٥٦ .

فجئت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت هذه كدية عرضت في الخندق ورششنا عليها الماء، فقام وبطنه معصب بالحجر فأخذ المعول[١] والمسحاة[٢]، ثم سمى ثلاثا ثم ضرب فعادت كثيبا[٣] أهيل[٤]، فلما رأيت ذلك منه، قلت يا رسول الله ائذن لي فأذن لي فجئت الى امرأتي فقلت: ثكلتك أمك اني رأيت من رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا لا صبر لي عليه فما عندك؟ قالت: عندي صاع من شعير وعناق[٥]، قالت: فطحنا الشعير وذبحنا العناق وطبخناها، وجعلناها في البرمة وعجنا العجين، ثم رجعت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلبثت ساعة ثم استأذنت ثانية فأذن لي فجئت فاذا بالعجين قد أمكن فأمرتها بالخبز، وجعلت القدر على الأثافي[٦]، ثم جئت الى رسول الله فشاورته، وقلت عندنا طعيم لنا فان رأيت أن تقوم معي أنت ورجل أو رجلان معك فعلت، فقال: ما هو؟ وكم هو؟ قلت: صاع من شعير وعناق. فقال: ارجع الى أهلك فقل لها لا تنزع البرمة من الأثافي ولا تخرج الخبز من التنور[٧] حتى آتي، ثم قال للناس قوموا الى بيت جابر، فاستحييت حياء لا يعلمه الا الله تعالى. فقلت لامراتي: قد جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم بأصحابه أجمعين. فقالت: أكان سألك كم الطعام؟ قلت: نعم. قالت الله ورسوله أعلم قد أخبرته بما كان عندنا. فذهب عني بعض ما أجده

---

(١) المعول: الفأس العظيمة التي ينقر بها الصخر. والجمع معاول. انظر الصحاح للجوهري ج ٥ مادة عول.

(٢) المسحاة: المجرفة من الحديد. انظر النهاية في غريب الحديث والأثر ج ٤ ص ٣٢٨.

(٣) الكثيب: الرمل. انظر النهاية في غريب الحديث والأثر ج ٤ ص ١٥٢.

(٤) أهيل: كل شيء أرسلته ارسالا، وصببته. انظر النهاية في غريب الحديث والأثر ج ٥ ص ٢٨٨.

(٥) العناق: الأنثى من أولاد المعز ما لم يتم له سنة. انظر النهاية في غريب الحديث والأثر ج ٣ ص ٣١١.

(٦) الأثافي: جمع أُثْفِيَّة، وقد تخفف الياء في الجمع. وهي الحجارة التي تنصب وتجعل القدر عليها. انظر النهاية في غريب الحديث والأثر ج ١ ص ٢٣.

(٧) التنور: الذي يخبز فيه. انظر الصحاح للجوهري ج ٢ مادة (تنر)

وقلت لها صدقت . وجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل ثم قال لأصحابه: لا تضاغطوا [١] ، ثم برك على التنور والبرمة فجعلنا نأخذ من التنور الخبز، ونأخذ من البرمة اللحم فنثرده ونغرف ونقرّب اليهم . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليجلس على الصفحة سبعة أو ثمانية فلما أكلوا كشفنا التنور والبرمة ، فاذا هما قد عادا الى أملأ مما كانا عليه حتى شبع المسلمون كلهم وبقيت طائفة من الطعام ،فقال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم : ان الناس قد أصابهم مخمصة [٢] ، فكلوا وأطعموا فلم نزل يومنا نأكل ونطعم ، قال : فأخبرني أنهم كانوا ثمانمائة أو قال : مائتين أقل من الثمانمائة) [٣] .

ومنها ما رواه البخارى ومسلم عن معجزة نبع الماء من بين أصابعه صلى الله عليه وسلم عن أنس بن مالك رضي الله عنه أنه قال :(رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وحانت صلاة العصر . فالتمس الناس وضوءا فلم يجدوه ، فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بوضوء في اناء ، فوضع رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك الاناء يده ، ثم أمر الناس أن يتوضأوا منه ، قال أنس: فرأيت الماء ينبع من تحت أصابعه ،فتوضأ الناس حتى توضأوا من عند آخرهم) [٤]

ولقد تكررت معجزة نبع الماء من بين أصابعه أكثر من مرة بروايات صحيحة .

---

(١) لا تضاغطوا : أى لا تزاحموا . انظر النهاية في غريب الحديث والأثر ٣ ص ٩٠

(٢) المخمصة : المجاعة . انظر الصحاح للجوهرى ج ٣ مادة (خمص) .

(٣) صحيح البخارى كتاب المغازى باب غزوة الخندق ٧ / ٤١٠١ . ومسند الامام أحمد ج ٣ ص ٣٠٠ .

(٤) صحيح البخارى ، كتاب الوضوء باب التماس الوضوء اذا حانت الصلاة ١ / ١٦٩ وصحيح مسلم ، كتاب الفضائل ، باب معجزات النبى صلى الله عليه وسلم ٤ / ٢٢٧٩

وروى ابن عباس رضي الله عنه قال :(جاء أعرابي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : بم أعرف أنك رسول الله ؟ قال : أرأيت أن دعوت هذا العذق من هذه النخلة ، أتشهد أني رسول الله ؟ قال : نعم . قال : فدعا العذق فجعل العذق ينزل من النخلة حتى سقط في الأرض فجعل ينقر حتى أتى رسول الله ، ثم قال له: ارجع . فرجع حتى عاد الى مكانه . فقال : أشهد أنك رسول الله ، وآمن) (١) .

وعن عبد الله بن جعفر عن يعلى بن مرة الثقفي قال :(ثلاثة أشياء رأيتهن من رسول الله صلى الله عليه وسلم بينا نحن نسير معه اذ مررنا ببعير يسنى عليه فلما رآه البعير جرجر ووضع جرانه ، فوقف عليه النبي صلى الله عليه وسلم فقال : أين صاحب هذا البعير؟ فجاء ، فقال : بعنيه ، فقال : لا بل أهبه لك ، فقال : لا بل بعنيه ، قال : لا بل نهبه لك انه لأهل بيت ما لهم معيشة غيره ، قال : أما اذا ذكرت هذا من أمره ، فانه شكى كثرة العمل ، وقلة العلف فأحسنوا اليه ، قال : ثم سرنا فنزلنا منزلا فنام رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاءت شجرة تشق الأرض حتى غشيته ثم رجعت الى مكانها ، فلما استيقظ ذكرت له ، فقال : هي شجرة استأذنت ربها عز وجل في أن تسلم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأذن لها . قال : ثم سرنا فمررنا بماء فأتته امرأة بابن لها به جنة ، فأخذ النبي صلى الله عليه وسلم بمنخره فقال : اخرج اني محمد رسول الله ، قال : ثم سرنا فلما رجعنا من سفرنا مررنا بذلك الماء فأتته امرأة بجزر ولبن فأمرها أن ترد الجزر وأمر أصحابه فشربوا من اللبن ، فسألها عن الصبي ، فقالت: والذي بعثك بالحق ما رأينا منه ريبا بعدك) (٢)

---

(١) سنن الترمذي : كتاب المناقب، باب٦ ، ٥/ ٣٦٢٨ . ومعنى العذق : العذق بالفتح : النخلة . وبالكسر : العرجون بما فيه من الشماريخ . ويجمع على عذاق . انظر : النهاية في غريب الحديث والأثر ج ٣ ص١٩٩ .

(٢) مسند الامام احمد ج ٤ ص ١٧٣ .

بعير يسنى عليه : يستقى عليه . انظر النهاية في غريب الحديث والاثر ج٢ ص٤١٠ .

الجران : باطن العنق . انظر المصدر نفسه ج ١ ص ٢٦٣ .

المنخر : ثقب الأنف . انظر المصدر نفسه ج ٥ ص ٣٢ .

الجزر : الجزور: البعير ذكرا كان أو انثى والجمع جزر ، وجزائر . انظر المصدر نفسه ج ١ ص ٢٦٦ .

والمعجزات كثيرة منها كذلك معجزة الإسراء ، والمعراج ، وقد تحدث عنها القرآن وأجمع جمهور المسلمين على أنها كانت بالجسد والروح معا .

ومنها معجزة انشقاق القمر ، وقد تحدث القرآن عنها وذلك في قوله تعالى (اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ ، وإن يَرَوا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ)(١) .

ومنها معجزة تكليم الشاة المصلية المسمومة له ،وهي الشاة التي سمتها امرأة مشكم بن سلام اليهودية وقد متها له عليه الصلاة والسلام فمضغ لقمة منها فلم يسغها ، فألقاها قائلا : ان هذا العظم يحدثني أنه قد سم . والحديث رواه البخاري .

هذا قليل من كثير نذكره لمحمد صلى الله عليه وسلم من المعجزات التي أظهرها الله على يديه ،واستوفت شرائط الاعجاز ودلت بذلك على صدقه في دعوى الوحي من الله تعالى سواء استدل بها صلى الله عليه وسلم أو لم يستدل .

غير أن أكبر معجزة للنبي صلى الله عليه وسلم لا يزال التحدى بها قائما الى يوم القيامة ، ولا تزال دلالتها بذلك على صدقه قائمة الى يوم القيامة ،انما هو القرآن وهو ما سنخصه بالحديث في الفقرة التالية .

---

(١) سورة القمر الآية ٢ .

٥ - اعجاز القرآن ودلالته الكبرى على صدق الوحي المحمدي

القرآن الكريم هو معجزة النبي الكبرى ، وهو الوحي الذي أوحي اليه اسلوبا ومضمونا ، وهو باسلوبه ومضمونه دليل موضوعي على صحة وقوع الوحي للنبي صلى الله عليه وسلم أي دليل على صحته ككتاب سماوي . وترجع قيمة الاستدلال به على صحة وقوع الوحي للنبي صلى الله عليه وسلم الى أنه استدلال موضوعي أي يأخذ من نفس موضوع الوحي في اسلوبه ومضمونه دليلا ذاتيا ، وليس دليلا خارجيا على صحة وقوعه .

وترجع دلالة القرآن -على صدقه كوحي من الله- الى اعجازه . ووجه دلالة الاعجاز : أن العرب -وهم أهل البيان وأرباب الفصاحة - اذا عجزوا عن الاتيان بشيء منه ، بعد تحدى النبي لهم تحديا يستثيرهم ويحرك مكامن المعارضة فيهم فان ذلك يدل على أنه ليس من صنع البشر ، بل هو وحي من الله أوحاه الى نبيه -صلى الله عليه وسلم- ولا سيما اذا وضعنا في حسابنا أنهم تركوا المعارضة ولجأوا الى الحروب ، والدماء ، وما أسهل الأولى وأسلمها -لو أمكنت- اذا قيست الى ما لجأوا اليه لكنهم -كما قلنا- لم يستطيعوا مقابلة التحدي القرآني ، وأعلنوا بذلك عجزهم ، واستسلموا لاعجاز القرآن لهم . فدل ذلك على صحة وقوعه وحيا للنبي صلى الله عليه وسلم .

ووجوه اعجاز القرآن الكريم كثيرة ، وهي في مجموعها تنقسم الى قسمين [1]:

قسم يعم الناس جميعا ، وقسم يخص العرب وحدهم .

فأما القسم الذي يعم الناس جميعا فيتمثل في الآتي :

١- اخباره صلى الله عليه وسلم بالمغيبات .

٢- الاعجاز العلمي .

٣- الاعجاز التشريعي .

وأما القسم الذي يخص العرب وحدهم فيتمثل في : الاعجاز البياني في القرآن . وفيما يلي توضيح لهذه النقاط :

---

(١) انظر كبرى اليقينيات الكونية ، ص ٢٣١ ، ٢٣٢

أولا اخباره صلى الله عليه وسلم بالمغيبات :

ويتمثل فى اخباره عليه الصلاة والسلام عن المغيبات التى لم تكن قد وقعت بعد، ثم وقعت. كما أخبر تعالى فى سورة الروم: (الٓمٓ غُلِبَتِ الرُّومُ فِي أَدْنَى الأَرْضِ وَهُم مِن بَعْدِ غَلَبِهِم سَيَغْلِبُونَ فِى بِضْعِ سِنِينَ، لِلَّهِ الأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِن بَعْدُ، وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ المُؤْمِنُونَ بِنَصْرِ اللَّهِ يَنصُرُ مَن يَشَاءُ وَهُوَ العَزِيزُ الرَّحِيمُ) (١).

فقد أخبر سبحانه وتعالى بأن الروم الذين يدينون بدين النصارى سيغلبون الفرس الذين كانوا مجوسا، كما روى ذلك عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: (كان المسلمون يحبون أن تظهر الروم على فارس، لأنهم أهل كتاب، وكان المشركون يحبون أن تظهر فارس على الروم لأنهم أهل أوثان.

فذكر ذلك المسلمون لأبى بكر رضى الله عنه فذكر أبو بكر للنبى صلى الله عليه وسلم: أما انهم سيظهرون، فذكر أبو بكر لهم ذلك. فقالوا: أجعل بيننا وبينكم أجلا ان ظهروا كان لك كذا وكذا، وان ظهرنا كان لنا كذا وكذا، فجعل بينهم أجل خمس سنين، فلم يظهروا. فذكر ذلك أبو بكر للنبى صلى الله عليه وسلم فقال: ألا جعلته دون العشرة، فظهرت الروم بعد ذلك يوم بدر) (٢).

لقد كانت هذه الآية برهانا لمن هو فى ريب من القرآن على صدق تنزيله، فمن المحال على بشر عاقل أن يربط مصير دعوته بصراع متقلب الأحداث والمفاجآت كصراع الروم والفرس، فما كانت هذه النبوة الا تنزيلا ممن بيده مقاليد السموات والارض.

---

(١) سورة الروم الآيات ١ - ٥ .

(٢) سنن الترمذى: كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة الروم ٥ / ٣١٩٣-٣١٩٤ ومسند الامام أحمد ج ١ ص ٢٧٦، ص ٣٠٤ .

وذكر المؤرخون أنه بدأت انتصارات الفرس على الروم فى سنة (٦١٤م) فقد استولوا على دمشق فى هذه السنة، ثم خربوا بيت المقدس، واستولوا على الصليب الحقيقى فى سنة ٦١٥م ثم اخضعوا مصر سنة ٦١٦م وصاروا على بعد ميل من القسطنطينية فى سنة ٦١٧م ثم استعاد الروم سلطانهم وتوالت الانتصارات لصالحهم بدءا من سنة ٦٢٢م الموافقة للسنة الأولى للهجرة النبوية .

ومما تحقق وقوعه أيضا قوله تعالى : (لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِن شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُؤُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ)(1)

وقد تحقق هذا الوعد فى السنة السابعة للهجرة الشريفة بعد أن ردهم المشركون عن مكة فى نهاية السنة السادسة للهجرة كما جاء فى سياغ المعاهدة التى أبرمت بين النبى صلى الله عليه وسلم والمشركين : (هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله ، سهيل بن عمرو ، اصطلحا على وضع الحرب عن الناس عشر سنين يأمن فيهن الناس، ويكف بعضهم عن بعض، على أنه من أتى محمدا من قريش بغير اذن وليه رده عليهم ، ومن جاء قريشا ممن مع محمد لم يردوه عليه ، وأن بيننا عيبة مكفوفة ، وانه لا اسلال ، ولا اغلال ، وأنه من أحب أن يدخل فى عقد محمد وعهده دخل فيه ، ومن أحب أن يدخل فى عقد قريش وعهدهم دخل فيه) .(2)

وزاد البخارى : (فقال له النبى صلى الله عليه وسلم على أن تخلو بيننا وبين البيت نطوف به . قال سهيل : والله لا تتحدث العرب أنا أخذنا ضغطة ، ولكن ذلك من العام المقبل) .(3)

---

(1) سورة الفتح الآية ٢٧

(2) مسند الامام أحمد ج ١ ص ٣٤٢ .
والسيرة النبوية لابن هشام ج ٣ ص ٢٠٣ .
عيبة مكفوفة : أى بينهم صدر نقى من الغل والخداع ، مطوى على الوفاء بالصلح ، والمكفوفة : المشدودة . انظر النهاية فى غريب الحديث والاثر ج ٣ ص ٣٢٧ .
الاسلال : الرشوة والسرقة الخفية . والاغلال : الخيانة . والمعنى أنه لا خيانة ولا سرقة ، ويقال : ولا رشوة . انظر الصحاح للجوهرى ج ٥ مادتى (سلل) ، (غلل) .

(3) صحيح البخارى كتاب الصلح ، باب كيف يكتب (هذا ما صالح فلان بن فلان ، فلانًا بن فلان) ٥ / ٢٦٩٩
أخذنا ضغطة : أى عصرا وقهرا . تقول أخذت فلانا ضغطة ، بالضم اذا ضيقت عليه لتكرهه على الشئ .
انظر النهاية فى غريب الحديث والاثر ج ٣ ص ٩٠ .

ورغم ما يظهر من الضيم في المعاهدة للمسلمين فان الله قد وعد رسوله الفتح المبين. وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يؤكد ذلك بقوله: (لا يسألونى خطة يعظمون فيها حرمات الله الا أعطيتهم اياها)(١).

وقد أكد ذلك مراراً لسيدنا عمر بن الخطاب كما حكى عن نفسه فيما يرويه البخاري: (فقال عمر رضي الله عنه فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت: ألست نبي الله حقا؟ قال: بلى. قلت: ألسنا على الحق، وعدونا على الباطل؟ قال: بلى. قلت: فلم نعطى الدنية في ديننا اذن؟ قال: انى رسول الله ولست أعصيه، وهو ناصرى. قلت: أولست كنت تحدثنا أنا سنأتى البيت فنطوف به؟ قال: بلى، أفأخبرتك أنا نأتيه العام؟ قال: قلت: لا. قال: فانك آتيه ومطوف به)(٢).

وقد تحقق ذلك بالفعل - كما قلنا سابقا - فصدق ما وعد الله به نبيه والمؤمنين في قوله تعالى: (لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِن شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُؤُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ)(٣).

وتحقق كذلك قوله تعالى: (وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ، وَيُرِيدُ اللَّهُ أَن يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ)(٤).

---

(١) صحيح البخاري: كتاب الشروط، باب الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب ٥/٢٧٣١-٢٧٣٢. ومسند الامام احمد ج ٤ ص ٣٢٩

(٢) صحيح البخاري: كتاب الشروط، باب الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب ٢٧٣١-٢٧٣٢ . وصحيح مسلم: كتاب الجهاد والسير، باب صلح الحديبية في الحديبية ١٧٨٥/٣ . والدنية: النقيصة، والحالة الناقصة والخصلة المذمومة. انظر النهاية في غريب الحديث والأثر ج ٢ ص ١٣٧ .

(٣) سورة الفتح الآية ٢٧

(٤) سورة الانفال الآية ٧

وكان هذا الاخبار قبل غزوة بدر الكبرى ، وتحقق وعد الله فانتصروا على المشركين وغنموا منهم مغانم كثيرة على الرغم من قلة عدد المسلمين وذلتهم ، وكثرة عدد المشركين بالنسبة لهم .

وقد أكد الرسول صلى الله عليه وسلم هذا الوعد بعد النصر حين خاطب أصحاب القليب من المشركين ، فقال : (ياأهل القليب ، هل وجدتم ما وعدكم ربكم حقا ؟ فانى قد وجدت ما وعدنى ربى حقا . قالت - أى عائشة أم المؤمنين - رضى الله عنها فقال له أصحابه : يا رسول الله ، أتكلم قوما موتى ؟ فقال لهم : لقد علموا أن ما وعدهم ربهم حقا)(١)

ولقد تنبأ القرآن بمقتل زعيم قريش الوليد بن المغيرة بضربة حدد موقعها على أنفه ، وذلك بعد أن فضح أصله ، وكشف سرائر نفسه فقال مخاطبا الرسول صلى الله عليه وسلم : (وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُون ، وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَهِينٍ ، هَمَّازٍ مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ ، مَنَّاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ، عُتُلٍّ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ ، أَنْ كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ سَنَسِمُهُ عَلَى الْخُرْطُومِ)(٢)

قال ابن عباس رضى الله عنهما فى قوله تعالى : (سَنَسِمُهُ عَلَى الْخُرْطُومِ) : يقاتل يوم بدر فيخطم بالسيف فى القتال .(٣)

وقال أبو عبيدة وأبو زيد والمبرد : الخرطوم : الأنف .(٤)

ثم تمضى السنون ثلاث عشر سنة أو نحوها ، واذا بالوليد ابن المغيرة يقتل فى غزوة بدر بضربة على أنفه .

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام ج ٤ ص٢٠٤

(٢) سورة القلم الآيات من ٩-١٦ .

(٣) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ج ٧ ص ٨٦ .

(٤) فتح القدير لمحمد بن على الشوكانى ج ٥ ص ٢٦٩ .

وقد أكثر الرسول صلى الله عليه وسلم من مثل هذه الأخبار المستقبلية . قال حذيفة بن اليمان : قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم مقاما ما ترك شيئا يكون من قيامه ذلك الى قيام الساعة الا حدثه ، حفظه من حفظه ، ونسيه من نسيه ، قد علمه أصحابي هؤلاء ، وانه ليكون منه الشيء قد نسيته ، فأراه فأذكره ، كما يذكر الرجل وجه الرجل اذا غاب عنه ، ثم اذا رآه عرفه) .(١)

وكما لا يأتيه الباطل في الأخبار المستقبلية ، كذلك لا يأتيه الباطل في أي خبر تاريخي من أنباء الغيب التي ضاعت صورتها الحقيقية من أخلاط التاريخ القديم للأمم السابقة ، كما أخبر عن آدم ونوح وهود وصالح وابراهيم وموسى وعيسى وغيرهم من الأنبياء والرسل وما جرى بينهم وبين أقوامهم اشار القرآن الى هذا الدليل في عدة مواضع من ذلك قوله تعالى : (ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ اليكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِم إِذْ يُلْقُونَ أَقْلامَهُم أَيُّهُم يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِم إِذْ يَخْتَصِمُونَ) .(٢)

فهذه الآية كما يقول مالك بن نبي : (تعطي الوحي معنى كشف المغيب ، مغيب محدد تماما ، يضم التفاصيل المادية لمشهد روحي خالص ، ويضم أيضا واقعا معينا هو : (القاء الأقلام) .

ولقد وضع هذا المغيب المكشوف تحت نظر النبي صلى الله عليه وسلم مايشبه المقياس الذي يتيح له أن يفصل ما هو شخصي بالنسبة ، لأفكاره ومكاشفاته العادية عما لا يتصل بشخصه ، فهو صادر عن الوحي) .(٣)

---

(١) متفق عليه : صحيح البخاري كتاب القدر ، باب (وكان أمر الله قدرا مقدورا) (١١ / ٦٦٠٤ . وصحيح مسلم : كتاب الفتن باب اخبار النبي صلى الله عليه وسلم فيما يكون الى قيام الساعة ٤ / ٢٨٩١ .

(٢) سورة آل عمران الآية ٤٤

(٣) الظاهرة القرآنية لمالك بن نبي ص ١٧٠ .

وقال فى الاشارة الى هذا النوع من أنواع ذكر المغيبات الماضية التى لم يكن للرسول صلى الله عليه وسلم ، ولا لقومه علم بها . قال بعد روايته لقصة نوح عليه السلام (تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ)(١).

وقال بعد ذكره لقصة يوسف عليه السلام: (ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ)(٢).

وقال بعد ذكره لقصة موسى عليه السلام: (وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَا إِلَى مُوسَى الْأَمْرَ وَمَا كُنْتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ ، وَلَكِنَّا أَنْشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ ، وَمَا كُنْتَ ثَاوِيًا فِي أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَلَكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ، وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَكِنْ رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ لِتُنْذِرَ قَوْمًا مَا أَتَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ)(٣)

والجانب الغربى هو المكان الواقع فى شق الغرب ، وهو المكان الذى وقع فيه ميقات موسى عليه السلام من الطور ، وكتب الله فى الألواح ، والأمر المقضى الى موسى عليه السلام ، الوحى الذى أوحى اليه ، والخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم يقول : (وما كنت حاضرا المكان الذى أوحينا فيه الى موسى عليه السلام ، ولا كنت من جملة الشاهدين للوحى اليه ، أو على الموحى اليه .. لأن الشاهد لابد وأن يكون حاضرا ، وهم نقباؤه الذين اختارهم للميقات)

وقال ابن عباس رضى الله عنهما فى قوله تعالى : (وما كنت من الشاهدين) : التقدير: لم تحضر ذلك الموضع ، ولو حضرت فما شاهدت تلك الوقائع ، فانه يجوز أن يكون هناك ، ولا يشهد ولا يرى)(٤).

---

(١) سورة هود الآية ٤٩ .

(٢) سورة يوسف الآية ١٠٢ .

(٣) سورة القصص الآيات من ٤٤ - ٤٦ -

(٤) التفسير الكبير للامام الرازى الجزء ٢٤ ص ٢٥٧ .

فاذا لم يكن الرسول صلى الله عليه وسلم موجودا خلال الأحداث التي مرت بهؤلاء الأنبياء الكرام، وهذا أمر بدهي، واذا كانت البيئة التي عاش فيها النبي صلى الله عليه وسلم منقطعة عن المعرفة بهذه الأحداث - كما ذكرنا من قبل - اذا كان الأمر كذلك، ثم جاء النبي صلى الله عليه وسلم بالتفاصيل الدقيقة لهذه الأحداث عن غير شهادة، أو معلم من البشر: (وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ)(١).

أو قراءة من كتاب: (وَمَا كُنتَ تَتْلُو مِن قَبْلِهِ مِن كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لَّارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ)(٢).

اذا كان الأمر كذلك، فان ذلك يدل على أنه انما جاء بها عن وحي الهي صادق، ودل ذلك كله على صحة وقوع الوحي للنبي صلى الله عليه وسلم بهذه الأنباء المغيبة، وبغيرها مما أعلن أنه جاءه بطريق الوحي عن الله عز وجل.

كما كان عليه الصلاة والسلام يخبر عن الأخبار المغيبة التي وقعت في حينها كما أخبر بموت النجاشي في نفس اليوم الذي مات فيه. فعن أبي سلمة بن عبد الرحمن وابن المسيب، أن أبا هريرة رضي الله عنه أخبرهما: (أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نعى لهم النجاشي صاحب الحبشة(٣) في اليوم الذي مات فيه، وقال: استغفروا لأخيكم)(٤).

---

(١) سورة النحل الآية ١٠٣.
(٢) سورة العنكبوت الآية ٤٨.
(٣) وقعت وفاة النجاشي ملك الحبشة بعد الهجرة سنة تسع عند الأكثر، وقيل سنة ثمان قبل فتح مكة. انظر فتح الباري شرح صحيح البخاري للعسقلاني تحقيق الشيخ عبد العزيز بن باز، المجلد السابع، ص ١٩١.
(٤) صحيح البخاري: كتاب الجنائز، باب الرجل ينعى الى أهل الميت بنفسه ١٢٤٥/٣. وصحيح مسلم: كتاب الجنائز، باب في التكبير على الجنازة ٥٩١/٢.

وعن جابر رضى الله عنه قال : قال النبى صلى الله عليه وسلم حين مات النجاشى : (مات اليوم رجل صالح ، فقوموا فصلوا على أخيكم أصحمه)(١).

وقد أخبر صلى الله عليه وسلم كذلك بوفاة كسرى : فقد أورد ابن اسحاق فى السيرة النبوية عن الزهرى أنه قال : (كتب كسرى الى باذان(٢) : أنه بلغنى أن رجلا من قريش خرج بمكة يزعم أنه نبى . فسر اليه فاستتبه ، فان تاب ، والا فابعث الىّ برأسه . فبعث باذان بكتاب كسرى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فكتب اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم : (ان الله قد وعدنى أن يقتل كسرى فى يوم كذا من شهر كذا)(٣). فلما أتى باذان الكتاب توقف لينظر ، وقال : ان كان نبيا ، فسيكون ما قال ، فقتل كسرى فى اليوم الذى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم)(٤).

ومن أنباء الغيب التى أخبر بها النبى صلى الله عليه وسلم فى حينها اخباره باستشهاد قادة المسلمين الثلاثة وهم : زيد بن حارثة ، وجعفر بن أبى طالب ، وعبد الله بن رواحة ، فى معركة مؤتة ، وباستلام خالد بن الوليد الراية من بعدهم فى نفس اليوم الذى وقع فيه ذلك الحدث .

---

(١) أخرجه البخارى فى كتاب مناقب الأنصار ، باب موت النجاشى ٧ / ٣٨٧٧ .
أصحمه : الأصحم : الأسود الذى يضرب الى الصفرة . انظر الصحاح للجوهرى ج ٥ مادة (صحم) .

(٢) باذان هو عامل كسرى باليمن خلفا لابن التينجان ، ولم يزل باذان عليها حتى بعثه الرسول صلى الله عليه وسلم ، وقد أسلم باذان باليمن سنة عشر ، وفيها بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الى أبناء الفرس الذين استوطنوا اليمن يدعوهم الى الاسلام منهم وهب بن منبه بن سَيْج ، وذادويه ، وفيروز اللذان قتلا الأسود العنسى الكذاب . انظر السيرة النبوية ، المصدر السابق ج ١ ص ٦٢-٦٣ .

(٣) كان مقتل كسرى حين قتله بنوه ليلة الثلاثاء لعشر من جمادى الأولى سنة سبع من الهجرة ـ نفس المصدر ص ٦٣ .

(٤) السيرة النبوية لابن هشام ج ١ ص ٦٢ ، ص ٦٣ .

قال ابن اسحاق : (ولما أصيب القوم ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما بلغني أخذ الراية زيد بن حارثة فقاتل بها حتى قتل شهيدا ، ثم أخذها جعفر فقاتل بها حتى قتل شهيدا ، قال : صمت رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى تغيرت وجوه الأنصار ،وظنوا أنه قد كان في عبد الله بن رواحة بعض ما يكرهون ، ثم قال : ثم أخذها عبد الله بن رواحة فقاتل بها حتى قتل شهيدا . ثم قال لقد رفعوا اليّ في الجنة ، فيما يرى النائم على سرر من ذهب، فرأيت في سرير عبد الله بن رواحة ازورارا عن سريرى صاحبيه ، فقلت : عم هذا ؟ فقيل لي : مضيا وتردد عبد الله بعض التردد ، ثم مضى).(١)

فإن قيل : ان الاخبار عن الغيوب الماضية لا يدل على اعجاز القرآن لاحتمال أن يقال : ان ابليس شاهد هذه الوقائع، فألقاها إليه صلى الله عليه وسلم .

والواقع أن مثل هذا القول يحمل بين طياته دليل تهافته، فمجرد الاخبار بهذه الغيوب الماضية التي لم يشهدها الرسول صلى الله عليه وسلم ، ولم يقرأها ، أو يتلقاها عن معلم -كما ذكرنا- ان مجرد اخبار النبي صلى الله عليه وسلم بهذه الغيوب مع وجود هذه القرائن يدل على صحة نبوة الرسول صلى الله عليه وسلم ،وأن ما جاء به انما هو وحي من الله عز وجل ، فهل يكون من مهمة ابليس التي يعمل لها تثبيت النبوة المحمدية ، وتقرير صحة وقوع الوحي الالهي ؟! .

ومن ناحية أخرى فان من حكم ايراد قصص الأنبياء مع أقوامهم في القرآن الكريم ، تثبيت النبي صلى الله عليه وسلم في طريق الدعوة ،وتقوية يقينه بمجيء النصر . وكذلك اعطاء الدروس العملية للمؤمنين في الثبات على الحق وتحمل أعباء الدعوة ، وتقديم الأسوة العملية في قوة الايمان ، وقوة الصبر واليقين بمجيء هذا النصر . قال تعالى (وَكُلاًّ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ).(٢)

---

(١) السيرة النبوية ج ٤ ص ١٤-١٥
وأخرج مثله البخاري في صحيحه كتاب فضائل الصحابة باب مناقب خالد بن الوليد رضى الله عنه ٣٧٥٧/٧ . والازورار : الازورار عن الشي : العدول عنه . والانحراف . انظر الصحاح للجوهري ج ٢ مادة (زور) .

(٢) سورة هود الاية ١٢٠ .

فهل لتحقيق هذه المعانى الايمانية فى نفوس النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، يسعى ابليس حتى يقوم باخبار النبى صلى الله عليه وسلم بما شاهده من أحوال الأنبياء السابقين ، وتأكيد المواقف الايمانية الصادقة التى تتجلى فى هذه الأخبار ، ولفت النظر الى ما تتضمنه تلك الأخبار من دلالة على صدق النبى صلى الله عليه وسلم فى دعوى النبوة من الله . هل يسعى ابليس لذلك كله؟ وهل هذه هى رسالته فى الحياة التى يعمل لتحقيقها عن طريق اخباره صلى الله عليه وسلم بأخبار الأنبياء السابقين .

وبمثل هذا القول نرد به على من يزعم أن انباء النبى صلى الله عليه وسلم بالامور المستقبلية ربما كان عن طريق الجن الذين يسمّعون الى أنباء الغيوب من الملأ الأعلى لينزلوا بها على قلب النبى صلى الله عليه وسلم فيعلنه وحيا الهيا اليه . وهو فى حقيقته بعض ما تلقفته الشياطين من أنباء السماء .

والواقع أن الجن لا يعملون لتحقيق الغايات الايمانية الذى تترتب على اخبار النبى صلى الله عليه وسلم بالمغيبات والتى ذكرناها آنفا . فكيف يجوز فى وَهْمِ واهِمٍ أنهم يجهدون أنفسهم فى تسمّع أنباء الغيب من السماء ليلقوها اليه صلى الله عليه وسلم وهم يعلمون ما يتضمنه ذلك الالقاء من المعانى التى لا يرضونها ، ولا يعملون لها .

زد على ذلك أننا اذا أخذنا فى اعتبارنا دلالات الاعجاز القرآنى الأخرى على صحة الوحى القرآنى ، فاننا نقطع بأن الجن اصبحوا بعد البعثة المحمدية فى معزل عن السماء ، وأنبائها حيث قطع القرآن بذلك ، فقال على لسان الجن : (وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَن يَسْتَمِعِ الآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَاباً رَصَداً) (١)

ومن ثم فلا مجال للجن بعد البعثة المحمدية فى التعرف الى أنباء الغيوب فضلا عن تعريف الغير بها .

---

(١) سورة الجن الآية رقم ٩ .

وغاية القول فى هذا المقام ، أن اخبار النبى صلى الله عليه وسلم بالغيوب الماضية والحاضرة ،والمستقبلة المقرون بدعوى الوحى عن الله عز وجل ، وبقرائن أحوال النبى صلى الله عليه وسلم -التى ذكرناها سابقا- . كل ذلك يدل على أن هذه الأنباء غيب أوحاه الله اليه ،وليس معرفة ذاتية له ، لأن الغيب بيد الله وحده ولا معرفة تلقّاها عن غيره من البشر لأن أحدا لم يشهد ما أخبر به من الغيوب فى الماضى ، أو الحاضر. ولا طريق له الى معرفة الغيوب فى المستقبل ، ولا تلقاها كذلك عن الجن ، لأن الجن والشياطين لا يعملون على تثبيت الايمان فى الارض. وليس كذلك معرفة تلقاها عن الملائكة أحاطوها به من تلقاء أنفسهم لأن الملائكة لا يؤيدون أدعياء الوحى عن الله . بل ما أخبر به الرسول صلى الله عليه وسلم من أخبار الغيوب انما هو وحى من الله يدل بذاته على ذلك ، ويدل على صحة الوحى الى الانبياء بغيره من العقائد والعبادات والاحكام .

ثانيا : الاعجاز العلمي

نعتقد أن في القرآن الكريم حقائق علمية كثيرة ، وأسرار الهية بالغة قد تخفى علينا حينا من الدهر . ويكشف عنها العلم والبحث اللذان ما فتئا يكشفان الجديد بين الفينة والأخرى ، الى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

فمما كشف الله لنا : حقيقة تناقص الضغط الجوى والأوكسجين مع الارتفاع:

يقول الله سبحانه وتعالى : (وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقاً حَرَجاً كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ) (١)

فهذه الآية تقرر أن الارتفاع الى عنان السماء يصحبه ضيق الصدر والشعور بالاختناق بسبب نقص الضغط الجوى ، وكميات الأوكسجين التى تستقبلها الرئتان . فكلما صعد الانسان قدما فى السماء صار الهواء قليل الضغط والكثافة ،والعكس صحيح . وعلة ذلك أن الانسان يستجيب للضغط الواقع عليه ، وبطبيعة الحال تضغط كل طبقة على ما تحتها . وعند سطح الأرض تبلغ مقادير هذا الضغط وزن كيلو جرام واحد على السنتمتر المربع . .

وهذه الحقيقة ليس من السهل تقريرها عمليا الا اذا صعد الانسان فعلا في الجو. وكان الناس حتى عهد قريب يظنون أن الهواء الجوى يمتد بكامل صفاته الى القمر ، بل والى أعماق الفضاء . (٢)

وقد قرر القرآن الكريم قبل أربعة عشر قرنا من الزمان حقيقة : أن السحاب الممطر انما تثيره الرياح وقد كانت الفكرة السائدة فى الأوساط القديمة أن المطر انما يأتى من ماء مخزون فى السماء عندما تفتح الألهة الأبواب والنوافذ .

---

(١) سورة الأنعام الآية ١٢٥ .

(٢) انظر القرآن والعلم تأليف الدكتور محمد جمال الدين الفندى . دار المعرفة القاهرة ـ الطبعة الأولى ١٩٦٨م ص ١٢٢-١٢٣ .

قال تعالى: (اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَاباً فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ)(١) .

وقال تعالى: (وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْراً بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّى إِذَا أَقَلَّتْ سَحَاباً ثِقَالاً سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ)(٢) .

لقد كشف القرآن الكريم ما لم يتوصل العلم اليه الا حديثا : من أن البخار الموجود في شكل ذرات في الهواء (هو الذي يكون السحب، ويعطي المطر عند ما تندفع تيارات الهواء الى أعلى وتبرد تحت تأثير الانتشار بتقليل الضغط الواقع عليها بالارتفاع .

ويسمى هذا التبريد علميا باسم التبريد الذاتي (أي منه فيه) ، وهو يفسر المبدأ الذي تعمل به ثلاجات الكهرباء . وتبلغ قيمة التبريد الذاتي في الهواء الصاعد الذي لا يحدث فيه التكاثف درجة واحدة سنتجراد لكل مائة متر، فاذا ما حدث التكاثف بسبب التبريد تهبط قيمة معدل التبريد الذاتي الى ٦٥ر٠ درجة سنتجراد لكل مائة متر .

والمعروف علميا أن قدرة الهواء على حمل بخار الماء تقل بانخفاض درجة الحرارة ، وباستمرار التبريد يحدث التشبع ويعود جزء من بخار الماء العالق في الهواء الى حالة السيولة ، (نقط ماء) أو حالة الصلابة (بلورات ثلج) ويتم هذا التكاثف عادة على جسيمات خاصة يحملها الهواء تسمى علميا باسم (نوى التكاثف) وأغلبها مساحيق دقيقة تذوب في الماء أو تمتصه ، مثل ملح الطعام ، وكلوريد الكالسيوم ، وثاني أوكسيد الكبريت . وتتجمع جزئيات بخار الماء على هذه النوى مكونة نقطا دقيقة جدا لا تلبث أن تنمو بالتصادم والالتصاق مع بعضها البعض)(٣) .

---

(١) سورة الروم الآية ٤٨ .
(٢) سورة الأعراف الآية ٥٧ .
(٣) القرآن والعلم ص ١٠٩ - ١١٠ .

ومن الكشف العلمى والاعجاز القرآنى أيضا ، ما جاء بشأن علم الأجنة . فقد ثبت أن ما وصل اليه الطب والعلم فى علم الأجنة حديثا جاء به القرآن الكريم ، فخلق الانسان ، وكيفية هذا الخلق ، ومكان النطفة فى الجنين ، وأغشية الجنين ، وتطورات شكله . كل ذلك قد سبق القرآن العلم اليه . من ذلك قوله تعالى : (وَلَقَدْ خَلَقْنَا الانِسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِن طِينٍ ، ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَكِينٍ ، ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا العَلَقَةَ مُضْغَةً ، فَخَلَقْنَا المُضْغَةَ عِظَاماً ، فَكَسَوْنَا العِظَامَ لَحماً ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقاً آخَرَ ، فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الخَالِقِينَ)[(١)]

وقال تعالى : (خَلَقَكُم مِن نَفْسٍ وَاحِدةٍ ، ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا ، وَأَنْزَلَ لَكُم مِّنَ الأَنْعَامِ ثَمَانِيةَ أَزْوَاجٍ ، يَخْلُقُكُم فِى بُطُونِ أُمَّهَاتِكُم خَلْقاً مِن بَعْدِ خَلْقٍ فِى ظُلُمَاتٍ ثَلاثٍ ، ذَلِكُم اللَّهُ ربكم لَهُ المُلْكُ لَا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ) .[(٢)]

وقال تعالى : (وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُم لَا تَعْلَمُونَ شَيْئاً ، وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ والأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُم تَشْكُرُونَ) .[(٣)]

أى جعل لكم هذه الأشياء لتحصلوا بها العلم الذى كان مسلوبا عنكم .[(٤)]

فهذه الآيات قد قررت أكثر من حقيقة علمية وصل اليها العلم فى عصرنا الحديث .

فالله سبحانه وتعالى هو الذى أخرج الجنين الى عالم الأحياء . وهذا يدل على عدم استطاعة الانسان التحكم فى موعد الولادة وقد قرر العلم أنه يستحيل اطلاقا تحديد يوم الولادة بالرغم من أن فترة الحمل الطبيعية تبلغ تسعة أشهر ، وبالرغم من أن الأطباء يحتسبون فترة الحمل ٢٨٠ يوما فى المتوسط من أول أيام الحيض السابق للحمل مباشرة الا أنه لوحظ أن الولادة لا تحدد فى اليوم المرتقب

---

(١) سورة المؤمنون الآيات ١٢-١٤ .
(٢) سورة الزمر الآية ٦ .
(٣) سورة النحل الآية ٧٨ .
(٤) انظر فتح القدير ج ٣ ص ١٨٢ .

يقول الدكتور محمد وجيه مطر: (وهذا لا يعنى أن الحامل لابد أن تلد بعد هذه المدة بالضبط وانما هى قد تسبق هذا التاريخ أو تتأخر عنه بأيام قليلة...

وكذلك يقرر الطب الحديث أن الولادة نفسها عملية لا دخل لأى انسان فيها فهى عملية لا ارادية .. فعندما يصل الحمل الى نهايته ، ويشاء الله للحامل أن تلد ... ينقبض الرحم على الجنين ليطرده الى الخارج ولم يعرف الطب بعد شيئا عن هذا الانقباض، ولا عن الأجهزة التى تشرف عليه ، وما الطبيب أو القابلة الا لمساعدة الحامل فى استقبال مولودها واعداده .. وكم من ملايين الولادات تمت دون استعانة بأحد)[١]

ومن الاعجاز العلمى كذلك: (الآيات الخاصة بمملكة الحيوان . كما فى قوله تعالى: (وَإِنَّ لَكُمْ فِي الأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِ مِن بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنـــاً خَالِصاً سَائِغاً لِّلشَّارِبِينَ)[٢].

والفرث الطعام الذى تم هضمه ، وصار معدا للامتصاص ، وامكان استخلاص الصالح منه ، سواء للجسم ، أو على هيئة لبن . وتزداد فيتامينات اللبن اذا ما تغذى الحيوان على نبات غنى بها ، وتعرّض للوفير من أشعة الشمس)[٣].

وقد أثبت علماء الغرب والشرق أيضا أن من الحقائق العلمية التى جاءت فى سحر الألوان : أن تأثير اللون فى الانسان بعيد الغور(وقد أجريت تجارب - كما يذكر العالم الغربى هوارد كتشام - اتصلت عشرات الأعوام على ما للألوان من تأثير فى الانسان . وسواء أدركنا أو لم ندرك ، فان اللون يؤثّر فى اقدامنا أو احجامنا ويشعرنا بالحرارة أو البرد ، وبالسرور والكآبة ، بل يؤثر فى شخصية الرجل ، وفى نظرته الى الحياة)[٤].

---

(١) القرآن والعلم الحديث - تأليف عبد الرازق نوفل - دار الكتاب العربى بيروت ص ١٣٠ وما بعدها .

(٢) سورة النحل الآية ٦٦

(٣) القرآن والعلم ص ١١٣ .

(٤) القرآن والعلم الحديث ص ٧٣ .

وقد دامت الأبحاث والتجارب عشرات الأعوام على اللون وتأثيره وتكوينه ، وأمكن بمزج الألوان بعضها ببعض استخراج بضع مئات الألوف من الألوان . . . . . (ووصل العلماء أخيرا الى قرار قاطع بأن اللون الوحيد الذى يجلب السرور الى داخل النفس ، والانتعاش فى الفكر ، ويثير فى الانسان علامات البهجة ، وحب الحياة ، هو اللون الأخضر .

ومن أروع ما يدل على تأثير اللون الأخضر ، تلك التجربة التى أجرتها مدينة لندن على جسر بلاك فرايار الذى يعرف بجسر الانتحار اذ تقع أغلب حالات الانتحار من فوقه فغيرت لونه الأغبر القاتم الى اللون الأخضر ، فقلت حوادث الانتحار فورا الى الثلث ، ولعلها قد انعدمت نهائيا الآن ، أو فى طريقها الى العدم .

وهذا هو تأثير اللون الأخضر فى الانسان . . وهذا هو سبب خلق الله النباتات والأشجار بلون أخضر ، أو ليس ما وصلت اليه الابحاث فى العصر الحديث ، هو ما نبه القرآن الكريم الاذهان اليه) .[1]

لا شك أن الله سبحانه وتعالى قد قرر هذا قبل أكثر من أربعة عشر قرنا من الزمان - حينما قرر فى سورة الرحمن عن أصحاب الجنة اذ يقول : (مُتَّكِئِينَ عَلَى رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ) .[2]

وقال تعالى : (عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَاباً طَهُوراً)[3]

هذا قليل من كثير مما تضمنه القرآن الكريم من الحقائق العلمية التى توصل اليها العلم الحديث بعد قرون طويلة مليئة بجهود العلماء فى المعامل والمراصد فاذا لم يكن لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولا لعصره مشاركة فى مثل هذه الجهود العلمية فمن أين له المعرفة بما قرره القرآن من الحقائق العلمية الثابتة الا الا أن يكون ذلك وحيا من الله تعالى أوحاه اليه . ؟

واذا لم اكن من المتحمسين لتفسير القرآن الكريم بالنظريات العلمية الحديثة حماية له مما تتعرض له هذه النظريات من التعديل او التغيير نتيجة للبحث العلمى ، فان ذلك لا يمنع من الاستئناس بالحقائق العلمية التى تقوم على صحتها والاستدلال بذلك على ان القرآن وحى الهى .

---

(١) القرآن والعلم الحديث ص ٧٥ .

(٢) سورة الرحمن الآية ٧٦ .

ثالثا : الاعجـــاز التشـــريعـــــى

نختتم هذا القسم من الاعجاز القرآنى الذى يعم الناس جميعا بالحديث عـن التشريع الاسلامى . ولا جدال فى أن التشريع الاسلامى انما يقوم على أسس متينة لا تضعف ولا تتزعزع ، فهو تشريع مرن يفى بمتطلبات الحياة ويتجاوب تجاوبا كامـــلا وشاملا مع حاجيات الناس ومصالحهم العامة منها والخاصة ، دون أن يفرض عليهـــم عنتا أو حرجا .

هذه الشريعة لم تأت لجماعة دون جماعة ، أو لقوم دون قوم ، أو لدولة دون دولة ، وانما جاءت للناس كافة من عرب وعجم ، شرقيين وغربيين ، على اختـــــلاف مشاربهم ، وتباين عاداتهم ، وتقاليدهم ، وتاريخهم ، فهى شريعة كل أســـــرة وشريعة كل قبيلة ، وشريعة كل جماعة ، وشريعة كل دولة ، بل هـى الشريعـــــة العالمية . (١)

يقول الشهيد عبد القادر عودة : (جاءت الشريعة كاملة لا نقص فيها جامعـة تحكم كل حالة ، مانعة لا تخرج عن حكمها حالة ، شاملة لأمور الأفراد والجماعات والدول ، فهى تنظم الأحوال الشخصية والمعاملات وكل ما يتعلق بالأفراد وتنظـم شئون الحكم والادارة والسياسة ، وغير ذلك مما يتعلق بالجماعة ، كما تنظم علاقـات الدول بعضها بالبعض الآخر فى الحرب والسلم .

ولم تأت الشريعة لوقت دون وقت ، ولا لعصر دون عصر ، أو زمن دون زمـــن وانما هى شريعة كل وقت ، وشريعة كل عصر ، وشريعة الزمن كله حتى يرث اللـــه الأرض ومن عليها .

---

(١) انظر التشريع الجنائى فى الاسلام ، عبد القادر عودة ، ج ١ الطبعـــة ٣ مكتبة العروبة ص ١٦ .

وقد صيغت الشريعة بحيث لا يؤثر عليها مرور الزمن ولا يبلى جدتها ، ولا يقتضي تغير قواعدها العامة ونظرياتها الأساسية ، فجاءت نصوصها من العموم والمرونة بحيث تحكم كل حالة جديدة ، ولو لم يكن في الامكان توقعها . ومن ثم كانت نصوص الشريعة غير قابلة للتغيير والتبديل كما تتغير نصوص القوانين الوضعية وتتبدل)(١)

ومن هذه المبادئ والأصول تخرج الحياة الاسلامية بمختلف فروعها وقد مثل لذلك الشيخ المودودي بقوله : (كما ترون في الشجرة أن البذور تكون الجذر والجذر يكون الجذع ، والجذع يكون الأغصان ، والأغصان تكون الأوراق حتى تكون الشجرة باسقة ممتدة ولكن مع امتدادها وبسوقها تظل كل ورقة منها ترتبط بجذرها ارتباطا وثيقا)(٢) .

والتشريع الاسلامي في جميع مراحله وأطواره ، وفي جميع وسائله واتجاهاته انما يهدف الى الاصلاح بمفاهيمه المختلفة الخلقي منها والنفسي والفكري ، والاصلاح الاجتماعي والسياسي والقانوني بحيث تلتقي غاياته عند ايجاد مجتمع نظيف ، وشعب ناهض قوي ، واخاء عالمي يقوم على أساس مجتمع من الحب والعدل والمساواة والسلام . (٣)

من أجل هذا جاءت نصوصها أرفع من مستوى العالم كله حاضره ومستقبله . ولقد مرت على الشريعة الاسلامية أكثر من ثلاثة عشر قرنا من الزمان تغيرت خلالها الأوضاع أكثر من مرة ، وتطورت الأفكار والآراء تطورا كبيرا ، واستحدث من العلوم والمخترعات ما لم يكن يخطر على خيال انسان . ومن أجل هذا تولى الله جل شأنه وضع الشريعة وأنزلها على رسوله نموذجا من الكمال .

---

(١) التشريع الجنائي في الاسلام ج١ ص ١٦ .

(٢) نظرية الاسلام وهدية ، لأبي الأعلى المودودي ، دار الفكر ، ص ١١

(٣) انظر نظرات في الاسلام د . محمد عبد الله دراز مكتبة الهدى حلب تحقيق محمد موفق أبو اليسر ص ١٩ - ٢١ .

وقد شهد كبار رجالات القانون لسمو الشريعة المحمدية على غيرها من الشرائع السماوية والوضعية:- قال العلامة فارس الخوري : (ان محمدا أعظم عظماء العالم ولم يجد الدهر بعد بمثله ، والدين الذى جاء به أرقى الأديان وأتمها ، وأكملها ، وقد أودع شريعته المطهرة أربعة آلاف مسألة علمية واجتماعية وتشريعية ولم يستطع علماء القانون المنصفون الا الاعتراف بفضله ، وبأن مبادئه متفقة مع العقل مطابقة لأرقى النظم والحقائق العلمية)(١) .

وقال الاستاذ سليم باز المسيحى اللبنانى الذى شرح مجلة الأحكام الشرعية : (انى أعتقد بكل اطمئنان أن فى الفقه الاسلامى كل حاجات البشر من عقود ومعاملات وأقضية والتزامات ، وذلك ماثل فى الكتب المودعة بخزائن الكتب فى البلاد الاسلامية أو فى البلاد الأوربية ، فان ما فى هذه المكتبات من موسوعات الفقه الاسلامى انما هو ثمرة جهود الألوف من فحول العلماء ، وهى الشاهد الأكبر على أنه لا يوجد معنى من معانى الأحكام التى ينشد بها العدل ، ولا حاجة من حاجات البشر فى التشريع الا تقدم لفقيه مسلم قول فيها)(٢) .

ويقول و(هوكنج) الأمريكى استاذ الفلسفة بجامعة (هارفارد) فى كتابه (روح السياسة العالمية) : (انى أشعر بأننى على حق حين أقرر أن فى الشريعة الاسلامية كل المبادىء اللازمة للنهوض)(٣) .

نأتى بعد هذا الحديث عن الشريعة لنضرب بعض الأمثلة للذى قلناه :

١ - **نظرية المساواة** :

قال تعالى : (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِن ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ)(٤) .

---

(١) هذا الحصر ليس صحيحا لأن كل اكتشاف علمى جديد بعد مقالة العلامة فارس الخورى له أساس فى القرآن الكريم .

(٢) ، (٣) عقيدة ختم النبوة بالنبوة المحمدية . د . عثمان عبد المنعم ، مكتبة الأزهر ص ٦٩ ، ٧٠

(٤) سورة الحجرات الآية ١٣ .

وقد أكد النبى صلى الله عليه وسلم ذلك فى عدة مواضع كما فى قوله : (ان الله عز وجل قد أذهب عنكم عُبّيّـة الجاهلية ، وفخرها بالآباء ، مؤمن تقى ، وفاجر شقى ، أنتم بنو آدم ، وآدم من تراب) (١)

وكما روى عن حذيفة بن اليمان رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (كلكم بنو آدم ، وآدم خلق من تراب ، ولينتهين قوم يفخرون بآبائهم أو ليكونن أهون على الله تعالى من الجعلان) (٢).

وقد جاءت نظرية المساواة على الرسول صلى الله عليه وسلم وهو يعيش فى قوم أساس حياتهم وقوامها التفاضل بالمال والجاه ، والشرف واللون ، ويتفاخرون بالآباء والامهات ، والقبائل ، والأجناس ، فلم تكن الحياة الاجتماعية ، وحاجة الجماعة هى الدافعة لتقرير هذه النظرية - نظرية المساواة - وانما كان الدافع لتقريرها من وجه هو رفع مستوى الجماعة ودفعهم نحو الرقى والتقدم ، كما كان الدافع لتقريرها من وجه آخر ضرورة تكميل الشريعة بما تقتضيه الشريعة الكاملة الدائمة من مبادىء ونظريات .

واذا كانت نظرية المساواة قد عرفت فى الشريعة الاسلامية منذ أربعة عشر قرنا فان المجتمع بقوانينه الوضعية لم يعرف هذه النظرية الا فى أواخر القرن الثامن عشر ، وأوائل القرن التاسع عشر . ولم تأت هذه القوانين الوضعية بجديد حين قررت المساواة ، وانما سارت فى اثر الشريعة واهتدت بهداها . (٣)

وقد برئت الشريعة مما شاب القوانين الوضعية فى تقرير هذه النظرية من شوائب المساواة بين الرجل والمرأة فى العمل والميراث والشهادة ....الخ.

(١) سنن الترمذى : كتاب تفسير القرآن ، باب ومن سورة الحجرات ٥ / ٣٢٧٠ .
وسنن أبى داوود : كتاب الأدب ، باب فى التفاخر بالأحساب ٤ / ٥١١٦ .
عُبّيّة : بعين مهملة مضمومة بعدها باء موحدة مشددة وبعدها ياء مثناة مفتوحة مشددة ، أى فخرها وتكبرها ونخوتها . انظر النهاية وغريب الحديث حرف العين باب العين مع الباء ، وكذلك الصحاح باب الباء فصل العين .

(٢) مسند الامام أحمد ج ٢ ص ٣٦١ . الجعلان : الجعل حيوان معروف كالخنفساء يدهده النتن بأنفه . انظر النهاية فى غريب الحديث والاثر ج ١ ص ٢٧٧ .

(٣) انظر التشريع الجنائى ص ٢٦ ، ٢٧ .

فداعية يجئ بهذا فيلغى سلطان الأغنياء المتجبرين ويلغى الطبقات ، وينزع السلطان من البشر جميعا ، أغنيائهم ، وفقرائهم ، على السواء ويرده الى الله ويقدم شريعة يخضع لها الناس جميعا حكاما ومحكومين ، شريعة تتعامل مع (الانسان) من حيث هو انسان . فتلبى جميع احتياجاته الفكرية ، والسياسية ، والاقتصادية ، والاجتماعية ، والخلقية ، وترسم له المنهج المتكامل الذى تستقيم به الحياة وتتوازن وتترابط على نحو غير مسبوق من قبل بدستور من الدساتير البشرية التى يسام فيهما الرقيق أقسى أنواع المهانة والخسف.(١)

داعية كهذا يظهر فى تلك الصحراء ، فى تلك الحقبة السحيقة من الزمن بهذا الأنموذج المتفرد - لا شك - أن ذلك دليل من جملة الأدلة الكثيرة على صدق بعثته ، ووقوع الوحى اليه .

وبعد :

فأى تغير مادى ، أو اقتصادى ، أو تاريخى حدث فى الجزيرة العربية - بل فى العالم أجمع - أدى الى ظهور النبى صلى الله عليه وسلم بهذه الدعوة ؟

البيئة هى البيئة . ما تغيرت قبل بعثته صلى الله عليه وسلم ولا بعد بعثته لعدة قرون .

والوضع الاقتصادى ، هو الوضع الاقتصادى : البيئة الرعوية فى الجزيرة العربية برمتها . والبيئة التجارية فى مكة المكرمة والمدينة المنورة .

واذا نظرنا فى النظم الاجتماعية فإننا نجد أن النظم القائمة الآن والتى يدعى مفكروها أنها مخترعة نجد أن ما جاء به هذا النبى الخاتم صلى الله عليه وسلم من النظم سابقة لها بقرون عديدة . وفى نفس الوقت جاءت نظمه على نحو اسمى وارفع متجنبة ما يشوب النظم المعاصرة من الانحراف .

فقد جاء يدعو الى تكريم المرأة وتقرير حقوقها وواجباتها على الذى يمحح مسار حركة تحرير المرأة التى

---

(١) انظر : مذاهب فكرية للشيخ محمد قطب ص ٢٨٦ - ٢٨٧ بتصرف .

يدعونها ، والتى ظهرت بعد اثنى عشر قرنا من قيام الدعوة المحمدية . فقد أعطت هذه النظم المرأة بعض الحقوق التى كفلها لها الاسلام . وما زالت بعض الحقوق لم تحصل عليها الى هذه اللحظة .

وقس على ذلك : الدعوة إلى عدم التفرقة العنصرية ، والدعوة إلى الحرية . ويطول بنا المقام لو مضينا نعدد المواضع التى سبق بها الاسلام النظم الاجتماعية الحديثة .(١)

قد يبدو لنا أن لا وجه للغرابة فى أن تأخذ هذه المبادئ طريقها الى الفكر الانسانى ، ووجوده ، وهذا حق لكنا إذا نسبناها إلى عصرها الذى برزت فيه ، فإنه يبدو غريبا حقا أن يتفرد إنسان ، وينفصل انفصالا تاما عن بيئته ، ومعرفة عصره . فلا تفكيره للحدود العرقية الضيقة ، ولا للمؤثرات النفسية ، والاجتماعية ، ولو إلى حد ما حتى ليستشرف من الغايات العامة ، بل العالمية ما يستحيل أن يدور بخلد إنسان فى ذلك الحين . بل حتى ليسبق الفكر الانسانى ، فى ايجاد حلول لمشكلات مستقبلية لا وجود لها فى وطنه على نحو ما نجد فى القرآن .

هذه صورة غريبة ولا ريب .

ونحن لا ننكر أن يكون الرسول صلى الله عليه وسلم فى ذكائه ونقاء فطرته ، يستطيع أن يهتدى الى بعض قيم الحق والخير. ولكن أن يصدر عن هذا الذكاء وهذه الفطرة وحدهما هذا الكمال المطلق فى مبادئ دينية وأخلاقية واجتماعية تنظم شئون الحياة جميعا فردية واجتماعية ، نفسية ، وعملية ، بحيث تصلح به صلاحا لا مجال فيه لتصحيح أو تصويب فأمر مستحيل .(٢)

وليس لذلك كله من تفسير الا أنه وحى من الله تعالى الى ذلك النبى الأمى صلى الله عليه وسلم .

---

(١) انظر مذاهب فكرية معاصرة ص ٣٨٨-٣٩٠ وبتصرف.

(٢) انظر دراسات فى العقيدة الاسلامية والاخلاق ، تأليف لجنة من قسم العقيدة والفلسفة بكلية اصول الدين ، جامعة الأزهر ، - دفاع عن الوحى المحمدى - ص ٥٥.

٢ - **الاسلام وكرامة الفرد** :

قال تعالى: (وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً) (١).

يقول د . دراز في كتابه نظرات في الاسلام (٢): (كل انسان له في الاسلام قدسية الانسان انه في حمى محمي - ولا يزال كذلك حتى ينتهك هو حرمة نفسه ، وينزع بيده هذا الستر المضروب عليه بارتكاب جريمة ترفع عنه جانبا من تلك الحصانة ، وهو بعد ذلك برئ حتى تثبت جريمته ، وهو بعد ثبوت جريمته لا يفقد حماية القانون كلها ، لأن جنايته ستقدر بقدرها ، ولأن عقوبته لن تتجاوز حدها ، فان نزعت عنه الحجاب الذي مزقه هو ، فلن تنزع عنه الحجب الأخرى .

بهذه الكرامة يحمي أعداءه كما يحمي أبناءه وأولياءه ، انه يحمي أعداءه في حياتهم ويحميهم بعد موتهم ، يحميهم في حياتهم فيحول دون قتالهم الا اذا بدأوا بالعدوان ، ويحميهم في ميدان القتال نفسه ، اذ يؤمنهم من النهب والسلب والغدر والاغتيال ، ثم يحميهم بعد موتهم ، اذ يحرم أجسادهم على كل تشويه أو تمثيل ، لما ورد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد أن قطع الذين سرقوا لقاحه ، وسمل أعينهم بالنار ، عاتبه الله عز وجل ، فأنزل الله تعالى قوله : (إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَافٍ أَوْ يُنفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ) (٣).

---

(١) سورة الاسراء الآية ٧٠ .

(٢) نظرات في الاسلام . د . عبدالله دراز ص ١٦٦ .

(٣) سورة المائدة الآية ٣٣ .

وعن عمران بن حصين رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم (كان يحث فى خطبته على الصدقة ، وينهى عن المثلة)[١].

وذكر البخارى عن عبد الله بن زيد قال : (نهى النبى صلى الله عليه وسلم عن النهبى والمثلة)[٢].

هذا التكريم كله لأنهم أناسى ، فلهم اذن كرامة الانسان وجعلت الشريعة للانسان السيادة العالمية التى يسيطر بها على مختلف الأشياء فى البر والبحر والهواء ،قال تعالى : (وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى السَّمَوَاتِ، وَمَا فِى الأَرْضِ، جَمِيعاً مِّنْه إِنَّ فِى ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُون)[٣]. ففى هذا التسخير تكريم للانسان ، اذ لم يسخر هو لشىء منها .

٣- الاسلام دين السلام:

قال تعالى : (ادْعُ إِلى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالحِكْمَةِ والمَوعِظَةِ الحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِى هِى أَحْسَن)[٤].

وقال : (إِنَّكَ لاَ تَهْدِى مَن أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَاءُ)[٥].

وقال : (فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ لَسْتَ عَلَيْهِم بِمُسَيْطِرٍ)[٦].

---

(١) مسند الامام أحمد ج ٤ ص٤٢٩ .

(٢) أخرجه البخارى فى صحيحه :كتاب المظالم ، باب النهب بغير اذن صاحبه ٢٤٧٤/٥ . المثلى : بضم الميم ، وسكون المثلثة ،ويجوز فتح الميم وضم المثلثة وهو التمثيل . انظر النهاية فى غريب الحديث والاثر ج ٤ ص٢٩٤ . والنهبى : بضم النون . فعلى من النهب. انظر الصحاح للجوهرى ج ١ مادة (نهب) .

(٣) سورة الجاثية الآية ١٣ .

(٤) سورة النحل الآية ١٢٥ .

(٥) سورة القصص الآية ٥٦ .

(٦) سورة الغاشية الآية ٢١ .

نستبين من هذه الآيات البينات وغيرها أن الحرب ليست هى القاعدة والأساس، لا يرجعها الإسلام ، ولكن يرجعها أعداؤه بعدوانهم المسلح على دعوته السلمية ، وأنها بلا شك ضرورة تقدر بقدر أسبابها ، وعقوبة تزول بزوال الجريمة التى استوجبتها ، قال تعالى : (وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ)[١] . وقال تعالى : (وَإِن جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ)[٢] . وقال : (فَإِنِ اعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ ، وَأَلْقَوْا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا)[٣] ، (فَإِن لَّمْ يَعْتَزِلُوكُمْ وَيُلْقُوا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ وَيَكُفُّوا أَيْدِيَهُمْ فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأُولَٰئِكُمْ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا مُّبِينًا)[٤] .

ففى هذه الآيات وفى غيرها لا يرى الناظر فيها شائبة لعنف ولا لانتقام ولا اثارة من مقاومة أو اصطدام . فنخرج منها أن الاسلام هو دين الاحسان والسلام ، ولكنه احسان وسلام لا يناقضان العدل ولا يشجعان على الاجرام ، ولا يدعان الحق مكبل اليدين ، اذا أراد الباطل أن يفتك به .

لقد نظم الاسلام علائق السلم فى مواطن كثيرة قبل فكرة القانون الدولى العام بثلاثة عشر قرنا أو يزيد كما يتفق علماء التشريع[٥] فى الغرب والشرق بأن هذه الفكرة حديثة العهد ابتدعتها أوروبا فى العصر الحديث فى القرن السابع عشر الميلادى وأصبح ضرورة يحتمها التطور الجديد فى تقريب المواصلات بين أطراف الأرض واشتباك المصالح بين الامم .

---

(١) سورة البقرة الآية ١٩٠ .
(٢) سورة الانفال الآية ٦١ .
(٣)(٤)سورة النساء الآية ٩٠ ، ٩١ .
(٥) انظر نظرات فى الاسلام ، د . دراز ص ٢٠٠

فمثلا فى مجال العلاقات السياسية (١) نجد كيف أن الاسلام قد نظم علائق المسلم فى طريقة معاملته لمبعوثى أعدائه وحاملى رسائلهم ، و ممثليهم السياسيين ، وهى معاملة يحق لنا أن نقول فيها ، انها سديدة مستقيمة . فالاسلام يمنح هؤلاء نوعا من (الحصانة الدبلوماسية) . هذه الحصانة تخول لهم حرية العودة الى أوطانهم متى شاءوا ولا يدع سبيلا الى حجزهم ،والنكال بهم بحجة أنهم قوم أعداء ليسوا موالين لنا .

وقد رأينا - كما قدمنا - فى هدنة الحديبية كيف أن روح المسالمة التى كانت تعمر قلب الرسول صلى الله عليه وسلم والتى جعلته يضحى بالقابه الحربية ، وبالسمعة الحربية لجيشه ، وببعض الحقوق الفردية لأتباعه ، يتنازل عن كل هذا ، ويقول مصمما : (والله لا تدعونى قريش الى خطة يسألوننى فيها صلة الرحم الا أعطيتهم اياها) (٢) .

وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يلتزم بالعهود والالتزام بالعهود يأخذ فى نصوص القرآن طابعا خاصا من التشديد ومن القدسية بحيث يجعله فرضا دينيا بالمعنى الحقيقى فالميثاق الذى يعقده المسلم لا يرتبط به أمام الناس فحسب ،بل انه ينعقد فى الوقت نفسه بينه وبين الله تعالى ،اذ يجعل المسلم ربه شهيدا وكفيلا على عقوده والتزاماته ،ومن هنا يصبح احترام هذه الالتزامات أمرا متغلغلا فى النفوس، متصلا أوثق اتصال بعقد الايمان . قال تعالى : (وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا ۚ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ، وَلَا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِن بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَاثًا تَتَّخِذُونَ

---

(١) انظر نظرات فى الاسلام د . محمد عبد الله دراز ص ٢٠٩ .

(٢) صحيح البخارى : كتاب الشروط ،باب الشروط فى الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب ٥ / ٢٧٣١-٢٧٣٢ . مسند الامام أحمد ج ٤ ص ٣٢٣ .

أَيْمَانَكُمْ دَخَلاً بَيْنَكُمْ ، أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ ،إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ اللَّهُ بِهِ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ) .(١)

ومن السنة حادثة حذيفة وأبيه ، فقد كانا قطعا على نفسيهما لبعض الأعداء عهدا - بدون استئذان الرسول صلى الله عليه وسلم- ألا يقاتلاهم فلما جاء وقت القتال استفتيا في ذلك رسول الله ، فما كان جوابه الا أن قال :

(انصرفا: نفى لهم بعهدهم ،ونستعين الله عليهم)(٢)

ان هذا التشريع الدولي العام في الاسلام الذى سبق عصبة الأمم وجمعية الأمم المتحدة القائمة الآن بما لا يقل عن ثلاثة عشر قرنا من الزمان ،والتي تسودها روح التفرقة وعدم المساواة. هذا التشريع الدولي العام في الاسلام ، صفحة فخار تشهد له بحرصه على ايجاد علاقات طيبة مع البشر قاطبة ،لأنه الدين الانساني الخالد .

---

(١) سورة النحل الآيتان ٩١-٩٢ .

(٢) صحيح مسلم كتاب الجهاد والسير باب الوفاء بالعهد ٣ / ١٧٨٧
مسند الامام احمد ج٥ ص ٣٩٥

رابعا : الاعجاز البياني في القرآن

لئن كانت بعض جوانب الاعجاز التي قدمناها تعم الناس جميعا فان هذا الجانب من الاعجاز البياني يخص العرب قبل غيرهم لأن القرآن ما نزل الا بلغتهم ، مع ما عرف عنهم من فصاحة ، وبلاغة ، وحسن بيان .

والاعجاز البياني هو ماينطوي عليه القرآن من النظم البديع الذي لا نجده منسجما مع النثر ، ولا متفقا مع الشعر .

فالكفار حين سألوا محمدا صلى الله عليه وسلم أن يأتيهم بآية تدل على صدق دعوته ورسالته أخبرهم الله تعالى بأن هذا القرآن هو أعظم آية تدل على ما يريدون حين قال : (وَقَالُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِنْ رَبِّهِ ، قُلْ إِنَّمَا الآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ ، أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَى لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ) (١) .

ولما تمادوا في نكرانهم لآي القرآن الدالة على صدقه عليه الصلاة والسلام وأعرضوا عنه قائلين : (قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ) (٢) .

حينئذ تحداهم النبي صلى الله عليه وسلم وقطع عليهم تلك المحاولات التي تخبطوا فيها كثيرا . قال تعالى: (قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً) (٣) .

وتحداهم مرة أخرى فقال : (أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ (٤)

---

(١) سورة العنكبوت الآيتان ٥٠ ، ٥١ .

(٢) سورة الانفال الآية ٢١ .

(٣) سورة الاسراء الآية ٨٨ .

(٤) سورة هود الآية ١٣ .

ثم خفف عنهم علهم يستطيعون فقال : (قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ) (١).

ثم أكد لهم أن ذلك مستحيل فقال : (فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ) (٢).

فأي تحدٍ هذا ؟ لقد أجهز عليهم بالحكم البات المؤبد ، ثم هددهم بالنار ، وسواهم بالأحجار . فلعمرى لو كان فيهم لسان يتحرك لما صمتوا عن مقارعته ومنافسته ، وهم الأعداء الألداء ، وأباة الضيم الأعزاء . وقد أصاب منهم موضع عزتهم وفخارهم مع أن الكلام وارد بلسانهم ، ومع فصاحتهم وبلاغتهم وبيانهم وقد ثبت أن عظماءهم كانوا يمشون سرا وجهرا لاستماعه والاستمتاع بتلاوته .

ففي الحديث الذي أخرجه الحاكم عن ابن عباس رضي الله عنهما : (أنَّ الوليد بن المغيرة جاء الى النبي صلَّى اللَّه عليه وسلَّم فقرأ عليه القرآن فكأنَّه رقَّ له . فبلغ ذلك أبا جهل ، فأتاه فقال : يا عم إنَّ قومك يرون أن يجمعوا لك مالا . قال لم ؟ قال : ليعطوكه ، فإنَّك أتيت محمَّداً لتعرض لما قبله . قال - الوليد -: قد علمت قريش أني من أكثرها مالا . قال : فقل فيه قولا يبلغ قومك أنَّك منكر له ،أو أنَّك كاره له قال : وماذا أقول فواللَّه ما فيكم رجل أعلم بالأشعار منِّي ولا أعلم برجز ولا بقصيدة ولا بأشعار الجن . والله ما يشبه الذي يقوله شيئا من هذا ، والله ان لقوله الذي يقول حلاوة ، وان عليه لطلاوة ، وانه لمثمر أعلاه ، مغدق أسفله ،وانه ليعلو ، وما يعلى ، وانه ليحطم ماتحته . . .) (٣) الحديث.

وحسبك شهادة انها شهادة أهل اللغة أنفسهم بل شهادة الاعداء لعدوهم . وصدق الشاعر حين قال :

---

(١) سورة يونس الآية ٣٨

(٢) سورة البقرة الآية ٢٤

(٣) أخرجه الحاكم فى المستدرك ، الناشر مكتبة ومطابع النصر الحديثة بالرياض كتاب التفسير ج ٢ ص ٥٠٦ - ٥٠٧ .
وللحديث بقية وهى أن أبا جهل الحّ على الوليد ، وقال له : لا يرضى عنك قومك حتى تقول فيه . فقال الوليد دعنى أفكر . فلما فكر قال : هذا سحر يأثره عن غيره وفى ذلك نزل قوله تعالى : (ذرني ومن خلقت وحيدا ، وجعلت له مالا ممدودا ، وبنين شهودا ، ومهدت له تمهيدا ، ثم يطمع أن أزيد ، كلا انه كان لآياتنا عنيدا سأرهقه صعودا ، انه فكر وقدر ، فقتل كيف قدر ، ثم قتل كيف قدر ، ثم نظر ، ثم عبس وبسر ،

وإذا لم تر الهلال فسلم * لأناس رأوه بالأبصار (١)

فاقتدار العرب على الفصاحة والبلاغة والبيان أمر لا ينكر كما لا ينكر حرصهم على دفع نبوته صلى الله عليه وسلم ورده بكل ممكن حماية لدينهم ودمهم ومالهم تخلصا من سطوة المسلمين وقهرهم. كما لا ينكر أيضا محاولاتهم المتكررة وعجزهم لأنهم لو قدروا لفعلوا فإن العادة قاضية بالضرورة بأن القادر على دفع الهلاك عن نفسه يشتغل بدفعه ولو فعلوا ذلك لظهر ونقل. (٢)

فانصرافهم عن المعارضة المثلية المنطقية لم يكن إلا بصرف من الله تعالى، والصرف عن المقدور المعتاد من أعظم وأدل الدلالات على صدق رسالته عليه الصلاة والسلام.

ثم أدبر واستكبر، فقال: ان هذا إلا سحر يؤثر، ان هذا إلا قول البشر) سورة المدثر الآيات من (١-٢٥).
ومعنى الطلاوة: الحسن، والقبول. انظر الصحاح للجوهري ج٦ مادة (طلا)
ومغدق: الغدق بفتح الدال: الكثير. والمغدق: مفعل منه، أكده به.
انظر النهاية في غريب الحديث والأثر ج ٣ ص ٣٤٥.

(١) انظر النبأ العظيم للدكتور محمد عبد الله دراز ص ٩٣.

(٢) انظر الاقتصاد في الاعتقاد للإمام الغزالي، تقديم الدكتور: عادل العوا دار الأمانة ص ١٩٥ وما بعدها.

- ب -

القرآن الكريم باعتباره وحيا إلهيــــــــا

بعد أن أثبتنا بالأدلة القطعية وقوع الوحي الى النبي صلى الله عليه وسلم يجد ربنا أن نتناول في عرض موجز نزول القرآن الكريم باعتباره موضوعا لهذا الوحي من حيث هو كتاب موحى به من الله، محفوظ من التحريف والتبديل .

نزول القرآن :

القرآن اسم لما بين الدفتين من كلام الله، نزل وحيا من الله تعالى بألفاظه ومعانيه جميعا . فليس القرآن مجرد معان عبر عنها الرسول صلى الله عليه وسلم بألفاظه ولكن ألفاظه هي الأخرى نزل بها جبريل عليه السلام . وقد جاء في ذلك قوله تعالى : (وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَسْتُورًا)(١) . وقوله تعالى : (وَيْلٌ لِكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ، يَسْمَعُ آيَاتِ اللَّهِ تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَنْ لَمْ يَسْمَعْهَا)(٢) . وقوله تعالى : (وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ)(٣) .

فهذه الآيات جميعها تشير إلى أن القرآن الكريم وآياته شيء يقرأ ويسمع ويتلى ، ولا شك أن هذه أعراض الألفاظ لا المعاني ، فإنَّ ما يسمع ويتلى ويقرأ انما هو اللفظ لا المعنى(٤) .

وقد وصف القرآن بأنه عربي . والمعاني لا توصف بالعربية أو العجمية ، وانما توصف بذلك الألفاظ . فدل ذلك على أن الفاظ القرآن العربية نزل بها الوحي ، كما نزل بمعانيها وفي ذلك يقول الله تعالى: (إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ)(٥)

---

(١) سورة الاسراء الآية ٤٥ .
( ) سورة الجاثية الآية ٨ .
(٣) سورة براءة الآية ٦ .
(٤) انظر كتاب الوحدة الموضوعية في القرآن الكريم تأليف . محمد محمود حجازي دار الكتب الحديثة ١٣٩٠ هـ ص ٧٤ .
(٥) سورة يوسف الآية ٢ .

ويقول : (إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرآناً عَرَبياً لَعَلَّكُم تَعْقِلُون)(١).

والكتاب الذى يكتب انما هو اللفظ العربى المقروء. قال تعالى: (الحَمْدُ لِلّهِ الذى أَنزَلَ عَلَى عَبدِهِ الكِتَابَ وَلَم يَجْعَل لَهُ عِوَجاً)(٢).

فهذه النصوص جميعها تدل على أن القرآن الكريم يتلى ويسمع ويكتب، وهو بلسان عربى مبين .

علاوة على أن الترتيل لا يأتى الا للألفاظ كقوله تعالى: (وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً)(٣).
وقوله تعالى : (إِنَّا سَنُلْقِى عَلَيكَ قَولاً ثَقِيلاً)(٤). فهذا القول ليس مجرد معنى وانما بالألفاظ .

وقد بقى هذا القرآن المنزل بألفاظه ومعانيه ، فى حرز حريز انجازا لوعد الله الذى تكفل بحفظه حيث يقول (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ ، وإِنَّا لَهُ لَحَافِظُون)(٥).

والنزول فى اللغة : الترتيب.

وأنزله واستنزله بمعنى .

والتنزيل : النزول فى مهلة.(٦)

والنزول فى اللغة يطلق أيضا ويراد به الحلول فى المكان ، ويطلق ويراد به انحدار الشىء من علو الى أسفل كانزال الغيث، وانزال الكتب، وتنزل الملائكة . ومن الانزال ما يكون مجازاً كنزول مكروه ، ونزول البركة من السماء.(٧)

ونزول القرآن يتضمن من هذه المعانى اللغوية : الانحدار من أعلى والترتيب حيث ينزل به ملك الوحى من السماء مرتبا ترتيبا خاصا .

---

(١) سورة الزخرف الآية ٣ .
(٢) سورة الكهف الآية ١ .
(٣) سورة الفرقان الآية ٣٢ .
(٤) سورة المزمل الآية ٥ .
(٥) سورة الحجر الآية ٩ .
(٦) انظر الصحاح للجوهرى ج ٥ ص ١٨٢٨ باب اللام فصل النون . مادة نزل
(٧) انظر أساس البلاغة تأليف جار الله ابى القاسم الزمخشرى ج ٢ الطبعة الثانية دار الكتب المصرية ١٩٧٣م ص ٤٣٦ باب النون مع الزاى . وكذلك لسان العرب ج ١٤ ص ١٧٩ وما بعدها ، فصل النون حرف اللام .

(والانزال حقيقة ـ كما يقول ابن القيم ـ مجيء الشيء أو الاتيان به من علو الى أسفل هذا هو المفهوم منه لغة ، وشرعا كقوله تعالى (وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبَارَكًا)[1] وقوله (تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا)[2] ، وقوله (نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ)[3] وقد أخبر الله تعالى أن جبريل نزل بالقرآن من الله وأنه (تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ)[4] وتواترت الروايات عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بنزول الرب تبارك وتعالى كل ليلة الى سماء الدنيا)[5] وفي هذا رد على ما ادعاه المعطلة[6] من أن كل ذلك مجاز ، وأن المراد بالتنزيل مجرد ايصال الكتاب ، وبالنزول الاحسان والرحمة.[7]

وقد فسر البعض نزول القرآن الكريم بمعان أخرى كالجهمية[8] مثلا الذين فسروا النزول بمعنى الخلق ،انطلاقا من مذهبهم القائل بحدوث القرآن.[9]

ولكن الذى عليه السلف والخلف أن الانزال على ثلاث درجات.[10]

---

(١) سورة ق الآية ٩ .

(٢) سورة القدر الآية ٤ .

(٣) سورة الشعراء الآية ١٩٣ .

(٤) سورة فصلت الآية ٤٢ .

(٥) مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة للامام ابن قيم الجوزية ج ٢ ص ٢١٧ - ٢١٨ .

وقد ذكر الامام ابن القيم الجوزية أن عدد رواة هذا الحديث بلغ ثمانية وعشرين نفسا من الصحابة . انظر المصدر نفسه ج ٢ ص ١٢٢ .

(٦) هم الذين ينفون عن الله تعالى ما وصف به نفسه وبما وصفه أعرف الناس به: رسول الله صلى الله عليه وسلم . انظر شرح العقيدة الطحاوية ٥٨٧ .

(٧) مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة ص ٢١٨

(٨) الجهمية: هم المنتسبون الى جهم بن صفوان السمرقندى ، وهو الذى أظهر نفي الصفات ، والتعطيل . وقد أخذ ذلك عن الجعد بن درهم الذى ضحى به خالد بن عبد الله القسرى وكان يقول بخلق القرآن ، وأن علم الله محدث فيما يحكي عنه . انظر: مقالات الاسلاميين واختلاف المصلين للامام أبي الحسن الاشعرى ، دار احياء التراث العربي بيروت . ص٢٧٩-٢٨٠ .

(٩) المرجع نفسه ص ٢٨٠

(١٠) انظر مجموع الفتاوى لابن تيمية المجلد ١٢ ص ٢٤٧ - ٢٥٧ .

انزال مطلق كما جاء فى انزال السكينة فى قوله تعالى : (فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ)[(١)] وقوله : (هُوَ الَّذِي أَنزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ)[(٢)] .

وقال النبى صلى الله عليه وسلم : (من طلب القضاء واستعان عليه وكل اليه ، ومن لم يطلب القضاء ، ولم يستعن عليه ، أنزل الله عليه ملكا يسدده)[(٣)]

وانزال مقيد بالسماء كقوله تعالى : (وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً)[(٤)] ، والسماء اسم جنس لكل ما علا فاذا قيد بشىء معين تقيد به . ثم قد بينه فى موضع آخر بقوله : (أَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنزِلُونَ)[(٥)] ، وقوله : (فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ)[(٦)] .

وانزال مقيد بأنه منه ، ولم يرد هذا الا فى القرآن كما قال تعالى : (وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ)[(٧)] وقال : (قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ)[(٨)] ، وقال : (تَنزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ)[(٩)] .

قال الامام ابن تيمية : (قال السلف : القرآن كلام الله ليس بمخلوق ، منه بدأ قال أحمد وغيره : واليه يعود ، أى هو المتكلم به . وقال كلام الله من الله ليس

---

(١) سورة الفتح الآية ٢٦ .
(٢) سورة الفتح الآية ٤ .
(٣) سنن ابن ماجة : كتاب الاحكام ، باب ذكر القضاء ٢ / ٢٣٠٩ مسند الامام أحمد ج٣ ص ٢٢٠ .
(٤) سورة المؤمنون الآية ١٨ .
(٥) سورة الواقعة الآية ٦٩ .
(٦) سورة النور الآية ٤٣ .
(٧) سورة الأنعام الآية ١١٤ .
(٨) سورة النحل الآية ١٠٢ .
(٩) سورة الزمر الآية ١ .

بائن منه ، أى لم يخلقه فى غيره فيكون مبتدأ منزلا من ذلك المخلوق ، بل هو منزل من الله ، كما أخبر به ، ومن الله بدأ لا من مخلوق ، فهو الذى تكلم به لخلقه).[1]

وقال الامام ابن القيم معلقا على درجات الانزال الثلاث : (فأخبر سبحانه أن القرآن منزل منه ، والمطر منزل من السماء والحديد والأنعام منزلان نزولا مطلقا وبهذا يظهر تلبيس المعطلة الجهمية والمعتزلة[2] حيث قالوا ان كون القرآن منزلا لا يمنع أن يكون مخلوقا كالماء والحديد والأنعام حتى غلا بعضهم فاحتج على كونه مخلوقا بكونه منزلا ، والانزال بمعنى الخلق . وجوابه :

ان الله سبحانه فرق بين النزول منه والنزول من السماء فجعل القرآن منزلا منه ، والمطر منزلا من السماء ، وحكم المجرور (بمن) فى هذا الباب حكم المضاف ، والمضاف اليه سبحانه نوعان :

أحدهما : أعيان قائمة بنفسها كبيت الله ، وناقة الله ، وروح الله ، فهذا اضافة مخلوق الى خالقه وهى اضافة اختصاص وتشريف .

الثانى : اضافة صفة الى موصوفها كسمعه ، وبصره ، وحياته ، وعلمه ، وقدرته ، وكلامه ، ووجهه ، ويديه ، ومشيئته ، ورضاه ، وغضبه ، فهذا يمتنع ان يكون المضاف فيه مخلوقا منفصلا بل هو صفة قائمة به سبحانه اذا عرف هذا فهكذا حكم المجرور بـ(من) فقوله : (وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَٰوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ)[3] لا يقتضى أن يكون

---

(١) الفتاوى لشيخ الاسلام بن تيمية ج ١٢ ص ٢٤٨ ؛

(٢) المعتزلة :

فرقة ظهرت فى بداية القرن الثانى الهجرى فى مدينة البصرة بزعامة واصل ابن عطاء وعمرو بن عبيد . ويقوم مذهبهم على اصول خمسة . وهى حسب اهميتها عندهم كالتالى : التوحيد والعدل والوعد والوعيد ، والمنزلة بين المنزلتين والامر بالمعروف والنهى عن المنكر . وكل من دان بهذه الاصول الخمسة ، ثم خالف بقية المعتزلة فى الفروع لم يخرج بذلك عنهم .

انظر مقالات الاسلاميين جـ ١ ص ٢٧٨ .

وانظر ايضا المعتزلة زهدى جار الله ص ٣٦ ، ٥١ .

(٣) سورة الجاثية الآية ١٣ .

أوصافا له قائمة به ،وقوله : (وَلَكِن حَقَّ القَوْلُ مِنِّى) [١] وقوله : (تَنْزِيلٌ مِن حَكِيمٍ حَمِيدٍ) [٢] يقتضى أن يكون هو المتكلم به ، وأنه منه بدأ واليه يعود) . [٣]

وقد شرف الله القرآن الكريم بأن جعل له ثلاثة تنزلات [٤]: التنزل الأول :الى اللوح المحفوظ . ودليله قوله تعالى :(بَلْ هُوَ قُرآنٌ مَجِيدٌ فى لَوْحٍ مَحْفُوظٌ) [٥] . وكان هذا الوجود فى اللوح المحفوظ بطريقة ، وفى وقت لا يعلمه الا الله تعالى ومن أطلعه على غيبه .

فالمؤمن يؤمن باللوح المحفوظ كما أخبر الحق تبارك وتعالى وليس عليه أن يبحث عن مكانه أين هو ولا متى كتب فيه ، ولا كيف سجل ، ولا بأى لغة كان فذلك من جملة أسرار الغيب التى لم يطلعنا الله عليها وستظل كذلك من أستار الغيب [٦]

قال الألوسى فى تفسيره لقوله تعالى : (بَلْ هُوَ قُرآنٌ مَجِيدٌ فِى لَوْحٍ مَحْفُوظٍ) : (ونحن نؤمن به ، ولا يلزمنا البحث عن ماهيته ، وكيفية كتابته ، ونحو ذلك) [٧]

والظاهر أن القرآن نزل جملة واحدة ،ولم يكن مُفَرَّقا . [٨]

ويلاحظ أنه لم يستخدم فيها كلمة (النزول) أصلا . [٩]

---

(١) سورة السجدة الآية ١٣ .

(٢) سورة فصلت الآية ٤٢ .

(٣) مختصر الصواعق المرسلة ص ٢٢٠-٢٢١ .

(٤) انظر البرهان للزركشى تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ج ١ ط ١ دار احياء الكتب العربية ص ١٢٨ ، وكذلك انظر الاتقان للسيوطى ج ١ الطبعة الثالثة مصطفى بابى الحلبى ٣٩ . وكذلك مناهل العرفان للزرقانى ج ١ ص ٤٣-٤٥ .

(٥) سورة البروج الآية ٢٢ .

(٦) انظر مناهل العرفان ج١ ص٤٣ . وانظر الوحدة الموضوعية فى القرآن الكريم ص ٦٨

(٧) روح المعانى فى تفسيرات القرآن العظيم لمحمود الألوسى . إدارة الطباعة المنيرية بيروت ج٣٠ ص ٩٤ .

(٨) انظر مناهل العرفان ج١ ص ٤٣ . والوحدة الموضوعية ص ٦٩ .

(٩) انظر الوحدة الموضوعية فى القرآن الكريم ص ٦٩ .

أما التنزل الثاني للقرآن : فمن اللوح المحفوظ الى بيت العزة فى السماء الدنيا .

والدليل عليه قوله تعالى : (إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ)(١) وقوله تعالى: (إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ)(٢) ، وقوله تعالى : (شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ)(٣) .

وقد جاءت الأخبار الصحيحة مبينة لمكان هذا النزول وأنه فى بيت العزة من السماء الدنيا ،كما تدل الروايات الآتية :-

١- أخرج الحاكم بسنده عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أنه قال : (فُصل القرآن من الذكر - اللوح المحفوظ - فوضع فى بيت العزة فى السماء الدنيا فجعل جبريل عليه السلام ينزل به على النبى صلى الله عليه وسلم ويرتله ترتيلا ..)(٤) .

٢- وأخرج النسائى والحاكم والبيهقى من طريق داوود بن أبى هند عن عكرمة عن ابن عباس أنه قال : (أنزل القرآن جملة واحدة الى سماء الدنيا ليلة القدر ثم أنزل بعد ذلك بعشرين سنة)(٥) ثم قرأ : (وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا)(٦) ، وقال : (وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنزِيلًا)(٧)

٣- وأخرج الحاكم والبيهقى وغيرهما من طريق منصور عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : (أنزل القرآن جملة واحدة فى ليلة القدر الى السماء الدنيا

---

(١) سورة الدخان الآية ٣ .
(٢) سورة القدر الآية ٢ .
(٣) سورة البقرة الآية ١٨٥ . و المصدر نفسه
(٤) المستدرك على الصحيحين للحاكم . كتاب التفسير ج ٢ ص٢٢٣ وكتاب التاريخ ج ٢ ص ٦١١ .
(٥) المستدرك على الصحيحين للحاكم ج ٢ ص ٢٢٢ .
(٦) سورة الفرقان الآية ٣٣ .
(٧) سورة الاسراء الآية ١٠٦ .

وكان بمواقع النجوم ، وكان الله ينزله على رسوله صلى الله عليه وسلم بعضه فى اثــر بعــض) .(١)

فهذه الاحاديث وان كانت موقوفة على ابن عباس رضى اللــه عنهما فهى كلهــا صحيحة كمــا قال السيوطى (٢) ولها حكم المرفوع الى النبى صلى الله عليه وسلم وهــى تدل كذلك على أن القرآن أنزل على النبى صلى الله عليه وسلم مفرقا وعلى مواقــع النجوم فى رمضان فى ليلة القدر جملة واحدة ، ثم أنزل على مواقع النجوم مفرقـــا يتلو بعضه بعضا على تؤدة ، ورفق .

وخلاصة هذا التنزل أن القرآن نزل جملة واحدة من اللوح المحفوظ الى السماء الدنيا فى بيت العزة ليلة القدر من رمضان ثم نزل بعد ذلك منجما فى ثلاث وعشرين سنة .

وهذا هو الرأى الأقرب الى الصواب انه كله انزل جملة واحدة فى هذه الليلة وهذا هو الرأى الصحيح . (٣)

بل وقد نقل السيوطى حكاية الاجماع على نزول القرآن جملة من اللوح المحفوظ الى بيت العزة من السماء الدنيا حكاه عن القرطبى . (٤)

---

(١) المستدرك ، كتاب التفسير ج ٢ ، ص ٢٢٢

(٢) انظر الاتقان فى علوم القرآن لجلال الدين السيوطى ، عالم الكتب ، ج ١ ص ٤٠

(٣) هناك ثلاثة أقوال مخالفة لهذا الرأى الراجح :

قول : ان القرآن نزل الى السماء الدنيا فى عشرين ليلة قدر أو ثلاث وعشريــــن أو خمس وعشرين ينزل كل ليلة قدر منها ما يقدر الله أنزاله فى كل سنــــة ثم ينزل بعد ذلك منجما فى جميع السنة على النبى صلى الله عليه وسلم .

وقول آخر: أنه ابتدئ انزاله فى ليلة القدر ، ثم نزل بعد ذلك منجما فـــى أوقات مختلفة من سائر الأزمان على النبى صلى الله عليه وسلم ، وكـــأن صاحب هذا القول ينفى النزول جملة الى بيت العزة فى ليلة القدر .

وقول ثالث: هو أنه نزل من اللوح المحفوظ جملة واحدة وأن الحفظة نجمتــه على جبريل فى عشرين ليلة ، وأن جبريل نجمه على النبى صلى الله عليـــه وسلم فى عشرين سنة .

ولكن هذه الاقوال الثلاثة الأخيرة بمعزل عن التحقيق ، وهى محجوجــة بالادلة التى سبق ان ذكرناها مع الراى الراجح . انظر مناهل العرفان ج ١ ص ٤٦

(٤) المصدر نفسه والصفحة

التنزيل الثالث :

أما التنزيل الثالث فهو من بيت العزة الى النبى صلى الله عليه وسلم وكان ذلك بواسطة أمين الوحى جبريل عليه السلام ، وكان يهبط به على قلب النبى صلى الله عليه وسلم ودليله قوله تعالى فى سورة الشعراء مخاطبا الرسول صلى الله عليه وسلم (نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ المُنْذِرِينَ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ)(١) .

ولم ينزل جبريل عليه السلام بالقرآن على قلب رسول الله صلى الله عليه وسلم جملة واحدة كما كان يقترح العرب ويقولون : (لَولاَ نُزِّلَ عَلَيهِ القُرآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً)(٢) على نحو ما حكاه القرآن عنهم . ولكنه نزل منجما خلال ثلاث وعشرين سنة قضاها الرسول صلى الله عليه وسلم فى الدعوة الى الله ، وكثيرا ما كان يرتبط هذا التدرج فى النزول بمجريات الحوادث خلال عمر الدعوة ، وبما يجد للناس من أقضية ، وبما يتوجهون به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من أسئلة ينزل الوحى بجوابها ، وطبقا لخطوات التدرج فى التشريع ، أو مقتضيات الترتيب ، والتوالى بين الناسخ والمنسوخ الى غير ذلك من أسباب النزول والأحوال المقارنة له .

وهذا التدرج فى النزول بجانب ما تثبته الآيات والأحاديث والآثار يفيده ويؤيده معنى النزول فى اللغة ـ كما سبق أن قدمنا ـ .

ولهذا التدرج والتنجيم حكم منها(٣) :

١) تثبيت الرسول صلى الله عليه وسلم وشرح صدره فيما يلاقيه . قال تعالى : (وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَولاَ نُزِّلَ عَلَيهِ القُرآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً)(٤)

---

(١) سورة الشعراء الآية ١٩٤ .

(٢) سورة الفرقان الآية ٣٢ .

(٣) انظر مناهل العرفان ج ١ ص ٥٣ وما بعدها .

(٤) سورة الفرقان الآية ٣٢ .

٢) وفيه تدرج كذلك في تربية الأمة الناشئة علما وعملا . مصداقا لقوله تعالى :
(وَقُرآناً فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلاً)(١).

٣) وفيه مسايرة للحوادث والطوارئ في تجددها وتفرقها والبعد بالمسلمين عن العنت والمشقة والفتنة ،ولا أدل على ذلك مما ذكرته السيدة عائشة رضي الله عنها كما أخرج البخاري أنها قالت: (إِنَّما نزل أول ما نزل من القرآن سورة من المفصل فيها ذكر الجنة والنار ، حتى إذا ثاب الناس الى الاسلام نزل الحلال والحرام ، ولو نزل أول شيء : (لا تشربوا الخمر) ، لقالوا : لا ندع الخمر أبدا ولو نزل (لا تزنوا) لقالوا : لا ندع الزنا أبدا)(٢).

٤) وفيه تيسير للنبي صلى الله عليه وسلم في حفظه للقرآن نظرا لأميته .

٥) علاوة على أن في القرآن ناسخا ومنسوخا ، ولا يتأتى ذلك في المنزل جملة .

وبعد هذا التدرج الذي سقناه نعود لنبحث في الكيفية التي بها أخذ ملك الوحي هذا القرآن . أهو تلقاه مشافهة من الله ؟ أوتلقاه كذلك من بيت العزة ؟ كيفية الأخذ هذه ، من المغيبات التي لم تنطق السنة صراحة بكشفها ، وان كان هناك بعض النصوص التي تشير الى أن جبريل عليه السلام تلقف القرآن تلقفا وأخذه سماعا بكيفية يعلمها الله سبحانه وتعالى . ففي قوله تعالى : (قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ القُدُسِ مِن رَبِّكَ بِالحَقِ لِيُثَبِّتَ الذِينَ آمَنُوا وَهُدَىً وَبُشْرَىٰ لِلمُسْلِمِينَ)(٣) بيان لنزول جبريل عليه السلام به من الله ، ولكن بكيفية مجهولة. وقد أشار الشيخ الطحاوي إلى تكليم الله سبحانه وتعالى بالقرآن ابتداءً فقال:

---

(١) سورة الاسراء الآية ١٠٦ .
وقوله: (على مكث) : يعني مهل وتؤدة وتثبت .
(نزلناه تنزيلا) يعني على حسب الحوادث. انظر الكشاف للزمخشري دار الفكر بيروت ج٢ ص ٤٦٩ .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه : كتاب فضائل القرآن ، باب تأليف القرآن ٤٩٩٣/٧ . ثاب: بالمثلثة ثم الموحدة ، يثوب: اذا رجع . انظر النهاية في غريب الحديث والأثر ج١ ص٢٢٦-٢٢٧ .

(٣) سورة النحل الآية ١٠٢ .

فقال : " وأن القرآن كلام الله ، منه بدأ ـ بلا كيفية ـ قولا "(١)

قال الشارح : " أى ظهر منه ولا ندرى كيفية تكلمه به . وأكد هذا المعنى (أى تكلم الله بالقرآن) بقوله " قولا " ، أتى بالمصدر المعرف للحقيقة ، كما أكد الله تعالى التكليم بالمصدر المثبت النافى للمجاز فى قوله : " وكلم الله موسى تكليما "(٢))(٣)

ويقول شيخ الاسلام ابن تيميه بعد أن ذكر خلاف الناس فى القرآن ، وكيفية كلام الله به ـ يقول ـ : " والصواب الذى عليه سلف الامة ، وهو أن القرآن جميعه كلام الله حروفه ومعانيه ، ليس شئ من ذلك كلاما لغيره ، ولكن أنزله على رسوله ، وليس القرآن اسما لمجرد المعنى ، ولا لمجرد الحرف ، بل لمجموعهما . . وان الله يتكلم بصوت كما جاءت به الاحاديث الصحاح . وليس ذلك كأصوات العباد . ولا صوت القارى ولا غيره . وان الله ليس كمثله شئ "(٤).

ويقول شيخ الاسلام أيضا : " والقرآن حمله جبريل ـ عليه السلام ـ مسموعا من الله . والنبى صلى الله عليه وسلم سمعه من جبريل ، والصحابة سمعوه من رسول الله صلى الله عليه وسلم . وهو الذى نتلوه نحن بألسنتنا ، وفيما بين الدفتين ، وما فى صدورنا : مسموعا ، ومكتوبا ومحفوظا ، وكل حرف منه كالباء والتاء كله كلام الله غير مخلوق . ومن قال : مخلوق فهو كافر . عليه لعائن الله والناس أجمعين "(٥).

---

(١) شرح العقيدة الطحاويه لابن أبى العز الحنفى ص ١٧٩ .

(٢) سورة النساء الآيـة

(٣) شرح العقيدة الطحاويه ص ١٨١ - ١٨٢ .

(٤) مجموع الفتاوى ج ١٢ ص ٢٤٣ - ٢٤٤ .

(٥) المصدر نفسه ج ١٢ ص ٣٠٦ .

ولا تعارض بين سماع جبريل عليه السلام للقرآن من الله عز وجل عند نزوله به على قلب النبي صلى الله عليه وسلم ، وبين وجوده في اللوح المحفوظ ثم في بيت العزّة من السماء الدنيا . " لأن كونه في اللوح المحفوظ ، فان اللوح فيه كل ما هو كائن وما سيكون الى يوم القيامة ، ومن جملة ذلك القرآن الذى سينزله الله على محمد صلى الله عليه وسلم .

ونزوله جملة الى سماء الدنيا ، فهو بمثابة نقل جزء مما في اللوح وهو جملة القرآن ، فأصبح القرآن موجودا في كل من اللوح المحفوظ كغيره مما هو فيه ، وموجودا في سماء الدنيا ثم ينزل على الرسول صلى الله عليه وسلم منجما ". (١)

تواتر القرآن الكريم :-

هذا القرآن الذى نشهد به على الكتب والرسالات السابقة ورد الينا متواترا مدونا في الصدور قبل السطور ، علاوة على أن الله سبحانه وتعالى قد تكفل بحفظه كما بينا سابقا . وقد بلغ من حرصه عليه الصلاة والسلام على استظهاره وحفظه ، انه كان يحرك به لسانه وهو يعاني من الوحي ما يعاني ، تحملا منه للأمانة التي حملها صلى الله عليه وسلم حتى طمأنه ربه بأن وعده بجمعه له في صدره وحفظه له على الدوام . قال تعالى : " لا تحرك به لسانك لتعجل به ان علينا جمعه وقرآنه فاذا قرأناه فاتبع قرآنه ، ثم ان علينا بيانه ". (٢) وقال تعالى : " ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضى اليك وحيه ، وقل رب زدنى علما ". (٣)

---

(١) تفسير أضواء البيان ج ٩ ، ص ٣٨٢ .

(٢) سورة القيامة الآيات ١٦ - ١٩ .

(٣) سورة طه الآية ١١٤ .

وكان جبريل عليه السلام يعارضه القرآن في كل عام مرة وعارضه إياه في العام الأخير مرتين .

فعن عائشة رضى الله عنها عن فاطمة رضى الله عنها قالت: (أسرّ إليَّ النبي صلى الله عليه وسلم أنّ جبريل كان يعارضني بالقرآن كلّ سنة وأنّه عارضني العام مرتين ،ولا أراه إلاّ حضر أجلي)[١].

ولقد كان الصحابة رضوان الله عليهم جميعا يتنافسون في استظهاره وحفظه ويتسابقون إلى مدارسته وفهمه . وما انتقل الرسول صلى الله عليه وسلم إلى الرفيق الأعلى إلاّ وكان القرآن كله محفوظا في صدور الكثيرين ، منهم الخلفاء الأربعة وقد عد السيوطي منهم في الإتقان جماعة سماهم بأسمائهم[٢].

كتابة القرآن وجمعه :

ولم ينتقل الرسول صلى الله عليه وسلم إلى الرفيق الأعلى إلاّ وكان القرآن الكريم مكتوبا كله ، بيد أنه كان مفرقا في الأحجار والرقاع[٣] والعسب[٤] واللخاف[٥] وقطع الأديم[٦] وعظام الأكتاف والأضلاع وغيرها . يؤيد هذا ما روى عن عثمان

---

(١) صحيح البخاري : كتاب فضائل القرآن ، باب كان جبريل يعرض القرآن على النبي صلى الله عليه وسلم ، بيروت تيويبي /٩ .

(٢) راجع الإتقان للإمام السيوطي ج ١ ص ١٢٤ ، والبرهان للزركشي ج ١ ص ٢٤٢ .

(٣) الرقاع: جمع رقعة ، والرقعة ، الخرقة. انظر الصحاح للجوهري ج ٣ مادة (رقع) .

(٤) العسب : جمع عسيب. أي جريدة من النخل وهي السعفة . انظر النهاية في غريب الحديث والأثر ج ٣ ص ٢٣٤ .

(٥) اللخاف : جمع لخفة وهي حجارة بيض رقاق . انظر النهاية في غريب الحديث والأثر ج ٤ ص ٢٤٤ .

(٦) قطع الاديم : الأديم : باطن الجلد الذي يلي اللحم ،والبشرة ظاهرها انظر المصدر نفسه ج ٥ مادة (أدم)

بن عفان رضى الله عنه : (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا نزل عليه الشئ دعا من كان يكتب فيقول : (ضعوا هؤلاء الآيات فى السورة التى يذكر فيها كذا وكذا . وإذا نزلت عليه الآية فيقول : ضعوا هذه الآية فى السورة التى يذكر فيها كذا وكذا . .)(١)

وعن زيد بن ثابت قال : (كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم نؤلف القرآن من الرقاع)(٢)

هذا هو الجمع والتدوين فى المرة الأولى ، أما فى المرة الثانية ففى عهد سيدنا أبى بكر الصديق رضى الله عنه عندما استشهد عدد كبير من القراء فى اليمامة .

ولتحرى الدّقة فى الجمع فقد اتخذ الخليفة أبو بكر دستورًا فيه ضمان لحياطة كتاب الله بما يليق به ، من تثبت بالغ وحَذَر دقيق . وبناء على هذا الدستور كان التعويل فى الجمع على مصدرين اثنين(٣) :

أحدهما : ما كتب بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

والثانى : ما كان محفوظا فى صدور الرجال .

وبلغ من الحيطة والحذر أنه لم يقبل شئ من المكتوب ، لم يشهد عليه شاهدان عدلان أنه كتب بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم . فعن عبد الرحمن بن حاطب قال : (قدم عمر ، فقال : من كان تلقى من رسول الله صلى الله عليه

---

(١) سنن الترمذى : كتاب تفسير القرآن ، باب ومن سورة التوبة ٥/٣٠٨٦ .
(٢) مسند الامام أحمد ج ٥ ص ١٨٥ .
والتأليف : عبارة عن ترتيب الآيات ، حسب ارشاد النبى صلى الله عليه وسلم وكان هذا الترتيب بتوقيف من جبريل عليه السلام . فقد ورد أن جبريل عليه السلام كان يقول : (ضعوا كذا فى موضع كذا) . انظر الزرقانى : مناهل العرفان ج ١ ص ٢٤٧ .

(٣) انظر مناهل العرفان ج ١ ص ٢٥٢ .

وسلم شيئا من القرآن فليأت به ، وكانوا يكتبون ذلك في الصحف والألواح والعسب وكان لا يقبل من أحد شيئا حتى يشهد شاهدان)(١)

ويدل على ذلك أيضا ما أخرجه أبو داوود من طريق هشام عن عروة عن أبيه أنّ أبابكر قال لعمر ولزيد : (اقعدا على باب المسجد فمن جاءكما بشاهدين على شيء من كتاب الله فأكتباه)(٢) قال ابن حجر : (المراد بالشّاهدين : الحفظ والكتابة)(٣) .

أمّا الجمع في المرّة الثالثة ففي خلافة سيدنا عثمان رضى الله عنه - فقد نقلت الصحف التّي جمعت في عهد سيدنا أبي بكر رضى الله عنه والتّي كانت محفوظة في بيت أم المؤمنين حفصة رضى الله عنها في مصحف واحد إمام استنسخت منه مصاحف للآفاق الإسلامية .

نخرج من جمع القرآن في مراحله الثّلاث بهذه المزايا التي يمتاز بها القرآن عن سائر الكتب السّماوية الأخرى وهي :(٤)

١- تمّ جمعه على أدق وجوه البحث والتّحرّي ، وأسلم أصول التّثبّت العلمي .

٢- أنّه اقتصر فيه على ما لم تنسخ تلاوته .

٣- أنّه ظفر باجماع الأمّة عليه ، وتواتر ما فيه .

٤- تمّ ترتيب السّور والآيات على الوجه المعروف الآن .

٥- تجريده من كلّ ما ليس قرآنا ، كالذي كان يكتبه بعض الصّحابة في مصاحفهم الخاصة ، شرحًا لمعنى ، أو بيانا لناسخ ومنسوخ ، أو نحو ذلك .

---

(١) الاتقان للسيوطي ج ١ ص ٨٥ .
(٢) المصدر نفسه وكذا الصفحة نفسها .
(٣) البرهان في علوم القرآن للزرقاني ج ١ ص ٢٥٣ .
(٤) المصدر نفسه ج ١ ص ٢٥٣ - ٢٦٠ .

حفظ الله للقرآن :

وبهذا تحقق قوله تعالى : (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ)(١) .

ولقد يسر الله سبحانه وتعالى حفظ كتابه الكريم ،قال تعالى : (وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ)(٢) أى سهّلناه للحفظ ، وأعنا عليه من أراد حفظه(٣) .

وأخرج ابن أبى حاتم وابن مردويه والبيهقى عن ابن عباس فى قوله تعالى : (وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ) قال : (لولا أن الله يسره على لسان الآدميين ما استطاع أحد من الخلق أن يتكلموا بكلام الله)(٤) .

فجمل أسباب حفظ القرآن فى :

* أسلوبه المعجز فى وصفه ،المعجز فى نفسه ، (أُسلوب تلتقى عنده نهايات الفضيلة كلّها . على تباعد ما بين أفكارها)(٥) .

* وفى الربط بينه وبين العبادات قال تعالى : (إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ ، لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُم ويزيد هم من فضلة انه غفور شكور)(٦)

* وقال تعالى: (الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ ..)(٧) .

وقال صلى الله عليه وسلم (ما اجتمع قوم فى بيت من بيوت اللّه يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إِلاّ نزلت عليهم السَّكينة ، وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده)(٨) .

---

(١) سورة الحجر الآية ٩ .
(٢) سورة القمر الآية ١٧ .
(٣) انظر فتح القدير للشوكانى ج ٥ ص ١٢٣ .
(٤) المصدر نفسه ص ١٢٤ .
(٥) النبأ العظيم للدكتور محمد عبدالله دراز ص ١٠٨ .
(٦) سورة فاطر الآية ٣٠ .
(٧) سورة البقرة الآية ١٩٧ .
(٨) صحيح مسلم :كتاب الذكر والدعاء ، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر ٤/ ٢٦٩٩ ، وسنن ابن ماجة : المقدمة ، باب فضل العلماء والحث على طلب العلم ١/ ٢٢٥ ، ومسند الامام احمد ج ٢ ص ٢٥٢

وأخرج أبو داوود والترمذي وابن ماجة عن الرسول صلى الله عليه وسلم قال : (عرضت عليّ ذنوب أمتي فلم أر ذنبا أعظم من سورة من القرآن ، أو آية أوتيها رجل ثم نسيها)(١)

وأخرج الشيخان قوله صلى الله عليه وسلم : (خيركم من تعلم القرآن وعلمه)(٢).

* وفي جعل القرآن مادة للأحكام قال تعالى : (وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ ، وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ ، وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ ، وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ ، وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ ، وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ ، فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ ، وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ)(٣).

وقال تعالى : (فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ، ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجاً مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً)(٤)

* وفيما رتبه على تلاوته وحفظه من الأجر. قال تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرّاً وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَنْ تَبُورَ ، لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ)(٥).

ويقول النبي صلى الله عليه وسلم : (الذي يقرأ القرآن وهو ماهر به مع السَّفرة الكرام البررة ، والذي يقرأ القرآن وهو يتعتع فيه وهو عليه شاق له أجران .)(٦)

---

(١) سنن الترمذي : كتاب فضائل القرآن باب١٩ ، ٥/٢٩١٦ ، وسنن أبو داود كتاب الصلاة باب في كنس المسجد ١/٤٦١

(٢) صحيح البخاري : كتاب فضائل القرآن ، باب خيركم من تعلم القرآن وعلمه ٩/٥٠٢٧ . ومسند الامام أحمد ج ١ ص ٥٨ .

(٣) سورة المائدة الآية ٤٥ .

(٤) سورة النساء الآية ٦٥ .

(٥) سورة فاطر الاية ٣٠

(٦) متفق عليه : صحيح البخاري كتاب التفسير ، باب تفسير سورة ٨٠، ٨/٤٩٣٧ وصحيح مسلم : كتاب صلاة المسافرين وقصرها ، باب فضائل الماهر بالقرآن والذي يتعتع فيه ١/٧٩٨ عن عائشة رضي الله عنها مرفوعا .

ويقول : (من قرأ حرفا من كتاب الله فله حسنة ، والحسنة بعشر أمثالها لا أقول آلم حرف . ولكن ألف حرف ، ولام حرف وميم حرف) .(١)

إلى غير ذلك من الأسباب التي جعلها الله سبحانه وتعالى لتسهيل حفظه.

وإلى جانب ذلك كان القرآن ولا يزال مادة لدراسة اللغة العربية .

وبهذا كان القرآن وحيا محفوظا . (٢)

---

(١) سنن الترمذي : كتاب فضائل القرآن ، باب ما جاء فيمن قرأ حرفا من القرآن ماله من الأجر ٥ / ٢٩١٠ . عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه مرفوعا .

(٢) لا يقتصر الوحي إلى الرسول صلى الله عليه وسلم على القرآن وإنما يشمل جانبا من السنة التي هي بحسب ما حوته من المعاني تنقسم إلى ثلاثة أقسام: "قسم توفيقي" : استنبطه النبي صلى الله عليه وسلم بفهمه من كلام الله أو بتأمله في حقائق الكون .
و"قسم توقيفي" : تلقى الرسول مضمونه من الوحي فبينه للناس بكلامه . وهذا القسم وإن كان فيه من العلوم منسوبا إلى معلمه وملهمه سبحانه وتعالى ، لكنه من حيث هو كلام ـ حريٌّ بأن ينسب إلى واضعه وقائله الذي ألفه على نحو خاص) انظر النبأ العظيم . د . محمد عبد الله دراز ص ١٥ .
أما القسم الثالث فهو الحديث القدسي : وهو ما يضيفه النبي صلى الله عليه وسلم ويرويه على أنه من كلام الله . فالرسول صلى الله عليه وسلم راو لكلام الله بلفظ من عنده . وإذا رواه أحد ،رواه عن رسول الله مسندا الى الله عز وجل فيقول : (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه عز وجل أو يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى . . . .) انظر مباحث في علوم القرآن لمناع القطان ص٢
مثال ذلك : عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه : (أنا عند ظن عبدي بي ، وأنا معه إذا ذكرني ، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي ، وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منه) صحيح البخاري : كتاب التوحيد ، باب قول الله تعالى : (ويحذركم الله نفسه وقوله جل ذكره : (تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك) ١٣ / ٧٤٠٥
فالفرق بين الأحاديث القدسية والقرآن أن ألفاظ القرآن بوحي جلي من الله سبحانه وتعالى معجزة متعبد بتلاوتها ، مصانة عن التغيير. انظر عقيدة المسلم للشيخ محمد الغزالي ص٢٠٤ .
أما الأحاديث القدسية على أظهر القولين فهي منزلة بمعناها فقط. فليست للإعجاز ، ولا للتعبد ، بل لمجرد العمل بما فيها ، وهذه الفائدة تحصل بإنزال معناها ـ وصياغة هذه الأحاديث القدسية من كلام الرسول صلى الله عليه وسلم ومعناها من الله بالإلهام أو في المنام .انظر مناهل العرفان ج ١ ص٥٠ . وكذلك بحوث في الدين والوحي والقرآن للدكتور محمد بلتاجي الناشر مكتبة الشباب المنيرية ص١٩٢-١٩٣ .

. . . .

= وفي بيان الوحي بها ينبغي التنويه على أن الأحاديث القدسية لا تنحصر في كيفية من كيفيات الوحي ، بل يجوز أن تنزل بأي كيفية من كيفياته كرؤيا النوم والإلقاء في الرّوع ،وعلى لسان الملك .انظر الإتحافات السنة بالاحاديث القدسية لزين العابدين عبد الرؤوف المناوي تحقيق محمد عفيف الزعبي، المكتبة الشعبية بيروت ص ٤ .

أمّا القرآن الكريم فالرّاجح لدى العلماء - كما ورد في المواهب اللدنية طبعة الاميرية ج ١ ص ٢٧٢ - أنّ الله أنزله بواسطة ملك الوحي على محمد صلى الله عليه وسلم في اليقظة فحسب . قال تعالى : (نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربي مبين) سورة الشعراء الآية ١٩٣ . وقال تعالى : (قل نزله روح القدس من ربك بالحق) سورة النحل الآية ١٦٤ .

أمّا الأحاديث النبوية - القسم التوفيقي - والتي ينسب القول والفعل والإقرار فيها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم نفسه ، فمنها ما صدر عن وحي مباشر ، مثل الكيفيات التفصيلية للصلاة والزكاة والصيام والحج والبيوع .

يشهد لهذا قوله صلى الله عليه وسلم (ألا وانّي قد أوتيت القرآن ومثله معه ألاَ لا يوشك رجل شبعان على أريكته يقول عليكم بهذا القرآن ، فماوجدتم فيه من حلال فأحلوه ، وماوجدتم فيه من حرام فحرموه . ألاَ وإنّ ما حرم رسول الله كما حرم الله) .سنن أبي داؤد :كتاب السنة باب في لزوم السنة ه / ٤٦٠٤ . ومسند الإمام أحمد ج ٤ ص ١٣١ . والأريكة : السرير في الحَجَلة من دونه ستر ،وقيل هو كل ما اتكئ عليه من سرير أو فراش، أو منصة . انظر النهاية في غريب الحديث والأثر ج ١ ص ٤٠

وهذا النوع من الوحي هو ما يعنيه قوله تعالى عن رسوله صلى الله عليه وسلم : (وما ينطق عن الهوى إن هو إلاّ وحي يوحى) النجم الآيتان ٣ ، ٤

وهو الذي يعنيه قول حسان بن عطية : (كان الوحي ينزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم ويحضره جبريل عليه السلام بالسنة التي تفسر ذلك) سنن الدارمي :المقدمة ،باب السنة قاضية على كتاب الله ج ١ ص ١٤٥ .

ومن الأحاديث النبوية ما صدر عن اجتهاد ، وقد صرح عليه الصلاة والسلام بأنّه لم يوح إليه في بعض الأمور شيء .من ذلك خبر المنْزل الذي نزله الرسول صلى الله عليه وسلم يوم بدر . كما يذكر ابن اسحاق في سيرته عن الحباب بن المنذر قال : (يا رسول الله ، أرأيت هذا المنزل أمنزلا أنزلكه الله ليس لنا أن نتقدمه ، ولا نتأخر عنه ؟ أم هو الرأي والحرب والمكيدة ؟ قال : بل هو الرأي والحرب والمكيدة . فقال : يا رسول الله فان هذا ليس بمنزل ، فانهض بالناس حتى نأتي أدنى ماء من القوم فننزله ثم نغوّر ما وراءه من القلب ،ثم نبني عليه حوضا فنملؤه ماء ، ثم نقاتل القوم ، فنشرب ولا يشربون . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (لقد أشرت بالرأي) ابن هشام ، السيرة النبوية ج ٢ ص ١٩٢ .

....

ـــ ومن ذلك أيضا اجتهاده في أسرى بدر، واعراضه عن ابن أم مكتوم، ومشورته لسلمان الفارسي في حفر الخندق .. الخ

وقد جاء الوحي بالتعقيب على بعضها، مما يسقطع بأنّ ذلك كان اجتهادا منه صلى الله عليه وسلم يدل على ذلك قوله عليه الصلاة والسلام: (إنّي أقضي بينكم برأيي فيما لم ينزل عليّ فيه) سنن أبي داود: كتاب الأقضية باب في قضاء القاضي اذا أخطأ ٣/٣٥٨٥ . ويقول أيضا: (إنّما أنا بشر، وانكم تختصمون اليّ ولعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض، فأحسب أنه صادق فأقضي له، فمن قضيت له بحق مسلم فانما اقطع له قطعة من النار فليحملها أوليذرها) .
متفق عليه. البخاري: كتاب الأحكام باب موعظة الامام للخصوم ١٣/٧١٦٩. صحيح مسلم: كتاب الأقضية باب الحكم بالظاهر واللحن بالحجة ٣/١٧١٣ .

- جـ -

وقوع الوحي الى الأنبياء السابقين

تمهيد :

سبق أن أثبتنا في المبحث الأول من هذا الفصل ، وقوع الوحي الى نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، وأقمنا على ذلك الأدلة الكثيرة التي استقيناها من معجزاته صلى الله عليه وسلم وعلى رأسها القرآن الكريم ، ومن قرائن أحواله في سيرته الشريفة .

واذا صدق وقوع الوحي لرسول الله صلى الله عليه وسلم على نحو ما قدمنا فان ذلك يعني صدقه في دعوى النبوة والرسالة عن الله ، ومن ثم فان كل ما تضمنته هذه النبوة الخاتمة من أخبار الأنبياء والرسل السابقين وقيامهم بدعوتهم ،واخبارهم مع أممهم الماضية ـ يكون كل ذلك صادقا لأنه لا يكون اخبارا من الله عز وجل لرسوله بما لم يكن له به علم من أخبار الأنبياء السابقين،والوحي اليهم ،واخبار الله عز وجل على لسان الصادق المعصوم ،اخبار صدق . فاذا أقمنا صدق وقوع الوحي الى الأنبياء السابقين على هذا الأساس، فاننا نكون قد أقمناه على الأساس الصحيح لأنه أساس توفرت له صفة الوثاقة العقلية والواقعية ،ويأتي بعد ذلك التسليم المطلق بكل ما يتضمنه القرآن الكريم من أخبار هؤلاء الأنبياء مع أممهم ، وما تضمنته رسالاتهم من عقائد وشرائع، وما قدمه هؤلاء الأنبياء والرسل من المعجزات التي استدلوا بها على صدق نبواتهم .

هذا هو الطريق الصحيح لاثبات وقوع الوحي الى الأنبياء الذين بعثوا قبل خاتمهم محمد صلى الله عليه وسلم ولا تملك البشرية طريقا آخر لاثبات هذه الحقيقة بصفة يقينية .

فان كل ما بقى لنا من أخبار هؤلاء الأنبياء وكتبهم لا تتوفر له صفة الوثاقة التاريخية التى تتوفر للقرآن الكريم ، فلم يثبت لكتبهم من التواتر والعصمة ،وكونها من الله عز وجل حقا مثل ما ثبت للقرآن الكريم .

وقد صح عن الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم من الحديث الشريف ما يمكن أن يكون أساسا لاثبات صحة ما تضمنه من وقوع الوحى الى الأنبياء السابقين .

لهذا كله فاننا نثبت فى هذا المقام وقوع الوحى للأنبياء السابقين على أساس من القرآن الكريم والحديث النبوى الشريف ،فتبنى تصديق هؤلاء الأنبياء فى دعوى وقوع الوحى اليهم من الله على ماثبت من صدقه صلى الله عليه وسلم فى نبوته وما صح على لسانه من الحديث الشريف ،وما تضمنه كتاب الله عز وجل من تصديقه لهؤلاء الأنبياء فى نبواتهم والوحى اليهم .

١) اثبات القرآن الكريم للأنبياء السابقين ودعواتهم .

لقد أثبتت الآيات القرآنية الكريمة ،أنه كان هناك أنبياء ومرسلون قبل محمد صلى الله عليه وسلم بعثوا لهداية أممهم ، وارشادهم الى الطريق المستقيم . من ذلك قوله تعالى : (وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُم مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُم مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ)(١).

وقال تعالى : (وَإِن مِنْ أُمَّةٍ إِلاَّ خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ)(٢).

وجاءت السنة الشريفة مؤكدة ومقررة لما جاء به القرآن الكريم من أن هناك أنبياء سابقين لبعثته عليه الصلاة والسلام .

فعن أبي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (إنَّ مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بنى بنيانا فأحسنه وأجمله إلاّ موضع لبنة من زاوية فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له ،ويقولون هلا وضعت هذه اللبنة ، فأنا اللبنة ،وأنا خاتم النبيين)(٣)

ففي هذا الحديث والأحاديث الكثيرة التي لا حصر لها اشارة واضحة وصريحة على أن الله سبحانه وتعالى لم يترك الناس هملا تتخطفهم الأهواء ، بل أرسل اليهم رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة .

ثمَّ إنَّ هذه الأمم التي تترى ولآلاف السنين ، والتي تنتسب الى بعض هؤلاء الأنبياء السابقين كموسى وعيسى عليهما السلام ، مما سماهم الله تعالى

---

(١) سورة النحل الآية ٣٦ .

(٢) سورة فاطر الآية ٢٤ .

(٣) صحيح البخاري :كتاب المناقب باب خاتم النبيين صلى الله عليه وسلم عن أبي هريرة مرفوعا ٦/ ٣٥٣٥ .

بأهل الكتاب بغض النظر عما هم عليه من التبديل والتحريف، والضلال، هذه الأمم التي ما زالت موجودة لدليل من الواقع يثبت لنا وجود أنبياء سابقين لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم .

وقد ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعض الأحاديث التي تحدد عدد الانبياء والمرسلين السابقين . فعن أبي ذر رضى الله عنه قال : (قلت : يا رسول الله كم المرسلون ؟ قال : ثلاثمائة وبضعة عشر جما غفيرا ، وفي رواية أبي أمامة ، قال أبو ذر : قلت يا رسول الله : كم وفاء عدة الأنبياء؟ قال : مائة ألف وأربعة وعشرون ألفا . الرسل من ذلك ثلاثمائة وخمسة عشر جما غفيرا)(١)

ولكن القرآن الكريم لم يتعرض لذكر أسماء هذا العدد الكبير من الأنبياء والمرسلين ، فضلا عن الحديث عن نبواتهم ، وانما اقتصر على ذكر عدد قليل منهم . قال تعالى : (وَلَقَد أَرسَلْنَا رُسُلاً مِن قَبلِكَ . مِنْهُم مَن قَصَصْنَا عَلَيكَ وَمِنْهُم مَن لَّم نَقْصُص عَلَيكَ)(٢)

وقال تعالى : (وَرُسُلاً قَد قَصَصْنَاهُم عَلَيكَ مِن قَبل ، وَرُسلاً لَّم نَقْصُصْهُم عَلَيكَ)(٢)

ولله سبحانه وتعالى فيما طوى ذكره من هؤلاء الرسل حكمة يعلمها ، قد يكون منها كثرة أسمائهم ،وبعد أمكنتهم عن منطقة البعثة المحمدية ، ولأن من عنى القرآن الكريم بذكرهم ، ودعوة أممهم الى الاسلام ، وتصحيح عقائدهم كانت بين أممهم ؛ وبين الأمة الاسلامية علاقات القرب والجوار ولا يزال بأيديهم من الكتب الدينية ما لابد من تصحيحه والرد على ما فيه من شبهات ،حماية للعقيدة الاسلامية في نفوس أصحابها .... الخ .

---

(١) رواه أحمد في مسنده ج ٥ ص ١٧٨ ، ١٧٩ ، ٢٦٦

(٢) سورة غافر الآية ٧٨ .

(٣) سورة النساء الآية ١٦٤ .

ولأن القرآن الكريم فى نفس الوقت ليس كتابا تاريخيا يعنى بتسجيل الأنبياء السابقين ،والتعريف بمواقعهم ، اللهم الا فى حدود ما تؤخذ منه العبرة ،وما يستفاد به فى التوجيه . وهذا انما يتحقق بدرجة أكبر اذا كان الحديث عن أنبياء الأمم المجاورة للأمة الاسلامية .

وأيا كانت الحكمة فى تخصيص القرآن بعض هؤلاء الأنبياء بالذكر ،وعدم ذكر البعض الآخر فاننا نجد الكتاب العزيز قد ذكر من هؤلاء الأنبياء بأسمائهم خمسة وعشرين نبيا . تتضمن آيات سورة الأنعام أسماء ثمانية عشر منهم . قال تعالى :

(وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ ،نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَن نَّشَاءُ ،إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلاًّ هَدَيْنَا ، وَنُوحاً هَدَيْنَا مِن قَبْلُ وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَارُونَ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ، وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ ، وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطاً وَكُلاًّ فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ)(١)

أما السبعة الباقون وهم : آدم ، وهود ، وصالح ، وشعيب، وادريس، وذا الكفل ،ومحمد -عليهم جميعا أفضل الصلاة والسلام- فقد ذكروا فى مواضع متفرقة من القرآن الكريم .

قال تعالى فى (شأن آدم -عليه السلام: (إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ)(٢).

وقال فى شأن هود : (وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُوداً)(٣).

وقال فى شأن صالح : (وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحاً)(٤).

وقال فى شأن شعيب: (وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْباً)(٥)

وقال فى شأن اسماعيل وادريس وذى الكفل (وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِّنَ الصَّابِرِينَ)(٦).

---

(١) سورة الأنعام الآيات من ٨٣- ٨٦ .
(٢) سورة آل عمران الآية ٣٣ .
(٣) سورة هود الآية ٥٠ .
(٤) سورة هود الآية ٦١ .
(٥) سورة هود الآية ٨٤ .
(٦) سورة الأنبياء الآية ٨٥ .

وقال عن محمد صلى الله عليه وسلم: (مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ)(١).

ونجد في القرآن الكريم كذلك اشارة الى نبوة بعض الأنبياء دون ذكر أسمائهم وهم الأسباط.

والأسباط هم أولاد يعقوب، وقد كانوا اثنى عشر رجلا عرفنا القرآن الكريم بواحد منهم، وهو يوسف. أما الباقي فلم يعرفنا الله تعالى بأسمائهم.

وقد حكى الطبرى من قتادة قال: (الأسباط، يوسف واخوته، بنو يعقوب، ولد اثنى عشر رجلا، فولد كل رجل منهم أمة من الناس، فسموا أسباطا)(٢).

وقد اختلف المفسرون في الأسباط أكانوا كلهم أنبياء أم لا؟. ولكننا لانجد توضيح ذلك في القرآن الكريم، أو السنة الشريفة.

قال تعالى: (قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا، وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ)(٣).

وقال تعالى: (أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ قُلْ أَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَادَةً عِندَهُ مِنَ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ)(٤).

وقد ورد في السنة كذلك ذكر هؤلاء الأنبياء السابقين مما لا تدعو الحاجة الى ذكرهم خوفا من الاطالة.

وهناك بجانب ما ذكر القرآن نبيان آخران ثبت وجودهما بالسنة المطهرة هما: شيث، ويوشع بن نون.

---

(١) سورة الفتح الآية ٢٩.
(٢) جامع البيان عن تأويل آى القرآن للامام الطبرى ج٢ ص١١١.

(٣) سورة البقرة الآية ١٣٦.
(٤) سورة البقرة الآية ١٤٠.

يقول ابن كثير في البداية والنهاية عن شيث: (وكان نبيا بنص الحديث الذي رواه ابن حبان في صحيحه عن أبي ذر مرفوعا أنه أنزل عليه خمسون صحيفة)(١)

وعن يوشع بن نون: روى أبو هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (غزا نبي من الأنبياء، فقال لقومه: لا يتبعني رجل قد ملك بضع امرأة وهو يريد أن يبني بها، ولما يبن، ولا آخر قد بنى بنيانا ولم يرفع سقفها، ولا آخر قد اشترى غنما أو خلفات وهو ينتظر أولادها. فغزا فدنا من القرية حين صلى العصر، أو قريبا من ذلك، فقال للشمس: أنت مأمورة، وأنا مأمور، اللهم أحبسها على شيئا)(٢)

والدليل على أن هذا النبي هو يوشع عليه السلام قوله صلى الله عليه وسلم (ان الشمس لم تحبس الا ليوشع ليالي سار الى بيت المقدس)(٣).

وقد اكتفى القرآن الكريم بمجرد ذكر بعض أسماء هؤلاء الأنبياء كادريس واسحاق واسماعيل ويعقوب وزكريا ويحي، دون الحديث عن دعواتهم وأممهم. أما الآخرون فقد ذكر قصصهم على تفاوت فيما بينهم، فأطال في قصص بعضهم، وأقصر مع البعض الآخر.

ولقد كان في مجرد ذكر القرآن الكريم لأسماء هؤلاء الأنبياء معترفا بصدق نبوتهم، ووقوع الوحي اليهم - لقد كان في مجرد ذلك- ما يكفي لاثبات صدق وقوع الوحي لهؤلاء الأنبياء والمرسلين.

ولكننا مع ذلك نجد القرآن الكريم يتحدث عن الوحي اليهم بصفة عامة والى بعضهم بصفة خاصة، وعن الصحف والكتب التي أوحاها الله الى بعضهم، وعن المعجزات التي أقاموها دليلا على صدقهم في دعوى نبوتهم عن الله.

---

(١) البداية والنهاية لابن كثير ج ١ ص ٩٩.

(٢) صحيح البخاري: كتاب فرض الخمس باب قول النبي صلى الله عليه وسلم (احلت لكم الغنائم) ٦/ ٣١٢٤. ومسند الإمام أحمد ج ٢ ص ٣١٨، واللفظ للبخاري.

(٣) قال ابن كثير في البداية والنهاية ج ١ ص ٣٢٣: انفرد به أحمد من هذا الوجه، وهو على شرط البخاري. مسند الإمام أحمد ج ٢ ص ٣٢٥.

٢- اثبات القرآن الكريم لوقوع الوحي الى الأنبياء السابقين

مما جاء في اثبات الوحي الى هؤلاء الأنبياء بصفة عامة قول الله تعالى : (وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبلِكَ إِلاَّ رِجَالاً نُوحِي إِلَيهِم فَاسْأَلُوا أَهلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُم لاَ تَعلَمُونَ)[١].

وقال تعالى : (كَذَلِكَ يُوحِي إِلَيكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبلِكَ اللَّهُ العَزِيزُ الحَكِيمُ)[٢]

وقال تعالى : (يُنَزِّلُ المَلاَئِكَةَ بِالرُّوحِ مِن أَمرِهِ عَلَى مَن يَشَاءُ مِن عِبَادِهِ أَنْ أَنذِرُوا أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاتَّقُونِ)[٣].

وقال تعالى : (وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبلِكَ إِلاَّ رِجَالاً نُوحِي إِلَيهِم مِن أَهْلِ القُرَى أَفَلَم يَسِيرُوا فِي الأَرضِ فَيَنظُرُوا كَيفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبلِهِم وَلَدَارُ الآخِرَةِ خَيرٌ لِلَّذِينَ اتَّقَوا أَفَلاَ تَعقِلُونَ)[٤].

وجاء في اثبات الوحي الى بعض الأنبياء بأسمائهم قال تعالى : (إِنَّا أَوْحَينَا إِلَيكَ كَمَا أَوحَينَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِن بَعْدِهِ ، وَأَوْحَينَا إِلَى إِبرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيمَانَ ، وَآتَينَا دَاوُودَ زَبُوراً ، وَرُسُلاً قَد قَصَصنَاهُم عَلَيكَ مِن قَبلُ ، وَرُسُلاً لَم نَقْصُصْهُم عَلَيكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيماً)[٥].

فبينت هذه الآية الكريمة أن شأنه صلى الله عليه وسلم في الوحي ، كشأن سائر الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، فوقوع الوحي الى الأنبياء السابقين جاءت به الآية في موقع المشبه به ، يدلنا ذلك على أن هذا الوحي المشبه به قد وقع بالفعل ، والا فكيف يكون التشبيه على شيء لم يكن معلوما للمخاطب ، ولا لمجتمع عصره؟ .

---

(١) سورة النحل الآية ٤٣ .

(٢) سورة الشورى الآية ٣ .

(٣) سورة النحل الآية ٢ .

(٤) سورة يوسف الآية ١٠٩ .

(٥) سورة النساء الآية ١٦٣ .

زد على ذلك أننا أثبتنا المشبه ، وهو الوحي الى النبي الخاتم عليه الصلاة والسلام ، بطرق أخرى غير التشبيه: بالايحاء الى الأنبياء السابقين . والمشبه كالمشبه به ، فيحصل باثباته اثبات وقوع الوحي الى الأنبياء قبله عليهم جميعا أفضل الصلاة ، وأتم التسليم.

قال الألوسي في قوله تعالى : (انا أوحينا اليك) قال: (منتظم المعنى : (آتيناك) ، و(ارسلناك) حتما . فكأنه قيل : انا أوحينا اليك ،كما أوحينا الى فلان وفلان ،وآتيناك مثل ما آتينا فلانا ، وأرسلناك مثل ماأرسلنا الرسل الذين قصصناهم وغيرهم ،ولا تفاوت(١) بينك وبينهم في حقيقة الايحاء والارسال . فما للكفرة يسألونك شيئا لم يعطه أحد من هؤلاء الرسل عليهم الصلاة والسلام ؟(٢)

وقال تعالى بعد أن ذكر جملة الثمانية عشر نبيا : (أُولَئِكَ الذِينَ آتَينَاهُم الكِتَابَ وَالحُكْمَ وَالنُّبوَةَ فَإن يَكْفُرْ بِهَا هَؤلاءِ فَقَد وَكَّلْنَا بِهَا قَوماً لَيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ)(٣) .

فقوله (اولئك) يعني الأنبياء المذكورين مع من أضيف اليهم من الآباء والذرية والاخوان ، هم أهل الهدى ،وهم الذين أنعم الله عليهم رحمة ولطفا بالعباد ، فبهداهم تقتدى الأمم .(٤)

كل هؤلاء قد أوتو حكما وعلما ، قال تعالى (وَكُلاًّ آتَيْنَاهُ حُكْماً وَعِلْماً)(٥).

وقد فسر الحكم هنا بالنبوة .(٦)

---

(١) معنى النبوة معنى مشتركا بين جميع الأنبياء. أما التفاوت فيأتي في المنزلة .
(٢) روح المعاني للألوسي ج ٦ ص ١٧ .
(٣) سورة الأنعام الآية ٨٩ .
(٤) انظر تفسير القرآن العظيم لابن كثير ج ٣ ص ٦٣
(٥) سورة الانبياء الآية ٧٩ .
(٦) انظر تفسير الطبري ج ١٧ ص ٥١ ، وكذلك انظر تفسير البحر المحيط ، لمحمد بن يوسف الشهير بابي حيان الاندلسي ، الطبعة الثانية ١٤٠٣ هـ ١٩٨٣م ، الناشر دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ج ٦ ص ٣٢٩ .

وليس من قصدنا هنا أن نورد بالتفصيل ما ذكره القرآن من أخبار هؤلاء الأنبياء السابقين مع أممهم ولا ما تضمنته رسالاتهم من العقائد والعبادات والشرائع، وانما الذى يكفينا فيما نحن بصدده من اثبات وقوع الوحي اليهم من الله - عز وجل - يكفينا فى ذلك أن نذكر هنا أمرين :-

الأمر الأول : ما ذكره القرآن من معجزات بعض هؤلاء الأنبياء التى أيد الله بها دعواهم النبوة عن الله وصدّقهم بها فيما أعلنوه عن أنفسهم من نزول الوحى عليهم منه عز وجل .

الأمر الثانى : التعريف بما ذكره القرآن من الصحف والكتب التى أنزلت على بعض هؤلاء الأنبياء والتى يتمثل فيها وحى الله اليهم بشريعته .

٣- اثبات القرآن الكريم لمعجزات الأنبياء السابقين

معجزة نوح عليه السلام :

قال تعالى : (وَأُوحِيَ إِلَى نُوحٍ أَنَّهُ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ آمَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ، وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ، وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِّن قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ ، قَالَ : إِن تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ)(١) .

ففي قوله :(واصنع الفلك بأعيننا ووحينا) إشارة إلى أنه تعالى يوحي إليه أنه كيف ينبغي عمل السفينة وتركيبها حتى يحصل المطلوب .

وقد ذكر المفسرون في الأمر الذي من أجله يسخرون عدة وجوه كلها محتملة منها :

(ان السفينة كانت كبيرة ،وهو كان يصنعها في موضع بعيد عن الماء جدا ،وكانوا يقولون : ليس ههنا ماء ، ولا يمكنك نقلها الى الأنهار العظيمة ،والى البحار فكانوا يعدون ذلك من باب السفه والجنون) .

ومنها كذلك (أنهم ما رأوا السفينة قبل ذلك ، وما عرفوا كيفية الانتفاع بها ، وكانوا يتعجبون منه ويسخرون)(٢)

وكان جواب القوم عن استفساراتهم وسخريتهم قوله تعالى : (حَتَّى إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ ، قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ ، وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ ، وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ . وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ، وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ الْكَافِرِينَ ، قَالَ سَآوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ

---

(١) سورة هود الآيات من ٣٦- ٣٩ .

(٢) التفسير الكبير للفخر الرازي ج ١٧ ص ٢٢٣-٢٢٤ .

لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّـهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ ، وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ) .(١)

أما معجزة صالح فقد ذكرها القران الكريم فى عدة مواضع منها قوله تعالى : (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ) .(٢)
فكذبوه وطلبوا منه آية تدل على صدقه : (قَالُوا إِنَّمَا أَنتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ ، مَا أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا فَأْتِ بِآيَةٍ إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ .) .(٣)

يقول ابن كثير فى تاريخه : (ذكر المفسرون أن ثمود اجتمعوا يوما فى ناديهم فجاءهم رسول الله صالح عليه السلام فدعاهم الى الله ، وذكرهم وحذرهم ، ووعظهم وأمرهم ، فقالوا له : ان أنت أخرجت لنا من هذه الصخرة - وأشاروا الى صخرة هناك - ناقة من صفتها كيت وكيت ، وذكروا أسماء سموها ، ونعتوها ، وتعنتوا فيها ، كأن تكون عشراء طويلة من صفتها كذا وكذا . فقال لهم نبيهم صالح عليه السلام أرأيتم ان أجبتكم الى ما سألتم على الوجه الذى طلبتم ، أتؤمنون بما جئت به ، وتصدقون بما أرسلت به؟ قالوا : نعم . فأخذ عهودهم ومواثيقهم على ذلك . ثم قام الى مصلاه فصلى لله عز وجل ما قدر له ، ثم دعا ربه عز وجل أن يجيبهم الى ما طلبوا . فأمر الله عز وجل تلك الصخرة أن تنفطر عن ناقة عظيمة عشراء على الوجه الذى طلبوا ، أو على الصفة التى نعتوا ، فلما عاينوها كذلك ، رأوا أمرا عظيما ، ومنظرا هائلا ، وقدرة باهرة ودليلا قاطعا ، وبرهانا ساطعا . فآمن كثير منهم ، واستمر أكثرهم على كفرهم) .(٤)

---

(١) سورة هود الآيات ٤٠-٤٤ -
(٢) سورة النمل الآية ٤٥ .
(٣) سورة الشعراء الآيتان ١٥٣-١٥٤ .
(٤) البداية والنهاية لابن كثير ج ١ ص ١٣٤ .

وقد ذكر الله ذلك في قوله : (قَالَ هَٰذِهِ نَاقَةٌ لَّهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ)[1] .

وقال : (قَدْ جَاءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ هَٰذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً ۖ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ ۖ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ)[2] .

وقد كانت آية واضحة بينة لا خفاء فيها ، ولذلك سماها مبصرة . قال تعالى (وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً)[3] .

وقد جمع الرازي أقوال المفسرين في كون الناقة آية عدة أقوال كلها تدل على أنها مشتملة على أمر خارق للعادة يدل دلالة واضحة بينة على صدقه في دعوى الرسالة عليه السلام . ومن هذه الأقوال[4] :

الأول : وعليه الجمهور أنها كانت آية بسبب خروجها من الصخرة .

الثاني : أنها كانت آية بسبب أنه كان لها شرب يوم واستيفاء ناقة شرب أمة عجيب

الثالث : أنهم كانوا يحلبون منها القدر الذي يقوم لهم مقام الماء في يوم شربهم

الرابع : أنه خلقها على تلك الصورة دفعة واحدة من غير ولادة . . . . الخ

ولكنهم رغم هذا العمل الخارق جحدوا واستكبروا وعقروا الناقة وكان عاقبتهم ان عاقبهم الله بالصيحة . قال تعالى : (وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ ، كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا ۗ أَلَا إِنَّ ثَمُودَ كَفَرُوا رَبَّهُمْ ۗ أَلَا بُعْدًا لِّثَمُودَ)[5]

---

(١) سورة الشعراء الآية ١٥٥ .
(٢) سورة الأعراف الآية ٧٣ .
(٣) سورة الاسراء الآية ٥٩ .
(٤) انظر التفسير الكبير للفخر الرازي ج ١٨ ص ١٩ .
(٥) سورة هود الآيتان ٦٧ - ٦٨ .

وقد ذكر الله عن ابراهيم عليه السلام نجاته من النار بعد أن ألقي فيها وكان ذلك معجزة له ،ودليلا حسيا على بطلان ما يعبدون من أصنام حين قام بتحطيمها فلم تدفع عن نفسها . قال تعالى : (فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ، فَتَوَلَّوْا عَنْهُ مُدْبِرِينَ ، فَرَاغَ إِلَى آلِهَتِهِمْ فَقَالَ : أَلَا تَأْكُلُونَ مَا لَكُمْ لَا تَنْطِقُونَ ، فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْباً بِالْيَمِينِ)[1].

وقال تعالى حكاية لقول ابراهيم عليه السلام: (تَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ . فَجَعَلَهُمْ جُذَاذاً إِلَّا كَبِيراً لَهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ)[2].

ورغم أن الحقيقة قد صدمت القوم من فعلة ابراهيم عليه السلام ، ومحاجته اياهم رغم ذلك خافوا افتضاح أمرهم وعمدوا الى القوة يسترون بها فضيحتهم ،فحكموا عليه بالموت حرقا قال تعالى حاكيا ذلك في كتابه الكريم: (قَالُوا : فَأْتُوا بِهِ عَلَى أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ . قَالُوا : أَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ؟ قَالَ : بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا ، فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ . فَرَجَعُوا إِلَى أَنْفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ ، ثُمَّ نُكِسُوا عَلَى رُؤُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ . قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئاً وَلَا يَضُرُّكُمْ أُفٍّ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ ، أَفَلَا تَعْقِلُونَ ؟ قَالُوا : حَرِّقُوهُ وَانْصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ . قُلْنَا : يَا نَارُ كُونِي بَرْداً وَسَلَاماً عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَأَرَادُوا بِهِ كَيْداً فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ)[3]

---

(١) سورة الصافات الآيات من ٨٧-٩٣ .

(٢) سورة الأنبياء الآيتان ٥٧-٥٨ .

(٣) سورة الأنبياء الآيات من ٦١-٧٠ .

وله بجانب هذه المعجزة معجزات أخرى كاحياء الموتى قال تعالى : (وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى . قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ ؟ قَالَ : بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي . قَالَ : فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ على كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جزءا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا واعلم أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ)(١).

فقوله : (أولم تؤمن ؟ قال بلى ولكن ليطمئن قلبي) أي (علمت وآمنت بأنك قادر على ذلك . ولكن سألت ليطمئن قلبي باجتماع دليل العيان الى دلائل الايمان .

وقد ذهب الجمهور(٢) الى أن ابراهيم عليه السلام لم يكن شاكا في احياء الموتى قط، وانما طلب المعاينة لما جبلت عليه النفوس البشرية من رؤية ما اخبرت عنه ، ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم (ليس الخبر كالمعاينة)(٣).

وقد حقق الله سبحانه وتعالى له هذا السؤال . فدل ذلك أن الوحي قد وقع إليه بالفعل .

وذكر القرآن الكريم أنه حينما طلب فرعون من موسى الدليل على صدقه ألقى موسى عصاه من يده فاذا هي ثعبان لا شك فيه يتحرك ، وأخرج يده من جيبه فاذا هي ناصعة البياض تتلألأ للناظرين وقد حكى الله سبحانه وتعالى ذلك في قوله تعالى : (قَالَ : إِن كُنتَ جِئْتَ بِآيَةٍ فَأْتِ بِهَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ، فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ، وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ قَالَ الْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ : إِنَّ هَٰذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ ، يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ؟ قَالُوا : أَرْجِهْ وَأَخَاهُ ، وَأَرْسِلْ

(١) سورة البقرة الاية ٢٦٠

(٢) أما ما ذكر من بعض أهل العلم أن إبراهيم عليه السلام كان شاكا في قدرة الله مستدلين بما ورد في الصحيحين وغيرهما من قوله : (نحن أحق بالشك من إبراهيم) إلى غير ذلك فهو مردود لأن معنى الحديث المذكور كما قال ابن عطية إنه لو كان شاكا لكنا نحن أحق به ، ونحن لا نشك ، فابراهيم أحرى ألا يشك . فالحديث مبني على نفي الشك عن ابراهيم . انظر فتح القدير للامام الشوكاني الجزء الأول ص ٢٨١ .

(٣) مسند الإمام أحمد ج ١ ص ٢١٥ ، ٢٧١

فى المدائن حاشرين . يأتوك بكل ساحر عليم . وجاء السحرة فرعون ، قالوا : إن لنا لأجراً إن كنا نحن الغالبين ؟ قال : نعم ، وإنكم لمن المقربين . قالوا : يا موسى ، إما أن تلقى ، وإما أن نكون نحن الملقين . قال : ألقوا . فلما ألقوا سحروا أعين الناس واسترهبوهم وجاءوا بسحر عظيم . وأوحينا إلى موسى أن ألق عصاك فإذا هى تلقف ما يأفكون . فوقع الحق وبطل ما كانوا يعملون . فغلبوا هنالك وانقلبوا صاغرين . وألقى السحرة ساجدين . قالوا : آمنا برب العالمين . رب موسى وهرون . قال فرعون : آمنتم به قبل أن آذن لكم ؟ إن هذا لمكر مكرتموه فى المدينة لتخرجوا منها أهلها فسوف تعلمون . لأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف ، ثم لأصلبنكم أجمعين . قالوا : إنا إلى ربنا منقلبون . وما تنقم منا إلا أن آمنا بآيات ربنا لما جاءتنا ، ربنا أفرغ علينا صبرا وتوفنا مسلمين)(١)

فهذه الآيات التى جاء بها خير دليل على صدق وقوع الوحى اليه حيث عجزوا عن الاتيان بمثلها فدل ذلك على أنها من الله تصديقا له فى رسالته .

ومن معجزات موسى عليه السلام انشقاق البحر له ، ونجاتهم من فرعون وملئه ، ثم انطباقه على فرعون ومن معه وغرقهم فيه . قال تعالى : (فأوحينا إلى موسى أن اضرب بعصاك البحر فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم . وأزلفنا ثم الآخرين ، وأنجينا موسى ومن معه أجمعين . ثم أغرقنا الآخرين . إن فى ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين)(٢)

ونكتفى بذلك من صياغ القرآن الكريم للآيات التى أعطيها موسى عليه السلام والا فانها كثيرة . قال تعالى : (ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات فاسأل بنى إسرائيل إذ جاءهم فقال له فرعون إنى لأظنك يا موسى مسحورا . قال لقد علمت ما أنزل هؤلاء إلا رب السموات والأرض بصائر وإنى لأظنك يا فرعون مثبورا . فأراد أن يستفزهم من الأرض فأغرقناه ومن معه جميعا)(٣).

---

(١) سورة الأعراف الآيات ١٠٦ - ١٢٦ .

(٢) سورة الشعراء الآيات من ٦٣ - ٦٧ .

(٣) سورة الاسراء الآيات من ١٠١ - ١٠٣ .

وقد أيد الله سبحانه وتعالى سيدنا عيسى عليه السلام بمعجزات شتى ، بل كانت ولادته نفسها معجزة كما جاء فى الملل والنحل للشهرستانى : (كانت له آيات ظاهرة وبينات زاهرة ، مثل احياء الموتى ، وابراء الأكمه ، والابرص ، ونفس وجوده وفطرته آية كاملة على صدقه ، وذلك حصوله من غير نطفة سابقة ، ونطقه من غير تعليم سابق)(١) .

ومعجزاته التى ذكرها القرآن الكريم تتلخص فى خمسة أمور جاء ذكر أربعة منها فى سورة المائدة فى قوله تعالى : (إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَى وَالِدَتِكَ ، إِذْ أَيَّدْتُكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ ، تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا ، وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ ، وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنْفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي ، وَتُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَى بِإِذْنِي ، وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنْكَ إِذْ جِئْتَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ . وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي ، قَالُوا آمَنَّا وَاشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ . إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ ، قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ . قَالُوا نُرِيدُ أَنْ نَأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَنْ قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ . قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِنْكَ وَارْزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ . قَالَ اللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدُ مِنْكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ)(٢) .

---

(١) الملل والنحل للشهرستانى ، تحقيق محمد سيد كيلانى ، شركة ومكتبة مصطفى البابى الحلبى ج ١ ص ٢٢٠ .

(٢) سورة المائدة الآيات من ١١٠ - ١١٥

وذكر الخامسة في سورة آل عمران ، وهي انباؤه عليه السلام بأمور غائبة عن حسه ،ولم يعاينها . فقد كان ينبئ صحابته وتلاميذه بما يأكلون ،وما يدخرون في بيوتهم . وقد ذكر الله ذلك في قوله تعالى حاكياً عنه : (وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ ، إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ) (١) .

فاجراء خلق الطير على يديه عليه السلام واحياؤه الموتى باذن الله وانزال المائدة من السماء بطلب الحواريين لتطمئن قلوبهم ،وليعلموا ان قد صدقهم ،واخباره بالأمور الغائبة عن حسه ، وابراؤه عليه السلام الأكمه والأبرص ،وهما مرضان تعذر على الطب قديمه وحديثه العثور على دواء لهما ،والتمكن من أسباب الشفاء منهما . كل ذلك من الأدلة القاطعة القائمة على صدق رسالته عليه السلام .

هذه المعجزات جاءت من الله تعالى فدلت على صدقهم . فاذا كان ذكر هذه المعجزات في كتبهم المقطوع بتحريفها يدل على صدق نبوتهم عند أتباعهما فان القرآن الكريم المقطوع بصدقه ، يدل بالضرورة العقلية على صدق نبوتهم صدقا حقيقيا .

هذا طرف مما ذكره القرآن من معجزات الأنبياء السابقين التي أجراها الله على أيديهم تصديقا لهم في وقوع الوحي اليهم من الله . وهو الأمر الأول الذي نُعْنَى بذكره هنا في مقام الحديث عن تصديق القرآن لوقوع الوحي الى الأنبياء السابقين على محمد صلى الله عليه وسلم .

أما الأمر الثاني : فهو بيان حديث القرآن عما تشل فيه الوحي من الكتب والصحف التي أنزلها الله على بعض هؤلاء الأنبياء .

---

(١) سورة آل عمران الآية ٤٩ .

- د -

كتب الأنبياء السابقين باعتبارها وحيا إلهيًّا

قال تعالى : (فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ جَاءُوا بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ)(١)

والكتاب المنير: هو القرآن الكريم . (٢)

وقال تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا)(٣).

قال ابن كثير: قوله (وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ) : يعني القرآن . (وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ) : هذا جنس يشمل جميع الكتب المتقدمة)(٤).

وقال تعالى : (وَتَرَى كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَى إِلَى كِتَابِهَا الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ)(٥).

قال الشوكاني في تفسيره : (ومعنى: (الى كتابها) :أي الى الكتاب المنزل عليها ، وقيل الى صحيفة أعمالها ،وقيل الى حسابها ، وقيل اللوح المحفوظ. والأول أولى.(٦)

وقد نص القرآن الكريم على بعض هذه الكتب والصحف التي أوحاها الله الى من اصطفاهم بذلك من أوليائه فذكر صحف ابراهيم وموسى ، وذكر التوراة لموسى ، والزبور لداوود ، والانجيل لعيسى عليهم جميعا أفضل الصلوات وأزكى

---

(١) سورة آل عمران الآية ١٨٤ .
(٢) فتح القدير ج ١ ص ٤٠٧ .
(٣) سورة النساء الآية ١٣٦ .
(٤) تفسير القرآن العظيم ج ٢ ص ٤١٤ .
(٥) سورة الجاثية الآية ٢٨ .
(٦) فتح القدير للشوكاني ج ٥ ص ١٠ ، ١١ .

التسليم . وقد تكرر ذكر هذه الكتب والصحف عشرات المرات خلال صفحات القرآن الكريم ،وكذلك ذكر بعض ما فيها من الأحكام والوصايا ، وما وقع لها من النسيان والتحريف .

وسوف نتحدث عن هذه الكتب الموحاة بالتفصيل فيما يلي :

أولا : الصحف التى أنزلت على ابراهيم وموسى عليهما السلام :

كلمة صحف وردت فى القرآن الكريم فى مواضع ثمانية من سبع سور من القرآن الكريم من ذلك قوله تعالى (إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الأُولَىٰ صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ)(١).

وجاء عند القرطبى(٢): ان صحف ابراهيم كانت أمثالا وصحف موسى مواعظ.

ولكن هل كانت هذه الصحف تنزل جملة أم وحيا مفرقا ؟ وهل كانت موجودة فى عصر ما من عصور التاريخ ثم اختفت؟ أم كانت فى شكل وصايا فقط ؟ وماذا تشتمل عليه هذه الصحف؟

لا القرآن ولا السنة أوضحا ذلك ، ولكن السنة بينت بعض ما فى هذه الصحف .

فقد أخرج البزار وابن المنذر والحاكم وصححه ابن مردويه عن ابن عباس فى قوله تعالى (إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الأُولَىٰ صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (هى كلها فى صحف ابراهيم وموسى)(٣). يعنى بذلك سورة الأعلى بأكملها

وقال القرطبى : قال قتادة وابن زيد : يريد قوله : (وَالآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ)(٤).

وفى هذا نص على أن فى القرآن ما فى صحف ابراهيم وموسى . وقد جاء ما يدل على أن معان أخرى كذلك فى صحف ابراهيم وموسى ذلك كما فى سورة النجم فى قوله تعالى : (أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَىٰ ، وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّىٰ ، أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ، وَأَن لَّيْسَ لِلإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَىٰ ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الأَوْفَىٰ)(٥).

وهذا يؤيد أن أكثر ما ورد فى هذه الصحف أمثال ومواعظ ، كما يؤيد ترابط الكتب السماوية . (٦)

---

(١) سورة الأعلى الآيتان ١٨-١٩ .
(٢) الجامع لأحكام القرآن للقرطبى ج ٢٠ ص ٢٥ .
(٣) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ج ٧ ص ٢٧٢ .
(٤) الجامع لأحكام القرآن للقرطبى ج ٢٠ ص ٢٤ .
(٥) سورة النجم الآيتان ٣٦-٤١ .
(٦) انظر أضواء البيان فى ايضاح القرآن بالقرآن للشيخ محمد الأمين الشنقيطى المطابع الاهلية للاوفست الرياض ج ٩ ص ١٨٤

وروى الآجُرّى من حديث أبىّ قال : قلت يا رسول الله :(فما كانت صحف ابراهيم؟ قال : كانت أمثالا كلها : أيها الملك المتسلط المبتلى المغرور ، انى لم أبعثك لتجمع الدنيا بعضها على بعض ،ولكن بعثتك لترد عنى دعوة المظلوم ، فانى لا أردها ولو كانت من فم الكافر .

وكان فيها أمثال :وعلى العاقل أن يكون له ساعات: ساعة يناجى فيها ربه ، وساعة يحاسب فيها نفسه ، وساعة يفكر فيها فى صنع الله عز وجل اليه ، وساعة يخلو فيها لحاجته من المطعم والمشرب . وعلى العاقل ألا يكون ظاعنا الا فى ثلاث: تزود لمعاد ، ومرمّة لمعاش ،ولذة فى غير محرم وعلى العاقل أن يكون بصيرا بزمانه ، مقبلا على شأنه ،حافظا للسانه . ومن عد كلامه من عمله قل كلامه الا فيما يعنيه .

قال : قلت : يا رسول الله فما كانت صحف موسى ؟ قال : (كانت عبرا كلها : عجبت لمن أيقن بالموت كيف يفرح (! وعجبت لمن أيقن بالقدر كيف ينصَبْ ، وعجبت لمن رأى الدنيا وتقلبها بأهلها كيف يطمئن اليها وعجبت لمن أيقن بالحساب غدا ثم هو لا يعمل .

قال : قلت: يارسول الله ،فهل فى أيدينا شىء مما كان فى يدى ابراهيم وموسى مما أنزل الله عليك؟ قال : (نعم: اقرأ يا أباذر (قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّىٰ وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّىٰ بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ إِنَّ هَٰذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَىٰ صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ)(١)

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبى . دار الكاتب العربى للطباعة ج ٢٠ ص ٢٠ - ٢٥، والآيات من سورة الأعلى ١٤-١٩ .

ثانيا : التــوراة :

جاء من تعريفها[١] : ورى الزند يرى اذا قدح وظهرت النار ، قال تعالى : (فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا)[٢] . ويقولون : وريت بك زنادى ومعناه ظهر بك الخير لى .

فعلى المعنى الأول التوراة معناها الضياء والنور ، وعلى المعنى الثانى سميت التوراة بهذا الاسم لظهور الحق بها . ويدل على هذا المعنى قوله تعالى : (وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيَاءً)[٣] .

والتوراة هى كتاب الله تعالى المنزل على موسى عليه السلام ، وهى أول كتاب ينزل من السماء اذا لم نسم ما كان ينزل على ابراهيم وغيره من الأنبياء عليهم السلام كتبا بل صحفا .

وقد جاء ذكرها فى القرآن الكريم فى ثمانية عشر موضعا فى سبع سور من سور القرآن الكريم منها قوله تعالى : (إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِن كِتَابِ اللَّهِ)[٤] .

وقد وردت فى بعض آى القرآن بلفظ الكتاب منسوبا اتيانه الى موسى عليه السلام . قال تعالى : (وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِن بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ ، وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ)[٥]

قال الرازى[٦] : (أما الكتاب فهو التوراة آتاه الله اياه جملة واحدة) . وقال تعالى : (وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ)[٧] .

---

(١) انظر الصحاح للجوهرى ج ٦ باب الواو والياء فصل الواو ص ٢٥٢٢ . وانظر التفسير الكبير للرازى ج ٧ ص ١٥٩ .

(٢) سورة العاديات الآية ٢ .

(٣) سورة الأنبياء الآية ٤٨ .

(٤) سورة المائدة الآية ٤٤ .

(٥) سورة البقرة الآية ٨٧ .

(٦) انظر التفسير الكبير ج ٣ ص ١٧٦ .

(٧) سورة البقرة الآية ٥٣ .

قال الشيخ الشنقيطي فى تفسيره : (الظاهر فى معناه: أن الفرقان هو الكتاب الذى أوتيه موسى ، وانما عطف على نفسه ، تنزيلا لتغاير الصفات منزلة تغاير الذوات، لأن ذلك الكتاب الذى هو التوراة موصوف بأمرين :

أحدهما : أنه مكتوب كتبه الله لنبيه موسى عليه السلام .

والثانى : أنه فرقان أى فارق بين الحق والباطل ، فعطف الفرقان على الكتاب مع أنه هو نفسه نظرا لتغاير الصفتين)(١).

وقد أثبت الله سبحانه وتعالى للتوراة اختصاصا سوى سائر الكتب فقد ورد فى حديث محاجة آدم لموسى الطويل قول آدم : ... انت موسى اصطفاك الله بكلامه وخط لك التوراة بيمينه تلومنى على امر قدره على قبل ان يخلقنى باربعين سنة فحج ادم موسى) .(٢)

وهذا مصداقا لقول الله تعالى : (وكتبنا له فى الألواح من كل شىء موعظة وتفصيلا لكل شىء)(٣).

وما جاء فى حاشية الجلالين(٤) ، من أن الله تعالى لقن موسى عليه السلام التوراة ثم أمره بكتابتها فنقلها من صدره الى الألواح ، فلا دليل عليه ، فالحديث واضح وصريح ، أن الله جل جلاله هو الذى كتب التوراة بيده .

وفى خبر حكاه الشوكانى عن على بن أبى طالب قال (كتب الله الألواح لموسى وهو يسمع صريف الأقلام فى الألواح)(٥).

ففى هذه الأحاديث والآثار نجد الدلالة الواضحة على أنَّ التوراة نزلت مكتوبة.

---

(١) أضواء البيان للشيخ الشنقيطى ج ١ ص٣٩ .

(٢) اخرجه البخارى فى صحيحه كتاب التفسير ، تفسير سورة طه ١٢١/٦ ، وفى كتاب القدر باب تحاج آدم موسى ١٥٧/٨ .

(٣) سورة الأعراف الآية ١٤٥ .

(٤) الفتوحات الإلهية بتوضيح تفسير الجلالين تأليف سليمان بن عمر الشهير بالجمل طبع بمطبعة عيسى البابى الحلبى، ج ٢ ص ١٩٥ .

(٥) فتح القدير للشوكانى ج ٢ ص ٢٤٦ .

والتوراة نزلت كلها جملة واحدة . وما ذهب اليه الشيخ محمد رشيد رضا في تفسيره[1] من أن الذى نزل جملة واحدة من عند الله هي الوصايا العشر منقوشة في لوحين فلا دليل عليه . وأما سائر الأحكام فقد كانت توحى الى موسى عليه السلام في أوقات متعاقبة ، ولم تنزل عليه مكتوبة جملة واحدة .

والأدلة التى ترجح نزولها جملة واحدة كثيرة منها قوله تعالى : (وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الأَلْوَاحِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلاً لِكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ)[2]

قال ابن عباس[3]: يريد ألواح التوراة ، والمعنى ، وكتبنا لموسى في ألواح التوراة . فما في الألواح إذن هو التوراة .

وقد أخرج ابن أبى حاتم من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : (أعطى موسى التوراة في سبعة ألواح من زبرجد فيها تبيان لكل شىء وموعظة فلما جاء بها فرأى بنى اسرائيل عكوفا على عبادة العجل رمى بالتوراة من يده فتحطمت فرفع الله منها ستة أسباع وأبقى منها سبعا)[4].

وقال تعالى : (وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ وَظَنُّوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ . . .)[5].

وكون أن التوراة نزلت جملة واحدة ليس معناه أن الوحى قد انقطع عن سيدنا موسى عليه السلام اذ أنه ليس كل ما جاء به الوحى مدون في الكتب السماوية ، فهناك بعض الأخبار في السيرة النبوية قد وردت ولم نجد لها أثرا في القرآن الكريم رغم

---

(١) تفسير القرآن الحكيم لرشيد رضا ، الطبعة الأولى مطبعة المنار بمصر ج٦ ص ١٢
(٢) سورة الأعراف الآية ١٤٥ .
(٣) الفتوحات الالهية بتوضيح تفسير الجلالين ج ٢ ص ١٨٩ وفتح القدير ج٢ ص٢٤٤
(٤) الاتقان في علوم القرآن للسيوطى ج ١ ص ٤٢ .
(٥) سورة الأعراف الآية ١٧١ .

أنها كانت موحاة ، وقد كان موسى عليه السلام يوحى اليه بعد أن بلغته الرسالة وقبل أن تنزل التوراة عليه . قال تعالى :(قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ نَحْنُ الْمُلْقِينَ ، قَالَ : أَلْقُوا . فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ ، وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ،فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ)(١) .

قال الرازى : يحتمل أن يكون المراد من هذا الوحى حقيقة الوحى وروى الواحدى عن ابن عباس : أنه قال : يريد وألهمنا موسى أن (ألق عصاك)(٢) .

وقال تعالى : (وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي إِنَّكُمْ مُتَّبَعُونَ)(٣) وقال تعالى: (فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ ، قَالَ أَصْحَابُ مُوسَىٰ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ قَالَ : كَلَّا : إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ، فَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ : أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ)(٤) .

فهذه الآيات والأحاديث والأخبار التى سقناها كلها تثبت أن التوراة أنزلت جملة ولا تنافى بين الانزال جملة واحدة وبين تتابع الوحى .

فحصر النُّزول جملة على الوصايا العشر ترجيح بلا مرجح .

واذا ثبت مما تقدم أن التوراة من الكتب السماوية التى أنزلها الله سبحانه وتعالى على موسى عليه السلام . فلسائل أن يقول :أين هى هذه التوراة ؟

يجيبنا القرآن الكريم على هذا السؤال بأن اليهود أهملوا بعضها فضاع وحرفوا بعضها على نحو ما أرادوا قال تعالى : (يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا

---

(١) سورة الأعراف الآية ١٠٦ .
(٢) التفسير الكبير للرازى ج ١٤ ط ٢ ص ٢٠٤ .
(٣) سورة الشعراء الآية ٥٢ .
(٤) سورة الشعراء الآيات ٦١ - ٦٣ .

حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِ)(١). وقال تعالى: (قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُواْ التَّوْرَاةَ وَالإِنْجِيلَ)(٢). وقال تعالى : (أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُواْ لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلاَمَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ)(٣).

قال القرطبى فى قوله :(ثم يحرفونه) قال : (قال مجاهد والسُّدّى : هم علماء اليهود الذين يحرفون التوراة فيجعلون الحرام حلالا ، والحلال حراما اتباعا لاهوائهم .

(من بعد ما عقلوه) : أى عرفوه وعلموه . وهذا توبيخ لهم ، أى أن هؤلاء اليهود قد سلفت لآبائهم أفاعيل سوء وعناد ، فهؤلاء على ذلك السنن ، فكيف تطمعون فى ايمانهم)(٤). وقال تعالى : (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يَشْتَرُونَ الضَّلاَلَةَ وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّواْ السَّبِيلَ)(٥).

التعبير بالنصيب يدل على أنهم لم يحفظوا كتابهم كله . أوتوا نصيبا من الكتاب لأنهم لم يأخذوا الكتاب كله بل تركوا كثيرا من أحكامه لا يعملوا به وزادوا عليها والزيادة فى الشىء كالنقص فيه تماما ، فالتوراة تنهاهم عن الكذب وايذاء الناس وأكل الربا مثلا ، وكانوا يفعلون ذلك وزاد لهم علماؤهم ورؤساؤهم كثيرا من الأحكام والرسوم والتقاليد الدينية فهم يتمسكون بها وليست من التوراة ولا مما يعرفونه عن موسى(٦).

وفى كيفية هذا التحريف وجوه(٧) :

---

(١) سورة المائدة الآية ١٣ .

(٢) سورة المائدة الآية ٦٨ .

(٣) سورة البقرة الآية ٧٥ .

(٤) انظر الجامع لأحكام القرآن للقرطبى ج ٢ ص ٣ .

(٥) سورة النساء الآية ٤٤ .

(٦) انظر تفسير المنار لمحمد رشيد رضا ، الطبعة الأولى ، مطبعة المنار بمصر ج٥ ص ١٢٧ .

(٧) انظر التفسير الكبير للفخر الرازى ج ١٠ ص ١١٧ .

أحدها تبديل اللفظ بلفظ آخر مثل تحريفهم اسم (ربعة) عن موضعه في التوراة بوضعهم (آدم طويل) مكانه ، ونحو تحريفهم (الرجم) بوضعهم :(الحد) بدله ونظير هذا التحريف قوله تعالى :(فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ)(١) .

فقد أخرج مسلم وأحمد وعبد بن حميد وأبو داوود وابن جرير وابن أبي حاتم وابن ماجة وغيرهم عن أبي هريرة قال :أول مرجوم رجمه رسول الله صلى الله عليه وسلم من اليهود زنى رجل منهم وامرأة ، فقال بعضهم لبعض: اذهبوا بنا الى هذا النبي فانه نبي بعث بالتخفيف ، فاذا أفتانا بفتيا دون الرجم قبلناها واحتججنا بها عند الله وقلنا فتيا نبي من أنبيائك . قال : فأتوا النبي صلى الله عليه وسلم وهو جالس في المسجد وأصحابه ،فقالوا يا أبا القاسم ماترى في رجل وامرأة منهم زنيا . فلم يكلمهم حتى أتى بيت مدارسهم فقام على الباب فقال :أنشدكم بالله الذي أنزل التوراة على موسى ،ما تجدون في التوراة على من زنى اذا أحصن؟ قالوا يحمم ويجبه ويجلد والتجبية: أن يحمل الزانيان على حمار وتقابل أقفيتهما ويطاف بهما - . وسكت شاب منهم ، فلما رآه النبي صلى الله عليه وسلم سكت ألظ به النشدة ،فقال : اللهم اذا نشدتنا نجب. فانا نجد في التوراة الرجم . فقال النبي صلى الله عليه وسلم فما أول ما ارتخصتم أمر الله ؟ قال : زنى رجل ذو قرابة من ملك من ملوكنا فأخر عنه الرجم. ثم زنى رجل في اسرة من الناس،فأراد رجمه ، فحال قومه دونه ، وقالوا : والله لا ترجم صاحبنا حتى تجيء بصاحبك فترجمه . فاصطلحوا هذه العقوبة بينهم.

قال النبي صلى الله عليه وسلم : فاني أحكم بما في التوراة فأمر برجمهما .

---

(١) سورة البقرة الآية ٧٩ .

فقال النبي صلى الله عليه وسلم : (اللهم اني أول من أحيا أمرك اذ أماتوه)(١).

والنوع الثاني من التحريف: القاء الشبه الباطلة ،والتأويلات الفاسدة ،وصرف اللفظ عن معناه الحق الى معنى باطل بوجوه الحيل اللفظية ، كما يفعله أهل البدع بالآيات المخالفة لمذاهبهم وهذا هو الغالب .

هذا ورغم أن ما أصابه التبديل والتحريف من التوراة كثير الا أن الله سبحانه وتعالى أبقى بعضها لتكون حجة عليهم من ذلك قوله تعالى : (وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ ...)(٢).

وقد ورد في الإصحاح الحادي والعشرين من سفر الخروج تبليغا من الله :

(نفس بنفس وعين بعين ،وسن بسن ، ويد بيد ، ورجل برجل ، وكي بكي وجراحة بجراحة ،ورض برض)(٣).

وورد في الاصحاح الرابع والثلاثين من سفر الأحبار تبليغا من الله كذلك :

(من قتل انسانا يقتل قتلا ، وأي انسان أحدث عيبا في قريبه فليصنع به كما صنع . الكسر بالكسر ، والعين بالعين ، والسن بالسن ، كالعيب الذي يحدثه فيه الانسان يحدثه معه) (٤)

---

(١) صحيح مسلم: كتاب الحدود ، باب رجم اليهود ، وأهل الذمة في الزنا ٣/ ١٧٠٠ وسنن ابن ماجة : كتاب الحدود ، باب رجم اليهودي واليهودية ٢/ ٢٥٥٨ . ومسند الامام أحمد ج ٤ ص ٢٨٦ .

(٢) سورة المائدة الآية ٤٥ .

(٣) الكتاب المقدس ، جمعيات الكتاب المقدس المتحدة ، الطبعة بيروت ، سفر الخروج الإصحاح ٢١ .

(٤) الكتاب المقدس - سفر الأحبار - الاصحاح ٣٤ .

ونختم الحديث عن التوراة وتحريفها وما بقى منها على أصله بالحديث الذى رواه الامام أحمد عن أبى صخر العقيلى عن رجل من الأعراب قال : جلبت جلوبة الى المدينة فى حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما فرغت من بيعتى ، قلت : لألقين هذا الرجل فلأسمعن منه . قال : فتلقانى بين أبى بكر وعمر يمشون فتبعتهم فى أقفائهم حتى أتوا على رجل من اليهود ناشرا التوراة يقرأوها يعزى بها نفسه على ابن له فى الموت كأحسن الفتيان وأجملهم . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أنشدك بالذى أنزل التوراة هل تجد فى كتابك صفتى ومخرجى ؟ فقال برأسه هكذا ، أى لا . فقال ابنه - يعنى المريض - : انى والذى أنزل التوراة انا لنجد فى كتابنا صفتك ومخرجك ، وأشهد أن لا اله الا الله وأنك رسول الله . فقال صلى الله عليه وسلم - أى بعد أن مات بعد النطق بالشهادة - أقيموا اليهود عن أخيكم ، ثم ولى كفنه وحنطه وصلى عليه) . (١)

---

(١) مسند الامام أحمد بن حنبل ج ٥ ص ٤١١ .

ثالثا : الـزبـــور :

الزَّبْرُ: الكتابة . يقال زَبَرَ، يَزْبُرُ، ويَزْبِرُ .

قال الأصمعى : سمعت أعرابيا يقول : أنا أعرف تَزْبَرَتِى . أى خطى وكتابتى .

والزِّبْرُ : الكتاب، والجمع زُبُور. مثل قِدْر ، وقُدور . ومنه قرأ بعضهم: (وآتينا داوود زُبُورا) .

والزَّبور بالفتح : الكتاب، وهو فعول بمعنى مفعول من زَبَرْتُ .(١)

والزَّبْرُ ومشتقاته فى القرآن الكريم ورد فى تسعة مواضع فى سور ثمان(٢) منها قولـــه تعالى : (وآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا) .(٣)

والزبور: كتاب داوود عليه السلام . ويتكون من مائة وخمسين مزبورا ، ليس فيهما حكم ولا حلال ولا حرام بل كلها عبارة عن أدعية وتراتيل وحكم .(٤)

وتذكر دائرة المعارف الإسلامية أنه قد عثر "فيوليه *B. Violet*" فى دمشق على قطعة من ترجمة المزامير ترجع الى القرن الثانى الهجرى (الثامن الميلادى) وهذه القطعة تحتوى على ترجمة الآيات (٢٠-٣١ ، ٥١-٦١) من المزمور (٥٨) مكتوبة بحروف يونانية كبيرة .

وقد نقل الكندى ، وابن قتيبة آيات من المزامير مترجمة ترجمة حرفية .(٥)

وقد أورد على بن ربن الطبرى فى كتابه الدين والدولة بعض نصوص الزبور قال : وقال داوود عليه السلام فى المزمور الثامن والأربعين : (إِنَّ ربنا عظيم محمود جدا ، وفى قرية إلهنا وفى جبله قدوس ومحمود ، وعمت الأرض كلها فرحًا) .(٦)

---

(١) الصحاح للجوهرى ج ٢ ص ٦٦٧ باب الراء فصل الزاى

(٢) انظر المعجم المفهرس لالفاظ القرآن الكريم ص ٦٥٤

(٣) سورة النساء آية ١٦٣ .

(٤) الجامع لأحكام القرآن للقرطبى ج ٣ ص ٢٠١٣ ، والكتاب المقدس المزمور ١٩

(٥) للمزيد من التفصيل انظر دائرة المعارف الاسلامية تأليف مجموعة من العلماء مراجعة د . محمد المهدى علامة م ١٠ ، ص ٣٣٥-٣٣٦

(٦) الدين والدولة ، على بن ربن الطبرى ، تحقيق عادل نويهض ، دار الآفاق الجديدة ، بيروت ص ١٣٩ .

رابعا : الإنجيـــل :

الانجيل فى اللغة : يقال نَجَلْتُ الشئ : أى استخرجته ودفعتَه .

والانجيل يذكَّر ويؤنَّث - فمن أنَّث أراد الصَّحيفة ، ومن ذكر أراد الكتاب.(١)

ومعنى الانجيل : البشارة . فقد جاء فى مقدمة انجيل (تولستوئى) لحضـــرة الفاضل (سليم أفندى قبعين) أن لفظة (انجيل) باللغة اليونانية مركبة من كلمتين : (ايف) : ومعناها : جيد ، حسن - صلاح ، خبر صدق . و(انجليون) : ومعناها الإخبار بخبر من الأخبار .

فيكون تعريف اللفظين معا : الإخبار بالخبر . أو الخبر الحسن.(٢)

والانجيل هو الكتاب الذى أنزله الله سبحانه وتعالى على سيدنا عيسى عليـــه السلام بشهادة القرآن الكريم قال تعالى : (وَقَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَارِهِم بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَـــمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَآتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ . وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْـنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ).(٣) وقال تعالى : (وَأَنزَلَ التَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ).(٤)

وقد بين القرآن الكريم العلاقة بين هذا الكتاب والتوراة وانها علاقة تبشير لاعلاقة تضاد وتناقض كما يدعى اليهود . قال تعالى : (وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِـــي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ ، وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِـــي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ).(٥)

وهنا يأتى السؤال : هل أوحى الانجيل من الله الى عيسى بلفظه ومعنـــاه ، أو أوحيت إليه المعانى التى عبر عنها المسيح بألفاظ من عنده ؟

---

(١) انظر الصحاح للجوهرى ج ٥ باب اللام فصل النون .

(٢) انظر قصص الأنبياء ص ٣٨٩ .

(٣) سورة المائدة الآية ٤٦ .

(٤) سورة آل عمران الآية ٣ .

(٥) سورة الصف الآية رقم ٦ .

لا تسعفنا المصادر بالقطع فى هذه القضية .

وأيا ما كان الأمر فهو كتاب الله ،على أى نحو كان الوحى به الى عيسى عليه السلام .

وسؤال آخر : هل بقى الإنجيل مجرد نصوص شفوية يبشر بها المسيح ،ويتناقلها الحواريون أم أنه كان مكتوبا على عهد المسيح عليه السلام وبعده ؟

بادئ ذى بدء فان الإنجيل لم يكن كالتوراة ، فلم ينزل من السماء مكتوبا فى ألواح ، ولكنه كتب على الأرض وان كنا لا نعرف من الذى كتبه للمسيح عليه السلام ؟ ولا كيف كتبه . والذى يدل على أن الانجيل كان مكتوبا على عهد المسيح قوله تعالى : (الذين يتبعون الرسول النبى الأمى الذى يجدونه مكتوبا عندهم فى التوراة والانجيل . .)(١)

قال الشوكانى فى قوله تعالى : (يجدونه) : يعنى اليهود والنصارى أى يجدون نعته . (مكتوبا عندهم فى التوراة والانجيل) : وهما مرجعهم فى الدين . وهذا الكلام منه سبحانه وتعالى مع موسى عليه السلام هو قبل نزول الانجيل ،فهو من باب الاخبار بما سيكون)(٢) .

فالقرآن يدل على أن الانجيل كان مكتوبا ، وأنه كان يتضمن أوصاف النبى صلى الله عليه وسلم ، ولم يكن مجرد أحكاما ووصايا شفوية .

وقد تضمنت الأناجيل الموجودة حاليا نصوصا تدل على وجود إنجيل مكتوب لعيسى وأنه كان يبشر به فى المجامع .

فقد وردت كلمة إنجيل أوبشارة مضافة أحيانا إلى المسيح ، وأحيانا إلى الله وأحيانا إلى ملكوت الله .

---

(١) سورة الأعراف الآية رقم ١٥٧ .

(٢) فتح القدير للامام الشوكانى ج ٢ ص ٢٥٢ .

فقد جاء فى انجيل متى ما نصه : (وكان يسوع يطوف كل الجليل يعلم فى مجامعهم ويكرز ببشارة الملكوت ، ويشفى كل مرض ، وكل ضعف فى الشعب)(١).

وجاء فى انجيل مرقص فى الاصحاح الأول منه ما نصه : (وبعد ما أسلم يوحنا جاء يسوع الى الجليل ببشارة ملكوت الله ، ويقول قد كمل الزمان ، واقترب ملكوت الله ، فتوبوا وآمنوا بالانجيل)(٢).

و بشارة الملكوت: هى ترجمة كلمة إنجيل باليونانية(٣).

وكذلك يتضمن النص السابق لفظ الإنجيل صراحة وانَّ المسيح كان يدعوهم إلى الإيمان به . ولا معنى لهذا الا أنه كان معه إنجيل معروف يدعو الناس اليه . وليس هو بالقطع أحد الأناجيل المعروفة الآن المنسوبة الى أصحابها سواء كانوا من الحواريين أو غيرهم . والتى سنتحدث عنها فيما بعد .

وتذكر بعض علماء النصرانية الاحرار أنه كان فى القرن الأول رسالة تعتبر أصلا لهذه الأناجيل الأربعة المعروفة فيما جاء به المسيح عليه السلام ، وخلاصة أحواله واليك ترجمة ما قاله "نارتن" فى كتاب له ، كما ذكر الشيخ أبو زهرة فى كتابه محاضرات فى النصرانية : (قال أكهارن فى كتابه : إنَّه كان فى ابتداء الملة المسيحية فى بيان أحوال المسيح رسالة مختصرة يجوز أن يقال إنها هى الإنجيل الأصلى ، والغالب أن هذا الانجيل كان للمريدين الذين كانوا لم يسمعوا أقوال المسيح بآذانهم ، ولم يروا أحواله بأعينهم . وكان هذا الانجيل بمنزلة القلب ، وما كانت الأحوال المسيحية مكتوبة فيه على الترتيب)(٤).

---

(١) انجيل متى الاصحاح التاسع . . ٣٥

(٢) انجيل مرقص الإصحاح الأول : ١٤ _

(٣) انظر محاضرات فى النصرانية للامام محمد أبو زهرة - دار الفكر العربى ص ٥٦

(٤) المرجع نفسه ص ٦٦ .

فمن جملة ماتقدم يتضح لنا أنه كان هناك انجيل نزل على سيدنا عيسى عليه السلام بالفعل . ولسائل أن يسأل عن هذا الانجيل : أين هو الآن ؟ .

والواقع أن الانجيل لم ينقله أهل الكتاب تواترا عن عيسى عليه السلام شأنه فى ذلك شأن التوراة . ذلك أن هذين الكتابين لم يتمهد الله بحفظهما كما تمهد بحفظ القرآن ، وانما وكل حفظهما الى أتباعهما . قال تعالى : (إِنَّآ أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِن كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ)(١) .

فقوله تعالى : (بِمَا اسْتُحْفِظُوا) : أى بما استودعوا من كتاب الله الذى أمروا أن يظهروه ، ويعملوا به.(٢)

والباء للتشبيه ، واستحفظوا : امروا بالحفظ .(٣)

فمهمة الحفظ لهذين الكتابين واقع على المنزل عليهم وليس على الله سبحانه وتعالى كما فى القرآن الكريم ، ولكنهم لم يحفظوا ما استحفظهم الله من ذلك وانما نسوا وحرّفوا .

وقد قام النّصارى بعد ذلك بكتابة عشرات الأناجيل بل مئات الأناجيل يحكى فيها كاتبوها حياة المسيح ومعجزاته وأقواله وأحواله ... الخ .

ووقع الخلاف الشديد بين المسيحيين بسبب كثرة هذه الأناجيل والتضارب بينها فيما تضمنته من عقائد وعبادات وأعمال .

فهم معترفون أن هذه الأناجيل التي بأيديهم الآن ، والتى يعتبرونها مقدسة - معترفون - بأنها لم يكتبها المسيح عليه السلام ، ولا أملاها على من كتبها ، وانما أملاها بعد رفعه (متى) ، و(يوحنا) ، وكانا قد صحبا المسيح ، و(مرقس) ، و(لوقا)

---

(١) سورة المائدة الآية رقم ٤٤ .

(٢) انظر تفسير القرآن العظيم لابن كثير ج ٢ ص ٥٧٦ .

(٣) انظر فتح القدير للشوكانى ج ٢ ص ٤٢ .

لم يريا المسيح عليه السلام . وقد اعترف هؤلاء بأنهم ذكروا بعض ما قاله المسيح ، وبعض أخباره ، وأنهم لم يستوعبوا ذكر أقواله وأفعاله.(١)

هذه الأناجيل التي يعترف بها النّصارى ويستندون اليها لم تكن معتمدة الا بعد مجمع نيقية الذى عقد عام (٣٢٥م) .

وقد عقد هذا المجمع لتصفية الخلاف الدائر بين رجال الدين المسيحى في الامبراطورية الرومانية الواسعة حول العقيدة النّصرانيّة فيما يتعلق بطبيعة المسيح وهل هو بشر أم اله ، وابن اله ، وكذلك حول الأناجيل الكثيرة الموجودة في أيدى الناس على كثرة ما بينها من تناقضات . وليس من موضوعنا هنا الكلام على هذا المؤتمر ، ولا على ما اتخذ فيه من قرارات ، ولا عن الكيفية التى تم بها اتخاذ هذه القرارات. وانما الذى يعنينا ويتصل بموضوعنا هو الاشارة الى أنه في هذا المجمع تم اختيار الأناجيل الأربعة التى أشرنا اليها سابقا من بين عشرات الأناجيل واعتمادها بصفة رسمية ، باعتبارها أسفارا مقدسة للعهد الجديد ، والأمر باحراق ما عداها من الأناجيل وتحريم قراءتها على النّصارى .

والنّصارى يدعون أنّ هذه الأناجيل التى أقرها مجمع نيقية كلها كتبت عن طريق الالهام ، والتأييد لكاتبيها من روح القدس ، وأنها لذلك لا يأتيها الباطل من بين يديها ولا من خلفها ، فهي حق وصدق .

ولذلك يقول مؤلفو موجز تاريخ الأمة القبطية في شأن الكتاب المقدس: (الكتاب المقدس هو مجموع الأسفار التى كتبها رجال الله القديسون بالهام الروح القدس في أوقات مختلفة ، وفيها أعلن الله مشيئته ووصاياه ، وما قطعه من مواعيد وما فيه ارشاد الناس وخيرهم وخلاصهم وما أتمه من عمل الفداء)(٢) .

---

(١) محاضرات في النصرانية ص ٦٠-٦١ .

(٢) المرجع نفسه ص ٨٥ .

وبمراجعة ما كتبه شراحهم وعلماؤهم يتبين أن الالهام عندهم ينقسم الى قسمين :

قسم:وحي لا تدخل فيه المواهب الطبيعية بالتصرف فيه بأى نوع من أنواع التصرف ، وهو يسمى بالنبوات عندهم .

وقسم ثاني : تتصرف فيه مواهب الكاتب .

يقول القس ابراهيم سعيد عن الوحي في المسيحية : ولكن الوحي فى المسيحية يجمع بين العنصر البشرى والعنصر الالهى ، اى الطهمات الالهية تتجسد في لباس لغوى بشرى لتكون مفهومة لدى الناس الذين تبلغ اليهم ،فالكلمة المعلنة المكتوبة فى الانجيل هي رمز لكلمة الله ،والوحي المعلن لنا حق الله .

من أجل هذا يعتقد المسيحيون أن الوحي بالروح القدس لا يحرم على الموحى اليهم استخدام الوسائل البشرية الاجتهادية الممكنة لديهم ،ولا يرفع عن الكاتب مسئولية الاجتهاد والتحقيق والتدقيق .

هذا بخلاف الإعلانات المحتوى عليها كتاب الوحي التي لا تتدخل فيها مواهب الكاتب الطبيعية ،بل هي من الله أولا وأخرا ،كالنبوات المتفرقة في كل أجزاء الكتاب المقدس ،وسفر الرؤيا) (١).

ويقول هورت: (اذا قيل ان الكتب المقدسة أوحى بها من عند الله لا يراد أن كل الألفاظ والعبارات من الهام الله ، بل يعلم من اختلاف محاورات المصنفين ، واختلافبيانهم ، أنهم قد جوز لهم أن يكتبوا على حسب طباعهم ،وعاداتهم ،وفهومهم واستعمل علم الالهام على طريقة استعمال العلوم الرسمية ،ولا يتخيل أنهم كانوا يلهمون في كل أمر يبينونه ، وفى كل حكم كانوا يحكمون به) (٢).

---

(١) محاضرات في النصرانية ص ١٠٨ .

(٢) المصدر نفسه ص ٧٦ .

فاذن الأناجيل التى أقرها مجمع نيقية من القسم الثانى الذى للمواهب البشرية دخل فى كتابتها ،والاجتهاد فيها ، والتدقيق والتمحيص .

وعلى ذلك قد يتوارد الخطأ على هذا الاجتهاد والتدقيق والتمحيص،فيكون من أخبارهم ما صادف التحقيق فيه الصواب ،وما عرض له الخطأ ،فلا تكون بالإلهام أو وحى ، ولا تكون مقدسة لا يأتيها الباطل من بين يديها ولا من خلفها .

وهم بذلك يكونون قد أتوا على دعوى الالهام التى يلصقونها بأناجيلهم بالنقض فأتوا على بنيانهم من حيث لا يشعرون ،فلا الهام فى هذه الأناجيل اذن ، ولا تقديس . زد على ذلك أن دعوى العصمة لا دليل عليها . فليسوا هم رسل الله المعصومون .

وننتهى من هذا الحديث عن بعض ما أوحاه الله من الكتب مما ذكره القرآن ،منها الى أنها تمثل وقوع الوحى الى هؤلاء الأنبياء الذين جاءوا بها لهداية البشر ، وباعتراف القرآن بها وبأنبيائها يتم تقرير وقوع الوحى الى هؤلاء الأنبياء . ويقوم كل ذلك على أساس ما قدمناه من أدلة قاطعة على صحة وقوع الوحى لمحمد صلى الله عليه وسلم .

فالوحى اذن ليس مجرد أمر ممكن فقط ، ولكنه حقيقة واقعة بالفعل ،وهى احدى الحقائق الالهية الكبرى التى قام عليها الناس فى هذه الحياة ،ولا تستقيم حياتهم الا بها وعن طريقها .

العلاقة بين القرآن الكريم والكتب السماوية التى سبقته :

ونختم حديثنا عن القرآن الكريم ذاكرين العلاقة بينه وبين الكتب السماوية التى سبقته .

لقد جاء القرآن الكريم مؤكدًا ومستعلنًا صلته بالكتاب المقدس، فهو يطلب دائما مكانه فى الدورة التوحيدية . وهو بهذا يثبت ـ باعتداد ـ التشابه بينه وبين التوراة والأنجيل ،وهو يؤكد هذه القرابة صراحة .

قال تعالى : (وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرَى مِنْ دُونِ اللَّهِ ، وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ ،وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ) .(١)

فالقرآن فى كثير من المواضيع يبدو مكملا أو مصححًا لمعلومات الكتاب المقدس.

وعلى الرغم من أن القرآن يعلن بكل وضوح هذا التشابه والقرابة الى الكتب السابقة فانه يحتفظ بصورته الخاصة فى كل فصل من فصول الفكرة التوحيدية.(٢)

وصدق الله العظيم الذى يقول فى محكم تنزيله: (وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ، وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ، وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِيمَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ) .(٣)

فقوله تعالى : (مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ) : أى من الكتب المتقدمة ، المتضمنة ذكره ومدحه) . وقوله: (مهيمناعليه) : قال سفيان الثورى وغيره عن ابن عباس أى مؤتمنا عليه . والمهيمن :الأمين .

فالقرآن أمين على كل كتاب قبله ، فما وافقه منها فهو حق وما خالفه منها فهو باطل . وقيل : شهيدا عليه .(٤)

فالقرآن خاتم الكتب وأشملها وأعظمها وأكملها حيث جمع فيه محاسن ما قبله ، وزاده من الكمالات ،ما ليس فى غيره . والله أعلم

---

(١) سورة يونس الآية ٣٧ .
(٢) انظر الظاهرة القرآنية لمالك بن نبى ص ٢٤٠
(٣) سورة المائدة الآية ٤٨
(٤) انظر تفسير القرآن العظيم لابن كثير ج ٢ ص ٥٨٦، ٥٨٧ .
وهذه المعانى كلها محكية عن ابن عباس وكلها متقاربة . فان اسم المهيمن يتضمن هذا كله فهو أمين وشاهد وحاكم على كل كتاب قبله .

- ١ -

ملك الوحي خصائصه وصفاتـــــه

قبل أن نتناول الحديث عن ملك الوحي ينبغي أن نلم إلمامة سريعة بالملائكـــة الأبرار عليهم السلام وذلك لما لهم من دور في هداية البشرية بهداية الله . ولأن ملك الوحي واحد منهم ،وان كان يمتاز عنهم بوظيفته الخاصة وهى النزول بالوحـــي على رسل الله .

الملائكة هم عالم نوراني روحاني ،لطيف ،غيبي ،غير محسوس ،مسكنهـــــا السموات ، لا تذكّر ولا تؤنث لهم القدرة على التشكل بصورة بشرية وغيرها من الصـــور الحسية . (١) فهم نورانيون لما روت عائشة رضى الله عنها قالت : قال رسول اللـــه صلى الله عليه وسلم : (خلقت الملائكة من نور ، وخلق الجان من مارج من نار ، وخلق آدم مما وصف لكم) (٢) .

وروحانيون : كما سمى الله تعالى جبريل عليه السلام بالروح في عدة مواضـــع من القرآن الكريم كقوله تعالى : (يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا) (٣) .

و(الملائكة منزهون عن الاعراض البشرية كالجوع ، والمرض ، والاكل ، والنوم ، والتعب وما الى ذلك فقد جاء في القرآن ما يدل على ذلك بدلالة الالتزام ، اذ أخبر تعالـى عنهم : (يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ) (٤) ولازم ذلك أنهم لا ينامون ، ولا يأكلـون ولا يشربون ولا يتعبون) (٥)

---

(١) انظر العقائد الاسلامية للشيخ السيد سابق - دار الكتاب العربي - بيروت ص ١١١ وكذلك العقيدة الاسلامية سفينة النّجاة د . كمال محمد عيسى دار الشروق بجدة ص ٢١٠ .

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الزهد والرقائـق باب في أحاديث متفرقة ٤/٢٢٩٩٦

(٣) سورة النبأ الاية ٣٨

(٤) سورة الأنبياء الآية ٢٠

(٥) انظر عقيدة المؤمن تأليف أبى بكر الجزائرى دار الشروق جدة الطبعة الثالثة ١٤٠٢ - ١٩٨٢م ص٢٠٥ .

ووجود الملائكة ثابت بالأدلة القطعية المنقولة من الكتاب الكريم ، والسنة المطهرة . يقول الله سبحانه وتعالى : (آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ . .) (١)

وقال تعالى : (يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ) (٢).

وقال صلى الله عليه وسلم فى حديث عمر بن الخطاب رضى الله عنه المعروف بحديث الايمان والاسلام الذى روى فيه مجئ جبريل الى النبى صلى الله عليه وسلم (. . . قال فأخبرنى عن الايمان ، قال : أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله ، واليوم الآخر ، وتؤمن بالقدر خيره وشره) (٣)

وعن أبى ذر رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (أطت السماء وحق لها أن تئط ، ما فيها موضع قدر أربع أصابع الا ملك واضع جبهته ساجدا لله . والله لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ، ولبكيتم كثيرا ، وما تلذذتم بالنساء على الفرش) (٤)

فوجود الملائكة ثابت بالأدلة القطعية ، ما ذكرنا منها وما لم نذكر . ولا يمكن أن يلحقها ريب أو شك . ومن هنا كان انكار وجودهم كفر لأنه انكار للمعلوم من الدين بالضرورة . بل بنص قوله تعالى : (وَمَن يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا) (٥).

---

(١) سورة البقرة الآية ٢٥٨ .

(٢) سورة النحل الآية ٢ .

(٣) متفق عليه : صحيح البخارى : كتاب الإيمان ، باب سؤال جبريل النبى صلى الله عليه وسلم عن الايمان والاسلام والاحسان وعلم الساعة ١/ ٥٠ .
وصحيح مسلم : كتاب الايمان ، باب بيان الإيمان والاسلام والإحسان ١/ ٨

(٤) أخرجه الترمذى : كتاب الزهد ، باب قول النبى صلى الله عليه وسلم (لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا) ١١/ ٢٢١٣ . وابن ماجة فى سننه : كتاب الزهد باب الحزن والبكاء ، ٢/ ١٩٠

(٥) سورة النساء الآية ١٢٦

وللملائكة القدرة على التشكل بالصور البشرية ، وغير البشرية .

فقد جاءت في صورة اضياف على هيئة رجال من البشر لابراهيم عليه السلام . وساقت البشرى اليه بمولد ابنه اسحاق ولما لم يكن ابراهيم قد عرفهم بعد ، سارع لاكرامهم باعداد الطعام لهم . فلما رأى احجامهم عن الطعام شعر إبراهيم عليه السلام بالخوف والريبة .

قال تعالى : (وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَىٰ ، قَالُوا سَلَامًا . قَالَ سَلَامٌ فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ فَلَمَّا رَأَىٰ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً . قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ ، وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ ، فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ . قَالَتْ يَا وَيْلَتَىٰ أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ . قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحْمَتُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ)(١).

وجاءوا الى لوط عليه السلام في صورة أضياف حسان الوجوه ، فضاق بهم ذرعا ، خوفا عليهم من قومه . قال تعالى : (وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَٰذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ)(٢).

قال ابن كثير في تفسير (رسلنا) قال: هم الملائكة(٣).

وكمجيء جبريل عليه السلام في صورة دحية الكلبي .

أما عن حقيقتهم ، وكيفية خلقتهم ، وتفصيلات أحوالهم ، فقد استأثر الله سبحانه وتعالى بها . فلا نعلم حقيقتهم ، ولم نرهم . والقرآن الكريم ، والسنة المطهرة لم يذكرا شيئا عن هذه الحقيقة . وكل ما ذكر أنهم متفاوتون في الخلق ، متفاوتون في الأقدار تفاوتا لا يعلمه الا الله . قال تعالى : (الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ

---

(١) سورة هود الآيات ٦٩ - ٧٣ .
(٢) سورة هود الآية ٧٧ .
(٣) انظر تفسير القرآن العظيم ج ٣ ص٥٦٢ .

والأرض ، جَاعِلِ المَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولِي أَجْنِحَةٍ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ يَزِيدُ فِي الخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)(١) .

وهذا مظهر للتفاوت في الأقدار عند الله ، والقدرة على الانتقال .

روى مسلم عن ابن مسعود : (ان رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى جبريل عليه السلام له ستمائة جناح)(٢) .

قال تعالى: (وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ وَإِنَّا لَنَحْنُ المُسَبِّحُونَ)(٣) .

وقال تعالى : (اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ المَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ)(٤) .

وقال الامام البخاري في باب شهود الملائكة بدرا : (حدثنا اسحاق بن ابراهيم حدثنا جرير بن يحى بن سعيد عن معاذ بن رفاعة بن رافع الزرقي عن أبيه ، وكان أبوه من أهل بدر قال : جاء جبريل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : ما تعدون أهل بدر فيكم ؟ قال :(من أفضل المسلمين) أو كلمة نحوها . قال : -يعني جبريل - وكذلك من شهد بدرا من الملائكة)(٥) .

وللملائكة كذلك علم وفكر ، ولهم منطق وفهم يناقش الأمور ويتدبر الحوادث ، ويعرضها للمنطق والاستنباط .

وحسب ظنهم رأوا عند بدء الخليقة أنهم أولى بخلافة الله في الأرض . لأنهم العابدون المطهرون من الخطايا . فهم لذلك أولى من أولئك المخلوقات التي لها القدرة على سفك الدم والافساد في الأرض . ولكنهم لما علموا بعد ذلك أن الفهم والعلم

---

(١) سورة فاطر الآية ١ .

(٢) متفق عليه أخرجه البخاري في صحيحه : كتاب بدء الخلق باب اذا قال أحدكم آمين ٦/٣٢٣٢ . وأخرجه مسلم في كتاب الايمان باب في ذكر سدرة المنتهى ١/١٧٤ .

(٣) سورة الصافات الآية ١٦٥ .

(٤) سورة الحج الآية ٧٥ .

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه : كتاب المغازي باب شهود الملائكة بدرا ٣٩٩٢/٧

الذى عبّر به آدم عليه السلام علاوة على اقباله على العبادة ، والتسبيح بحمد ربه ، مما يؤهله وذريته على تحمل خلافة الله فى الأرض . عندئذ أدركت الملائكة قبسا من الحكمة الالهية .

قال تعالى: (وإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى الأَرْضِ خَلِيفَةً . قَالُواْ : أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ . قَالَ : إِنِّى أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ . وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى المَلَائِكَةِ فَقَالَ : أَنبِئُونِى بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ . قَالُواْ : سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ العَلِيمُ الحَكِيمُ . قَالَ : يَا آدَمُ أَنبِئْهُم بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ ، قَالَ : أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّى أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضِ ، وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ) (١).

ولهم كذلك أحاسيس ومشاعر ، فهم يخشون الله ويفزعون من رهبة المواقف والتجليات الالهية .

قال تعالى : (وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِى السَّمٰوَاتِ وَمَا فِى الأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ وَالمَلَائِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ . يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ) (٢).

وقال : (حَتَّى إِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ ، قَالُواْ : مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ؟ قَالُواْ : الحَقَّ وَهُوَ العَلِىُّ الكَبِيرُ) (٣).

وللملائكة أعمال مع الله ، ومع البشر ، وفى الطبيعة الكونية .

فمن عمل الملائكة مع الله :

١- التسبيح والخضوع التام لله تعالى

قال تعالى : (وَتَرَى المَلَائِكَةَ حَافِّينَ مِنْ حَوْلِ العَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَقُضِىَ بَيْنَهُمْ بِالحَقِّ وَقِيلَ الحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ العَالَمِينَ) (٤).

---

(١) سورة البقرة الآيات ٣٠ - ٣٣ .

(٢) سورة النحل الآيتان ٤٩ ، ٥٠ .

(٣) سورة سبأ الآية ٢٣ .

(٤) سورة الزمر الآية ٧٥ .

وقال تعالى : (إِنَّ الَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ، وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ .)(١)

٢- حمل العرش :

قال تعالى : (الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ) .(٢)

وقال تعالى: (وَالْمَلَكُ عَلَىٰ أَرْجَائِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ) .(٣)

ومن عمل الملائكة مع البشر فى الدنيا :

١- حملهم البشائر للمؤمنين الصادقين فى هذه الحياة الدنيا ويطمئنونهم على المستقبل الذى ينتظرهم فى الحياة الآخرة . قال تعالى:(إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ، نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ)(٤)

٢- والملائكة تتولى كتابة أعمال الخلق :

قال تعالى: (وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ كِرَامًا كَاتِبِينَ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ) .(٥)

٣- والملائكة كذلك موكلون بقبض الأرواح ما طاب منها وما خبث :

قال تعالى : (وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ) .(٦)

---

(١) سورة الأعراف الآية ٢٠٦ .
(٢) سورة غافر الآية ٧ .
(٣) سورة الحاقة الآية ١٧ .
(٤) سورة فصلت الآيات من ٣٠-٣٢ .
(٥) سورة الانفطار الآيات من ١٠-١٢ .
(٦) سورة الانعام الآية ٦١ .

وقال تعالى : (الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمُ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ) .(١)

يقول الشيخ الشنقيطي رحمه الله : (انه لا معارضة بين الآيات المذكورة . فاسناده التوفي لنفسه ، لأنه لا يموت أحد الا بمشيئته تعالى، كما قال تعالى : (وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُؤَجَّلًا) . وأسنده لملك الموت لأنه هو المأمور بقبض الأرواح . وأسنده الى الملائكة ،لأن لملك الموت أعوانا من الملائكة ينزعون الروح من الجسد الى الحلقوم فيأخذها ملك الموت ،كما قال بعض العلماء . والعلم عند الله تعالى) .(٢)

وقد حكى ذلك عن ابن عباس رضى الله عنهما موقوفا .(٣)

وجاء فى حديث البراء بن عازب رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : (ان ملك الموت اذا أخذ روح الميت أخذها منه بسرعة ملائكة فصعدوا بها الى السماء) .(٤)

ومن عمل الملائكة مع البشر فى الآخرة :

١- التسليم على أهل الجنة :

قال تعالى:(جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ ، وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ) .(٥)

٢- وتهون كذلك على المؤمنين يوم الفزع الأكبر وترعاهم فى الجنة

قال تعالى : (لَا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ ، وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ هَذَا يَوْمُكُمُ الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ) .(٦)

---

(١) سورة النحل الآية ٣٢ .

(٢) أضواء البيان للشيخ محمد الأمين الشنقيطي ج ٣ ص ٢٦٧ .

(٣) انظر تفسير القرآن العظيم لابن كثير ج ٥ ص٤٠٧ ، وكذلك فتح القدير للشوكاني ج ٢ ص١٢ .

(٤) أضواء البيان فى تفسير القرآن للشنقيطي ج ٦ ص٥٠ .

(٥) سورة الرعد الآيتان ٢٣ ، ٢٤ .

(٦) سورة الأنبياء الآية ١٠٣ .

٣- تعذيب أهل النار :

قال تعالى : (سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ، وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ؟ لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ لَوَّاحَةٌ لِلْبَشَرِ عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ، وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً ، وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا وَلَا يَرْتَابَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا ، كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرَى لِلْبَشَرِ) (١).

ومن عمل الملائكة فى الكون :

ما أوضحته السنة الشريفة من أن هناك من الملائكة من يختصون بالقطر والنبات والجبال ، وبعض الأعمال الطبيعية الأخرى .

فعن عائشة أنها قالت للنبى صلى الله عليه وسلم (هل أتى عليك يوم كان أشد من يوم أحد ؟ قال : لقد لقيت من قومك ما لقيت ، وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة ، اذ عرضت نفسى على ابن عبد يا ليل بن كلال ، فلم يجبنى الى ما أردت ، فانطلقت وأنا مهموم على وجهى ، فلم استفق الا وأنا بقرن الثعالب. فرفعت رأسى فاذا أنا بسحابة قد أظلتنى . فنظرت فاذا فيها جبريل فنادانى ، فقال : ان الله قد سمع قول قومك لك ، وما ردوا به عليك ، وقد بعث الله اليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم . فنادانى ملك الجبال فسلم على ثم قال : يا محمد ، فقال ذلك فيما شئت أطبق عليهم الأخشبين . فقال النبى صلى الله عليه وسلم : (لا بل أرجو الله أن يخرج من أصلابهم من يعبد الله لا يشرك به شيئا) (٢).

---

(١) سورة المدثر الآيات ٢٦ - ٣١ .

(٢) متفق عليه : أخرجه البخارى فى صحيحه : كتاب بدء الخلق باب اذا قال أحدكم آمين ٦/ ٣٢٢١ . وأخرجه مسلم فى كتاب الجهاد والسير ، باب ما لقى النبى صلى الله عليه وسلم من أذى المشركين والمنافقين ٣/ ١٧٩٥

ومن الملائكة ما هو موكل بالسحاب كما جاء عن ابن عباس رضى الله عنهما - فى حديث طويل - مرفوعا (قالوا : أخبرنا ما هذا الرعد ؟ قال : ملك من ملائكة الله عز وجل موكل بالسحاب ، بيده أو فى يده مخراق من نار يزجر به السحاب حيث أمر الله)(١)

وعن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : (بينا رجل بفلاة من الأرض فسمع صوتا فى سحابة : اسق حديقة فلان ، فتنحى ذلك السحاب ، فأفرغ ماءه فى حرة ، فاذا شرجة من تلك الشراج قد استوعبت ذلك الماء كله ، فتتبع الماء ، فاذا رجل قائم فى حديقته يحول الماء بمسحاته . فقال له : يا عبد الله ما اسمك؟ قال : فلان . للاسم الذى سمع فى السحابة . فقال له : يا عبد الله لم تسألنى عن اسمى ؟ فقال : انى سمعت صوتا فى السحاب الذى هذا ماؤه يقول : اسق حديقة فلان ، لاسمك ، فما تصنع منها ؟ قال : أما اذ قلت هذا ، فانى انظر الى مايخرج منها ، فأتصدق بثلثه ، وآكل أنا وعيالى ثلثا ، وأرد فيها ثلثا) .(٢)

هذا هو اجمال وجود الملائكة وخصائصهم وأعمالهم التى يقومون بها فى الدنيا والآخرة ، وعلى رأس هؤلاء جميعا يكون الروح الأمين جبريل عليه السلام الذى ينزل بالوحى ، وهو موضوع حديثنا التالى .

---

(١) أخرجه الامام أحمد فى مسنده ١ / ٢٧٤

(٢) أخرجه مسلم فى صحيحه : كتاب الزهد والرقائق ، باب الصدقة فى المساكين ٤ / ٢٩٨٤ . والامام أحمد فى مسنده ٢ / ٢٩٦ . كلاهما عن أبى هريرة مرفوعا واللفظ لمسلم .

جبريل عليه السلام خصائصه ومكانته من اللـــه

قبل أن نبين ذلك نشرح معنى اسمه أولا :

جبريل ، وجبرائيل : اسم ، يقال هو (جبر) ، أضيف الى (ا يل) .

و(ايل) : اسم من أسماء الله تعالى ،عبرانى أو سريانى.(١)

يقول السهيلى (واسم جبريل سريانى ، ومعناه : عبد الرحمن أو عبد العزيـــز هكذا جاء عن ابن عباس موقوفا ومرفوعا أيضا . والوقف أصله . وأكثر الناس علـــى أن آخر الاسم منه ،هو اسم الله ، وهو (ايل) .(٢)

وقد حكى السهيلى عن شيخه رأيا آخر في تركيب اسم جبريل ونحوه من أسمـــاء الملائكة ، وهو أن الاضافة فيها مقلوبة ، وكذا الاضافة فى كلام العجم . يقولون فـــى غلام زيد : زيد غلام . فعلى هذا يكون (ايل) عبارة عن العبد ، ويكون أول الاســم عبارة عن اسم من أسماء الله ، ألا ترى كيف قال فى حديث ابن عباس رضى الله عنهما جبريل وميكائيل ، كما تقول : عبد الله ، وعبد الرحمن . ألا ترى أن لفظ عبد يتكـــرر بلفظ واحد ، والأسماء ألفاظها مختلفة)(٣) .

وان كان فى هذا الرأى الأخير من حجة ، الا أنه مرجوح . لأن اللغـــــة العبرية مثل اللغة العربية . وهى تكتب مثل العربية من اليمين الى الشمال ،وتتفق معها فى كثير من القواعد ،ومن بينها الاضافة الى الاسم الظاهر من نحو : جبريل ، واسرافيل . فجبريل مثلا : مركب من كلمتين هما : (جبر) بمعنى رجل . فكأنهـــم قالوا : (ذو الله) : أى خاصته . وهو معنى غير مستساغ فى الأوساط الاسلاميـة .

---

(١) انظر الصحاح للجوهرى . باب الراء فصل الجيم ،وباب اللام فصل الألف .

(٢) الروض الأنف للسهيلى ج ٢ ص ٤٠٢

(٣) المصدر نفسه والصفحة .

والمعنى الآخر هو: (قَوَّى) أى جعله قويا . والثالث: (عبد) وهو المعنى الشائع فى كتب التراث.(١)

ونخلص من هذا كله الى أن جبرائيل ، وميكائيل ، واسرافيل ، وعزرائيل ، واسماعيل ، واسرائيل ، ونحوها ، هى كلها أسماء أعجمية عبرية الأصل ، مركبة من جزءين : الجزء الأول : (جبر) ، أو(عزرا) ، أو(اسرا) ، أو نحوها . وهو مضاف .

والجزء الثانى : (إل) ، بالامالة يعنى :إله ، أو الله . فلما نطقته العرب عُرِّب فصار (عيل) بالعين بدل الهمزة . فهو اذن مضاف اليه . وقد أشار الى ذلك سيبويه فيما نقله عنه الحافظ السيوطى فى المُزْهر ، قال : (قال سيبويه: أبدلوا العين فى اسماعيل لأنها أشبه الحروف بالهمزة . قالوا : فهذا يدل على أن أصله فى العجمية اشمائيل).(٢)

وأيا كان الأمر ،فالرأيان لا يخرجان عن معنى (عبد الله) .

وقد وردت فى (جبريل) عدة لغات أحصاها القرطبى فى عشر :-

الاولى : (جِبريل) : وهى لغة أهل الحجاز ،قال حسان بن ثابت :

وجبريل رسول الله فينا * وروح القدس ليس به كفاء

الثانية : (جَبريل) : بفتح الجيم . وهى قراءة الحسن وابن كثير.

الثالثة: (جبرئيل) : بياء بعد الهمزة ، مثال : جبرعيل . كما قرأ أهل الكوفة وأنشدوا :-

شهدنا فما تلقى لنا من كتيبة * مدى الدهر الا جبرئيل امامها

---

(١) انظر المعرب من الكلام الأعجمى لأبى منصور أحمد بن محمد بن الخضر الجواليقى (ت ٥٤٠ هـ) تحقيق الشيخ أحمد محمد شاكر ،الطبعة الثانية مطبعة دار الكتب المصرية ١٣٨٩ هـ - ١٩٦٩م ص ٣٧٥ ومابعدها .

(٢) المزهر للعلامة عبد الرحمن جلال الدين السيوطى (ت ٩١١هـ) تحقيق محمد احمد جاد المولى ، وعلى محمد البجاوى ،ومحمد أبو الفضل ابراهيم ، طبعة دار احياء الكتب العربية ،عيسى البابى الحلبى وشركاه ج ١، ص ٢٧٠ - ٢٧٧ .

وهى لغة تميم وقيس .

الرابعة : (جِبْرئل) :على وزن جبرعل . مقصور وهــى قراءة أبى بكر عن عاصم

الخامسة: مثلها ، وهى قراءة يحى بن يعمر . الا أنه شدد الـلام (جبرئلّ .

السادسة: (جِبْرَائِل) بألف بعد الراء ثم همزة . وبها قرأ عكرمة .

السابعة: مثلها ، إلاّ أنّ بعد الهمزة ياء (جِبْرَائِيل)

الثامنة : (جِبْرِييل) : بياءين بغير همزة ، وبها قرأ الأعمش ويحى بن يعمر أيضا .

التاسعة: (جِبْرَئِين) : بفتح الجيم مع همزة مكسورة بعدها ياء ونون .

العاشرة: (جِبْرِين) : بكسر الجيم وتسكين الياء بنون من غير همزة . وهى لغة بنى أسد .

ويجمع جبريل علــى التكسير جباريل) (1) .

وقد وردت لجبريل عليه السلام أسماء عديدة فى القرآن الكريم منها جبريل :
قال تعالى:(قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نزله على قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ) (2) وقال تعالى:
(مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ) (3) .

قال القرطبى فى سبب نزولها : (أن اليهود قالوا للنبى صلى الله عليه وسلــم انه ليس نبى من الأنبياء الا يأتيه ملك من الملائكة من عند ربه بالرسالة وبالوحى ،فمن صاحبك حتى نتابعك؟ قال : (جبريل) قالوا : ذلك الذى ينزل بالحرب وبالقتال ، ذلك عدونا ، لو قلت ميكائيل الذى ينزل بالقطر والرحمة تابعناك ، فأنزل الله الآية) (4)

وقال تعالى : (وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ) (5) .

ويسمى جبريل بالروح ، والروح طبقة عليا من طبقات الملائكة وهو من الطبقات المتميزة التى يعهد اليها بالأعمال المتميزة كالسفارة بين الله والمصطفين الأخيار

---

(1) انظر الجامع لأحكام القرآن للقرطبى ج ١ ص ١١٥ .

(2) سورة البقرة الآية رقم ٩٧ .

(3) سورة البقرة الآية رقم ٩٨ .

(4) الجامع لأحكام القرآن للقرطبى ج ٢ ص ٣٦ .

(5) سورة التحريم الآية رقم ٤ .

من رسله الذين تنزلت عليهم كتب الله ، آيات تتلى على مسامع البشرية . قال تعالى :
(فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا)(١) .

قال ابن كثير : أى استترت منهم وتوارت فأرسل الله تعالى اليها ،جبريل عليه السلام (فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا) أى على صورة انسان تام كامل .

قال مجاهد والضحاك وقتادة وابن جريج ووهب بن منبه والسدى فى قوله : (فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا) يعنى جبريل عليه السلام .

وهذا الذى قالوا هو ظاهر القرآن ، فهناك آيات كثيرة من سور القرآن وصفت جبريل عليه السلام بالروح القدس . قال تعالى(وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ)(٢) .

وقد اختلف المفسرون(٣) فى المراد بالروح هنا فقال بعضهم: إنّه جبريل عليه السلام وسمى بذلك تشريفا له وبيانا لعلو مرتبته عند الله ،فهو الروح المقدسة وسمى جبريل عليه السلام بذلك لأنه يحيا به الدين كما يحيا البدن بالروح ، فانه هو المتولى لانزال الوحى الى الأنبياء كما سنبين ذلك ونوضحه ، والمكلفون فى ذلك يحيون فى دينهم .

وذهب آخرون : إلى أنّ المراد بالروح القدس هنا الإنجيل كما قال تعالى :(رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا) وسمى بذلك لأنّ الدين يحيا به ،ومصالح الدنيا تنتظم لأجله .

وذهب اخرون الى أن المراد به : الاسم الذى كان يحى به سيدنا عيسى عليه السلام الموتى .

وذهب جماعة: على أن المراد بالروح ، الروح الذى نفخ فيه ، والقدس هو الله تعالى فنسب روح عيسى عليه السلام الى نفسه تعظيما له وتشريفا ، كما يقال بيت الله ، وناقة الله .

---

(١) سورة مريم الآيتان ١٦ ، ١٧ .

(٢) سورة البقرة الآية ٨٧ ، ٢٥٣

(٣) انظر التفسير الكبير للفخر الرازى ج ٣ ص ١٧٧ .

وقد عقب الإمام الفخر الرازى على هذه الأقوال بقوله : (... إلاّ أن المشابهة بين مسمى الروح ، وبين جبريل أتم لوجوه :

أحدها : لأنّ جبريل عليه السلام مخلوق من هواء نورا ،لطيف فكانت المشابهة أتم ، فكان اطلاق اسم الروح على جبريل أولى .

ثانيها : أن هذه التسمية فيه أظهر منها فيما عداه .

ثالثها : أن قوله تعالى : (وأيدناه بروح القدس) يعنى قويناه ، والمراد من هذه التقوية الاعانة ، واسناد الاعانة الى جبريل عليه السلام حقيقة ، واسنادها الى الانجيل والاسم الأعظم مجاز ، فكان ذلك أولى .

رابعها : هو أن اختصاص عيسى بجبريل عليه السلام من أكبر وجوه الاختصاص بحيث لم يكن لأحد من الأنبياء عليهم السلام مثل ذلك ،لأنه هو الذى بشر مريم بولادتها ، وانما ولد عيسى عليه السلام من نفخة جبريل عليه السلام ، وهو الذى رباه فى جميع الأحوال ،وكان يسير معه حيث سار ، وكان معه حين صعد الى السماء) (١) .

وقد ثبت عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال لحسان ابن ثابت رضى الله عنه لما كان يهجو المشركين : (اللهم أيده بروح القدس) (٢) . وعن عائشة رضى الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وضع لحسان منبرا فى المسجد ينافح فيه بالشعر ثم يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : ان الله عز وجل ليؤيد حسان بروح القدس ينافح عن رسوله صلى الله عليه وسلم) (٣) .

وقد فسر حسان رضى الله عنه أن المراد بروح القدس هو جبريل ، قال :

وجبريل أمين الله فينا * وروح القدس ليس به خفاء (٤)

---

(١) التفسير الكبير للفخر الرازى الجزء الثالث ص ١٧٧

(٢) متفق عليه ، أخرجه البخارى فى صحيحه: كتاب بدء الخلق ، باب ذكر الملائكة ٦/٣٢١٢ . وأخرجه مسلم فى صحيحه: كتاب فضائل الصحابة ، باب فضائل حسان بن ثابت رضى الله عنه ٤/٢٤٨٥ عن أبى هريرة مرفوعا .

(٣) مسند الامام أحمد ج ٦ ص ٧٢ .

(٤) أورده الشوكانى فى افتح القدير ج ١ ص ١١٠

وهناك آيات كثيرة قد سمت جبريل عليه السلام بالروح ، ونسبته الى الله جل جلاله قال تعالى : (فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ، قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ، قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا)(١).

فقوله : (فأرسلنا اليها روحنا) : يعنى جبريل عليه السلام ،واضافته الى الله اضافة تشريف وتكريم(٢).

ففى هذه الآية تأكيد على أن المراد بالروح هنا هو جبريل عليه السلام بدليل قوله: (انما أنا رسول ربك لأهب ...) وفيها بيان واشارة الى أن المراد بالرسول جبريل ، وأكد هذا المعنى فى آية أخرى قال تعالى : (إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ..)(٣).

يعنى أن هذا القرآن لتبليغ رسول كريم ،أى ملك شريف حسن الخلق بهى المنظر ،وهو جبريل عليه السلام . قاله ابن عباس والشعبى وغيرهما(٤).

ويسمى بالروح الأمين لقوله تعالى : (نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ)(٥).

فقوله : (نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ) : هو جبريل عليه السلام قاله غير واحد من السلف منهم ابن عباس ،ومحمد بن كعب وقتادة وغيرهم. وهذا مما لا نزاع فيه

قال الزهرى : وهذه كقوله : (قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ) .

وقال مجاهد : (من كلمه الروح الأمين لا تأكله الأرض)(٦)

---

(١) سورة مريم الآيات من ١٧-١٩ .

(٢) انظر تفسير القرآن العظيم لابن كثير ج ٤ ص ٤٤٥ .

(٣) سورة التكوير الآية ١٩ .

(٤) انظر أضواء البيان للشنقيطى ج ٤ ص ٦ ٢ ٢ .
وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ج ٧ ص ٢٢٩ .

(٥) سورة الشعراء الآية ١٩٤ .

(٦) تفسير القرآن العظيم ج ٥ ص ٢٠٥ .

وسُمّيَ بالروح مجردة عن الاضافة . قال تعالى : (تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ)(١) .

وقال تعالى : (يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا)(٢) .

قال الشعبي ، وسعيد بن جبير والضحاك : إن المراد بالروح في الآيـــة : هو جبريل عليه السلام ويستشهد لهذا القول بقوله عز وجل : (نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ)(٣) .

وقال مقاتل بن حيان : الروح هو أشرف الملائكة وأقرب الى الرب عز وجـــل ، وصاحب الوحي ـ وهو جبريل عليه السلام(٤) .

وقال تعالى: (تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ)(٥) .

قال ابن كثير: (وأما الروح فقيل المراد به هنا جبريل عليه السلام ،فيكون من باب عطف الخاص على العام ، وقيل هم ضرب من الملائكة)(٦) .

ولجبريل عليه السلام صفات خَلْقِية ، وخُلقية ،يشترك في كثير منها مع الملائكـــة الأبرار وينفرد بصفات مميزة .

فمن صفاته الخِلْقية :

أنه عليه السلام ، كبقية الملائكة خلق من نور . كما دلت السنة على ذلك . فقد روت السيدة عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (خلقت الملائكة من نور ، وخلق الجان من مارج من نار ، وخلق آدم مما وصف لكم)(٧) .

---

(١) سورة المعارج الآية ٤ .
(٢) سورة النبأ الآية ٣٨ .
(٣) سورة الشعراء الآية ١٩٤ .
(٤) انظر تفسير القرآن العظيم لابن كثير ج ٧ ص ٢٠٢ .
(٥) سورة القدر الآية ٤ .
(٦) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ج ٧ ص ٢٢٢ .
(٧) أخرجه مسلم في كتاب الزهد والرقائق باب في أحاديث متفرقة : ٤ / ٢٢٩٦

ولم يبيّن لنا الرّسول صلى الله عليه وسلم ماهية هذا النّور الذى خلقوا منه . فالقول بتحديده لا يجوز ، لأنه غيب لم يرد فيه ما يوضحه أكثر من هذا الحديث.(١)

وجبريل عليه السلام عظيم الخلقة . فقد روى الإمام أحمد رحمه الله فى مسنده عن عبد الله بن مسعود قال : رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم جبريل فى صورته وله ستمائة جناح ، كل جناح منها قد سد الأفق يسقط فى جناحه التهاويل من الدّر واليواقيت) .(٢)

وفى صحيح مسلم أنّ الرسول صلى الله عليه وسلم قال فى جبريل : (رأيته منهبطا من السماء سادا عظم خلقه ما بين السماء والأرض) .(٣)

أما صفات جبريل عليه السلام الخُلقية فقد وصفه الله تعالى بعدة أوصاف فى قوله تعالى : (إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ، ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ ، مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ)(٤)

وتفصيل هذه الأوصاف كالآتى(٥) :

١- (كريم) : أى عزيز على ربه اذ أعطاه أفضل العطايا وهى الهداية والارشاد . وأمره أن يوصلها الى أنبيائه ليبلغوها لعباده . قال ابن كثير فى تفسيره لقوله تعالى : (انه لقول رسول كريم) قال : (يعنى أن هذا القرآن لتبليغ رسول كريم ، أى ملك شريف ، حسن الخلق ، بهى المنظر ، وهو جبريل عليه السلام . قاله ابن عباس والشعبى وغيرهما .

٢- (ذى قوة) : أى شديد البطش والفعل ، كقوله تعالى (علمه شديد القوى ذو مرة فاستوى) .

٣- (عند ذى العرش مكين) : أى له مكانة عند الله عز وجل ومنزلة رفيعة يعطيه ما سأل .

---

(١) انظر عالم الملائكة الابرار . عمر سليمان الاشقر مكتبة الفلاح ص٩
(٢) قال ابن كثير فى هذا الحديث اسناده جيد . البداية والنهاية ١/٤٧ .
ومعنى التهاويل : الاشياء المختلفة الألوان .
(٣) أخرجه مسلم فى صحيحه : كتاب الايمان ، باب معنى قول الله عز وجل (ولقد رآه نزلة أخرى ١/١٧٧ عن مسروق عن عائشة .
(٤) سورة التكوير الايات ١٩ - ٢١
(٥) انظر تفسير القرآن العظيم ج ٧ ص ٢٢٩ وما بعدها .

٤- (مطاع ثم) : أى هو مطاع عند الله فى الملأ الأعلى . قال قتادة : (مطاع ثم) أى فى السموات يعنى ليس هو من أفناد الملائكة بل هو من السادة والأشراف مُعْتَنى به انتُخب لهذه الرسالة العظيمة) .

٥- (أمين) : أى أمين على وحى الله ورسالاته ، قد عصمه من الخيانة فيما أمره به ، وجنبه الزلل فيما يقوم به من الأعمال . وهو كقوله تعالى (نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ) .(١)

وقال تعالى فى وصفه أيضا : (عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى)(٢)

قال القرطبى فى قوله : (علمه شديد القوى) : (يعنى جبريل عليه السلام فى قول سائر المفسرين سوى الحسن . فانه قال : هو الله عز وجل .

(ذو مرة فاستوى) : قيل المعنى فاستوى جبريل بالأفق الأعلى ، وهو أجود . واذا كان المستوى جبريل ، فمعنى (ذو مرة) فى وصفه : ذو منظق حسن . قاله ابن عباس . وقال قتادة : ذو خلق طويل حسن .

وقيل معناه : ذو صحة جسم وسلامة من الآفات . ومنه قول النبى صلى الله عليه وسلم : (لا تحلّ الصّدقة لغنى ولا لذى مِرّة سوى) .(٣)

يروى أنه عليه الصلاة والسلام قال لجبريل عليه السلام : [ذكر الله قوتك فماذا بلغت ؟ قال : رفعت قريات قوم لوط الأربع على قوادم جناحى حتى إذا سمع أهل السماء نباح الكلاب وأصوات الدجاج قلبتها](٤)

---

(١) سورة الشعراء الآية ١٩٣- ١١٤

(٢) سورة النجم الآيات ٥ ، ٦ .

(٣) سنن ابى داوود كتاب الزكاة باب من يجوز له أخذ الصدقة وهو غنى ٢ / ١٦٣٥ .
وسنن ابن ماجة كتاب الزكاة ، باب من سأل عن ظهر غنى ١ / ١٨٧٩

(٤) التفسير الكبير للفخر الرازى جـ٣١ ص ٧٣ .

ومن صفاته الخلقية أيضا :

أن الله سبحانه وتعالى قد حباه ،كما حبى غيره من الملائكة قدرة على التشكل فى صور مختلفة حسب ما تدعو الحاجة اليه . قال تعالى : (وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ،فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَٰنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا . قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا) (١)

وقد بينا فيما سبق أن المراد بـ(روحنا) فى الآية هو جبريل عليه السلام (٢) .

وقد كان جبريل عليه السلام يأتى النبى صلى الله عليه وسلم فى صفات متعددة فتارة يأتى فى صورة دحية ابن خليفة الكلبى ، وتارة فى صورة أعرابى ، وتارة فى صورة فحل من الابل لارهاب أعدائه . وقد شاهد كثير من الصحابة هذا فى حياته صلى الله عليه وسلم .

ففى الصحيحين عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال : بينما نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم ، اذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر ، لا يرى عليه أثر السفر ، ولا يعرفه منا أحد . حتى جلس الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسند ركبتيه الى ركبتيه ووضع كفيه على فخذيه ، وقال : يا محمد أخبرنى عن الإسلام ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الاسلام أن تشهد أن لا اله الا الله ، وأن محمدا رسول الله ، وتقيم الصلاة ، وتؤتى الزكاة ، وتصوم رمضان ، وتحج البيت ان استطعت اليه سبيلا . قال : صدقت . قال : فعجبنا له يسأله ويصدقه . قال : فأخبرنى عن الايمان . قال : أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، وتؤمن بالقدر خيره وشره . قال : صدقت . قال فأخبرنى عن

---

(١) سورة مريم الآيات ١٦-١٩ .

(٢) انظر ص ٢٠٢ من هذا البحث.

الاحسان . قال : أن تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك . قال : فأخبرني عن الساعة . قال : ما المسئول عنها بأعلم من السائل . قال : فأخبرني عن أماراتها . قال : أن تلد الأمة ربتها ، وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون في البنيان . قال : ثم انطلق ، فلبث مليا ثم قال لي : يا عمر !! أتدري من السائل ؟ قلت: الله ورسوله أعلم . قال : فانه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم) (١)

ورأت عائشة رضي الله عنها الرسول صلى الله عليه وسلم واضعا يده على معرفة فرس دحية الكلبي يكلمه فلما سألته عن ذلك ، قال صلى الله عليه وسلم: (ذاك جبريل وهو يقرئك السلام) (٢).

وقد تصور جبريل في صورة فحل من الابل فاتحا فاه ليلتقم أبا جهل ، لما أراد أن يلقى على النبي صلى الله عليه وسلم حجرا كبيرا وهو يصلي. وأخبر عليه الصلاة والسلام ، أنه جبريل .

ولما اقتضى الأراشي دينه من أبي جهل الذي مطله بثمن ابله ، وشكى لقريش فدلوه على المصطفى صلى الله عليه وسلم استهزاء ، لعلمهم بشدة عداوته (فلما أتاه النبي صلى الله عليه وسلم ، قال - يعني أبا جهل - لا تبرح حتى يأخذ حقه ، فعيرته قريش . فقال : رأيت فحلا من الإبل لو امتنعت لأكلني) (٣)!

وفي بعض الأحيان كان يأتي عليه السلام على هيئته التي خلقه الله سبحانه وتعالى عليها وقد رآه النبي صلى الله عليه وسلم على هذه الهيئة مرتين : قال تعالى : (ولقد رآه بالأفق المبين) (٤).

(يعني ولقد رأى محمد جبريل عليه السلام الذي يأتيه بالرسالة عن الله عز وجل على الصورة التي خلقه الله عليها له ستمائة جناح . (بالأفق المبين) : أي

---

(١) متفق عليه واللفظ لمسلم : كتاب الايمان باب بيان الايمان والاسلام والاحسان ١ / ٨

(٢) صحيح البخاري : كتاب فضائل الصحابة ، باب فضل عائشة رضي الله عنها ٣٧٦٨/٧ عن عائشة مرفوعا .

(٣) أخرجه أبو نعيم في دلائل النبوة في قصة طويلة . انظر دلائل النبوة لأبي نعيم الناشر عالم الكتب بيروت ص ٦٧-٦٨

(٤) سورة التكوير الآية ٢٣ .

البيّن . وهى الرؤية الأولى التى كانت بالبطحاء . وهى المذكورة فى قوله تعالى : (عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى ، وَهُوَ بِالأُفُقِ الأَعْلَى ، ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى ، فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى . فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى)[١].

والدليل على أن المراد بذلك جبريل عليه السلام . والظاهر - والله أعلم - أن هذه السورة نزلت قبل ليلة الاسراء ، لأنه لم يذكر فيها الا هذه الرؤيا وهى الأولى .

وأما الثانية وهى المذكورة فى قوله تعالى : (وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى ، عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى ، إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى)[٢]. فتلك انما ذكرت فى سورة النجم وقد نزلت بعد سورة الاسراء)[٣].

وقد وكل الله سبحانه وتعالى لهذا الملك الكريم جبريل عليه السلام أجل الأعمال وأشرفها . فقد وكل اليه مهمة تبليغ الأنبياء المصطفين بالوحى ، وتعهده لهم بالرعاية والعناية لتبليغه للمرسلين . فقد ثبت فى السنة الشريفة أن جبريل عليه السلام هو الذى كان يتولى موسى عليه السلام . قال أبو كامل وحسن فى حديثهما أن النبى صلى الله عليه وسلم قال لخديجة : انى أرى ضوءا وأسمع صوتا ، وانى أخشى أن يكون بى جُنُن . قالت: لم يكن الله ليفعل ذلك بك يا ابن عبد الله ، ثم أتت ورقة بن نوفل فذكرت ذلك له)[٤].

وأنشد ورقة قائلا :

ان يك حقا يا خديجة فاعلمى * حديثك ايانا : فأحمد مرسل

وجبريل يأتيه وميكال معهما * من الله وحى يشرح الصدر منزل (٥)

---

(١) سورة النجم الآيات ٥ - ١٠ .

(٢) سورة النجم الآيات ١٣-١٦ .

(٣) تفسير القرآن العظيم ج٧ ص ٢٢٩ .

(٤) أخرجه الامام أحمد فى مسنده ٣١٢/١ .

(٥) المعرب للجواليقى - ص ١٦٢ .

وأخرج البخارى فى صحيحه من حديث عائشة أم المؤمنين رضى الله عنهما :

(فانطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل . . فقالت له خديجة: يا ابن عم اسمع من ابن أخيك ، فقال له ورقة: يا ابن أخى ماذا ترى؟ فأخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم خبر ما رأى. فقال له ورقة: هذا النّاموس الذى نزل الله على موسى، ليتنى فيها جذعا ، ليتنى أكون حيا اذ يخرجك قومك. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أو مخرجى هم؟ قال: نعم . لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به الا عودى وان يدركنى يومك أنصرك نصرا مؤزرا).[(١)]

وأورد ابن هشام فى السيرة النبوية عن هذه القصة ، ان خديجة أتت ابن عمها ورقة فأخبرته الخبر فقال: لئن كنت صدقتنى يا خديجة لقد جاءه الناموس الاكبر الذى كان يأتى موسى وانه لنبى هذه الامة).[(٢)]

فمعنى هذا أن ورقة بن نوفل يقول تارة ناموس عيسى ، وتارة ناموس موسى ، فعند اخبار خديجة له بالقصة ـ كما فى حديث المسند السابق ـ قال لها : ناموس عيسى بحسب ما هو فيه من النصرانية . وعند اخبار النبى صلى الله عليه وسلم له ـ كما فى حديث البخارى ـ قال له : ناموس موسى وكل صحيح.[(٣)]

والذى عليه الجمهور أن الناموس هو صاحب السر.[(٤)] والمراد به هنا هو جبريل عليه السلام .

قال ابن الأثير: (وسمى جبريل عليه السلام ناموسا لأنه مخصوص بالوحى والغيب الذى لا يطلع عليهما أحد من الملائكة سواه).[(٥)]

---

(١) متفق عليه : أخرجه البخارى فى صحيحه كتاب بدء الوحى ، باب كيف كان بدء الوحى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ١ / ٣ عن عائشة رضى الله عنهما وأخرجه مسلم : كتاب الايمان باب بدء الوحى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ١ / ١٦٠ .

(٢) السيرة النبوية لابن هشام ج ١ ص ٢٢٢

(٣) انظر فتح البارى المجلد الاول كتاب بدء الوحى ص٢٦ .

(٤) انظر القاموس المحيط ج ٢ ص٢٥٦ وفتح البارى المجلد الأول ص٢٦ .

(٥) جامع الأصول لابن الأثير له تحقيق وتخريج عبدالقادر الأرناؤوط ، مكتبة الحلوانى ج١١ ص٢٧٨ .

نخرج من هذه النصوص بأن جبريل عليه السلام هو الذى كان يتولى سيدنا موسى عليه السلام بالوحى ، قبل عيسى عليه السلام. وقد نقل ابن حجر فى شرحه للبخارى: اتفاق الكتاب على نزول جبريل على موسى عليه السلام.(١)

وفى انجيل برنابا فى الفصل العاشر منه ،وفى شأن من تولى عيسى بالوحى ورد ذكر جبريل عليه السلام بالنص، وأنه هو الذى تولى انزال الوحى اليه :

(ولما بلغ يسوع الثلاثين سنة من العمر كما أخبرنى بذلك نفسه .... فقدّم له الملاك جبريل كتابا كأنه مراة براقة ، فنزل الى قلب يسوع الذى عرف به ما فعل الله ، وما قال الله ، وما يريد الله حتى أن كل شىء كان عريانا مكشوفا).(٢)

وقد أكد القرآن الكريم ذلك فى قوله تعالى : (وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ ،وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ).(٣)

فقوله :(وأيدناه بروح القدس) : أى قويناه بجبريل عليه السلام ،كما قدمنا.(٤)

وقد ثبت أنه كان يتولى محمدا صلى الله عليه وسلم كما كان من قبل يتولى موسى وعيسى عليهما السلام . قال تعالى : (قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ).(٥)

وروح القدس : هو جبريل عليه السلام .

أما نزول جبريل عليه السلام بوحى القرآن ، وأن ذلك لم يكن الا منه فقد دل عليه قوله تعالى : (نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ)(٦) الآية .

---

(١) فتح البارى بشرح صحيح البخارى ج ١ ص ٢٦ .
(٢) انجيل برنابا لمترجمه الدكتور سعادة ، مطبعة محمد على صبيح الفصل العاشر (ب) ص ١٠ .
(٣) سورة البقرة الآية ٨٧ .
(٤) انظر روح المعانى للألوسى ج ١ ص ٣١٦ .
(٥) سورة النحل الآية ١٠٢ .
(٦) سورة الشعراء الآية ١٩٣ - ١٩٤ .

و(الروح الأمين) : هو جبريل عليه السلام . قاله غير واحد من السلف: ابن عباس ، ومحمد بن سعد ، وقتادة ، والسدى ، والضحاك ، والزهرى ، وابن جريج ، وهذا مما لا نزاع فيه)(١) .

وقد أمر الله تعالى نبيه أن يبين للناس مهمة هذا الملك الكريم ، الذى عهد اليه تنزيل هذا القرآن الكريم على قلب خاتم النبيين . قال تعالى: (قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ)(٢) .

ولا حصر للأحاديث النَّبويَّة الشَّريفة التَّى تنص على نزول جبريل عليه السلام بوحى القرآن على رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذلك نزوله عليه بالوحى مطلقا .

من ذلك ما جاء فى تقرير الآية السابقة من أن جبريل عليه السلام هو الذى كان يتولى النبى صلى الله عليه وسلم بالوحى ،فقد أخرج البخارى عن أنس بن مالك فى سبب نزول هذه الآية المتقدمة: قال أنس بن مالك (سمع عبد الله بن سلام بمقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو فى أرض يخترف فأتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال : انى سائلك عن ثلاث لا يعلمهن الا نبى : ما أول أشراط الساعة؟ وما أول طعام أهل الجنة؟ وما ينزع الولد الى أبيه أو الى أمه ؟ قال : (أخبرنى بهذه جبريل آنفا .

قال - يعنى ابن سلام - : جبريل ؟ قال : نعم . قال : ذاك عدو اليهود من الملائكة)(٣) .

وقد يرد على ما ثبت فى الصحيح من أحاديث يفهم منها أن الوحى كانت تنزل به جموع من الملائكة ، أو ملك آخر سوى جبريل عليه السلام كما أخرج مسلم فى صحيحه

---

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ج ٥ ص ٢٠٥ .
(٢) سورة البقرة الآية ٩٧ .
(٣) صحيح البخارى : كتاب أحاديث الانبياء باب خلق آدم وذريته ٦ / ٣٣٢٩ عن أنس بن مالك رضى الله عنه مرفوعا .

عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : (بينما جبريل قاعد عند النبى صلى الله عليه وسلم سمع نقيضا من فوقه - أى صوتا - فرفع رأسه فقال : هذا باب من السماء فتح اليوم لم يفتح قط الا اليوم . فنزل منه ملك الى الأرض لم ينزل الا اليوم ، فسلم وقال : أبشر بنورين أوتيتهما لم يؤتهما قط نبى قبلك ، فاتحة الكتاب ، وخواتيم سورة البقرة لن تقرأ بحرف منها الا أعطيته)(١) .

وأخرج الطبرانى عن ابن عمر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (لقد هبط على ملك من السماء ما هبط على نبى قبلى ولا يهبط على أحد بعدى ، وهو اسرافيل [وعنده جبريل عليه السلام] فقال : أنا رسول ربى إليك ، أمرنى أن أخبرك ان شئت نبيا عبدا وإن شئت نبيا ملكا ، فنظرت إلى جبريل فأومأ الىّ أن تواضع)(٢) .

وأورد الحسن النيسابورى فى كتابه : (غرائب القرآن ورغائب الفرقان) عند تفسيره لسورة الأنعام ، عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (لقد بعث الىّ بها جبريل مع خمسين ملكا ، أو خمسين ألف ملك تحفها حتى أقروها فى صدرى كما يقر الماء فى الحوض . ولقد أعزنى الله تعالى واياكم بها عزا لا يذلنا بعدها أبدا ، فيها دحض حجج المشركين ، ووعد من الله لا يخلفه)(٣) .

والواقع أن هذه الأحاديث التى أوردناها لا تخالف ما قررناه فى شأن جبريل عليه السلام وكونه الملك المختص بوحى القرآن وذلك لما يأتى :

---

(١) رواه مسلم فى صحيحه كتاب صلاة المسافرين ، باب فضل الفاتحة ، وخواتيم سورة البقرة ١/٨٠٦ ، عن ابن عباس رضى الله عنهما مرفوعا . والنسائى فى افتتاح الصلاة ، باب فضل فاتحة الكتاب ٢/١٣٨ .

(٢) قال الهيثمى رواه الطبرانى وفيه يحى بن عبد الله البالبلتى وهو ضعيف . مجمع الزوائد ومنبع الفوائد للحافظ نور الدين على بن أبى بكر الهيثمى (ت ٨٠٧هـ) دار الكتاب بيروت ص ١٩ .

(٣) النيسابورى فى كتابه (غرائب القرآن ورغائب الفرقان) تحقيق ابراهيم عطوة عوض شركة مصطفى البابى الحلبى بمصر الطبعة الاولى ١٣٨١هـ - ١٩٦٢م ج ٧ ص ٦٤-٦٥

أولا : جاء فى حديث ابن عباس المتقدم الذى أخرجه الامام مسلم فى صحيحه ،مـــا يشعر بأن بعض القرآن نزل الى النبى صلى الله عليه وسلم من غير طريق جبريل عليـــه السلام . وان جبريل لم يعلم النبى صلى الله عليه وسلم بشئ من ذلك ولكن قد ثبت على الراجح (١) أن فاتحة الكتاب نزلت بمكة ،نزل بها جبريل عليه السلام ،كما حكاه الطبرى عن ابـــن عباس وقتادة وأبو العالية الرياحى - اسمه رفيع - ويدل على ذلك قوله تعالـــى : (وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ) (٢) والحجر مكية بالاجماع (٣).

ولا خلاف فى أن فرض الصلاة كان بمكة ، وما حفظ أنه كان فى الاسلام قط صـلاة بغير الحمد لله رب العالمين يدل على هذا قوله صلى الله عليه وسلم : (لا صلاة الا بفاتحة الكتاب) (٤).

---

(١) حكى الامام القرطبى ثلاثة مذاهب فى مكان نزول فاتحة الكتاب:
الأول : المذكور فى صلب الموضوع .
الثانى : عن أبى هريرة ومجاهد ، وعطاء بن يسار والزهرى وغيرهم أنها مدنية
الثالث : حكاه أبو الليث نصر السمرقندى فى تفسيره أن نصفها بمكة ونصفهـــا الآخر بالمدينة . ولكن قال ابن كثير رحمه الله ان هذا الـــرأى الثالث بعيد كل البعـــد .
انظر الجامع لأحكام القرآن للقرطبى ج ١ ص ١١٥ .
وكذلك انظر تفسير القرآن العظيم لابن كثير ج ١ ص ١٧ .

(٢) سورة الحجر الآية ٨٧

(٣) انظر الجامع لأحكام القرآن للقرطبى ج ١ ص ١١٥ .

(٤) المصدر نفسه والصفحة ، وسنن الترمذى : كتاب مواقيت الصـــــلاة باب ما جاء فى تحريم الصلاة وتحليلها ٢ / ٢٣٨ .
وسنن الدارمى : كتاب الصلاة باب فى افتتاح الصلاة ج ١ ص ٢٨١ .

والحديث المروى عن ابن عباس رضى الله عنهما انما كان بالمدينة المنورة بعد الهجرة ، واللاحق يتبع السابق ، علاوة على أنه تعالى قد أخبرنا فى محكم تنزيله أن القرآن كله - من غير استثناء - نزل به جبريل من عند ربه الى محمد صلى الله عليه وسلم وذلك فى آيات كثيرة منها قوله تعالى : (نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ)(١) . وقال تعالى : (قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ)(٢) . والمراد بالروح الأمين ، وروح القدس هو جبريل عليه السلام .

وصياغ القرآن يدل على أن جبريل عليه السلام ، نزل بجميع القرآن ، وليس ببعضه دون البعض الآخر .

نزلت سورة فاتحة الكتاب اذن بمكة ، فلا يصح أن يفهم من الحديث المذكور ، نزولها بالمدينة على لسان ملك آخر ، غير جبريل عليه السلام . وخواتيم سورة البقرة شأنها شأن بقية القرآن الكريم الذى نص الكتاب العزيز على أن جبريل عليه السلام هو الذى نزل به كله .

واذا دققنا النظر فى هذا الحديث لم نجد فيه تصريحا بأن الملك الهابط من السماء نزل بالفاتحة وخواتيم البقرة ، وانما نُزل ببشارة النبى صلى الله عليه وسلم انه أوتيهما نوران لم يؤتهما نبى قبله . ونزل كذلك ببيان فضلهما . والتعبير فى الحديث يدل على أن الملك الهابط من السماء حدث النبى صلى الله عليه وسلم عن فاتحة الكتاب ، وخواتيم سورة البقرة ، كأمرين معروفين سابقا للنبى صلى الله عليه وسلم وهذا صحيح حيث نزل بهما جبريل عليه السلام قبل ذلك .

ثانيا : حديث ابن عمر الذى أخرجه الطبرانى يدل كذلك على أن جبريل عليه السلام كان مع النبى صلى الله عليه وسلم قبل نزول اسرافيل عليه السلام عليه .

---

(١) سورة الشعراء الآيات ١٩٣-١٩٥ .

(٢) سورة النحل الآية ١٠٢ .

ثمّ إنّ هذا النزول هو الآخر لم يتضمن نزول اسرافيل بشيء من الوحي ،وانما بطمأنه النبي صلى الله عليه وسلم وأنه عند الله بحيث ينال ما يشاء من ملكه .

وفي الحديث الذي أورده الحسن النيسابوري في كتابه (غرائب القرآن ورغائب الفرقان) كان جبريل عليه السلام هو الذي تولى الوحي بسورة الأنعام ، وان كانت تحفة الملائكة الآخرون .

ان في كثرة حضور جبريل وتيامنه للنبي صلى الله عليه وسلم وتعريفه له بالملك الهابط ، وبغيره ، ان في ذلك لدليل على أنه هو الأصل في الوحي وغيره من الملائكة فرع .

ثالثا : كون اسرافيل كان ينزل عليه صلى الله عليه وسلم لا يعني هذا انه كان ينزل على النبي صلى الله عليه وسلم بالوحي . فقد روى باسناد صحيح عن عامر الشعبي وداوود بن عامر : (وكل اسرافيل بمحمد صلى الله عليه وسلم ثلاث سنين فكان يأتيه بالكلمة ، والكلمة ، ثم نزل عليه جبريل بالقرآن) (١) .

وقد علق النبهاني على هذا الحديث فقال : (اختصت بشراه بالاشعار ، وتجردت عن تكليف وانذار ، لم يسمع بها وحيا ، ولا رأى معها شخصا ، وانما كان احساسا بالملك ، اقترن بآية دلت ، وامارة ظهرت ، اكتفى بها عن مشاهدته واستغنى بها عن نطقه ليعلم أنه من أنبياء الله فيتأهب لوحيه ، ويعان بامهاله ، فيكون على البلوى أصبر ، وعلى النعمة أشكر) (٢) .

وكان النبي صلى الله عليه وسلم في هذه المدة كما يقول النبهاني : (مبشرا بالنبوة ، وغير مبعوث الى الأمة ، فاحتمل أن يكون امهاله فيها معونة للرسول صلى الله عليه وسلم واحتمل أن يكون نظرا للأمة ، واحتمل أن يكون لأوان المصلحة .

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام ج ١ ص ٢٢٠ .

(٢) حجة الله على العالمين في معجزات سيد المرسلين للنبهاني الناشر حسن جصنا ومحمد أمين دمج ص ٢٧٣

وليس يمتنع أن يكون لجميعها ، فانه أعلم بسر ما أخفى ،وأعرف بما أظهر)[1].

رابعا : لقد ثبت في السنة أن لبعض الملائكة أعوانا قال ابن عباس رضي الله عنهما وغير واحد : (لملك الموت أعوان من الملائكة يخرجون الروح من الجسد ، فيقبضها ملك الموت اذا انتهت الى الحلقوم)[2].

فلا أرى هناك مانعا من أن يكون لملك الوحي أعوان شيعوا معه سورة الأنعام ونزل جبريل عليه السلام بالوحي .

فاطلاع الرسول صلى الله عليه وسلم على بعض الأخبار عن غير طريق جبريل عليه السلام -كما ذكرنا - وكما في مسند الامام أحمد والترمذي والنسائي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لحذيفة : (أما رأيت العارض الذي عرض لي قبيل ؟ قال : قلت بلى . قال : فهو ملك من الملائكة ، لم يهبط الى الأرض قبل هذه الليلة ، فاستأذن ربه عز وجل - أن يسلم علي ويبشرني أن الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة ، وأن فاطمة سيدة نساء أهل الجنة رضي الله عنهم)[3].

أقول : ان اطلاعه على بعض هذه الأخبار والبشريات من غير طريق جبريل عليه السلام لا ينفي أن يكون جبريل عليه السلام هو الملك المختص بالوحي الى الأنبياء .

وننتهي من هذا كله الى القول بأن جبريل عليه السلام هو الملك المختص بالوحي الى النبي صلى الله عليه وسلم شأنه في ذلك شأن جميع الأنبياء والمرسلين السابقين عليهم الصلاة والسلام لما بينا من أدلة ، ولما ورد عن ابن عباس رضي الله عنهما :(انزل جبريل عليه السلام على كل نبي ، فلم يره منهم أحد الا محمد وعيسى وموسى وزكريا . . . فأما غيرهم فكان وحيا الهاما . .)[4].

---

(١) حجة الله على العالمين للنبهاني ص ٢٧٣

(٢) تفسير القرآن العظيم ج ٣ ص ٣٣

(٣) أخرجه الامام أحمد في مسنده ٥/٣٩١ .

(٤) تفسير القرطبي ج ١٧ ص ٨٧ .

وأخرج ابن أبي شيبة وعبد بن حميد وغيرهما عن ابن سابط رضي الله عنه في قوله (وإنه في أم الكتاب) ما هو كائن إلى يوم القيامة .... فوكل جبريل عليه السلام بالوحي ينزل به الى الرسل عليهم الصلاة والسلام، وبالهلاك إذا أراد أن يهلك قوماً، ..... ووكل أيضا بالنصر في الحروب اذا أراد الله أن ينصر ....) (١)

ولا تنحصر أعمال جبريل عليه السلام في الذي ذكرناه من تبليغ الوحي من الله تعالى الى أنبيائه، فقد كان بعد ما ينزل بالوحي الى الرسول صلى الله عليه وسلم يتعهده بالحفظ والرعاية والعناية الفائقة. فقد كان يأتيه في رمضان كل عام، في كل ليلة من لياليه، فيدارسه القرآن كما جاء ذلك في الحديث الذي أخرجه البخاري في صحيحه - كما تقدم - (٢).

وكان في بعض الأحيان يؤم النبي صلى الله عليه وسلم في الصلاة يعلمه اياها كما يريدها الله - تعالى -. فقد أورد البخاري في صحيحه أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال: (نزل جبريل فأمني فصليت معه، ثم صليت معه، ثم صليت معه) (٣).

وفي حديث ابن عباس رضي الله عنهما الذي أخرجه الامام أحمد والنسائي وابو داوود أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: أمني جبريل عند البيت مرتين فصلى بي حين زالت الشمس، وكانت قدر الشراك، وصلى بي العصر حين كان ظل الشيء مثله وصلى بي المغرب حين أفطر الصائم، وصلى بي العشاء حين غاب الشفق، وصلى بي الفجر حين حرم الطعام والشراب على الصائم.

فلما كان الغد صلى بي الظهر حين كان ظل الشيء مثله وصلى بي العصر حين كان ظل الشيء مثليه، وصلى بي المغرب حين أفطر الصائم، وصلى بي العشاء الى ثلث الليل، وصلى بي الفجر فأسفر. ثم التفت الي وقال: يا محمد:

---

(١) أخرجه السيوطي في الدر المنثور ج ٧ ص ٣٦٦ وعزاه إلى ابن أبي شيبة وعبد ابن حميد وابن المنذر وأبي الشيخ كلهم عن ابن سابط.

(٢) انظر ص ١٤٠ من هذا البحث.

(٣) متفق عليه البخاري في صحيحه: كتاب بدء الخلق، باب ذكر الملائكة ٦ / ٣٢٢١ وأخرجه مسلم: كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب أوقات الصلوات الخمس ١ / ٦١٠ عن ابن مسعود مرفوعا.

هذا وقت الأنبياء من قبلك ، والوقت بين هذين الوقتين).(١)

وقد رقى جبريل عليه السلام النبي ، صلى الله عليه وسلم فقد روى الامام مسلم في صحيحه والترمذي في سننه وغيرهما عن أبي سعيد قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (أتاني جبريل عليه السلام فقال : يا محمد ! ! اشتكيت؟ قلت : نعم . قال : بسم الله أرقيك ، من كل شيء يؤذيك . . . . .).(٢)

ومن أعماله أيضا : أن الله كان يؤيد به المؤمنين . فقد ورد في الصحيحين عن البراء بن عازب قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم لحسان بن ثابت رضي الله عنه (أهجهم - أو هاجهم - وجبريل معك).(٣)

وفي الصحيح أيضا أن النبي صلى الله عليه وسلم قال له : (أجب عني اللهم أيده بروح القدس).(٤)

وأخرج أبو يعلى والحاكم والبيهقي عن علي رضي الله عنه قال : بينما أنا أصيح من قليب بدر اذ جاءت ريح شديدة لم أر مثلها قط ثم ذهبت ، ثم جاءت ريح شديدة لم أر مثلها قط الا التي كانت قبلها ، ثم جاءت ريح شديدة . قال : فكانت الريح الأولى جبرائيل عليه السلام نزل في ألف من الملائكة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت الريح الثانية ميكائيل نزل في ألف من الملائكة عن يمين رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان أبو بكر عن يمينه . وكانت الريح الثالثة اسرافيل نزل في ألف من الملائكة عن ميسرة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا في الميسرة).(٥)

---

(١) سنن ابي داوود : كتاب الصلاة ، باب في المواقيت ١ /٢٩٣ . وكذلك سنن الترمذي كتاب الصلاة ، باب ما جاء في مواقيت الصلاة ١ /١٤٩ .

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه : كتاب السلام ، باب الطب والمرضى والرقى ، ٤ /٢١٨٦ عن أبي سعيد رضي الله عنه - مرفوعاً .

(٣) متفق عليه أخرجه البخاري : كتاب بدء الخلق ، باب ذكر الملائكة ٦ /٣٢١٣ . وأخرجه مسلم : كتاب فضائل الصحابة باب فضائل حسان بن ثابت رضي الله عنه ٤ /٢٤٨٦ .

(٤) متفق عليه صحيح البخاري : كتاب الصلاة ، باب الشعر في المسجد ١ /٤٥٣ . صحيح مسلم : كتاب فضائل الصحابة ، باب فضائل حسان بن ثابت رضي الله عنه ٤ /٢٤٨٥

(٥) الخصائص الكبرى للسيوطي الناشر دار الكتب العلمية بيروت ج ١ ص ٢٠٠ - ٢٠١ .

مما تقدم من حديث عن جبريل عليه السلام يتضح لنا مكانته وفضله عند الله تعالى

أما من حيث الأفضلية ، فقد فضل الله جبريل وميكائيل عن جميع الملائكة أجمعين

قال تعالى : (مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ)(١)

يقول الإمام الرازي فى تفسيره (لما ذكر الملائكة فلم أعاد ذكر جبريل وميكائيل مع اندراجهما فى الملائكة ؟

الجواب لوجهين :

أفردهما بالذكر لفضلهما كأنهما لكمال فضلهما صارا جنسًا آخر سوى جنس الملائكة .

الثانى : أن الذى جرى بين الرسول واليهود هو ذكرهما والآية انما نزلت بسببهما فلا جرم نص على اسميهما ، واعلم أن هذا يقتضى كونهما أشرف من جميع الملائكة)(٢).

ولكن جبريل عليه السلام أفضل من ميكائيل عليه السلام لوجوه:

أحدها : أنه تعالى قدم جبريل عليه السلام فى الذكر ، وتقديم المفضول على الفاضل فى الذكر مستقبح عرفا فوجب أن يكون مستقبحا شرعا لقوله عليه السلام: (مارآه المسلمون حسنا فهو عند الله حسن) .

وثانيها : أن جبريل عليه السلام ينزل بالقرآن والوحى والعلم ، وهو مادة بقاء الأرواح ، وميكائيل ينزل بالخصب والأمطار ، وهى مادة بقاء الأبدان ، ولما كان العلم أشرف من الأغذية ، وجب أن يكون جبريل أفضل من ميكائيل .

وثالثها : قوله تعالى فى صفة جبريل : (مطاع ثم أمين) ذكره بوصف المطاع على الاطلاق ،وظاهره يقتضى كونه مطاعا بالنسبة الى ميكائيل ،فوجب أن يكون أفضل منه)(٣).

---

(١) سورة البقرة الآية ٩٨ .

(٢) ، (٣) التفسير الكبير للفخر الرازى ج ٣ ص ١٩٨ .

أما من حيث مكانته فهو ذو رفعة عالية ، ومكانة مكينة ، عند الله سبحانه وتعالى قال تعالى: (ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ)[(١)].

قال أبو صالح : من مكانته عند ذى العرش أنه يدخل سبعين سرداقا بغير اذن .

ومعنى (مطاع) : أنه مطاعين الملائكة يرجعون اليه ويطيعونه ،أمين على الوحى ليس بضنين[(٢)].

والله سبحانه وتعالى قد جعله ثانى نفسه فى قوله تعالى : (فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ)[(٣)].

وقد شرفه الله سبحانه وتعالى بتلقى كلامه ، وتبليغه لبقية خلقه ، كما جاء فى حديث النواس قال : قال النبى صلى الله عليه وسلم : (ان الله اذا أراد أن يوحى الأمر تكلم بالوحى ، أخذت السموات منه رجفة ، أو رعدة شديدة خوفا من الله تعالى، فاذا سمع أهل السموات ذلك صعقوا وخروا لله تعالى سجدا ، فيكون أول من يرفع رأسه جبريل ، فيكلمه الله تعالى ،ويقول له من وحيه ما أراد ثم يمر جبريل بالملائكة ، كلما مر بسماء سأله ملائكتها ،ماذا قال ربنا يا جبريل ؟ فيقول جبريل : قال الحق وهو العلى الكبير. قال : فيقول كلهم كما قال جبريل ، فينتهى جبريل بالوحى حيث أمره الله تعالى)[(٤)].

وجبريل هو الواسطة كذلك بين الله تعالى ومحمد صلى الله عليه وسلم فى الشفاعة الكبرى . كما ورد فى حديث أبى بكر الصديق رضى الله عنه :(فيأتى جبريل عليه السلام ربه فيقول عز وجل : (ائذن له وبشره بالجنة)[(٥)]. وقد أخرج

---

(١) سورة التكوير الآية ٢٠ .

(٢) انظر فتح القدير للشوكانى ج ٥ ص ٣٩١ .

(٣) سورة التحريم الآية ٤ .

(٤) صحيح مسلم: كتاب التوحيد ، باب قول الله تعالى: (ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن أذن له حتى اذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم؟ قالوا الحق وهو العلى الكبير ١٣/ ٧٤٨١ . عن أبى هريرة مرفوعا .

(٥) مسند الامام أحمد : ج ١ ص ٥ عن أبى بكر الصديق رضى الله عنه مرفوعا .

الشيخان عن أنس رضي الله عنه في حديث الشفاعة ، وفي لفظهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال :(فيقال لي : ارفع رأسك .... الحديث . وقد جاء هذا الحديث في رواية الامام أحمد بذكر الواسطة بين الله تعالى وبين نبيه صلى الله عليه وسلم فجاء فيه : (فأوحى الله الى جبريل أن اذهب الى محمد فقل له ارفع رأسك)(١)

ويدعو يوم الفزع الأكبر بين يديه فرقا من عذاب الله تعالى : (يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا)(٢) .

وقال تعالى : (وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا)(٤) .

---

(١) مسند الامام أحمد ج ٣ ص ١٧٨ .

(٢) سورة النبأ الآية ٣٨ .

(٣) سورة طه الآية ١٠٨ .

- ب -

طرق الوحي إلى الأنبياء عليهم السلام عموماً وإلى نبينا محمد صلى الله عليه وسلم بخاصة

أثبتنا فيما سبق أن جبريل عليه السلام هو ملك الوحي وأنه كان حامل هذا الوحي من الله إلى الأنبياء ، وأن نزوله بالوحي كان أعظم مهماته التي وكلت إليه في هذا الكون ولهذا عرف بكونه ملك الوحي لا ملك شيء آخر ، وأثبتنا كذلك أن بعض الوحي كان مختصاً به وحدة ، وآت عن طريقه وهو القرآن الكريم .

لكن ليس معنى هذا أن الوحي إلى الأنبياء - بصفة مطلقة - ينحصر في طريق واحد ، وهو نزول جبريل به ، فقد يكون الوحي من الله الى أحد أنبيائه مباشرة ، أما بالالقاء في قلبه يقظة أو مناما بالرؤيا الصادقة ، أو بالتكليم معه من وراء حجاب أو كلاهما على الخلاف في ذلك .

وقد ذكر الله تعالى هذه الطرق المختلفة التي يكلم الله بها أنبياءه ورسله من البشر . وذلك في قوله تعالى: (وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلاَّ وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ)(1) .

والمراد بالوحي في الآية وحي الإلقاء في القلب .

والإلقاء في روع النبي يكون بحيث لا يجد النبي أدنى شك في أن هذا الملقى على قلبه من الله تعالى . فالايحاء اذن في هذه الحالة عبارة عن حالة تعرض على النبي فرضا لا دخل له في تحديد كل ما يتعلق بها من زمان ومكان وكيفية ، حتى إذا ما فارقته كان قد وعى تماما ما ألقي اليه فقد جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم

---

(١) سورة الشورى الآية ٥١ .

به أو تدك ، كما دك الجبل . فاذا كان يوم القيامة ركبت الأبصار والجوارح للبقاء ، فاحتملت النظر الى وجهه ، والى سبحانه ونور وجهه من غير أن يحرق أحدا .(١)

وقد نقلنا عن شيخ الاسلام ابن تيميه سابقا(٢) ، مايفيد أن الله سبحانه وتعالى يتكلم بالقرآن بحرف وصوت ، يتنزه الله سبحانه وتعالى عن أن يشابه فيهما حروف الخلق وأصواتهم . فكما تتنزه ذاته عن مشابهة ذوات المخلوقين ، فكذلك يتنزه صفاته وأفعاله عن مشابهة صفاتهم وأفعالهم . قال تعالى : " ليس كمثله شئ وهو السميع البصير ".(٣)

وكما يجرى هذا فى وحى الله للقرآن الكريم ، فهو كذلك يجرى فى وحى الله لكتبه الاخرى الى الانبياء عليهم السلام ، وفى كلام الله تعالى مع جبريل والانبياء عليهم السلام مما لا يكون وحيا مثبتا فى الكتب السماوية .

وعن الكيفية التى يميز بها النبى بين كلام الله ، وكلام غيره بحيث يعلم يقينا ان الله هو الذى يكلمه ، يقول الماوردى " فيعلم اضطرارا أنه من الله . وفيما يقع به علم الاضطرار فى كلامه لاهل العلم قولان :-

أحدهما : أنه يضطره الى العلم به ، كما يضطر خلقه الى العلم بسائر المعلومات . . .

= ان الله لا ينام ، وفى قوله : حجابه النور ١ / ١٧٩ مرفوعا وأخرجه غيره .

(١) من كتاب نقض الدارمى على المريسى المطبوع ضمن كتاب عقائد السلف منشأة المعارف بالاسكندرية ص ٥٢٧ - ٥٢٨ .

(٢) انظر ص ١٤٠ من هذا البحث .

(٣) سورة الشورى الآية ١١ .

أنه قال : " ان روح القدس نفث في روعي أن أن نفسا لن تموت حتى تستكمل أجلها وتستوعب رزقها فأجملوا في الطلب ". (١)

والمراد بكلام الله لنبيه من وراء حجاب ، سماع النبي لكلام الله مباشرة دون رؤيته له .

وقد جاءت السنة المطهرة بذكر بعض تلك الحجب كما في حديث أبي موسى الاشعري الذي أخرجه الامام مسلم في صحيحه قال : " قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بخمس كلمات فقال : ان الله عز وجل لا ينام ولا ينبغي له أن ينام . يخفض القسط ويرفعه . يرفع اليه عمل الليل قبل عمل النهار ، وعمل النهار قبل عمل الليل . حجابه النور . ـ وفي رواية أبي بكر ـ النار لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه وما انتهى اليه بصره من خلقه . . . " (٢)

واحتجاب الله تعالى بهذه النار عن خلقه يكون " بقدرته وسلطانه ، لو كشفها لأحرق نور وجه الرب وجلاله كل ما أدركه بصره ، وبصره مدرك كل شئ ، غير أنه يصيب ما يشاء ، ويصرفه عما يشاء .

كما أنه اذا تجلى لذلك الجبل خاصة من بين الجبال . ولو قد تجلى لجميع جبال الأرض لصارت كلها دكا . كما صارت جبل موسى . ولو قد تجلى لموسى كما تجلى للجبل لجعله دكا . وانما خرّ موسى صعقا مما هاله من الجبل ، مما رأى من صوته حين دك فصار في الارض . . .

وانما كانت تحرق سبحات وجهه لو كشفها كل شئ في الدنيا ، لأن الله كتب الفناء عليها ، وركب ماركب من جوارح الخلق للفناء . فلا يحتمل نور البقاء ، فتحترق

---

(١) حديث صحيح بشواهده أخرجه أبونعيم في " الحلية " ١٠ / ٢٦ ، ٢٧ من حديث ابي امامة . وفي سنده عفير بن معدان وهو ضعيف . وباقي رجاله ثقات . لكن له شاهد من حديث ابن مسعود عند الحاكم ٢ / ٤ وآخر من حديث جابر عند ابن ماجه (٢١٤٤) وابن حبان (١٠٨٤) والحاكم ٢ / ٤ ، ٣٢٥/٤ وابي نعيم في الحليه ٣ / ١٥٦ . . . الخ فيصح الحديث بها .

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه . كتاب الايمان . باب في قوله عليه الصلاة والسلام: =

وثانيهما : أن يقترن بكلامه من الآيات مايدل على أنه منه".(١)

ويرى الامام الغزالي كما يذكر العيني في شرحه على البخاري أن يقين النبي بأنه انما يسمع كلام الله لا كلام غيره ، "يكون بخلق الله علما ضروريا يدرك به الرسول ثلاثة أمور :

أولها : أن المتكلم هو الله تعالى

ثانيهما : أن ماسمعه من كلام الله سبحانه وتعالى

ثالثهما : مراد الله من كلامه عز شأنه ، والقدرة الالهية الازلية لاتقصر عن ذلك".(٢)

أما الطريق الثالث : وهو الكلام الالهي عن طريق الرسول ، فالمراد به نزول الملك بكلام الله الى النبي فيكون تكليما من الله لنبيه باعتبار أن الكلام كلامه ، وأن الملك رسوله في نقل هذا الكلام.

وهذه الطريقة هي الاهم لدينا لأن القرآن الكريم ما نزل الا بها . ويكون خطابه الى أنبيائه بواسطة ملائكته الذين هم رسله اليهم. وعلى الانبياء معرفة الله تعالى قبل معرفة ملائكته في رسالتهم ، لأن معرفة الله فطرية.

يقول الماوردي : "ثم يصير بعد نزول الملائكة بمعجزاتهم الباهرة علم الاضطرار وعلى الملائكة اذا نزلوا بالوحي على الرسول اظهار معجزاتهم له كما يلزم الرسول اظهار معجزته(٣) لامته".(٤)

ويشهد لهذا ما روى : أن جبريل عليه السلام لما تصدى لرسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة في الوادي أظهر معجزته للنبي صلى الله عليه وسلم ليصدقه فأنه

---

(١) اعلام النبوة لابي الحسن الماوردي ص ٣٣.

(٢) نقلا عن عمدة القارئ شرح صحيح البخاري ج ١ ، ص ٤٥.

(٣) لقد سبق أن ذكرنا في ص ٩١ من هذا البحث أن الناس أمام تصديق الرسول باظهار المعجزة أو عدمه فريقان : فريق يدرك افادة المعجزة صدق الرسول بالضرورة ، وفريق يدرك ذلك بالنظر والاستدلال .

(٤) اعلام النبوة للماوردي ص ٣٤.

رسول ربه ، فقال له : (أتحب أن أريك آية ؟ قال : (نعم أرني . فنظر الى شجرة من وراء الوادى . قال : ادع تلك الشجرة . فدعاها فجاءت تمشي حتى قامت بين يديه . قال : قل لها فلترجع . فقال لها فرجعت حتى عادت الى مكانها . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :(حسبي)[1]

ولهذه الطرق العامة في الوحي صور متعددة ، وللأنبياء فيها أحوال مختلفة ، والحديث عن طرق الوحي وصوره المتعددة هو موضوعنا في هذا المقام .

وكما أننا لم نتكلم على جميع الأنبياء والمرسلين عند كلامنا عن وقوع الوحي اليهم في الفصل السابق ، فكذلك ليس من غرضنا هنا أن نتكلم عنهم جميعا عند حديثنا عن طرق الوحي وصورة المختلفة . فان تفاصيل أحوال هؤلاء الأنبياء جميعا لم تبق محفوظة لنا . ولكننا سنقتصر في الحديث عما حفظ لنا منها سواء في الكتاب والسنة ، أو في ثنايا كتب بعض هؤلاء الأنبياء التي لا تزال باقية رغم ما أصابها من تحريف كأسفار التوراة .

واذا كان قوله تعالى : (وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلاَّ وَحْيًا ، أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ)[2] إذا كانت هذه الآية تحدد طرق الوحي العامة بما ينطبق على جميع الأنبياء والمرسلين ، فإننا سنأتي بعد هذا الاجمال بتفصيل صور مجيء الوحي إلى بعض هؤلاء الأنبياء والمرسلين قبل محمد صلى الله عليه وسلم كموسى ، وعيسى ـ عليهما السلام ـ وغيرهما من أنبياء التوراة ثم إلى محمد صلى الله عليه وسلم .

---

(١) أخرجه ابن ماجة في سننه : كتاب الفتن ، باب الصبر على البلاء ٢ / ٤٠٢٨ . وللبيهقي في دلائل النبوة تحقيق د . عبد المعطي قلعجي الناشر دار الكتب العلمية بيروت ج ٢ ص ١٥٤ . وذكر الهيثمي في مجمع الزوائد ـ الناشر دار الكتاب العربي بيروت ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م ج ٩ ص ١٠ ذكر نحوه عن عمر بن الخطاب وعزاه الى البزار وأبي يعلى وقال واسناد أبي يعلى حسن .

(٢) سورة الشورى الآية ٥١ .

١) طرق الوحي إلى الأنبياء قبل محمد صلى الله عليه وسلم :

إذا رجعنا إلى القرآن الكريم في معرفة هذه الطرق فإننا نلحظ أن القرآن يعبر أحيانا عن الوحي إلى هؤلاء الأنبياء بكلمة أوحينا ، أو نوحي ، دون أن يكون في ذلك تحديد لكيفيته. هل هو من باب الإلقاء في القلب من الله ، أو المقصود به الوحي عن طريق الملك . سواء بالقاء المعنى في قلب النبي أو بالقاء الكلام الصريح إليه مما يصدق عليه أنه وحي من الله باعتبار أن الله سبحانه وتعالى هو مصدره الأول ، ومن ذلك قوله تعالى : (إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا)[١] .

وقوله تعالى : (كَذَلِكَ يُوحِي إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ)[٢]

وقوله تعالى : (فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنِ اصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا)[٣] . أي الى نوح عليه السلام .

وقد يأتي التعبير عن الوحي الى الأنبياء في القرآن بلفظ النداء ، أو ما يدل عليه . وهذا يعني أنه يتم عن طريق الكلام من وراء حجاب . كقوله تعالى لآدم : (وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ)[٤] .

وقوله تعالى عن إبراهيم عليه السلام : (وَنَادَيْنَاهُ أَن يَا إِبْرَاهِيمُ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ)[٥] .

وقوله تعالى عن موسى عليه السلام : (فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ أَن بُورِكَ مَن فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ يَا مُوسَى إِنَّهُ أَنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ)[٦] .

---

(١) سورة النساء الآية ١٦٣ .
(٢) سورة الشورى الآية ٣ .
(٣) سورة المؤمنون الآية ٢٧ .
(٤) سورة البقرة الآية ٣٥ .
(٥) سورة الصافات الآيتان ١٠٤-١٠٥ .
(٦) سورة النمل الآيتان ٨-٩ .

وقوله تعالى: (قَالَ يَا مُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ)(١).

وقوله تعالى: (فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ)(٢).

ومن هذا الباب نداء الملائكة لزكريا عليه السلام: (فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى)(٣).

فالتعبير عن الوحي بألفاظ القول، والكلام والتكليم، والنداء، يعبر عن أحد طرق الوحي الى الأنبياء وهو الكلام من وراء حجاب.

وقد يعبر القرآن عن الوحي إلى هؤلاء الأنبياء بألفاظ التلقي. قال تعالى: (فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ)(٤). أو الايتاء، قال تعالى: (وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا)(٥). وقال: (وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ)(٦). وقال: (وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ)(٧).

وكذلك كلمات الانزال والتنزيل قال تعالى: (إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ)(٨). وقال: (وَأَنْزَلَ التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ مِنْ قَبْلُ هُدًى لِلنَّاسِ)(٩).

وليس في ألفاظ التلقي والانباء والانزال تحديد للكيفية التي تم بها وحي هذه الكتب حيث يصدق التعبير بهذه الألفاظ العامة على الصور المتعددة للوحي.

---

(١) سورة الأعراف الآية ١٤٤.
(٢) سورة القصص الآية ٣٠.
(٣) سورة آل عمران الآية ٣٩.
(٤) سورة البقرة الآية ٣٧.
(٥) سورة النساء الآية ١٦٣.
(٦) سورة المائدة الآية ٤٦.
(٧) سورة النمل الآية ١٥.
(٨) سورة المائدة الآية ٤٤.
(٩) سورة آل عمران الآيتان ٣-٤.

ومما ذكره القرآن الكريم عن علاقة جبريل عليه السلام بهؤلاء الأنبياء سواء في الوحي أو غيره ، ما ذكره عن عيسى عليه السلام بقوله تعالى : (وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ)[١] . وقوله تعالى : (إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَى وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدْتُكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا ، وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ)[٢] .

وهذا هو الطريق الثالث من طرق التكليم الإلهي للأنبياء المذكور في قوله تعالى : (أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ)[٣] . فهو وحي عن طريق الملك . وقد يتم هذا الوحي والملك على ما هو عليه ، وقد تتشكل الملائكة بصور بشرية في مجيئهما الى الأنبياء . فقد جاءت الى ابراهيم عليه السلام على هذا النحو وهي تحمل إليه البشرى بمولد اسحاق ، قال تعالى : (وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ ، فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمِ لُوطٍ)[٤] .

وجاءت الملائكة لوطا عليه السلام في هذه الصورة البشرية . قال تعالى : (وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ)[٥] . وذلك أنهم جاءوه في صورة بشر حسان الوجوه ، فخاف عليهم من ايذاء قومه لهم .

وقد ذكر القرآن الوحي إلى هؤلاء الأنبياء عن طريق الرؤيا الصادقة . وذلك عن إبراهيم عليه السلام حيث قال لابنه إسماعيل عليه السلام كما حكى القرآن ذلك : (فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى

---

(١) سورة البقرة الآية ٢٥٣ .
(٢) سورة المائدة الآية ١١٠ .
(٣) سورة الشورى الآية ٥١ .
(٤) سورة هود الآيتان ٦٩ - ٧٠ .
(٥) سورة هود الآية ٧٧ .

قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ)[١]. فقد أدرك اسماعيل عليه السلام أن أباه مأمور من الله بما رآه ، ومن ثم استسلم لأمره .

وقد ذكر ابن الجوزى فى تفسيره[٢]، أحد الأقوال فى قوله : (وما كان لبشر أن يكلمه الله الا وحيا) بأن المراد بالوحى فى الآية الرؤيا الصادقة .

ويذهب الامام الرازى فى تفسيره لقوله تعالى : (انى أرى فى المنام أنى أذبحك فأنظر ماذا ترى) : الى أن تلك الرؤيا التى رآها ابراهيم عليه السلام فى ذبح ابنه ليست من باب الانباء الصريح .

يقول الامام الرازى : (إِنَّه رأى فى المنام أنه يذبحه - أى يذبح إسماعيل ابنه - ورؤيا الأنبياء عليهم السلام من باب الوحى . وعلى هذا القول فالمرئى فى المنام ليس الا أنه يذبح . فان قيل : إِمَّا أن يقال انه ثبت بالدليل عند الأنبياء عليهم السلام أن كل ما رآه فى المنام فهو حق حجة ، أو لم يثبت ذلك بالدليل عندهم . فاذا كان الأول ، فلم راجع الولد فى هذه الواقعة؟ بل كان من الواجب عليه أن يشتغل بتحصيل ذلك المأمور ، وأن لا يراجع الولد فيه ، وأن لا يقول له - أى الولد - (افعل ما تؤمر) . وأيضا فقد قلتم : انه بقى فى اليوم متفكرا - كما يحكى ذلك الامام الرازى عن بعض المفسرين - ولو ثبت عنده بالدليل أن كل ما رآه فى النوم فهو حق لم يكن الى هذا التروى والتفكر حاجة . وان كان الثانى ، وهو أنه لم يثبت بالدليل عندهم أن ما يرونه فى المنام حق ، فكيف يجوز له أن يقدم على ذبح ذلك الطفل بمجرد رؤيا لم يدل الدليل على كونها حجة؟ .

والجواب: لا يبعد أن يقال انه كان عند الرؤيا مترددا فيه ثم تأكدت الرؤيا بالوحى الصريح ، والله أعلم)[٣] .

---

(١) سورة الصافات الآية ١٠٢ .

(٢) انظر زاد المسير فى علم التفسير لابى الفرج عبد الرحمن بن الجوزى ، المكتب الاسلامى ج ٧ ص ٢٩٧ .

(٣) التفسير الكبير للرازى ج ٢٦ ص ١٥٣ .

هذه بعض التعابير القرآنية التى تصور طرق الوحى الى الأنبياء قبل محمد صلى الله عليه وسلم وكلها تطبيق وتصوير لما ورد فى قوله تعالى : (وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ)(١) .

وقد سجلت أسفار التوراة بعض صور الوحى الى الأنبياء ومن هذه الصور :

أولا : الوحى من وراء حجاب

وقد تعرض لهذا النوع من الوحى آدم وموسى عليهما السلام .

جاء فى سفر التكوين : (وأخذ الرب الاله آدم ووضعه فى جنة عدن ليعملها ويحفظها . وأوحى الرب الإله الى آدم قائلا من جميع شجر الجنة تأكل أكلا . وأما شجرة معرفة الخير والشر فلا تأكل منها لأنك يوم تأكل منها تموت)(٢) .

وورد فى الاصحاح الثالث من سفر الخروج :-

(وأما موسى فكان يرعى غنم (يثروت حميه) كاهن مدين فساق الغنم الى وراء البرية وجاء الى جبل الله حوريب. وظهر له ملاك الرب بلهيب نار من وسط عليقة . فنظر واذا العليقة تتوقد بالنار ، والعليقة لم تكن تحترق . فقال موسى : أميل الآن لأنظر هذا المنظر العظيم ،لماذا لم تحترق العليقة . فلما رأى الرب أنه مال لينظر ناداه الله من وسط العليقة ، وقال : موسى ،موسى . فقال ها أنا ذا . فقال : لا تقترب الى ههنا . اخلع نعليك من رجليك فان الموضع الذى أنت قائم فيه أرض مقدسة . فالآن تعال أبعثك الى فرعون ، وأخرج شعبى بنى إسرائيل من مصر)(٣) .

وجاء فى سفر الخروج أيضا :

(لا تقدر أن ترى وجهى . لأن الانسان لا يرانى ويعيش)(٤) .

---

(١) سورة الشورى الآية ٥١ .

(٢) سفر التكوين ٢ : ١٥-١٧ .

(٣) سفر الخروج ٣ : ١-٦، ١٠ .

(٤) سفر الخروج ٣٣ : ٢٠ .

وجاء فيه أيضا :

(قال موسى لهرون قل لكل جماعة بنى اسرائيل اقتربوا الى أمام الرب لأنه قد سمع تذمركم . فحدث إذ كان هارون يكلم كل جماعة بنى اسرائيل أنهم التفتوا نحو البرية واذا مجد الرب قد ظهر من السحاب . فكلم الرب موسى قائلا : سمعت تذمر بنى اسرائيل) (١).

ثانيا : ظهور الملائكة فى الصور البشرية :

وذلك كما جاء فى سفر التكوين عن ابراهيم عليه السلام : (وظهر له الرب عند بلوطات ممرا ، وهو جالس فى باب الخيمة وقد حر النهار . فرفع عينيه ونظر ، واذا ثلاثة رجال واقفون لديه . فلما نظر ركض لاستقبالهم من باب الخيمة ، وسجد الى الأرض . وقال يا سيد إنْ كنت قد وجدت نعمة فى عينيك فلا تتجاوز عبدك ليؤخذ قليل ماء واغسلوا أرجلكم واتكئوا تحت الشجرة .

فأسرع ابراهيم الى الخيمة إلى سارة ، وقال اسرعى بثلاث كيلات دقيقا . . أعجنى واصنعى خبز ملة . ثم ركض ابراهيم الى البقر وأخذ عجلا رخصا . . وأعطاه للغلام فأسرع ليعمله . ثم أخذ زبدا ولبنا والعجل الذى عمله ووضعها قدامهم . . .

وقالوا له : أين سارة امرأتك؟ فقال انى ارجع اليك نحو زمان الحياة ، ويكون لسارة امرأتك ابن . وكانت سارة سامعة فى باب الخيمة . . فضحكت سارة فى باطنها قائلة أبعد فنائى يكون لى تنعم ، وسيدى قد شاخ ؟ (!)) (١).

وجاء فى الاصحاح التاسع عشر من السفر نفسه عن لوط : (فجاء الملاكان إلى سدوم مساء ، وكان لوط جالسا فى باب سدوم . فلما رآهما لوط قام لاستقبالهما وسجد بوجهه الى الأرض . وقال يا سيدى ميلا الى بيت عبدكما وبيتا واغسلا أرجلكما . .

وقبلما اضطجعا أحاط بالبيت رجال المدينة ، رجال سدوم من الحدث الى الشيخ كل الشعب من أقصاه . فنادوا لوطا وقالوا له اين الرجلان اللذان دخلا اليك

---

(١) سفر الخروج ١٦ : ٦-١٢ .

(٢) سفر التكوين الاصحاح ١٨ : ١-١٣ .

الليلة ؟ أخرجهما الينا لنعرفهما . فخرج اليهم لوط إلى الباب وأغلق الباب وراءه . وقال : لا تفعلوا شرا يا إخوتي) .(١)

ثالثا : الوحي بالرؤيا المنامية :

وذلك كما جاء في سفر التكوين عن ابراهيم عليه السلام : (بعد هذه الأمور صار كلام الرب الى إبرام في الرؤيا قائلا : لا تخف يا ابرام ،أنا ترس لك أجرك كثيرا جدا . فقال إبرام : أيها السيد الرب ماذا تعطيني وأنا ماضٍ عقيما) .(٢)

وجاء في سفر صمويل الثاني عن ناثان : (في تلك الليلة كان كلام الرب الى ناثان (النبي) قائلا : اذهب وقل لعبدي داوود . . . متى كملت أيامك اضطجعت مع آبائك أقيم بعدك نسلك الذي يخرج من أحشائك ، وأثبت مملكته . . . وهو يبني بيتا لاسمي . . .

فحسب جميع هذا الكلام ،وحسب كل هذه الرؤيا كذلك كلم ناثان داوود)(٣)

وجاء عن سليمان عليه السلام في أخبار الأيام : (في تلك الليلة تراءى الله لسليمان ،وقال له : (اسأل ماذا أعطيك ؟ فقال سليمان لله : انك قد فعلت مع داوود أبي رحمة عظيمة ، وملكتني مكانه . . . فأعطني الآن حكمة ومعرفة . . فقال الله لسليمان من أجل أن هذا كان من قبلك . . . قد أعطيتك حكمة ومعرفة ، وأعطيتك غنى وأموالا . .)(٤)

رابعا : سماع أصوات الملائكة من بعد وفي خفاء

ذلك ما كان من أمر صمويل الذي كان صبيا يخدم الكاهن عالي في بيت الرب كما ورد ذلك في سفر صمويل الأول : (اذ كان عالي مضجعا . . وعيناه ابتدأتا

---

(١) سفر التكوين الاصحاح ١٩ : ١-٨ .

(٢) سفر التكوين ١٥ : ١-٢ .

(٣) سفر صمويل الثاني ٧ : ٤-١٧ .

(٤) أخبار الأيام الثاني ١ : ٧-١٢ .

تضعفان لم يقدر أن يبصر . وقبل أن ينطفئ سراج الله وصويل مضطجع في هيكل الرب الذى فيه تابوت الله . اذ سمع صمويل صوتا يناديه باسمه . فظنه أى ظن صمويل ـ الكاهن عالى . ولهذا ذهب اليه . فقال عالى : لم ادع . ارجع ، اضطجع. فذهب واضطجع .

وتكرر ذلك مرتين أخريين ، وآنذاك فهم عالى أنه صوت الوحى ينادى صمويل فأمره أن يقول حين يسمع النداء : (تكلم لأن عبدك سامع) .

وعندئذ تلقى صمويل وحيا يقول : (هوذا أنا فاعل أمرا فى اسرائيل كل من سمع به تطن أذناه .

وكبُرَ صمويل ، وكان الرب معه . . . وعرف جميع اسرائيل من دان الى بئر سبع أنه قد أؤتمن صمويل نبيا للرب) (١)

خامسا : حلول روح من الله على النبى :

قد يحل روح من الله على النبى لأن من الملائكة أرواحا متميزة إذا ما حلت بالنبى أنطقته بوحى الله . فتتغير حالته الطبيعية ويلقى اليه بالوحى فيعيه ويتكلم به .

قال موسى : (يا ليت كل شعب الرب كانوا أنبياء اذ جعل الله روحه عليهم) (٢)

وجاء فى سفر صمويل النبى :

(وهذه هى كلمات داوود الأخيرة : وحى داوود بن يسى ، ووحى الرجل القائم فى العلا مسيح اله يعقوب ، ومرنّم إسرائيل الحلو . روح الرب تكلم بى ، وكلمته على لسانى . قال اله اسرائيل اذا تسلط على الناس بارٌ يتسلط بخوف الله وكنور الصباح اذا أشرقت الشمس) (٣) .

---

(١) سفر صمويل ٣ : ١-٢٠ (باختصار)

(٢) سفر العدد ١١ : ٢٩

(٣) سفر صمويل الثانى ٢٣ : ١-٤ .

وقد تضمنت الأناجيل ذكر بعض الكيفيات التى تم بها الوحى من روح القدس الى عيسى فذكرت أن جبريل عليه السلام كان يتمثل له فى شكل طير .

جاء فى انجيل لوقا : (واذ كان يصلى انفتحت السماء ونزل عليه الروح القدس بهيئة جسمية مثل حمامة) (١) .

وجاء فى انجيل يوحنا : (وشهد يوحنا قائلا: انى قد رأيت الروح نازلا مثل حمامة من السماء فاستقر عليه ،وأنا لم أكن أعرفه . لكن الذى أرسلنى لأُعمّد بالماء قال لى الذى ترى الروح نازلا ومستقرا عليه فهذا هو الذى يُعَمّد بالروح القدس) (٢)

هذه بعض صور الوحى التى وردت فى أسفار الكتاب المقدس فيما يتعلق بموسى وعيسى عليهما السلام وغيرهما من أنبياء التوراة .

---

(١) لوقا ٣ : ٢١-٢٢ .

(٢) يوحنا ١ : ٣٢-٣٣ .

٢) **طرق الوحي الى النبي صلى الله عليه وسلم :**

لقد تعددت طرق الوحي الى النبي صلى الله عليه وسلم فكان منها ما هو موضع اتفاق بين العلماء ، ومنها ما هو موضع اختلاف[١] ، وسوف نتناول هذه الطرق بالشرح والتوضيح وذكر ما تستند اليه من الآيات والأحاديث .

أولا : الرؤيا الصادقة :

فقد ورد في حديث عائشة رضي الله عنها : (أول ما بدء به صلى الله عليه وسلم من الوحي الرؤيا الصادقة فكان لا يرى رؤيا الا جاءت مثل فلق الصبح)[٢] .

وقد اختلف في هذه الرؤيا ، أكانت قبل انقطاعه صلى الله عليه وسلم الى الخلوة بحراء ؟ أم كانت بعده ؟ .

فحكى عروة عن عائشة رضي الله عنها أنه حبب اليه الخلاء بعد الرؤيا .

وذهب قوم الى أن الرؤيا جاءت بعد خلوته ، لأنه خلا على غفلة من أمره . وقد روت بَرّة بنت أبي عَزّة أن الله تعالى لما أراد كرامة رسوله صلى الله عليه وسلم بالنبوة كان لا يمر بشجر ولا حجر الا قال : السلام عليكم يا رسول الله ، فكان يلتفت عن يمينه وشماله وخلفه فلا يرى أحدا ، فاحتمل أن يكون ذلك قبل رؤيا المنام فيكون كالهفوف الخارجية عن اعلام الوحي الى اعجاز النبوة . واحتمل أن يكون بعد الرؤيا فيكون تصديقا لها وتحقيقا لصحتها)[٣] .

وقد ذهب بعض العلماء الى أن الرؤيا الصادقة ليست هي بداية الوحي الى النبي صلى الله عليه وسلم بل كانت من ارهاصات الرسالة .

---

(١) انظر زاد المعاد في هدى خير العباد لابن قيم الجوزية (ت ٧٥١ هـ) الطبعة الثانية ١٣٦٩ هـ الجزء الأول مصطفى البابي الحلبي ص ١٨ وما بعدها . وانظر كذلك عمدة القاري شرح صحيح البخاري للعيني (ت ٨٥٥ هـ) ج ١ ص ٤٠ .

(٢) متفق عليه أخرجه البخاري : كتاب بدء الخلق ، باب كيف كان بدء الوحي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ١ / ٣ . وأخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الايمان باب بدء الوحي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ١ / ١٦٠ عن عائشة مرفوعا .

(٣) حجة الله على العالمين في معجزات سيد المرسلين يوسف بن اسماعيل النبهاني ص ٢٧٢

قال البدر العينى : (ابتدىء الرسول صلى الله عليه وسلم بالرؤيا الصادقة لئلا يفجأه الملك ويأتيه بصريح النبوة ولا تحتملها القوى البشرية ، فبدىء بأوائل خصائص النبوة ، وتباشير الكرامة من صدق الرؤيا مع سماع الصوت وسلام الحجر والشجر عليه ، ورؤية الضوء ، ثم أكمل الله له النبوة بارسال الملك فى اليقظة ، وكشف له عن الحقيقة كرامة له)(١).

وقال الشيخ محمد أبو زهرة بعد أن ذكر حديث أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها - السابق فى ابتداء الوحى الى النبى صلى الله عليه وسلم بالرؤيا الصادقة قال : (وان ذلك لا يدل على أن ابتداء انباء الله تعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم كان بالرؤيا الصادقة ، ولكن يدل على أن ابتداء الاشراق الالهى ، والاتصال الربانى كان بالرؤيا الصادقة ، والرؤيا الصادقة وان كانت جزءا من الالهام الالهى والاتصال الربانى ، ليست هى الوحى الذى يقام عليه التكليف بالنسبة للنبى صلى الله عليه وسلم فقد قال عليه الصلاة والسلام : ((رؤيا العبد الصادقة الصالحة جزء من سبعين جزءا من النبوة))(٢).

فليست هى بالنسبة للنبى صلى الله عليه وسلم هى الوحى ، وان كانت بالنسبة لابراهيم عليه السلام وحيا كاملا ، وبالبناء عليها هَمَّ بأن يذبح ولده اسماعيل عليهما السلام حتى فداه رب العالمين كما قال تعالى : (وفديناه بذبح عظيم) . فكانت الرؤيا انباء)(٣).

وما ذهب اليه البدر العينى والشيخ أبو زهرة من اعتبار رؤيا رسول الله صلى الله عليه وسلم ارهاصا وتمهيدا للنبوة ، أو من باب الاشراق والاتصال الالهى الذى لا يتعلق به تكليف - ما ذهبا اليه من ذلك - يصدق على رؤيا النبى صلى الله

---

(١) عمدة القارى بشرح صحيح البخارى ج ١ ص ٦٠ .

(٢) مسند الإمام أحمد بن حنبل ، جـ٢ ص ٢٣٢ .

(٣) خاتم النبيين للشيخ محمد أبو زهرة الطبعة الأولى ١٩٧٢م دار الفكر العربى ج ١ ص ٣٨٧ .

قبل نزول جبريل عليه السلام عليه بالوحي . أما رؤياه بعد ذلك فهي جزء من نبوته ، وبها يقع العلم والوحي من الله شأنه في ذلك شأن ابراهيم عليه السلام وذلك لمقتضى الشواهد الكثيرة من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية .

فهناك أحاديث تنص صراحة على أن رؤى الانبياء حق ،مما يؤكد بلا شك أن الوحي في المنام داخل في أنواع الوحي ، كما جاء في الحديث الذى رواه ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (رؤيا الأنبياء وحي) [(١)] .

وقد صح عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : (والنبي نائمة عيناه ، ولا ينام قلبه ، وكذلك الأنبياء تنام أعينهم ولا تنام قلوبهم) [(٢)] .

وجاء في الحديث الذى أخرجه الترمذى والامام أحمد في مسنده ما يدلنا ويشهد لنا أن رؤيا الأنبياء وحي . فعن معاذ بن جبل رضى الله عنه قال : (احتبس عنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات غداة من صلاة الصبح حتى كدنا نتراءى قرن الشمس فخرج صلى الله عليه وسلم سريعا فثوّب بالصلاة - أى أقيمت - فصلى وتجوز في صلاته . فلما سلم قال -صلى الله عليه وسلم - : (كما أنتم) ثم أقبل الينا فقال : (انى قمت من الليلة ، فصليت ما قدر لى ، فنعست في صلاتي حتى استيقظت ، فاذا أنا بربي -عز وجل - في أحسن صورة . فقال يا محمد أتدرى فيم يختصم الملأ الأعلى ؟ قلت : لا أدرى يا رب - أعادها ثلاثا - فرأيته وضع كفه بين كتفي حتى وجدت برد أنامله بين صدرى فتجلى لى كل شيء وعرفت . فقال : يا محمد فيم يختصم الملأ الأعلى ؟ قلت: في الكفارات . قال : وما الكفارات ؟ قلت : نقل الاقدام الى الجماعات، والجلوس في المساجد

---

(١) صحيح البخارى كتاب الاذان ، باب وضوء الصبيان ٢/٨٥٧ .

(٢) صحيح البخارى كتاب المناقب ، باب كان النبي صلى الله عليه وسلم تنام عينه ولا ينام قلبه ٦/٣٥٧٠ .

بعد الصلوات ،واسباغ الوضوء عند الكريهات . قال : وما الدرجات؟ قلت : اطعام الطعام ولين الكلام ، والصلاة والناس نيام ، قال : سل . قلت: اللهم انى اسألك فعل الخيرات ، وترك المنكرات ، وحب المساكين ، وأن تغفر لى وترحمنى ، واذا أردت فتنة بقوم فتوفنى غير مفتون ، وأ سألك حبّك ، وحبَّ من يحبُّك ، وحبَّ عملٍ يقربنى الى حبّك - وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم - : انها حق فادرسوها وتعلموها)[1] .

وقد تحدث القرآن الكريم عن هذا النوع من طرق الوحى ، قال تعالى : (إِذْ يُرِيكَهُمُ اللَّهُ فِى مَنَامِكَ قَلِيلاً ، وَلَوْ أَرَاكَهُمْ كَثِيراً لَفَشِلْتُمْ وَلَتَنَازَعْتُمْ فِى الأَمْرِ ، وَلَكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ)[2] .

وهذه رؤيا منامية .

وقد صدقت هذه الرؤيا وتحققت للنبى صلى الله عليه وسلم وصحبه يوم بدر .

فتؤكد لنا هذه الواقعة أن رؤيا الأنبياء وحى . قال تعالى فى تحقيق ذلك ومطابقته (وَإِذْ يُرِيكُمُوهُم إِذِا الْتَقَيْتُمْ فِى أَعْيُنِكُمْ قَلِيلاً ، وَيُقَلِّلُكُمْ فِى أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِىَ اللَّهُ أَمْراً كَانَ مَفْعُولاً وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الأُمُورُ)[3]

وقال تعالى فى شأن رؤيا يوسف عليه السلام للكواكب والشمس والقمر ،وسجودها بين يديه : (إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّى رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَباً والشَّمْسَ وَالقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِى سَاجِدِينَ)[4] .

---

(١) أخرجه الامام أحمد فى مسنده ج ٥ ص ٢٤٣ عن معاذ بن جبل مرفوعا .

(٢) سورة الأنفال الآية رقم ٤٣ .

(٣) سورة الانفال الآية رقم ٤٤ .

(٤) سورة يوسف الاية ٤ .

قال ابن كثير في تفسيره : (وقد وقع تفسيرها بعد أربعين سنة ، وقيل ثمانين سنة ، وذلك حين رفع أبويه على العرش ، واخوته بين يديه : (وخروا له سجدا ، وقال يا أبت هذا تأويل رؤياى من قبل قد جعلها ربى حقا) (١)

وفى الأثر عن أنس رضى الله عنه . . . (تنام عينه ولا ينام قلبه ، وكذلك الأنبياء تنام أعينهم ولا تنام قلوبهم) (٢) .

هذا وان كان من قول أنس رضى الله عنه الا أن مثله لا يقال من قبل الرأى كما يقول ابن حجر (٣) .

وقال قتادة : (رؤيا الأنبياء وحى اذا رأوا شيئا فعلوه) (٤)

ولما لم يرد ناسخ ولا ناقض من آية أو حديث أو أثر صحيح للأحاديث التى ذكرناها واستندنا عليها ، دل ذلك على أن ما يراه الأنبياء فى المنام حق ، فى حق جميع الأنبياء للعموم الوارد فى الأحاديث .

ولهذا فان خليل الرحمن ابراهيم عليه السلام قد امتثل الأمر الذى رآه فى المنام وبادر الى تنفيذه بذبح ولده الوحيد ، كما رأى فى المنام أن يذبحه وعد هذه الرؤيا أمرا الهيا . قال تعالى : (فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ ، قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى ، قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ . فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ) (٥) .

---

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ج ٤ ص ٩ .

(٢) أخرجه البخارى فى صحيحه موقوفا على أنس : كتاب التوحيد ، باب ما جاء فى قوله تعالى (وكلم الله موسى تكليما) ١٣ / ٧٥١٧ .

(٣) انظر فتح البارى بشرح صحيح البخارى المجلد السادس ص ٥٧٩ .

(٤) أخرجه البخارى فى صحيحه موقوفا على عبيد بن عمير كتاب الوضوء باب التحقيق فى الوضوء ١ / ١٣٨ .

(٥) سورة الصافات الآيات ١٠١ - ١٠٥

قال القرطبي : (قال أهل السنة : ان نفس الذبح لم يقع ، ولو وقع لم يتصور رفعه فكان هذا من باب النسخ قبل الفعل ، لأنه لو حصل الفراغ من امتثال الأمر ، ما تحقق الفداء . قال : ومعنى (صدقت الرؤيا) : فعلت ما أمكنك ثم امتنعت لما منعناك) (١) .

وقد علق الشوكاني على كلام القرطبي : فقال : (وهذا أصح ما قيل في هذا الباب) (٢) .

وقال الشوكاني أيضا : (انما شاوره ليعلم صبره لأمر الله ، والا فرؤيا الأنبياء وحي ، وامتثال لازم لهم متحتم عليهم . . . ، وجعله مصدقا بمجرد العزم وان لم يذبحه ، لأنه قد أتى بما أمكنه ، والمطلوب استسلامهما لأمر الله وقد فعلا) (٣) .

ومع ما ذكرناه سابقا من الآيات والأحاديث الدالة على أن الرؤيا الصادقة طريق من طرق الوحي الى الأنبياء ومنهم محمد صلى الله عليه وسلم فانه يجب التأكد هنا بأن هذا الطريق لم يأتمنه للنبي صلى الله عليه وسلم شيء من القرآن فقد جاء القرآن كله عن طريق جبريل عليه السلام مصداقا لقوله تعالى : (نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ) (٤)

وقوله تعالى : (قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ) (٥) .

فاذا كانت الرؤيا الصادقة طريق من طرق الوحي للنبي صلى الله عليه وسلم بصفة عامة فانها ليست طريقا من طرق الوحي اليه بالقرآن ، وهذا حكم قاطع .

---

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ج ١٥ ص ١٠٢ .
(٢) فتح القدير للامام الشوكاني ج ٤ ص ٤٠٥ .
(٣) فتح القدير ج ٤ ص (٤٠٤ - ٤٠٥) .
(٤) سورة الشعراء الآية ١٩٣ - ١٩٤ .
(٥) سورة النحل الآية ١٠٢ .

وقد وردت أحاديث كثيرة تفيد بأن الرؤيا جزء من أجزاء النبوة . من ذلك ما رواه أبو هريرة مرفوعا (اذا اقترب الزمان لم تكد رؤيا المسلم تكذب. وأصدقكم رؤيا أصدقكم حديثا . ورؤيا المسلم جزء من خمس واربعين جزءا من النبوة) .(١)

وروى ابن عمر وعبد الله بن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم (ان الرؤيا جزء من سبعين جزءا من النبوة) .(٢)

قال ابن حجر العسقلاني : (حصلنا من هذه الروايات على عشرة أوجه ، أقلها جزء من ست وعشرين ، وأكثرها من ستة وسبعين ،وبين ذلك: أربعين ، وأربعة وأربعين وتسعة وأربعين ، وخمسين ،وسبعين .. أصحها مطلقا الأول ويليه السبعين) .(٣)

وهناك روايات أخرى غير التي ذكرها ابن حجر في شرحه . ولكن هل المراد بالرؤيا في هذه الأحاديث ما يشمل رؤيا الأنبياء ، وغير الأنبياء ، أم المراد بها رؤيا الأنبياء فقط ، وأنها جزء من نبوتهم؟

قال ابن حجر : (فقيل- في الجواب- ان وقعت الرؤيا من النبي ،فهي جزء من أجزاء النبوة حقيقة . وان وقعت من غير النبي فهي جزء من أجزاء النبوة على سبيل المجاز .

وقال الخطابي : قيل معناه ان الرؤيا تجيء على موافقة النبوة لا أنها جزء باق من النبوة .

وقيل المعنى : أنها جزء من علم النبوة ،لأن النبوة وان انقطعت فعلمها باق .

وقال ابن بطال : (كون الرؤيا جزءا من أجزاء النبوة مما يستعظم ، ولو

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الرؤيا بدون تبويب ٢٢٦٣

(٢) صحيح مسلم كتاب الرؤيا بدون تبويب ٢٢٦٥

(٣) فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر ج ١٢ ص ٣٦٣

كانت جزءا من ألف جزء ،فيمكن أن يقال ان لفظ النبوة مأخوذ من الانباء ،وهو الإعلام لغة ،فعلى هذا المعنى أن الرؤيا خبر صادق من الله لا كذب فيه ،كما أن معنى النبوة نبأ صادق من الله لا يجوز عليه الكذب فشابهت الرؤيا النبوة فى صدق الخبر .

وقال المازرى : يحتمل أن يراد بالنبوة فى هذا الحديث الخبر بالغيب لا غير وان كان يتبع ذلك انذار أو تبشير فالخبر بالغيب أحد ثمرات النبوة)(١)

فهذه الأحاديث اذن توكيد لأمر الرؤيا وتحقيق منزلتها . وحرى بنا ونحن نتحدث عن الرؤيا أن نتحدث عمن تنسب له هذه الرؤيا التى تعد من أجزاء النبوة.

فالأحاديث التى جاءت فى الرؤيا لغير الأنبياء نسبت الرؤيا التى تعد جزءا من أجزاء النبوة فى المؤمنين قال صلى الله عليه وسلم : (رؤيا المؤمن جزء من ستة وأربعين جزءا من النبوة)(٢) .

وعن أنس رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (الرؤيا الحسنة من الرجل الصالح جزء من ستة وأربعين جزءا من النبوة)(٣) .

جاء فى فتح البارئ أن (المراد غالب رؤيا الصالحين ،والا فالصالح قد يرى الأضغاث ، ولكنه نادر لقلة تمكن الشيطان منهم بخلاف عكسهم ، فان الصدق فيها نادر لغلبة تسلط الشيطان عليهم)(٤) .

فالرؤيا الصادقة قد تقع من غير المؤمن - من الكافر - وان كان ذلك نادرا جدا . ويشير الى ذلك قوله صلى الله عليه وسلم : (وأصدقكم رؤيا أصدقكم

---

(١) فتح البارئ بشرح صحيح البخارى ج ١٢ ص ٣٦٣
وكذلك سراج الطالبين ج ١ ص ٣٣٣ .

(٢) صحيح البخارى كتاب التعبير باب القيد فى المنام ١٢ / ٧٠١٧ . وصحيح مسلم كتاب الرؤيا بدون تبويب ٤ / ٢٢٦٣ .

(٣) صحيح البخارى كتاب التعبير باب رؤيا الصالحين ١٢ / ٦٩٨٣ . ومسند الامام احمد ج ٣ ص ١٢٦

(٤) فتح البارئ ج ١٦ كتاب التعبير ص ١٥ .

حديثا)[١] .

ويشير الى ذلك أيضا رؤيا صاحبى السجن مع يوسف عليه السلام ، ورؤيا ملكهما وغير ذلك .

ولكن برغم صدق هذه الرؤى من غير المؤمن فلا تعد من أجزاء النبوة . قال القرطبى : (المسلم الصادق الصالح هو الذى تناسب حاله حال الأنبياء فأكرم بنوع مما أكرم به الأنبياء ، وهو الاطلاع على الغيب . وأما الكافر والفاسق والمخلط فلا ولو صدقت رؤياهم أحيانا . فذلك كما قد يصدق الكذوب كالكاهن والمنجم)[٢]

وقد سأل بعض الصحابة النبى صلى الله عليه وسلم عن قوله تعالى : (لهم البشرى فى الحياة الدنيا) . فقال : (هى الرؤيا يراها المسلم ،أو ترى له)[٣] .

وقال صلى الله عليه وسلم : (ان الرسالة والنبوة قد انقطعت ، فلا رسول بعدى ،ولا نبى ،ولكن المبشرات . قالوا : يا رسول الله وما المبشرات؟ قال : رؤيا الرجل المسلم . وهى جزء من أجزاء النبوة)[٤] .

---

(١) أخرجه مسلم فى صحيحه :كتاب الرؤيا بدون تبويب ٤ /٢٢٦٣ عن أبى هريرة مرفوعا .

(٢) فتح البارى ج١٢ ص ٣٦٤ .

(٣) صحيح مسلم كتاب الصلاة باب النهى عن قراءة القرآن فى الركوع والسجود ١ /٢٠٧-٢٠٨ ، وابن ماجة فى سننه : كتاب التعبير باب الرؤيا الصالحة يراها المسلم أو ترى له ٢ /٣٨٩٨-٣٨٩٩ .

(٤) مسند الامام أحمد ج٣ ص ٢٦٧

ثانيا : نزول جبريل عليه السلام وسماع النبى صلى الله عليه وسلم لصوته دون أن يراه

أحيانا كان الملك يأتى النبى صلى الله عليه وسلم بالوحى فى مثل صلصلة الجرس وكان أشده عليه كما فى حديث عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها أن الحارث بن هشام رضى الله عنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله كيف يأتيك الوحى ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (أحيانا يأتينى مثل صلصلة الجرس وهو أشده على فيفصم عنى وقد وعيت عنه ما قال ، وأحيانا يتمثل لى الملك رجلا فيكلمنى فأعى ما يقول) (١).

وقد منع ابن حجر الحصر فى الحالتين الواردتين فى الحديث السابق وحملهما على الغالب ، أو حمل ما يغايرهما على أنه وقع بعد السؤال ، أو لم يتعرض لصفتى الملك لندورهما . (٢)

وهذه الصورة - صورة صلصلة الجرس - كانت أشد وطأ وأثقل قولا على الرسول صلى الله عليه وسلم كما قال تعالى : (إِنَّا سَنُلْقِى عَلَيْكَ قَوْلاً ثَقِيلاً) (٣) . وهذه الحالة لا يوجد فيها ايناس للرسول صلى الله عليه وسلم وهى تحتاج الى سمو روحى من الرسول يتناسب مع روحانية الملك ، فكانت أشد الحالتين عليه لأنها كما قال ابن خلدون : (انسلاخ من البشرية الجسمانية ، واتصال بالملكية الروحانية ، والحالة الأخرى - يعنى تمثل جبريل رجلا يراه النبى صلى الله عليه وسلم - عكسها لأنهما انتقال الملك من الروحانية المحضة الى البشرية الجسمانية) (٤)

---

(١) صحيح البخارى : كتاب بدء الوحى ، باب ٢ بدون تبويب ١ / ٢ ، مسند الامام احمد ج ٦ ص ٢٥٧ .

(٢) انظر فتح البارى بشرح صحيح البخارى ج ١ ص ١٩ .

(٣) سورة المزمل الآية ٥ .

(٤) مباحث فى علوم القرآن لمناع القطان مؤسسة الرسالة ص ٣٩ . نقلا عنه

وقد قال ابن المنير - القاضي ناصر الدين أحمد بن محمد بن منصور - كما حكي الزرقاني موضحا الفرق بين هاتين الصورتين الثانية والثالثة: (أن الحال كان يختلف في الوحي باختلاف مقتضاه فان نزل بوعد وبشارة نزل الملك بصورة الآدمي ، وخاطبه من غير كد ، وان نزل بوعيد ونذارة كان حينئذ كصلصلة الجرس)(١).

وكان عليه الصلاة والسلام في كلتا الصورتين بحرص على استيعاب ، ووعى ما أوحى اليه من ربه اذ قال في الأولى (فيفصم عني وقد وعيت ما قال) وقال في الثانية : (فيكلمني فأعـي ما يقول) . فأثبت لنفسه الوعي الكامل لحالته قبل الوحي ، وحالته بعد الوحي ، وحالته أثناء الوحي ، سواء أخفت أم اشتدت وطأة النزول عليه .

وبهذا الوعي الكامل لم يخلط النبي عليه الصلاة والسلام ولو لمرة واحدة طيلة العصر القرآني الذي يضم كل مراحل التنزيل بين شخصيته الانسانية المأمورة المتلقية وشخصية الوحي الآمرة المتعالية . (٢)

ولا يفوتنا ونحن نتحدث عن الدوي وعن الصلصلة أن نذكر أن الصلصلة كانت بالنسبة للنبي صلى الله عليه وسلم أما الدوي فقد كان بالنسبة للصحابة رضوان الله عليهم أجمعين كما جاء في حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه : (كان اذا نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم الوحي يسمع عند وجهه دوي كدوي النحل)(٣).

قال ابن حجر: (فدوي النحل لا يعارض صلصلة الجرس، لأن سماع الدوي بالنسبة الى الحاضرين -كما في حديث عمر- والصلصلة بالنسبة الى النبي صلى الله عليه وسلم فشبهه عمر بدوي النحل بالنسبة الى السامعين وشبهه هو صلى الله عليه وسلم بصلصلة الجرس بالنسبة الى مقامه)(٤).

---

(١) شرح المواهب للزرقاني ، المطبعة الأزهرية المصرية ١٣٢٥هـ ص ٢٢٤ .

(٢) مباحث في علوم القرآن د . صبحي الصالح ط ٩ دار العلم للملايين بيروت ص ٢٨

(٣) مسند الامام أحمد ج ١ ص ٣٤

(٤) صحيح البخاري بشرح فتح الباري ج ١ ص ١٩

ثالثا : نزول جبريل عليه السلام بالوحي في صورة بشرية :

فقد كان صلى الله عليه وسلم يتمثل له رجلا فيخاطبه حتى يعى عنه ما يقول له ، وفى هذه المرتبة كان يراه الصحابة أيضا . كما مر ذلك بالتفصيل فى مبحث ملـك الوحى .

واتيان جبريل عليه السلام يكون علـى هيئة بشر يشاكله عليه الصلاة والسلام فى المظهر ولا ينافره ، ويطمئنه بالقول ولا يرعبه ، وهذه الصورة أخف وطئا ، وألطف وقعا ، فلا أصوات تجلجل ، ولا جبين يرشح ، فالتشابه الشكلى بين الملقى والمتلقى ييسر الأمر فى الوقت نفسه على ناقل الوحى الأمين ، وعلى النبى المتلقى عليه السلام . (١)

وقد كان جبريل عليه السلام كثيرا ما يتمثل بدحية الكلبى لأنه كان أحسن أهل زمانه صورة ، وكذلك ورد فى صحاح السنة أن جبريل عليه السلام كان أحيانا يتمثـل عند مجيئه بالوحى برجل آخر . ففى حديث للشيخين (٢) عن أبى هريرة رضى الله عنـه قال : (كان النبى صلى الله عليه وسلم بارزا يوما للناس فأتاه رجل فقال : ما الايمان ...) الحديث . بنحو حديث عمر المتقدم وفيه السؤال عن الايمان والاسـلام والاحسان والساعة . (٣)

وفى رواية للنسائى عن أبى هريرة رضى الله عنه أيضا : (ان النبى صلى الله عليه وسلم كان يوما بارزا ، اذ أقبل رجل أحسن الناس وجها ، وأطيب الناس ريحا ، كـأن ثيابه لم يمسها دنس . حتى سلم فى طرف البساط ...) (٤) الحديث .

وقد تعددت الروايات بهذا المعنى منها :

---

(١) انظر مباحث فى علوم القرآن للدكتور صبحى الصالح ، ص ٢٧-٢٨ .

(٢) صحيح البخارى : كتاب الايمان ، باب سؤال جبريل النبى صلى الله عليه وسلم عن الايمان والاسلام والاحسان ... ١/٥٠ . وصحيح مسلم : كتاب الايمان ، باب بيان الايمان والاسلام والاحسان .. الخ ١/٩

(٣) انظر ص٢٠٩ من هذا البحث .

(٤) سنن النسائى : كتاب الايمان ، باب صفة الايمان والاسلام ، ٨/١٠٨

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سلوني فهابوه أن يسألوه ، فجاء رجل فجلس عند ركبتيه فقال : يا رسول الله ما الاسلام الى أن قال صلى الله عليه وسلم : هذا جبريل أراد أن تتعلموا اذا لم تسألوا).(١)

وهذه الهيئة التي يظهر فيها جبريل عليه السلام لا يتحتم فيها أن يتجرد من روحانياته ، ولا يعني أن ذاته تحولت وانقلبت رجلا ، بل المراد أنه يظهر بتلك الصورة البشرية أُنسا للرسول البشرى عليه الصلاة والسلام . (٢)

رابعا : نزول جبريل عليه السلام بالوحي في صورته الحقيقية :

كان عليه الصلاة والسلام يرى الملك في صورته التي خلق عليها ، فيوحي اليه ما شاء الله أن يوحيه . وقد وقع له هذا مرتين : قال تعالى : (وَلَقَدْ رَآهُ بِالأُفُقِ الْمُبِينِ).(٣) يعني ولقد رأى محمد صلى الله عليه وسلم جبريل عليه السلام الذي يأتيه بالرسالة عن الله عز وجل على الصورة التي خلقه الله عليها له ستمائة جناح .

وقوله (بالأفق المبين) أي البين وهي الرؤية الأولى التي كانت بالبطحاء ، وهي المذكورة في قوله تعالى : (عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى وَهُوَ بِالأُفُقِ الأَعْلَى ، ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى ، فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى ، فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى).(٤)

والدليل على أن المراد بذلك جبريل عليه السلام - الظاهر والله أعلم - أن هذه السورة - سورة التكوير - نزلت قبل ليلة الاسراء لأنه لم يذكر فيها الا هذه الرؤية ، وهي الأولى .

أما الرؤية الثانية وهي المذكورة في قوله تعالى : (وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى، عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى ، إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى).(٥)

---

(١) هذا لفظ من ألفاظ حديث أبي هريرة المذكور قريبا .
(٢) انظر مباحث في علوم القرآن لمناع القطان ص ٣٩ .
(٣) سورة التكوير الآية ٢٣ .
(٤) سورة النجم الآيات ٥-١٠ .
(٥) سورة النجم الآيات ١٣ - ١٦ .

هذه الرؤية انما ذكرت في سورة النجم ، وقد نزلت بعد سورة الاسراء . (١)

وروى الامام أحمد في مسنده عن عامر عن مسروق قال : كنت متكئا عند عائشة فقالت: يا أبا عائشة أنا أول من سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذه . قال ذلك جبريل عليه السلام لم أره في صورته التي خلق فيها الا مرتين رأيته منهبطا من السماء سادًّا عظم خلقهما بين السماء والأرض) .(٢)

خامسًا : النفث في الروع :

وهو أن ينفث الملك في روع النبي صلى الله عليه وسلم فيلهمه بما شاء الله أن يلهمه كما في الحديث النبوي : (ان روح القدس - جبريل - نفث في روعي : ان نفسا لن تموت حتى تستكمل رزقها وأجلها ، فاتقوا الله واجملوا في الطلب ، خذوا ما حل ، ودعوا ما حرم) وفي رواية أخرى بعد لفظ وأجملوا في الطلب : (ولا يحملنكم استبطاء الرزق على أن تطلبوه بمعصية الله ، فان ما عند الله لا ينال الا بطاعته) (٣)

---

(١) انظر تفسير القرآن العظيم لابن كثير ج ٧ ص ٢٢٩ .

(٢) صحيح مسلم : كتاب الايمان ، باب معنى قول الله عز وجل : (ولقد رآه نزلة اخرى) ١٧٧/١ عن عائشة رضى الله عنهما مرفوعا .
مسند الامام احمد : ج ٦ ص ٢٣٦ . واللفظ لأحمد .

(٣) زاد المعاد في هدى خير العباد للامام ابن القيم الجوزية مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، الطبعة الثانية ١٣٦٩ هـ ص ١٨ . وكذلك تفسير القرطبي ج ١٦ عند تفسيره الآية ٥١ من سورة الشورى ص ٥٣ .

سادسًا : كلام الله تعالى للرسول صلى الله عليه وسلم من وراء حجاب :

وقد تحقق له ذلك ليلة المعراج حيث عرج به الى قاب قوسين أو أدنى . كما جاء ذلك في عدة روايات منها عن طريق أنس بن مالك رضى الله عنه في حديث طويل قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (ثم انطلق بى حتى انتهيت الى الشجرة فغشيتنى سحابة فيها من كل لون فرفعنى جبريل فخررت ساجدا لله عز وجل فقال الله لى : يا محمد انى يوم خلقت السموات والأرض افترضت عليك وعلى أمتك خمسين صلاة ، فقم بها أنت وأمتك . قال : ثم انجلت عنى السحابة فأخذ بيدى جبريل فانصرفت سريعا ، فأتيت على ابراهيم فلم يقل لى شيئا ، فأتيت على موسى فقال : ما صنعت يا محمد ؟ فقلت : فرض ربى علىّ وعلى أمتى خمسين صلاة . قال : فلن تستطيعها أنت ولا أمتك ، فأرجع الى ربك فأسأله أن يخفف عنك . فرجعت سريعا حتى انتهيت الى الشجرة فغشيتنى السحابة ورفضنى جبريل وخررت ساجدا ، وقلت : ربى انك فرضت علىّ وعلى امتى خمسين صلاة ولن أستطيعها أنا ولا أمتى ، فخفف عنا . قال : قد وضعت عنكم عشرا قال : ثم انجلت عنى السحابة وأخذ بيدى جبريل . قال : فانصرفت سريعا حتى أتيت على إبراهيم فلم يقل لى شيئا ، ثم أتيت على موسى ، فقال لى ماصنعت يا محمد ؟ فقلت وضع عنى ربى عشرا قال فأربعون صلاة لن تستطيعها أنت ولا أمتك فأرجع الى ربك فأساله أن يخفف عنكم . فذكر الحديث كذلك الى خمس صلوات وخمس بخمسين ثم أمره موسى أن يرجع فيسأله التخفيف ، فقلت : (انى استحييت منه تعالى) . (١)

وأورد البدر العينى فى شرحه على صحيح البخارى فى معرض السؤال عن الحكمة فى الاسراء : (أجيب بأنه انما كان للمناجاة ولهذا كان فى غير مواعدة وهذا أوقع وأعظم) . (٢)

هذه هى الطرق المتفق عليها بين العلماء . وهناك ثلاث طرق اختلف العلماء فى عدها من الوحى :

---

(١) أخرجه ابن ابى حاتم فيما عزاه إليه السيوطى فى الخصائص الكبرى . الناشر دار الكتب العلمية بيروت ج ١ ص ١٥٤-١٥٥ . بلفظ مطول ، وفيه اللفظ المذكور.

(٢) عمدة القارىء شرح صحيح البخارى للبدر العينى ج ٤ دار الفكر ص ٥٠

أحدها : ما حكاه الامام ابن القيم فى كتابه زاد المعاد عن بعض العلماء .
وهو تكليم الله له صلى الله عليه وسلم كفاحا من غير حجاب (وهذا - كما يقول ابن القيم - على مذهب من يقول انه صلى الله عليه وسلم رأى ربه تبارك وتعالى ليلة الاسراء ، وهى مسألة خلاف بين السلف والخلف . وان كان جمهور الصحابة بل كلهم مع عائشة كما حكاه عثمان بن سعيد الدارمى اجماعا للصحابة) (١) .

وحديث عائشة رضى الله عنها الذى فى صحيح مسلم ينفى هذه الرؤية فقد روى عن مسروق قال : كنت متكئا عند عائشة فقالت : يا أبا عائشة : (ثلاث من تكلم بواحدة منهن فقد أعظم على الله الفرية . قلت: ما هن ؟ قالت: من زعم أن محمدا صلى الله عليه وسلم رأى ربه فقد أعظم على الله الفرية . قال : وكنت متكئا فجلست . فقلت يا أم المؤمنين : أنظرينى ولا تعجلينى ، ألم يقل الله عز وجل : (ولقد رآه بالأفق المبين) ، (ولقد رآه نزلة أخرى) فقالت: أنا أول هذه الأمة سأل عن ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : (إنّما هو جبريل . رأيته منهبطاً من السماء سادا عظم خلقه ما بين السماء الى الأرض) .
فقالت: (أولم تسمع أن الله يقول : (لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ) (٢) أو لم تسمع أن الله تعالى يقول (وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ) (٣) ..) (٤)
... الحديث

---

(١) انظر زاد المعاد ج ١ ص ١٨

(٢) سورة الانعام الاية ١٠٣ .

(٣) سورة الشورى الاية ٥١

(٤) صحيح مسلم كتاب الايمان باب فى معنى قول الله عز وجل : (ولقد رآه نزلة أخرى ١٧٧/١

وقد جمع الامام ابن تيمية رحمه الله بين أحاديث المنع وأحاديث اثبات الرؤية وذلك بعد أن حكى اجماع الصحابة عن (عثمان بن سعيد الدارمي) على أنه صلى الله عليه وسلم لم ير ربه ليلة المعراج . قال : (وبعضهم استثنى ابن عباس من ذلك . وشيخنا يقول : ليس ذلك بخلاف في الحقيقة ،فان ابن عباس لم يقل رآه بعيني راسه ،وعليه اعتمد أحمد في احد الروايتين ، حيث قال : انه رآه ، ولم يقل بعيني راسه .

ولفظ أحمد كلفظ ابن عباس .

ويدل على صحة ما قال شيخنا في معنى حديث أبي ذر : قوله صلى الله عليه وسلم في الحديث الآخر (حجابه النور)[1] فهذا النور هو - والله أعلم - النور المذكور في حديث أبي ذر : (رأيت نورا)[2] .

وأما الرؤية (فالذي ثبت في الصحيح عن ابن عباس أنه قال : (رأى محمد ربه بفؤاده مرتين)[3] وعائشة أنكرت الرؤية . فمن الناس من جمع بينهما فقال : عائشة أنكرت رؤية العين ، وابن عباس أثبت رؤية الفؤاد .

والألفاظ الثابتة عن ابن عباس هي مطلقة ، أو مقيدة بالفؤاد ، تارة يقول : رأى محمد ربه ، وتارة يقول : رآه محمد ، ولم يثبت عن ابن عباس لفظ صريح بانه رآه بعينه

وليس في الأدلة ما يقضي أنه رآه بعينه ولا ثبت ذلك عن أحد من الصحابة ، ولا في الكتاب والسنة ما يدل على ذلك بل النصوص الصحيحة على نفيه أدل . كما في صحيح مسلم عن أبي ذر قال : سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم هل رأيت ربك ؟ فقال : (نورٌ أنّى أراه)[4] .

---

(١) صحيح مسلم كتاب الايمان باب في قوله عليه الصلاة والسلام (ان الله لا ينام) ١٧٩/١ . ومسند الامام احمد ج ٤ ص ٤٠٥
(٢) صحيح مسلم كتاب الايمان باب في قوله عليه الصلاة والسلام : (نور أنى أراه) ١٧٨/١ ، ومسند الامام احمد ج/ ٥ ص ١٤٧ .
(٣) صحيح مسلم كتاب الايمان باب معنى قول الله عز وجل : (ولقد رآه نزلة أخرى) ١٧٦/١ . وسنن الترمذي كتاب التفسير باب ومن سورة النجم برقم ٣٢٧٥ ، ٣٢٧٦ ، ٣٢٧٧ .
(٤) صحيح مسلم كتاب الايمان باب في قوله عليه السلام : (نور أنى أراه) ١٧٨/١ . ومسند الامام احمد ج ٥ ص ١٥٧ ، ١٧١ ، ١٧٥ .

وقد قال تعالى : (سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا) (١) ولو كان قد رآه نفسه بعينه لكان ذلك أولى .

وكذلك قوله : (أَفَتُمَارُونَهُ عَلَى مَا يَرَى) (٢) ، (لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى) (٣) ولو كان رآه بعينه لكان ذكر ذلك أولى .

وفي الصحيحين عن ابن عباس في قوله : (وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ) (٤) ، قال : هي رؤيا عين أريها رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة أسرى به . وهذه (رؤيا الآيات) لأنه أخبر الناس بما رآه بعينه ليلة المعراج ، فكان ذلك فتنة لهم ، حيث صدقه قوم ، وكذبه قوم . ولم يخبرهم بأنه رأى ربه بعينه ، وليس في شيء من أحاديث المعراج الثابتة ذكر ذلك ، ولو كان قد وقع ذلك لذكره كما ذكر ما دونه) (٥) .

ثانية صور الوحي المختلف فيها (٦) :

وحي اسرافيل عليه السلام وقد ذهب بعض العلماء أخذا مما ورد في مسند الامام أحمد عن الشعبي - كما قدمنا - من أن اسرافيل وكل بمحمد عليه السلام ،فكان يتراءى له ثلاث سنين ولكن هؤلاء مع ظنهم بنزول اسرافيل بالوحي على النبي صلى الله عليه وسلم لم يقولوا بنزوله بالقرآن ، بل قالوا انما كان ينزل بكلام غيره ، وجبريل هو مبلغ القرآن كله .

وعلى رأيهم هذا يكون القرآن قد نزل في عشرين سنة بعد مدة اسرافيل .

---

(١) سورة الاسراء الاية (١) .
(٢) سورة النجم الآية ١٢ .
(٣) سورة النجم الآية ١٨ .
(٤) سورة الاسراء الآية ٦٠ .
(٥) مجموع فتاوى شيخ الاسلام ابن تيمية المجلد السادس ص ٥٠٧ - ٥٠٩ .
(٦) انظر : تعليقه عبدالرحمن الوكيل على الروض الأنف للسهيلي ، دار النصر للطباعة ج ٢ ص ٢٩٦ .

(وذلك كله كلام ضعيف أمام كلام الجمهور الذى لا يعارضه مثل ذلك الرأى الواهن . وكلما ذكر لفظ الملك فى سياق الوحى ،فهو محمول على جبريل عليه السلام ولا يصح الركون الى الأحاديث الأخرى).[1]

(وقد أنكر الواقدى وغيره كونه صلى الله عليه وسلم وكل به غير جبريل عليه السلام وقال أحمد بن محمد البغدادى : أكثر ما كان فى الشريعة مما أوحى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم على لسان جبريل عليه السلام).[2]

وقال عبد الرحمن الوكيل محقق الروض الأنف عند تعليقه على هذا الحديث :

(ورد فى تاريخ أحمد ويعقوب بن سفيان ، وابن سعد والبيهقى وهو مرسل أو معضل وكلاهما من أقسام الضعيف . وقد أنكره الواقدى . وقال : لم يكن به من الملائكة الا جبريل . قال الشامى وهو المعتمد . وهو معارض للأحاديث الصحيحة)[3]

ثالثة الصور المختلف فيها كما ذكر الشيخ السبكى :[4]

الاجتهاد من النبى صلى الله عليه وسلم فقد عده بعض العلماء وحيا ، لأنه مأذون له فيه ، فيكون هذا الاذن السابق تقريرا له فيما يترجح عنده ويختاره باجتهاده .

ولكن الحق الذى عليه الجمهور أن اجتهاد النبى صلى الله عليه وسلم أمر واقع فيما لم ينزل فيه وحى ، فهو فى حد ذاته لا يعد وحيا وان كان مأذونا له فيه .

---

(١) الوحى الى الرسول صلى الله عليه وسلم ص ٨٤- ٨٥ .

(٢) عمدة القارى بشرح صحيح البخارى ج ١ ص ٤٠ .

(٣) الروض الأنف للسهيلى ج ٢ ص ٢٩٦ .

(٤) انظر الوحى الى الرسول صلى الله عليه وسلم ص ٨٥ .

والرسول صلى الله عليه وسلم كان مأمورا بالاستشارة لأصحابه فيما يعرض لهم من أمر لم يسبق أن نزل فيه وحي . وبعد أخذ المشورة يجتهد فيما يراه أصوب قال تعالى: (فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ) (١).

أخرج ابن كثير في تفسيره عن عبد الرحمن بن غنم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأبي بكر وعمر (لو اجتمعتما في مشورة ما خالفتكما) (٢)

وروى عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال : سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن العزم - الوارد في الآية - فقال : (مشاورة أهل الرأي ثم اتباعهم) (٣).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :(المستشار مؤتمن) (٤).

فاذا كان اختياره مصادفا للحق : أقره الوحي ، بمعنى أنه لم يعارضه ، فهذا الاقرار نفسه يعد تأييداً له ، فيصبح الأمر المختار المرجح مشروعا معمولا به آخذا صفته بين مقررات الاسلام ، لأن الله تعالى لم يقر نبيه ورسوله المصطفى على الخطأ .

واذا لم يكن اجتهاده موافقا للصواب نزل الوحي بصرف النبي صلى الله عليه وسلم عن الأخذ باجتهاده مرة أخرى .

والذي عليه الجمهور : أنه ما دام اجتهاد الرسول صلى الله عليه وسلم معلقا على تصديق الوحي له في اجتهاده ، أو على توضيح وبيان الخطأ فيه ، فلا يعد طريقا مستقلا من طرق الوحي (٥).

---

(١) سورة آل عمران الآية ١٥٩ .

(٢) مسند الامام احمد ج ٤ ص ٢٢٧ وانظر تفسير القرآن العظيم لابن كثير ج ٢ ص ١٤٣ .

(٣) تفسير القرآن العظيم ج ٢ ص ١٤٣ .

(٤) سنن ابن ماجة : كتاب الأدب ، باب المستشار مؤتمن ٢/٣٧٤٥ ، مسند الامام احمد ٥/٢٧٤

(٥) انظر الوحي الى الرسول صلى الله عليه وسلم للسبكي ص ٨

ويؤيد ما ذهب اليه الجمهور ، أن اجتهاداته عليه الصلاة والسلام لم تكن فى عقيدة ولا فى عبادة ، بل انحصرت فى أمور دنيوية فى سياسة الدعوة وشئون الحرب والمعاهدات، والأخذ بالأسباب الدنيوية فى المعايش .

فالتعبد والتدين انما يكونان بالوحى مباشرة .

وهناك أمثلة كثيرة تثبت لنا أن اجتهاده صلى الله عليه وسلم كان مكفولا بالوحى من عند الله فليس نوعا مستقلا . (١)

---

(١) للمزيد من التفصيل انظر حاشية العلامة البنانى على شرح المحلى على متن جمع الجوامع للامام تاج الدين عبد الوهاب السبكى - شركة مكتبة أحمد بن سعد نبهان باندونيسيا ج ٢ ص ٣٨٦-٣٨٧ .

الباب الثاني

إبطال الشبهات حول الوحي

الفصل الاول : إبطال التصور الفلسفي للوحي
الفصل الثاني : إبطال شبهات الماديين حول إمكان الوحي
الفصل الثالث : إبطال شبهات المشركين حول وقوع الوحي
الفصل الرابع : إبطال شبهات المستشرقين حول الوحي الإلهي
الفصل الخامس : ابطال ادعاء الوحي بعد النبوة المحمدية

الفصل الاول

إبطال التصور الفلسفي للوحي

الفصل الأول

إبطال التصور الفلسفي للوحي

تمهيد :

للفلاسفة الاسلاميين آراء خاصة في النبوة والرسالة مختلفة تمام الاختلاف عن مذهب جمهور المسلمين ،ولما كانت نظريتهم في الوحي قائمة على أساس نظريتهم في النبوة صار لزاما علينا ، ونحن نبحث في نظريتهم في الوحي أن نطرق باب النبوة عندهم ،ومن ثم نلج الى مرادهم في الوحي .

ونحن إذ نتناول آراءهم في هذه القضية بالعرض والتفصيل فذلك ضروري قبل أن نورد المآخذ الَتي تؤخذ عليها مع ابطالها وتصحيحها .

النُبوة عند الفلاسفة واجبة عقلا،تصدر عن واجب الوجود بالايجاب،أي بطريق اللزوم بحيث يمتنع تركها عند الاستعداد التام لها .

ولا يصل لهذه الدرجة الا من بلغت نفسه الناطقة ، وقواها المختلفة مستوى خاصا من القوة والصفاء ، سواء كانت تلك القوة ،وذلك الصفاء ذاتيا حاصلا لها بأصل الفطرة ، والتكوين ، أو كان ذلك ثمرة لمزاولته أنواعا من الرياضات والمجاهدات.(1)

---

(1) انظر : الاشارات والتنبيهات لابي علي بن سينا مع شرح الطوسي تحقيق الدكتور سليمان دنيا . القسمان الثالث والرابع ، دار المعارف بمصر ص ٨٩٧-٩٨٩

١- نظرية الفارابى فى الوحى :

الفارابى هو أول من طرق هذا الباب من الفلاسفة الإسلاميين محاولا التوفيق بين الفلسفة والدّين .

وتقوم نظريته فى الوحى على أسس ميتافيزيقية ، ونفسية ، وسياسية وأخلاقية . وقبل أن نتكلم على هذه النظرية ، نشرح هذه الأسس التى تقوم عليها .

ويتمثل الأساس الميتافيزقى فى نظرية العقول العشرة التى قال بها مفسرا بها كيفية صدور العالم الحادث عن الله القديم .

فالفارابى يرى أن واجب الوجود لذاته واحد من كل وجه ، والواحد من كل وجه لا يصدر عنه الا واحد ، ومن ثم صدر عن الله العقل الأول ، وهذا العقل الأول الصادر عن الله له اعتبارات ثلاثة :-

١- عقله لمبدئه .

٢- عقله لنفسه .

٣- وامكانه بحسب ذاته .

فبالاعتبار الأول صدر عنه عقل هو العقل الثانى ، وبالاعتبار الثانى صدر عنه نفس هى نفس الفلك الأول ، وبالاعتبار الثالث صدر عنه جرم الفلك الأول .

وكذلك صدر عن العقل الثانى - بهذه الاعتبارات الثلاثة - العقل الثالث ، وهو عقل الفلك الثانى ونفسه وجرمه .

وهكذا تسلسلت العقول والنفوس والأفلاك ، حتى كان عدد النفوس والأفلاك تسعة وكانت العقول عشرة ، تنتهى بعقل فلك القمر الذى عنه صدر وجودنا الأرضى ، واليه يرجع أمر تدبيره تدبيرا مباشرا . (١)

---

(١) انظر آراء أهل المدينة الفاضلة تأليف أبى نصر الفارابى ص ٢٠ - ٢٣ .

وهذه العقول يؤثر كل منها في الذي يليه مباشرة ، بمعنى أن كلا منها يقبل فعل ما فوقه ، ويؤثر فيما دونه ،ويسري هذا التأثير -عند الفارابي- من العقل الأعلى ،وهو الله -سبحانه- حتى ينتهي الى العقل الفعال . (١)

والعقول العشرة عند الفارابي هي ما يطلق عليه اسم الملائكة ،والروحانيين وبها يؤول الفارابي تلك المسميات الدينية من اللوح والقلم ، فيقول : (لا تظن أن القلم آلة جمادية ، واللوح بسيط ، والكتاب نقش مرقوم ، بل القلم ، ملك روحاني والكتابة تصوير الحقائق .. فالقلم يتلقى ما في الأمر من المعاني ويستودعه اللوح بالكتابة الروحانية ،فينبعث القضاء من القلم ، والتقدير من اللوح) .(٢)

فواجب الوجود الواحد صدر عنه العالم عن طريق الفيض كما يقول الفارابي :

(ووجود ما يوجد عنه انما هو على جهة فيض وجوده لوجود شيء آخر وعلى أن وجود غيره فائض عن وجوده هو ، فعلى هذه الجهة لا يكون وجود ما يوجد عنه سببا له بوجه من الوجوه ،ولا على أنه غاية لوجود الأول ،كما يكون وجود الابن من جهة ما هو ابن غاية لوجود الأبوين من جهة ما هما أبوان ....) . (٣)

ولا بد أن يكون هذا الواحد مفارقا للمادة ،اذ لو كان ماديا ،لكانت مادته علة فيما بعدها من الصور ،والأجسام والمفارقات . وانما كان الصادر عنه ابتداء عقلا لامتناع أن يكون أول صادر عنه جسما لتركب الجسم من الهيولي(٤) والصورة .

---

(١) انظر تاريخ الفلسفة في الاسلام تأليف ت . ج . دي بور ترجمة محمد عبد الهادي أبو ريده مطبعة التأليف والترجمة والنشر ١٣٥٧-١٩٣٨ ص ١٤٧ .

(٢) كتاب النصوص ضمن رسائل الفارابي ، الطبعة الأولى ،مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الهند ١٣٤٥-١٩٢٦م ص ١٦ .

(٣) آراء أهل المدينة الفاضلة لابي نصر الفارابي ص ١٥ .

(٤) الهيولي هي جوهر ، وجوده بالفعل انما يحصل بقبوله الصورة الجسمانية (كقوة قابلة للصور) وليس له في ذاته صورة ، الا بمعنى القوة ، وقد يقال : (هيولي لكل شيء من شأنه أن يقبل كمالا ، وأمرا ما ،ليس فيه ، فيكون بالقياس الى ما ليس فيه (هيولي) وبالقياس الى ما فيه (موضوع) . تهافت الفلاسفة المسمى بمعيار العلم للامام الغزالي تحقيق د .سليمان دنيا ، دار المعارف بمصر ص ٢٩٧ - ١٩٨٠ .

وامتناع أن يكون الصادر عنه ابتداء أحد جزئى الجسم اذ لا يستقل أحد جزئى الجسم بالوجود دون الجزء الآخر .

وامتناع أن يكون نفسا اذ يتوقف تأثيرها على الجسم فيمتنع أن تكون علة لمعلول بعدها .

وامتناع أن يكون عرضا لاحتياجه الى محل يقوم به)[1].

وأما حدوث الحوادث فانه لما لم يكف امكانها الذاتى كان لابد من استعدادات تحصل فى مادة قديمة بسبب الحركات الفلكية والأوضاع الكوكبية ،فعند حدوث الاستعداد يوجد الحادث .

قالوا وبهذا يعقل صدور الحادث عن القديم)[2].

أما سلسلة العقول والنفوس فهى ثابتة ثبوتا برهانيا على أنها أمور مفارقة للمادة .

أما عدد الأفلاك وأجرامها التسعة فهو مما انتهت اليه المعرفة الفلكية القديمة وهى : الشمس والقمر ، والمريخ ، وعطارد ، والمشترى ، وزحل ، والزهرة ، والأرض ، وفلك النجوم .[3]

فالافلاك وعقولها ونفوسها عند الفارابى قديمة ، والذى له التأثير علينا مباشرة هو العقل العاشر ، عقل فلك القمر المحيط بكوكبنا الأرضى ، وهو الذى يسميه الفارابى بالعقل الفعال ، وسمى فعالا باعتبار فعله فى هذا الكوكب الأرضى وما عليه من مخلوقات .

وهو نقطة الاتصال بيننا وبين الله فى ترقينا اليه ، أو فى تدبيره لنا عن طريق عالم العقول المجردة .

وهذا العقل العاشر ،هو الذى يستمد منه الوحى والالهام ، وهو روح القدس.

---

(١) مذكرة فى العقيدة للشيخ كمال هاشم نجا لطلاب السنة المنهجية بجامعة ام القرى بمكة المكرمة (١٤٠٢-١٤٠٣هـ) منشأ قول الفلاسفة أنه تعالى موجب بذاته ص ٤٥

(٢) المصدر نفسه والصفحة .

(٣) انظر الرسالة الالهية دراسة ودفاع د. عثمان عبد المنعم يوسف ج ١ ص ١٩٥ . وآراء أهل المدينة الفاضلة ص ١٩ . وانظر القاموس الفلكى تأليف منصور حنا جرداق طبع المطبعة الاميركانية ببيروت لبنان ١٩٥٠م ص ٤ .

وهو أيضا نقطة اتصال بين العبد وربه .

ويمكن للنبى وغيره أن يصل اليه ويأخذ عنه المعرفة .

وهو مصدر الشرائع والقوانين الضرورية للحياة الخلقية والاجتماعية .(١)

وظاهر من هذا العرض للميتافيزيقيا الفارابية أن العالم السفلى ، وهو ما يقع دون فلك القمر ، يتأثر تأثرا كليا بالأفلاك السماوية وعقولها ونفوسها .

(غير أن تأثير هذا العالم العلوى انما يتناول العالم السفلى فى جملته من حيث ما يجب أن يكون فيه من نظام كما هو معروف بداهة ،أما تأثير الجزئيات بعد ذلك فهو ينشأ عن فعل طبيعى لبعضها فى البعض الآخر . وهو يحدث وفقا لقوانين تعرفها من التجربة) .(٢)

ولما كان الوحى يأخذ طريقه من العقل الفعال الى النفس الانسانية عن طريق بعض قواها بكيفية تتفق مع طبيعة عمل هذه القوى ،وحتى نتبين هذه القوى الواصلة لابد لنا من عرض هذه القوى جميعها وتحليلها وبيان كيفية تلقيها للمعرفة بحسب ما يراه الفارابى فى نظريته .

وقوى النفس الانسانية أو أجزاؤها عند الفارابى ليست متساوية الرتبة ،بل بعضها أرقى من بعض، (٣) بحيث ان القوة الدنيا ،وهى القوة الغاذية - كما سنبين ذلك فيما بعد - تشبه أن تكون مادة بالنسبة للعليا ، والعليا بمثابة صورة من تلك .

وهى بحسب ترتيب حدوثها ، وتكوينها فى الانسان كما يلى :

---

(١) انظر فى الفلسفة الاسلامية منهج وتطبيقه ابراهيم مدكور ط دار المعارف بمصرجا ص ٧٣ ،وكذلك انظر تاريخ الفلسفة فى الاسلام المصدر السابق ص١٤١ وانظر كذلك السياسات المدنية ، وانظر كذلك السياسات المدنية لأبى نصر الفارابى المطبوع ضمن رسائل الفارابى - الطبعة الاولى مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الهند ١٣٤٥هـ-١٩٢٦ ص ٣

(٢) انظر تاريخ الفلسفة فى الاسلام ص ١٤٣ .

(٣) انظر آراء المدينة الفاضلة للفارابى ص ٣٤، ٣٥ .

١- القوة الغاذية .

٢- القوة الحاسة .

٣- القوة المتخيلة .

٤- القوة الناطقة .

يقول الفارابى : (فاذا حدث الانسان فأول ما يحدث فيه القوة التى بها يتغذى ، وهو القوة الغاذية ، ثم من بعد ذلك القوة التى بها يحس الملموس، مثل الحرارة والبرودة ، وسائرها التى بها يحس الطعوم ، والتى بها يحس الروائح والتى بها يحس الأصوات، والتى بها يحس الألوان والمبصرات كلها مثل الشعاعات ويحدث مع الحواس بها نزاع الى ما يحسه فيشتاقه أو يكرهه ،ثم يحدث فيه بعد ذلك قوة أخرى يحفظ بها ما ارتسم فى نفسه من المحسوسات بعد غيبتها عن مشاهدة الحواس لها ، وهذه هى القوة المتخيلة ، فهذه تركّب المحسوسات بعضها الى بعض وتفصل بعضها عن بعض تركيبات ،وتفصيلات مختلفة ،بعضها كاذبة وبعضها صادقة ويقترن بها نزاع نحو ما يتخيله ، ثم بعد ذلك يحدث فيه القوة الناطقة التى بها يمكن أن يعقل المعقولات وبها يميز بين الجميل والقبيح . . .) . (١)

والذى يعنينا كثيرا ويهمنا من هذه القوة قوتان هما : المتخيلة ، والقوة الناطقة لأنه عن طريقهما يكون الوحى .

فأما القوة المتخيلة عند الفارابى ، فهى قوة مخترعة قادرة على الخلق والايجاد والتصوير والتشكيل ،ولها قدرة عظيمة على المحاكاة ، والتقليد ،وفيها استعداد لحد بعيد للانفعال والتأثر . (٢)

وهى :(تقع فى مركز وسط بين القوة الحاسة ، وبين الناطقة ،وعند ما تكون الحواس تحس بالفعل ،وتفعل أفعالها ، تظل القوة المتخيلة بدورها منفعلة مشغولة بما تورده الحواس عليها من المحسوسات ،وما تطبعها فيها تلك الحواس من صور

---

(١) آراء أهل المدينة الفاضلة للفارابى ص ٣٤ .
(٢) انظر فى الفلسفة الاسلامية منهج وتطبيقه ص ٧٤

الأشياء وتظل أيضا مشغولة بخدمة القوة الناطقة اذ تمدها بهذه الصور التي تستخلص منها معقولاتها حتى بعد غيبة الأشياء عن الادراك الحسي، حتى اذا صارت الحاسة والنزوعية والناطقة على كمالاتها الأُول، بأن تتوقف عن أفعالها كما يعرض لها عند حال النوم، انفردت القوة المتخيلة بنفسها فارغة عما تجدده عليها الحواس دائما وما تصبه فيها هذه القوة من رسوم المحسوسات، وتخلت كذلك عن خدمة القوة الناطقة والنزوعية، اذ تكون هي الأخرى في حالة النوم. عند ذلك تعود هذه القوة المتخيلة الى ما اختزنته من رسوم المحسوسات محفوظة باقية فتركّب بعضها الى بعض وتفصل بعضها عن بعض.

والقوة المتخيلة هي الوحيدة من بين قوى النفس لها قدرة على المحاكاة.

والمحاكاة رمز لشيء - سواء كان محسوسا أو معقولا - بصورة، ويكون بينها وبين ذلك الشيء توافق ومناسبة، فتحاكي الأشياء المحسوسة المحفوظة عندها، وأحيانا تحاكي المعقولات، وأحيانا تحاكي القوة الغاذية، وأحيانا تحاكي القوة النزوعية الى غير ذلك.

ولمحاكاة المخيلة للأشياء المحسوسة والحقائق المعقولة دخل كبير في تشكيل أحلامنا، فالفارابي يعتبر أحلامنا عبارة عن صور ورموز تحاكي بها المخيّلة ما يغلب من مزاج على الجسم وما يتأثر به مما يحيط به من أحوال طبيعية الى غير ذلك من النوازع والرغبات الدفينة. (١)

أما القوة الناطقة، أو العقل الانساني، فانه يكون بطبيعته أول ما يكون في الانسان هيئة ما في مادة معدة لأن تقبل رسوم المعقولات فهو بالقوة عقل (٢) (أو عقل هَيُولاني ثم يصير عقلا بالفعل، ومعقولاته معقولات بالفعل كالجواهر المجردة

---

(١) انظر آراء أهل المدينة الفاضلة ص ٤٧، ٤٨ وللمزيد من التفصيل انظر الرسالة الالهية دراسة ودفاع د. عثمان عبد المنعم يوسف ج ١ ص ٢٢٤ ومابعدها

(٢) القوة والفعل اصلاح - أرسطي - والشيء يكون غيره بالقوة اذا كان مستعدا لقبول ذلك الغير، ويكون بالفعل اذا تجاوز الأمر مجرد القبول والاستعداد فتحققت فيه صورة ذلك الغير. وقد تعبر القوة في الشيء عن استعداده للتأثر، ويعبر الفعل عند ظهور ذلك التأثير) انظر الرسالة الالهية دراسة ودفاع ج ١ ص ٢٢٢.

عن المادة . والعقل الهيولانى لا تقتضى طبيعته أن يتحول من عقل بالقوة الى عقل بالفعل ،وكذلك هذه الأشياء المادية ليس فى طبيعتها ما يحولها من معقولات بالقوة الى معقولات بالفعل ،بل العقل والمعقولات جميعا تحتاج فى ذلك الى شئ ما بالفعل دائما ، والفاعل الذى ينقلها من القوة الى الفعل هو جوهر مجرد عن المادة ،وهو عقل بالفعل ،انه العقل الفعال ، وانه من قوانا الناطقة بمنزلة الشمس من أبصارنا) . (١)

وقد ضرب الفارابى لنا مثلا لتحول العقل من القوة الى الفعل . قال الفارابى: (فان البصر هو قوة وهيئة ما فى مادة وهو من قبل أن يبصر فيه بصر بالقوة ،والألوان من قبل أن تبصر مبصرة مرئية بالقوة ، وليس فى جوهر القوة الباصرة التى من العين كفاية فى أن يصير بصرا بالفعل ، ولا فى جواهر الألوان كفاية فى أن تصير مرئية مبصرة بالفعل ، فان الشمس تعطى البصر ضوءا يضاء به ، ويعطى الألوان ضوءا يضاء بها فيصير البصر بالضوء الذى استفاده من الشمس مبصرا بالفعل ، وبصيرا بالفعل . وتصير الألوان بذلك الضوء مبصرة مرئية بالفعل ، بعد أن كانت مبصرة مرئية بالقوة .

كذلك هذا العقل الذى بالفعل يفيئ العقل الهيولانى شيئا ما يرسمه فيه فانه بذلك الشئ الذى منزلته منه منزلة الضوء من البصر يعقل ذلك الشئ نفسه ، وبه يعقل العقل الهيولانى العقل بالفعل الذى هو سبب ارتسام ذلك الشئ فى العقل الهيولانى ، وبه تصير الاشياء التى كانت معقولة بالقوة معقولة بالفعل ،ويصير هو أيضا عقلا بالفعل بعد أن كان عقلا بالقوة ،وفعل هذا العقل المفارق فى العقل الهيولانى شبيه فعل الشمس فى البصر ،فلذلك سمى العقل الفعال) . (٢)

---

(١) انظر الرسالة الالهية دراسة ودفاع ج ١ ص ٢٢٣

(٢) آراء أهل المدينة الفاضلة ص ٤٤-٤٥ .

فالمعرفة الانسانية اذن لا يحصّلها العقل باجتهاده بل هى تتجلى فى صورة هبة من العالم الأعلى ، فهى ليست فعلا للانسان بل للعقل الفعال الذى هو أعلى من العقل الانسانى فى المرتبة . (١)

والعقل فى الانسان على نحو ما شرحنا عند الفارابى له ثلاثة أوجه :

وذلك باعتبار كونه عقلا بالقوة ، أوعقلا بالفعل ، أوعقلا متأثرا بالعقل الفعال ويعنى هذا فى فلسفة الفارابى : أن فى الانسان استعدادا ، أوعقلا بالقوة ، وهو ينتقل من القوة الى الفعل بواسطة المعرفة المكتسبة من ادراك الأشياء . ويصل الى معرفة الكلى الذى يسبق كل ادراك ، ويحدث الادراك نفسه . (٢)

وبهذا الذى يراه الفارابى يتبين لنا كيف تنكشف لنا الحقائق ، ونحصل على المعقولات بذلك النور المعرفى الذى يمد العقل الفعال به قوانا الناطقة . (٣)

وسوف نرى فيما بعد تفسير الفارابى لكيفية تلقى النبى للوحى من العقل الفعال عن طريق تأثيره فى قواه النفسية على مقتضى طبيعة هذه القوى النفسية ، وطبيعة العلاقة بينهما . فعلى تفسير الفارابى للقوى النفسية وعملها يقوم تفسيره للوحى الى الأنبياء كما سنرى فيما بعد .

---

(١) انظر آراء أهل المدينة الفاضلة ص ٤٤

(٢) انظر آراء أهل المدينة الفاضلة ص ٤٥

(٣) انظر آراء أهل المدينة الفاضلة ص ٦٢-٦٦

وبعد أن بينا الأسس والدعائم التى تبنى عليها نظرية الفارابى فى الوحى ، يصبح من السهل فهم تفسيره للوحى ، بربط هذه الدعائم والأسس لنصل الى نظريته فى الوحى ورؤية الملك .

فالعقل الفعال عند الفارابى - كما قدمنا - هو مصدر وجودنا ، ومدبر شأننا ، وغاية سعينا . وهو الذى يفيض علينا معارفنا وينقل قوانا الناطقة من القوة الى الفعل بواسطة ذلك الشىء الذى يمد عقولنا ، والذى هو بمنزلة الضوء من البصر ، فتكسب القوة الناطقة بواسطة هذا الشىء المعقولات وتحوز به المعارف الالهية .

وكما أن للقوة الناطقة عند الفيلسوف اتصالا بالعقل الفعال ، وله فيها فيض وتأثير ، فكذلك القوة المتخيلة عند النبى ، قد يكون لها به مثل هذا الاتصال ، وله فيها مثل هذا الفيض والتأثير . فتنال منه ما تنال القوة الناطقة من المعقولات والجزئيات .

يقول الفارابى : (والعقل الفعال لما كان هو السبب فى أن تصير المعقولات التى هى بالقوة ، معقولات بالفعل وأن يصير ما هو عقل بالقوة عقلا بالفعل وكان ما سبيله أن يصير عقلا بالفعل هى القوة الناطقة ، وكانت الناطقة ضربين : ضرب نظرى ، وضرب عملى .

وكانت العملية هى التى شأنها أن تعقل الجزئيات الحاضرة والمستقبلة ، والنظرية هى التى شأنها أن تعقل المعقولات التى شأنها أن تعلم . وكانت القوة المتخيلة مواصلة لضربى القوة الناطقة ، فان الذى ينال القوة الناطقة عن العقل الفعال ، وهو الشىء الذى منزلته الضياء من البصر ، قد يفيض منه على القوة المتخيلة فيكون للعقل الفعال من القوة المتخيلة فعل ما يعطيها أحيانا المعقولات التى شأنها أن تحصل فى الناطقة النظرية ، وأحيانا الجزئيات المحسوسات التى شأنها أن تحصل فى الناطقة العملية ، فتقبل المعقولات بما يحاكيها من المحسوسات

التى تركبها هى ، وتقبل الجزئيات أحيانا بأن تتخيلها كما هى . وأحيانا بأن تحاكيها بمحسوسات أخر ، وهذه هى التى شأن الناطقة العملية أن تعملها بالروية فمنها حاضرة ، ومنها كائنة فى المستقبل ، الا أن ما يحصل للقوة المتخيلة من هذه كلها بلا توسط روية . فلذلك يحصل فى هذه الأشياء بعد ، أن تستنبط بالروية فيكون ما يعطيه العقل الفعال للقوة المتخيلة من الجزئيات بالمنامات والرؤيات الصادقة وما يعطيها من المعقولات التى تقبلها بأن تأخذ محاكياتها مكانها بالكهانات على الأشياء الالهية) . (١)

فالاتصال بالعقل الفعال يتم عن طريقين: (٢)

١- طريق العقل ، أو طريق التأمل .

٢- طريق المخيلة ، أو طريق الالهام .

فبالنظر والتأمل : يستطيع الانسان أن يصل الى درجة الاتصال بالعقل الفعال .

وبالبحث والدراسة : ترقى نفسه الى درجة العقل المستفاد حيث تتقبل الأنوار الالهية التى يمدها بها العقل الفعال وهذا هو طريق الحكيم الفيلسوف .

وليست النفوس كلها قادرة طبعا على هذا الاتصال بالعقل الفعال . وليست النفوس كذلك متساوية فى الاستعدادات اللازمة لتلقى الوحى والالهام من العقل الفعال . فهناك تفاوت بين القوى المتخيلة من حيث القوة والضعف فى ادراكها للمعقولات ، فلا تسمو الى هذا الاتصال الا الأرواح القدسية التى تستطيع أن تخترق حجب الغيب وتدرك عالم النور ، وهى أرواح الأنبياء .

---

(١) آراء أهل المدينة الفاضلة ص ٧٤ .

(٢) انظر: فى الفلسفة الإسلامية منهج وتطبيقه ص ٧٣ .

يقول الفارابي : (ان القوة المتخيلة اذا كانت في انسان ما قوية كاملة جدا ، وكانت المحسوسات الواردة عليها من خارج لا تستولى عليها استيلاء يستغرقها بأسرها ولا تستخدمها للقوة الناطقة ، بل كان فيها مع اشتغالها بهذين فضل كثير تفعل به أيضا أفعالها التي تخصها ، وكانت حالها عند اشتغالها بهذين في وقت اليقظة مثل حالها عند تحللها منهما في وقت النوم . . . لا يمتنع أن يكون للانسان اذا بلغت قوته المتخيلة نهاية الكمال فيقبل في يقظته عن العقل الفعال الجزئيات الحاضرة والمستقبلة ، أو محاكاياتها من المحسوسات ، ويقبل محاكيات المعقولات المفارقة وسائر الموجودات الشريفة ويراها فيكون له بما قبله من المعقولات نبوة بالاشياء الالهية . فهذا هو أكمل المراتب التي ينتهي إليها القوة المتخيلة ، وأكمل المراتب التي يبلغها الانسان بقوته المتخيلة) (١)

فالناس أمام الاتصال بهذا العقل الفعال على درجات ثلاث عند الفارابي . (٢)

١- فئة تتصف بمخيلات قوية تمكنها من الاتصال بالعقل الفعال أثناء اليقظة ، وفي حالة النوم . وبهذه المخيلة تصل الى ما تصل اليه من ادراكات ، وحقائق تظهر على صورة الوحي ، أو الرؤية الصادقة .

٢- وهناك أشخاص قويو المخيلة ، لكنهم دون الفئة الأولى ، فلا يتصلون بالعقل الفعال الا في حال النوم ، وقد يعز عليهم أن يعبروا عما وقفوا عليه .

٣- أما الفئة الثالثة والأخيرة فهم العامة والدهماء فمخيلتهم ضعيفة هزيلة ، لا تسمو الى درجة الاتصال هذه لا في الليل ولا في النهار . (٣)

---

(١) آراء أهل المدينة الفاضلة ص٥١-٥٢ .

(٢) انظر في الفلسفة الاسلامية منهج وتطبيقه ص٧٦ .

(٣) انظر آراء أهل المدينة الفاضلة ص ٥٢-٥٣ .

والفارابى يعنى بالفئة الأولى الأنبياء وبالفئة الثانية الحكماء . وكلاهما فى الواقع يحظى بالاتصال بالعقل الفعال الذى منه تستمد الشرائع والقوانين الضرورية لنظام المجتمع .

وليس بين النبى والحكيم من فرق فى هذا الاتصال سوى أن الأول يكون اتصاله بالعقل الفعال عن طريق الالهام أو عن طريق المخيلة التى لا تشغلها جهة تحت عن جهة فوق ،ولا يستغرق حسها الظاهر حسها الباطن . بل وقد يتعدى تأثيرها من بدنها الى أجسام العالم وما فيه ،وتقبل المعلومات من الروح والملائكة . بلا تعليم من الناس . (١)

أما الثانى -الحكيم- فيحظى بهذا الاتصال عن طريق البحث والنظر .

فالعقل الفعال الذى هو مصدر الشرائع والالهامات السماوية فى رأى الفارابى يعد مصدرا مباشرا للوحى عن طريق الفيض الا أنه يرى امكان القول بأن ذلك صادر من واجب الوجود والمصدر الأول للوحى ، وهو الله -سبحانه وتعالى- وحده .

يقول الفارابى : (فلأن العقل الفعال فائض من السبب الأول ، فقد يمكن لأجل ذلك أن يقال : إنّ السّبب الأوّل هو الموحِى إلى هذا الإنسان بتوسط العقل الفعال) (٢)

والذى ينبغى التنويه به أن الفارابى لا يجعل التلقى من العقل الفعال مقصورا على الاتصال عن طريق المخيلة القوية التى لا تشغلها جهةُ تَحْتٍ عن جهةِ فوق ولا يستغرق حسها الظاهر حسها الباطن ، بل انه قد يكون هذا الاتصال فى بعض الأحيان ،ناتجا عن استعداد مزاجى خاص يعرض لصاحبه فيهيأه للاتصال بالعقل الفعال والتلقى عنه .

يقول الفارابى : (وقد تعرض عوارض يتغير بها مزاج الانسان فيصير بذلك مُعَدّا

---

(١) انظر فى الفلسفة الاسلامية ص ٧٣

(٢) السياسة المدنية للفارابى ص ٥٠ .

لأن يقبل من العقل الفعال بعض هذه في وقت اليقظة أحيانا ، وفي النوم أحيانا . فبعضهم يبقى ذلك فيهم زمانا ، وبعضهم الى وقت ما ثم يزول . وقد يعرض أيضا للانسان عوارض فيفسد بها مزاجه ، وتفسد تخاييله ، فيرى أشياء مما تركبه القوة المتخيلة على تلك الوجوه مما ليس لها وجود ، ولا هي محاكاة لموجود وهؤلاء الممرورون والمجانين وأشباههم) . (١)

أما ما يراه النبي من الملائكة والغيبيات فيقول عنها الفارابي : (كثير من هذه التي يعطيها العقل الفعال فتتخيلها القوة المتخيلة بما تحاكيها من المحسوسات المرئية ، فان تلك المخيلة تعود فترتسم في القوة الحاسة ، فاذا حصلت رسومها في الحاسة المشتركة ، انفعلت عن تلك الرسوم القوة الباصرة فارتسمت فيها تلك ، فيحصل عما في القوة الباصرة منها رسوم تلك في الهواء المضيء الواصل للبصر المنجاز بشعاع البصر ، فاذا حصلت تلك الرسوم في الهواء ، عاد ما في الهواء فيرتسم من رأس في القوة الباصرة التي في العين ، وانعكس ذلك الى الحس المشترك ، والى القوة المتخيلة ، ولأن هذه كلها متصلة بعضها ببعض ، فيصير ما أعطاه العقل الفعال من ذلك مرئيا لهذا الانسان . فاذا اتفقت التي حاكى بها القوة المتخيلة تلك الأشياء محسوسات في نهاية الجمال والكمال ، قال الذي يرى ذلك ان لله عظمة جليلة عجيبة ، ورأى أشياء عجيبة لا يمكن وجود شيء منها في سائر الموجودات أصلا) . (٢)

ومعنى ما ذكره الفارابي عن رؤية الملائكة (أن كل ما يراه النبي من صور الملائكة وما يسمعه من كلامهم ، فليس له في الحقيقة ما يقابله في الخارج . فالوحي في حقيقته مكاشفة روحية بين الروح الانساني ، والملك ، وكلاهما روح لا حاجة لهما في الاتصال الى سبب مادي ، وانما يكون ما يصحبه من احساسات خاصة ، لأن الشأن في أثره اذا كان قويا أن يتشبح في مثل هذه الصور) . (٣)

---

(١) آراء أهل المدينة الفاضلة ص ٥٣
(٢) آراء أهل المدينة الفاضلة ص ٥١-٥٢ .
(٣) الرسالة الالهية دراسة ودفاع ص ٢٣٠ .

يقول الفارابى : (للملائكة ذوات حقيقية ،ولها ذوات بحسب القياس الى الناس . فأما ذواتها الحقيقية فأمرية ، وانما يلاقيها من القوة البشرية الروح الانسانية القدسية فاذا تخاطبا انجذب الحس الباطن والظاهر الى فوق ،فيتمثل لها من الملك صورة بحسب ما يحتملها فيرى ملكا على غير صورته ،ويسمع كلامه بغير ما هو وحى والوحى يوحى من مراد الملك للروح الانسانى بلا واسطة ،وذلك هو الكلام الحقيقى فان الكلام انما يراد به تصور ما يتصوره باطن المخاطِب فى باطن المخاطَب ليصير مثله، فاذا عجز المخاطِب عن مس باطن المخاطَب بباطنه ،مس الخاتم الشمع فيجعله مثال نفسه ،اتخذ بين الباطنين سندا من الظاهرين فتكلم بالصوت ،أو كتب وأشار ،واذا كان المخاطَب روح لا حجاب بينه وبين الروح اطلع عليه اطلاع الشمس على الماء الصافى فانتقش فيه ،لكن المنتقش فى الروح من شأنه أن يتشبح الى الحس الباطن اذا كان قويا فينطبع فى القوى المذكورة ،فتشاهد فيكون الوحى اليه المتصل بالملك بباطنه ويتلقى وحيه بباطنه ثم يتمثل للملك صورة محسوسة ،ولكلامه أصوات مسموعة ، فيكون الملك والوحى يتأدّى الى قواه المدركة من وجهين ،ويعرض للقوى الحسية شبه الدهش وللموحى اليه شبه الغشى ثم يرى) . (١)

---

(١) كتاب الفصوص المطبوع ضمن رسائل الفارابى مطبعة حيدرآباد ص ١٥ - ١٦

٢ - نظرية ابن سينا فى الوحى

نظرية ابن سينا فى الوحى تسير على وفق النظرية الفارابية . فقد اعتنق ابن سينا باخلاص مذهب الفارابى وعرضه فى صورةتشبه تمام الشبه ما قال به الفارابى . ولكنه يعرض فكرته ، مسترسلا فى القول ، معللا أحكامه بمختلف الأساليب. وقد ذهب ابن سينا فى تفسير الايحاء والنبوة مذهبا نفسيا ، وذهب الى تأويل بعض النصوص تأويلا يتفق مع نظرياته الفلسفية .

وقبل أن نبسط القول بالشرح لنظريته حرى بنا أن نقدم دراسة موجزة عن الأسس التى ترتكز عليها هذه النظرية .

أمَّا الأساس الميتافيزيقى لنظرية ابن سينا فلا نراه يختلف عن الأساس الميتافيزيقى فى النظرية الفارابية . ولما كان الأمر كذلك ، فسوف نبدأ الحديث عن هذا الأساس من حيث توقفت سلسلة العقول والنفوس عن الصدور فلنبدأ بالعقل العاشر ، أو ما يسمى بالعقل الفعال الذى لم يصدر عنه عقل وجرم سماوى آخر .

وهذا العقل العاشر عند ابن سينا : (إنَّما اختص بهذا العالم الأرضى ، عالم العناصر . فكان له الخلق والتدبير فيه ، وكانت له الهيمنة المباشرة على عقول الناس وأقدارهم ، فهو "مفيض المعارف والالهامات ، وهو مصدر الوحى للأنبياء" ، وانما صدر العقل عن واجب الوجود ، دون غيره من الموجودات السماوية لوحدته الذاتية وكليته وشرف وجوده ، وان لم يمنع هذا التصور للوجود من كونه راجعا فى جميع درجاته الى المبدع الأول صادرا عنه .

فلكل جرم سماوى إذن عقل خاص به مفارق له يحركّه بطريق غير مباشر ، أى بطريق الشوق إليه ، والعشق له ، ولكل فلك كذلك نفس هى : القوة المتصلة به المحركة له

تحريكا مباشرا . ذلك أن الحركات الفلكية حركات جزئية لا بد لها من ارادة جزئية والارادة الجزئية لا تقوم بعقل كلى مفارق ،فوجب أن تكون للفلك نفس متصلة به تكون موضعا لهذه الإرادة).(١)

ولما كان العلم بالعلة والملزوم لا ينفك عن العلم بالمعلول واللازم ، والعالم كله معلول لله تعالى ، بعضه مباشرة وهو العقل الأول ،وبعضه بالواسطة ،وهو يعلم ذاته علما تاما ، فلا بد أن يعلم العالم عن هذا الطريق . (٢)

ونعنى بالواسطة فى صدور العالم عن الله الحركات الفلكية والتى هى علة لما ينشأ عنها فى عالمنا هذا من الأشياء والأحداث عند ابن سينا .

وابن سينا يثبت أن لهذه الأجرام السماوية نفوسا ناطقة ،تكون نسبتها اليها كنسبة نفوسنا الى أبداننا ، تدرك الكليات والجزئيات معا (٣) فالحوادث الجزئية الكائنة فى عالمنا مرتسمة فى المبادىء العالية قبل كونها . وهذه المبادىء المفارقة من العقول والنفوس الفلكية هى عند ابن سينا الملائكة . فالملك عنده : (جوهر بسيط ذو حياة ونطق عقلى ونطق عقلى غير مائت ، وهو الواسطة بين البارىء عز وجل والأجسام الأرضية) (٤)

(وبهذه المبادىء المفارقة من العقول والنفوس يؤول ابن سينا أيضا تلك الموجودات الغيبية من اللوح والقلم . فالصور الجزئية - ولعله يريد بها العلم بالأمور الشخصية - يفيض من العقول على النفوس السماوية . ولهذا كانت النفوس السماوية هى ما يعبر عنه فى الشرع باللوح المحفوظ ، والعقول المجردة هى ما يعبر عنه بالقلم . لأن عملها هو الافادة والنقش ،فليس اللوح على هذا ما يتبادر الى

---

(١) الاشارات والتنبيهات لابن سينا ج ٢

(٢) انظر الشيخ محمد عبده - د . سليمان دنيا القسم الأول ص ٢٧

(٣) انظر الاشارات والتنبيهات دار المعارف بمصر ج ٣ ص ٨٦٣-٨٦٦

(٤) رسالة فى الحدود لابن سينا ص ٦١ ضمن مجموعة (تسع رسائل فى الحكمة والطبيعيات)، نقلا عن الرسالة الإلهية للدكتور عثمان عبد المنعم ج ١ ص ٤٧ .

الذهن من الجسم المبسوط الذى يكتب عليه ،فان العلوم التى لا نهاية لها لا يحويها جسم ، فكل جسم متناه ، والمتناهى لا يسع الكلمات التى لا تتناهى ،وكيف يعبر عن هذه المعارف اللانهائية بكلمات متناهية).(١)

وأما الأساس النفسى للنظرية السينوية فهو يتمثل فى تحليل ابن سينا للنفس الانسانية وما لها من الحواس الظاهرة والباطنة - شأنه فى ذلك شأن الفارابى -

فالادراك الحسى ما هو الا عملية تمثيل العضو الحاس بموضوعه ف (معنى قولى أحسست الشىء الخارجى أن صورته تمثلت فى حسى).(٢)

ولكن هناك فرق بين هذا التمثيل فى الاحساس،والتمثيل فى التغذية .

فالتمثيل فى الغذاء هو تحول شىء غير شبيه الى شىء شبيه ،أما التمثيل فى الاحساس فهو تحول من شىء شبيه الى شىء غير شبيه ،وكذلك فان التمثيل الغذائى يمتص مادة الطعام نفسها . أما الاحساس فهو عبارة عن قبول صورة بدون مادة ،فعندما نرى النار مثلا تنطبع صورتها فى العين دون مادتها ،ولو انطبعت مادتها فى العين لاحترقت.(٣)

وقد حصر ابن سينا الحواس الباطنة فى كتاب النفس فى ثلاث:-(٤)

أ - الحس المشترك :

الحس المشترك بين الحواس الخمس ، ومن وظائفه ادراك المحسوسات المشتركة كالسكون والعدد والشكل والمقدار بواسطة الحركة العقلية . فنحن ندرك المقدار بحركة اليد وحركة العين تطوف حوله ،غير أن اليد تدركه بواسطة الصلابة ، وتدركه

---

(١) تهافت الفلاسفة للغزالى ص ٢١٢ .
(٢) كتاب النفس لابن سينا ص ٦٢ .
(٣) انظر فلاسفة الاسلام د. فتح الله خليف دار الجامعة المصرية ١٩٧٩ ص ١٠٤
(٤) انظر كتاب النفس ص ١٦٣ .

العين بواسطة اللون . فنحن ندرك المحسوس المشترك بالبصر لا من حيث هو بصر، وباللمس لا من حيث هو لمس ، ولكننا ندرك ذلك بما يسمى بالحس المشترك الذى هو ملكة عامة مشتركة بين الحواس جميعا .

ومن وظائفه أيضا : ادراك المحسوسات بالعرض مثلما ندرك الحلاوة بالبصر (١) فمثلا عندما نرى تفاحة بلون أحمر ، وسبق لنا أن تذوقنا مثلها من قبل ، نحكم عليها قبل أن نتذوقها بأن هذا الأحمر حلو .

(فالحلاوة هنا ، ادركناها بالبصر بمعنى من المعانى ، ولكن نتيجة لخبرة ماضية تذوقنا فيها حلاوة التفاحة ، وأدركنا هذه الحلاوة بالذوق . ولكننا الآن أمام تفاحة مرئية فقط ، ولونها أحمر . ونقول مع ذلك أنها حلوة رغم أننا لم نذقها الآن . فاعتمدنا هنا على الرؤية وحكمنا بأنها حلوة ، وذلك بناء على تجربة ماضية) (٢).

ومن وظائف هذا الحس أيضا : التمييز بين موضوعات الحواس المختلفة كالتمييز بين الأبيض والمالح ، وبين المحسوسات فى كل حس باعتباره جنسا كالتمييز بين الأبيض والأسود والحامض والمالح . وهذه وظيفة لا يمكن أن تقوم بها حاسة معينة من الحواس الخمس لأن لكل موضوعها الخاص .

وقد استدل ابن سينا على وجود هذه القوة مستندا الى بعض المشاهدات البسيطة التى قد لا نعيرها اهتماما كبيرا ، وذلك حينما نرى القطرة النازلة خطا مستقيما والنقطة التى تدور بسرعة خطا مستديرا . فهذا الخط المشاهد لا بد أن يكون له وجود ، فان العدم الصرف لا يكون مشاهدا محسوسا لكنه ليس موجودا فى الخارج على الحقيقة ، فهو اذن موجود فى قوة من قوى الانسان المبصر له ، ومن المؤكد أن البصر ليس محلا له ، لأن البصر لا ترتسم فيه الا صور الأشياء الموجودة فى الخارج

---

(١) انظر كتاب النفس ص ١٦٦

(٢) فلاسفة الاسلام ص ١١٥

وهذا الخط لا وجود له فى الخارج ، وليست النفس كذلك محلا له ،لاستحالة انطباع الصور الجزئية المادية فى النفس، فهى اذن قوة أخرى جسمانية وهى المسماة بالحس المشترك . . وهذه القوة انما بصرت القطرة على شكل الخط لأنها تحصل فيها صورة تلك القطرة عند كونها فى مكان ، ثم قبل زوال تلك الصورة عنها تحصل فيها صورة كونها فى مكان آخر يلى المكان الأول ، واذا اجتمعت الصورتان فى تلك القوة أحسّت تلك القوة بذلك الشىء كالخط)[١].

(واذا تمثلت الصورة فى لوح الحس المشترك صارت مشاهدة وتكون الصورة مرتسمة فيه فى بدء رؤية الأشياء المحسوسة ، وتظل كذلك علة الاحساس بها مع وجود هذه المحسوسات فى الخارج ،وقد يبقى الاحساس بهذه الصورة مع زوال المحسوسات الخارجية ، وقد يحصل الاحساس بهذه الصور وان لم يوجد ما يقابله من المحسوسات الخارجية)[٢].

وهذه الحالة الأخيرة التى يحصل فيها الإحساس على صور لم يوجد ما يقابله فى الخارج من المحسوسات هى التى تفيدنا فى موضوع بحثنا .

وعن انتقاش الحس المشترك بصور لا نسبة لها الى شىء من الموجودات الخارجية مثّل ابن سينا لذلك بحالة (المرضى الذين تغلب على مزاجهم السوداء ، فيرون صورًا ليس لها ما يطابقها من الأشكال الخارجية ولا يمكن أن تكون هذه الصور عدمًا محضا وإلاّ لما رآها وليست كذلك موجودة فى الخارج والا لرآها كل الناس أنها تأتيهم من سبب باطنى هو المخيلة ، أو من سبب مؤثر فيه كالنفس تؤثر فى المخيلة فتؤثر هذه فى الحس المشترك)[٣].

الحاسة الباطنية الثانية هى : المخيلة .

والمخيلة هى ملكة ناتجة عن الاحساس ، وهى بمعنى آخر ادراك المحسوسات بعد غيابها . (٤)

---

(١) ، (٢) الرسالة الالهية دراسة ودفاع ص٢٤٩

(٣) المصدر نفسه ص٢٤٩-٢٥٠ .

(٤) كتاب النفس ص١٧٠-١٧١ .

والاحساس ادارك المحسوسات فى حضورها . أما التخيل فمستقل عن المحسوس لأنه يدركه فى غيابه ،بينما الاحساس متصل بالمحسوس لأنه ادراك مباشر فى حضور المحسوس .

ولا يمكن للمخيلة أن تؤدى وظيفتها عادة الا بعد الادراك الحسى . فالصور الموجودة فى المخيلة تستمد كل عناصرها من الادراك الحسى ، والصور الموجودة فى المخيلة شبيهه بالصور المحسوسة ، لكنها أقل منها حيوية ، كما أنها أقل منها موضوعية . (١)

بعد أن قدمنا الأسس التى عليها يعتمد ابن سينا فى نظريته فى الوحى ورؤية الملك حرى بنا أن نوضح الكيفية التى بها يفسر ابن سينا نظريته .

فى رأى ابن سينا " أن التجربة والبرهان يشهدان بأن النفس الانسانية تستطيع الوقوف على المجهول أثناء النوم فليس ببعيد عليها أن تستكشفه فى حال اليقظة .

فأما التجربة والسماع: فيقرران أن أشخاصا كثيرين تنبئوا بالمستقبل بواسطة أحلامهم .

وأما عقلا : فنحن نسلم بأن الاحداث الماضية والحاضرة والمستقبلة مثبتة فى العالم العلوى ، ومقيدة فى لوح محفوظ ، فاذا استطاعت النفوس البشرية الصعود الى هذا العالم والوقوف على هذا اللوح عرفت ما فيه وتنبأت بالغيب . وهناك أشخاص يدركون هذا أثناء النوم عن طريق مخيلتهم فيحلمون بأشياء كأنها حقائق ملموسة وآخرون عظمت نفوسهم ،وقويت مخيلتهم ، فأدركوا ما فى عالم الغيب فى حالة اليقظة كما يدركونه أثناء النوم . وهؤلاء هم الأنبياء الواصلون الى مرتبة النور والعرفان) .(٢)

---

(١) انظر فلاسفة الاسلام ص ١١٧ .

(٢) فى الفلسفة الاسلامية ص ١٠١

يقول ابن سينا : (التجربة والقياس متطابقان على أن للنفس الانسانية أن تنال من الغيب نيلا ما فى حال المنام ، فلا مانع من أن يقع مثل ذلك النيل فى حال اليقظة الا ما كان الى زواله سبيل ، ولارتفاعه امكان .

أما التجربة فالتسامع والتعارف يشهدان به ، وليس أحد من الناس الا وقد جرب ذلك فى نفسه تجارب ألهمته التصديق . اللهم الا أن يكون أحدهم فاسد المزاج نائم قوى التخيل والتذكر . (١)

وأما القياس فاستبصر فيه من تنبيهات .

تنبيه : قد علمت فيما سلف أن الجزئيات منقوشة فى العالم العقلى نقشا على وجه كلى ، ثم قد نبهت لأن الأجرام السماوية لها نفوس ذوات ادراكات جزئية ، وارادات جزئية تصدر عن رأى جزئى ، ولا مانع لها عن تصور اللوازم الجزئية لحركاتها الجزئية من الكائنات عنهما فى العالم العنصرى .

اشارة : ولنفسك أن تنتقش بنقش ذلك العالم بحسب الاستعداد وزوال الحائل قد علمت ذلك فلا تستنكرن أن يكون بعض الغيب ينتقش فيها من عالمه) . (٢)

هذا الانتقاش انما ينتج اذا قلت الشواغل الحسية أو انعدمت بسبب توقف الحواس الظاهرة عن الادراك الحسى . اذ لا يكون هناك من الصور الحسية ما يشغله ، وبالتالى فانه لا يقدم الى النفس من شغل المخيلة لها . فتخلص بذاتها الى جانب القدس فى فلتات تقتبس منه فيها من الغيب ما تنطبع فى المخيلة .

---

(١) التذكر ملكة وظيفتها ادراك الزمان ، وتتعلق بالماضى ولكنها لا يمكن أن تؤدى وظيفتها بدون التخيل . وليست وظيفة الذاكرة ادراك الصور الحاضرة ، ولكن وظيفتها ادراك الأحاديث الماضية . انظر فلاسفة الاسلام ص ١٢٠ .

(٢) الاشارات والتنبيهات لابن سينا ص ٨٦٦ - ٨٦٨ .

فإذا ما انتقشت النفس بشيء من ذلك الغيب من ذلك العالم الغيبي تقبلته المخيلة لاسيما بعد أن سكنت واستراحت لانفكاكها عن الادراك الحسي ،وقد تتقبل النفس ذلك الانتقاش لاستعمال النفس الناطقة لها في ذلك ،اذ هي تابعة لها تستخدمها استخداما طبيعيا في عملها . فاذا ما انتقشت المخيلة بشيء ما ولم يكن -كما ذكرنا - هناك شاغل للحس المشترك عن تقبل عمل المخيلة فيه ،أو ما يحول بين المخيلة ،وبين ذلك العمل انطبع الحس المشترك بما في المخيلة. (١)

يقول ابن سينا : (اذا قلّت الشواغل الحسية ،وبقيت شواغل أقل لم يبعد أن تكون للنفس فلتات تخلص عن شغل التخيل الى جانب القدس ،فانتقش فيها نقش من الغيب فساح الى عالم التخيل وانتقش في الحس المشترك . وهذا في حال النوم أو في حال مرض ما ،يشغل الحس ويوهن التخيل . فان التخيل قد يوهنه المرض وقد توهنه كثرة الحركة . لتحلل الروح (٢) الذي هو آلته فيسرع الى سكون ما ، وفراغ ما . فتنجذب النفس الى الجانب الأعلى بسهولة . فاذا طرأ على النفس نقش،انزعج التخيل اليه ،وتلقاه أيضا ، وذلك :اما لمنبه من هذا الطائر ،وحركة التخيل بعد استراحته أو وهنه ،فانه سريع الى مثل هذا التنبه . واما لاستخدام النفس الناطقة له طبعا ، فانه معاون للنفس عند أمثال هذه السوانح . فاذا قبله التخيل حال تزحزح الشواغل عنه انتقش في لوح الحس المشترك) .(٣)

فالصور التي تظهر للنائم في نومه عند ما يهبط الادراك الحسي ،بعضها تكون خادعة له ،وبعضها الآخر تكون رؤيا صادقة ،وذلك عند ما تعتاد النفس الصدق وتقهر التخيل الكاذب فتتفتح لها الرؤيا الصادقة .

---

(١) انظر الرسالة الالهية ص ٢٥٢-٢٥٣

(٢) يعني الروح المنصب في وسط الدماغ بسبب كثرة الحركة الفكرية . واذا وهن التخيل سكن ، فتفرغ النفس عنه واتصل بعالم القدس بسهولة .
انظر المصدر السابق والصفحة نفسها .

(٣) الاشارات والتنبيهات ج ٣ القسمان ٣ ، ٤ دار المعارف بمصر ص ٨٧٨-٨٨٠

ومن الناس من يرى مثل هذه الرؤيا الصادقة وهو فى حال اليقظة ،وذلك اذا كان يتمتع بقدرة فائقة من التخيل ، وهذه درجة من درجات النبوة عند ابن سينا ، اذ يقول : (وقد يتفق فى بعض الناس أن تُخلق فيه القوة المتخيلة شديدة جدا غالبة حتى أنها لا تستولى عليها الحواس،ولا تعصيها المصوّرة . وتكون النفس أيضا قوية لا يبطل التفاتها الى العقل ، وما قبل العقل ، انصبابها الى الحواس . فهؤلاء يكون لهم فى اليقظة ما يكون لغيرهم فى المنام من الحالة التى سنخبر عنها بعد ، وهى حالة ادراك النائم مغيبات يتحققها بحالها أو بأمثلة تكون لها . فان هؤلاء قد يعرض لهم مثلها فى اليقظة ، وكثيرا ما يكون لهم فى توسط أن يَغِيبوا آخر الأمر عن المحسوسات ،ويصيبهم كالاغماء ، وكثيرا ما لا يكون ،وكثيرا ما يرون الشىء بحالة ، وكثيرا ما يتخيل لهم مثاله للسبب الذى يتخيل للنائم مثال مايراه ، . . وكثيرا ما يتخيل لهم شبح ، ويتخيلون أن ما يدركونه خطاب من ذلك الشبح بالفاظ مسموعة تحفظ وتتلى . وهذه هى النبوة الخاصة بالقوة المتخيلة . وهىناك نبوات أخرى . . .) (١)

فالملك الذى يأتى بالوحى للأنبياء عند ابن سينا ما هو الا شبح متخيل لا وجود له فى عالم الحس الظاهر . فالذى يراه الأنبياء من الأشباح عند ابن سينا كالذى يراه المرضى والممرورون حين يشاهدون صورا ظاهرة حاضرة ،دون أن تكون لها أية صلة باحساساتهم الخارجة .(٢)

والوصول لهذا الغيب ومشاهدة الأشباح يتم بحسب المزاج الأصلى ،أو بمعنى آخر بحسب الفطرة التى ركبها الله فى الواصل ،أوعن طريق الكسب، وتحصيل العلوم .

يقول ابن سينا : (وهذه القوة ربما كانت للنفس بحسب المزاج . وقد تحصل بضرب من الكسب يجعل النفس كالمجردة لشدة الذكاء كما حصل لأولياء الله الأبرار . والذى يقع له هذا فى جبلة النفس ثم يكون خيّراً رشيداً مزكّيا لنفسه ،فهو ذو معجزة من

---

(١) النفس لابن سينا ص ١٧٣

(٢) انظر الاشارات والتنبيهات ج٤ ص ٨٨٠-٨٨١

الأنبياء ، أو كرامة من الأولياء ،وكلما زكى المرء نفسه ،رقى في هذا الباب وزاد على مقتضى جبلته الى أن يبلغ المبلغ الأقصى) • (١)

(فالنبوة اذا عنده فطرية لا مكتسبة ،وكل ما للكسب فيها من يد أنه يزيد النبى كمالا على كماله ورفعة فوق رفعته ،واذا ما حظى شخص بالاتصال بالعالم العلوى تمت على يديه أمور خارقة للعادة من معجزات وكرامات . وهذه الأمور وان غاب عنا سرها يمكن أن تفسر من هذا الطريق النفسي الروحاني) • (٢)

ونختم حديثنا عن نظرية الوحي عند ابن سينا : بأن الوحي والالهام والحلم الصريح عنده ما هو الا نتيجة اتصال هذه النفوس الانسانية بعقول الأفلاك ونفوسها . وكلها فيض من الملأ الأعلى ،ولا فرق بينها عنده . ولكن في تعبيره عن الوحي والالهام بلفظين مختلفين ما يشعر بأنه يجعل الوحي خاصا بالأنبياء ، والالهام خاصا بالأولياء .

واليك عبارته في هذا : يقول ابن سينا : (فما كان من الأثر الذى فيه الكلام ، مضبوطا في الذكر: في حال يقظة ، أو نوم ،ضبطا مستقرا كان الهاما أو وحيا صراحا ، أو حلما لا يحتاج الى تأويل أو تعبير ، وما كان قد بطل هو وبقيت محكياته ، وتواليه ،احتاج الى أحدهما ـ وذلك يختلف بحسب الأشخاص ،والأوقات ،والعادات : الوحي الى تأويل ،والحلم الى تعبير) • (٣)

---

(١) الاشارات والتنبيهات ص ٢٢٠

(٢) في الفلسفة الاسلامية منهج وتطبيقه ص ١٠٢ •

(٣) الاشارات والتنبيهات ج ٣ ص ٨٨٦-٨٨٧ •

٣ـ ابطال نظريتى الفارابى وابن سينا فى الـوحــــــــى

بعد هذا العرض الذى قدمناه لـنظريتى الفارابى وابن سينا فى تفسير الوحــــى وماتنبنيان عليه من أسس يتضح لنا مدى التشابه بينهما فى ذلك مع وجود بعض الفروق البسيطة ، ولهذا رأينا فى الرد عليهما وابطال مذهبهما الجمع بينهما فى مبحـــــث واحد .

١) ابطال الجانب الميتافيزيقى من النظريتين :

الأساس الميتافيزيقى الذى استند عليه الفارابى وابن سينا فى تفسيرهم للوحى : هو القول بعقول ونفوس فلكية محدودة بعدد معين ، فائضة عن الله بطريق الصدور قديمة بقدمه . وهذه العقول والنفوس الفلكية كما أنها الواسطة فى صدور الكون عــن الله فهى كذلك مصدر الوحى الى النبى على نحو ما فصلنا القول فى ذلك سابقا .

هذا الأساس الذى يـعول عليه الفارابى وابن سينا فى نظريتيهما نراه لا يقـــوم على أساس علمى صحيح .

فالقول بالعقول والنفوس الفلكية أثر من آثار الفلسفة اليونانية ، وليس وليد تحقيق علمى .

فاليونانيون كانوا يعبدون الكواكب ويجلّونها ويعتقدون بوجود عقول فلكية تدبر أمرها ينسبون اليها كل ما يدور فى عالمنا هذا من تأثيرات وتحولات ، لكنهم لم يُعْنوا بربط هذه الموجودات المتحركة من العقول والنفوس فى نشأتها ووجودهــا ، وترتيبها واتجاهاتها بموجود أول ،أو بـ(علة أولى) ، كما فعل الفارابى وابن سينا مــن بعد .

فأصل الفكرة أصل وثنى ، وان حاول الفارابى وابن سينا تحويرها ،وصقلها بمــا يخفف من مظاهر الوثنية فيها ، فربطوها (بموجود أول)أو(بعلةأولى) وذلك ابرازا منهم لقوة واحدة مدبرة كلية فى الكون كله ، هى الأولى فيه ، واليها وحدها يرجـــع وجود الموجودات (١)

(١) انظر الجانب الالهى من التفكير الاسلامى . د . محمد البهى ، الطبعة الرابعة ، دار الكتاب العربى ١٩٦٧م ج ٢ ص ١٨٥ .

فليست فكرة العقول والنفوس عند الفارابى وابن سينا فكرة قائمة على أسس علمية أو مستندة الى وجود واقعى ،وانما هى فى المقام الأول تأثير بنزعات وثنية فلسفية سابقة .

ثم ان هذا الأساس الميتافيزيقى مبنى على ما انتهى إليه الرصد القديم خاصة فى القرن الثانى لميلاد المسيح حيث ظهر العالم اليونانى الأشهر (بطليموس) الذى جمع أكثر ما كان يعلمه القدماء فى علم الفلك وخرج بمسائل فلكية عرفت (بالرأى البطليموسى) ، والذى مؤداه أن الأرض هى مركز الخليقة ،وأن هناك تسعة أفلاك (١) هى : الشمس، والأرض، وعطارد ، والزهرة ، والمريخ ،والمشترى ، وزحل ، وفلك النجوم وفلك القمر (٢) الذى هو أقرب الأفلاك الى الأرض من هذه الأفلاك التسعة .

هذه المعلومات والنظريات الفلكية التى توصل لها (بطليموس) ومن سبقه ، ونقلها عنهم الفلاسفة الإسلاميين واعتمروها فى تأويلاتهم وتفسيراتهم الخاطئة للظواهر الغيبية وغيرها . قد أتى عليها الدهر ، وأتت عليها النظريات العلمية فى عصر النهضة العلمية الحديثة اسقاطا وتجهيلا .

لقد ظلت فكرة أن الأرض هى مركز النظام الشمسى لقرون عديدة الى أن أثبت (كوبر نيكوس) أن الأرض ليست مركزا للنظام الشمسى ، وانما الشمس هى مركز النظام الكونى فاستطاع بذلك زلزلة مفاهيم خاطئة كانت قد تربعت فى النفوس قرونا طويلة مع غيرها من الخرافات والأوهام التى تراكمت جيلا بعد جيل .

وهذا الذى حدث انما كان بفضل الله ثم تقدم العلم والاختراعات الحديثة . (وفى بداية القرن السابع عشر الميلادى (٣) استطاع غاليليو أن يستغل اختراعا لأحد الهولنديين : (وهو المنظار المقرب) التلسكوب فى دراسة الأجرام السماوية .... استطاع بواسطته أن يرى القمر وكأنه على بعد (٧٥٠) ميلا سبعمائة وخمسين ميلا فقط.

---

(١) تهافت الفلاسفة للقاضى أبى الوليد محمد بن رشد تحقيق د . سليمان دنيا دار المعارف بمصر القسم الأول ص ٣٠٦-٣٠٧

(٢) انظر القاموس الفلكى تأليف منصور حنا جرداق ص ٤ .

(٣) الشمس فى حياة الانسان د . طه عثمان الفرا - والاستاذ محمد محمود محمد دين مكتبة دار العلوم ص ١٣

وبتقدم العلم صار القمر يرى وكأن بعده لا يزيد على خمسة وعشرين ميلا ،وذلك بفضل اكتشاف منظار جديد يسمى بمرصد (بالومار) فى ولاية كاليفورنيا بالولايات المتحدة الامريكية ،والذى يعد أكبر تلسكوب فى العالم اذ يصل قطر عدسته الى مائتين بوصة .

وقد فتحت هذه الأجهزة والوسائل نوافذ كثيرة يطل منها البشر على الكون ، ولكنهم رغم ذلك لا يرون الا فى حدود مقدرة أجهزتهم التى كلما تطورت بدا بها اتساع الكون بصورة تبدو لا نهائية . وهكذا يدرك الانسان المؤمن قول الله سبحانه وتعالى: (فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ ،وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ)[١]

فبفضل هذه الاكتشافات أيضا خرجت الشمس من عداد الكواكب السيارة ، وأصبحت مركزا تدور حوله، تلك الكواكب، ولم يعد القمر كذلك كوكبا سيارا كزحل والمشترى ، ولكنه تابع من توابع الأرض يدور حولها ،كما تدور أقمار الكواكب الأخرى حولها .

وزادت كذلك الكواكب السيارة زيادة على ما عرفه الاغريق الذين أخذ عنهم الفارابى ومن بعده ابن سينا ، حيث اكتشف حديثا بعض الكواكب مثل : أورانوس ، ونبتون ،وبلوتو[٢] الذى يبعد عن الأرض حوالى سبعين وستمائة وثلاثة مليون ميل[٣]

واكتشفت كذلك أجرام خافتة وصغيرة فى النظام الشمسى لكنها أقل انتظاما فى حركتها من حركة المجموعة الشمسية ، وذلك مثل الكوكبات[٤] التى يقرب عددها من ألفين ،تدور فى مدارات خاصة ،وفى مجال معين . وكذلك المذنبات[٥] (Comets) وهى داخل المجموعة بمئات الألوف .

---

(١) سورة الواقعة الآيتان ٧٥-٧٦ .

(٢) انظر الجغرافيا الفلكية أنور عبد الغنى العقاد ، دار المريخ السعودية - الرياض ص ٤٧ .

(٣) انظر الجغرافيا الفلكية دارسة فى المقومات العامة ، شفيق عبد الرحمن على ،دار الفكر العربى ص ٩٣

(٤) الكوكبات: أجسام كونية ذات أشكال غير منتظمة تدور فى مدار عريض لها حول الشمس يصل اتساعه الى ٢٤ مليون كيلو متر ينتشر الى دار مدار المشترى كما يصل حتى يقترب من مدار الارض حول الشمس انظر الجغرافيا الفلكية لانور عبد الغنى ص ٧٧

(٥) المذنبات: أجسام كونية بأحجام مختلفة تمر مداراتها عبر مدارات المجموعة =

علاوة على أن الأقمار الصناعية التى صنعها الإنسان وأطلقها فى القرن الخامس عشر الهجرى الذى نعيشه فى مدارات محسوبة ومحددة حول الأرض،أو حول أحد الكواكب،أو حول الشمس ذاتها يمكن اعتبارها من المجموعة الشمسية التى تم اكتشافها حديثا . (١)

وقد ثبت أيضا أن كوكب الزهرة يتحرك بحركة معاكسة لحركة الكواكب الأخرى ، وكذلك توابع (أقمار) المشترى الأربعة الخارجية . وقد جعلت هذه الاكتشافات جميع النظريات القديمة تقف فى قفص الاتهام ، مما حدا بالعديد من العلماء التنديد بقصور النظريات القديمة عن تفسير النظام الشمسى المعقد.(٢)

نخرج مما نقلنا من نظريات علم الفلك الحديث التى كشفت لنا حقائق كانت غامضة غائبة عن أذهان واضعى نظريات العقول والنفوس. بفضل ما توصل العلم اليه من اكتشافات ،نخرج منها بأن ادعاء قدم عقول عشرة ونفوس تسع مرتبطة بعدد معين من الأفلاك كان يظن أنها تشكل النظام الكونى وسلسلة الفيض الالهى ان ذلك كله لا يقوم على أساس علمى صحيح ،فقد كشف العلم - كما بينا - أن الكواكب التى كانت معروفة لديهم ،والتى اعتمدوا عليها فى حصرهم للقدماء من العقول والنفوس لا تنحصر فى الرقم الذى حددوه ،فعلى حسب منطقهم ،فان هذه الكواكب التى اكتشفت حديثا اما ان تكون موجودة فى وقت وضعهم لنظرياتهم!! أو لا . فاذا كانت الاولى فيكون استقراؤهم للموجودات من الكواكب استقراء غير تام ، وبالتالى أحكامهم غير صحيحة .

واما اذا كانت الثانية ـ أى اذا لم تكن هذه الكواكب التى اكتشفت حديثا والتى انضمت للمجموعة الشمسية - لم تكون موجودة فى ذلك الوقت ،ووجدت بعد قرون ،وكان من قبل قد انتهى الفيض من العقل العاشر الى الأنبياء ، والى الفلاسفة الحكماء فأما أن تكون عقول ونفوس هذه الكواكب المكتشفة حديثا قديمة أو حادثة؟ لا جائزة أن تكون قديمة لأن قيام القديم بالحادث محال .

= الشمسية . والمدارات التى تسبح فيها هذه المذنبات بيضوية الشكل شأنها فى ذلك شأن مدارات المجموعة الشمسية تقع الشمس فى احدى بؤرتها. الجغرافيا الفلكية أنور عبد الغنى ص ٨٩

(١) انظر الجغرافيا الفلكية دارسة فى المقومات العامة ص ٩٢-٩٣ .

(٢) انظر الجغرافيا الفلكية لانور عبد الغنى ص ٣٠ .

واذا كانت هذه العقول والنفوس حادثة ،كان ما قبله من العقول والنفوس التى يزعمون قدمها حادثة كذلك .

ثم ان قضية ارتفاع النفوس القوية والعقول الذكية من الفلاسفة الحكماء الى العقل الفعال ،الذى هو عقل فلك القمر قد أضحت هذه النظرية متعرية تماما عن الحقيقة خاصة بعد أن تمكن الانسان بفضل العلم والمخترعات الحديثة من الوصول الى سطح القمر بذاته وكيانه ، بروحه وجسده وعاد منها سليما ،وقد حمل الى كوكبنا الأرض معلومات جديدة عن القمر ،هوائه ،وجاذبيته وتضاريسه ،بل وبعض أجزائه. رغم أن أصحاب هذه النظرية كانوا يعتبرون هذه الأفلاك مخلوقات نورانية لا يمكن الوصول اليها بالجسد ولكن بالروح فقط . ويعللون ذلك بأن التقاء الروح بالروح أليق .

أما دعواهم بأن عقول هذه الأفلاك ونفوسها المزعومة تعقل ،وأنها ترى وتسمع فهى دعوى باطلة مردودة لأنها لا تستند الى برهان ،وكل ما كان كذلك فهو مردود عند كل طائفة بأول العقل . فليست هى أصح من دعوى أخرى تضادها وتعارضها .

يقول ابن حزم الظاهرى فى كتابه الفصل : (وبرهان صحة الحكم أن الفلك والنجوم لا تعقل أصلا ،هو أن حركتها أبدًا على رتبة واحدة ،لا تتبدل عنها ، وهذه صفة الجماد المدبر الذى لا اختيار له).(١)

ولعل بعضهم يقول : لما كنا نحن نعقل وكانت هذه الافلاك تدبرنا ،كانت عاقلة وكانت أولى بالعقل والحياة منا .

لكن عزوهم الحوادث السفلية ، والتغيرات التى تحدث فى جوف فلك القمر الى الكواكب المتحركة بحركات الأفلاك وذلك لدوران ما يحدث فى عالمنا هذا وجودا وعدما مع مواضع الكواكب فى البروج ، وأوضاع الكواكب بعضها الى بعض ،والى السفليات ،

---

(١) الفصل فى الملل والاهواء والنحل لعلى بن أحمد بن حزم الظاهرى _ دار المعرفة بيروت ج٥ ص ٣٦

وأظهرها ما نشا هده من اختلاف فى الفصول الأربعة حرارة وبرودة ،واعتدالا بواسطة قرب الشمس،أو بعدها ،أو توسطها ،هذا العزو باطل .

فقد يرد عليه اعتراض هو :

(ان مجرد الدوران لا يفيد العلية ، فقد يقترت شيئان وجودا وعدما ، دون أن يكون أحدهما مؤثرا فى الآخر ،وعلة فيه . ومع هذا كيف يقولون بالعلية مع تحقق التخلف كما فى التوأمين أحدهما فى غاية السعادة ،والآخر فى غاية الشقاوة ولا يمكن أن يحال هذا الاختلاف على ما بينهما من التفاوتفى وقت الولادة لأن التفاوت بقدر درجة واحدة لا يوجب تغير الأحكام باتفاق المنجمين) .(١)

ومهما يكن من أمر فان التأثير المناخى تأثير عام ،ولا يبلغ مداه جميع مظاهر حياتنا ،ثم ان لإرادة الانسان وعقليته الكبيرة التى ميزه اللهسبحانه وتعالى بها دور كبير فى اختيار مظاهر الحياة العملية التى تروق له ،فمن الجهل والخطأ بمكان القول بتحكم الأوضاع الفلكية فى أقدار الناس .

وحتى لو افترضنا جدلا أن لهذه الأجرام تأثيرا بحركاتها فى أحداث الكون وتغيراته ،فليس لها من العلم المحيط ما يسّوغ لهؤلاء القول بأنهامصدر الوحى ،ومنبع العلم بالغيب لنفوس الأنبياء اذا اتصلت بها . (٢)

أما ادعاؤهم بأن من يدبرنا يكون أحق بالعقل والحياة منا فباطل أيضا : لأن التدبير قد يكون اختياريا ، وقد يكون طبيعيا- فلو صح أنها تدبرنا لكان تدبيرها لنا تدبيرا طبيعيا كتدبر الغذاء لنا ، وكتدبير الهواء والماء لنا ،وكل ذلك ليس حيا ولا عاقلا بالمشاهدة . (٣)

---

(١) مذكرة فى العقيدة للشيخ كما نجا باب القدرة ص ٤٣

(٢) انظر الرسالة الالهية د . عثمان عبد المنعم يوسف ص ٢٧١

(٣) انظر الفصل لابن حزم الظاهرى ص ٣٦-٣٧

فصدور العقول عن الله بطريق الفيض والذى يبنى الفلاسفة عليه رأيهم فى حل مشكلة صدور الكثرة عن الواحد ليس فكرة صحيحة فى ذاتها لأن الصدور الايجابى الذى يقولون به باطل لضرورة الاختيار الالهى كأمر يقتضيه كمال الله ، ولأنه لو صدر عن الله - كما يدعون - عقل ما ، صدورا ايجابيا ، لكان ما صدر صورة مطابقة له كما تقتضى السببية الطبيعية ، عدم وجود اختلاف بين كل شيئين أحدهما امتداد طبيعى للآخر.

ومهما سعوا من أجل تقريب هذه النقطة الى الأذهان سيبقى هذا التقريب غير مُجدٍ فى حل ما أريد حله من الصعوبات الفلسفية . وستبقى الشقة بعيدة ما داموا لم يجدوا حلا لهذه الأسئلة :-

أين كانت هذه الأشياء الفائضة عن الله ؟ هل كانت مستكنة فى ذاته مع مغايرتها له ، أم كانت جزءا منه؟ وكلا الاحتمالين يؤدى الى نفى البساطة عنه ، وكيف تجعل تعقل العقل الأول لنفسه من حيث هى ممكنة سببا فى أن يفيض عنه جسم الفلك؟ وكيف يفيض الشيء بما ليس فيه ؟ وكيف تجعل المادة والصورة من مراتب الفيض العقلية ، وهى مع ذلك أجزاء للوجود الطبيعى ؟ وكيف نقول ان الله يفيض صورة الكائن الحادث اذا استكملت المادةُ القابلية ، أليس يستلزم ذلك تغيرا منه وهو ثابت ؟ ثم ان القول بالفيض ينتهى الى القول بوحدة الوجود ، وعدم الفرق بين الخالق والمخلوق) (١)

والواقع ان هذه الكواكب السيارة والنجوم التى جعلها الفلاسفة عاقلة مدبرة لنا ، انما أنعم الله بها علينا بمعرفة أفلاكها ، ومطالعها ، وأبعادها ، وارتفاعاتها واختلاف مراكز أفلاكها ، وما ينتج عن هذه المعرفة من معرفة رؤية الأهلة لفرض الصوم والفطر ، ومعرفة الكسوفين ، الى غير ذلك كما جاء فى القرآن الكريم كقوله تعالى :

---

(١) ابن سينا بين الدين والفلسفة - حمودة غرابة ص ١٩٧ ، نقلاً عن الرسالة الإلهية للدكتور عثمان عبد المنعم يوسف ج ١ ص ٥٦٨ .

(وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ) (١) وقال تعالى : (وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِتَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلًا) (٢).

كل ذلك يقودنا الى عظيم قدرته تعالى وبالتالى الى الايمان به ،فمن الضلال المبين أن نصرف هذا التدبير للأفلاك ونجعلها عاقلة مميزة فاعلة مدبرة .

أما الأفعال المباشرة لحياتنا ،وحسنا والتى يظن المتقولون أن ذلك من فيض العقل الفعال ،وتأثيره على كوكب الأرض ، تأثير الخالق فى مخلوقه كتأثير القمر فى قتل الدابة الدّبِرَة اذا لاقى الدّبَرَة ضوءه ،وكتأثيره على القرع والقثاء فى نموها ،وكتأثيرة على الدماغ والدم والشعر ،وكتأثير الشمس فى عكس الحر وتصعيد الرطوبة . . . الخ .

كل ذلك لا يخرج عن خلق الله ، وحسن تدبيره للكون وهذا من باب الأسباب والمسببات لقوله تعالى : (قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا) (٣).

وصدق الله العظيم إذْ يقول عما جعله بين الماء والحياة من سببية : (وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا ،فَسُقْنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ النُّشُورُ) (٤). ويقول : (رِزْقًا لِلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا كَذَلِكَ الْخُرُوجُ) (٥) ويقول (وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ، حَتَّى إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ) (٦)

فليس لما تدعيه الفلاسفة من الوساطة بين الله والعالم والتى تجعل فى النهاية للأفلاك والكواكب أثرا فى نفوس الأنبياء بالوحى والالهام ، ليس لهذا وجه من الصواب.

---

(١) سورة يس الآيتان ٣٩ ، ٤٠
(٢) سورة الاسراء الاية ١٢
(٣) سورة الطلاق الآية ٣
(٤) سورة فاطر الآية ٩
(٥) سورة ق الآية ١١
(٦) سورة الأعراف الآية ٥٧ .

فالدين ليس في حاجة الى هذه الوساطة، وما ذهبوا اليه ناشئ عما تأثروا به من الفكر الوثني القديم حول وجود هذه الكواكب وتأثيرها كما شرحنا ذلك من قبل.

واذا كان القول بفيض الوحي من عقول الأفلاك ونفوسها على الأنبياء مبنى على أساس من القول بفيض هذه العقول والنفوس وصدورها عن الله بطريق الايجاب فهو قول باطل لبطلان الأساس الذي يقوم عليه، ذلك أن كل ما في هذا الكون ما ظهر منه وما بطن، الماديات منه والمجردات، كل ذلك يرجع الى الخلق الالهي المباشر، فكل مخلوق هو لله سبحانه وتعالى عن قصد واختيار، فلا فيض لشيء عن الله، وليس هناك علم محيط بكل شيء الا علم الله سبحانه وتعالى.

والقول الذي أتى به الفارابي وابن سينا ومن قبلهما فلاسفة اليونان، وهو قولهم، بأن الواحد لا يصدر عنه، ويتولد عنه الا واحد، والرب واحد فلا يصدر عنه الا واحد يتولد عنه. هذا القول باطل لأن الله سبحانه وتعالى أتى بالحق وأحسن تفسيرا، وبين في محكم التنزيل أنه هو مالك الملك لم يتولد عنه شيء، ولم يصدر عنه شيء، ولكنه خلق كل شيء خلقا، وأنه خلق من كل شيء زوجين اثنين، ولهذا قال مجاهد كما يذكر الامام ابن تيمية في فتاواه (1)، وذكره البخاري في صحيحه (2) في الشفع والوتر: (كل شيء خلقه فهو شفع، والسماء شفع والوتر: الله تبارك وتعالى) يقول الحق عز وجل: (أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُ صَاحِبَةٌ (3)) وقال تعالى في ذلك أيضا: (لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ) (4).

يقول الامام ابن تيمية رحمه الله: (فنفيه سبحانه وتعالى عن نفسه أن يلد شيئا اقتضى أن لا يتولد عنه شيء. ونفيه أن يتخذ ولدا يقتضي أنه لم يفعل ذلك

---

(1) مجموع الفتاوى لابن تيميه ج ٤ ص ١٣٠ .
(2) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب التفسير، السورة ٨٩ سورة الفجر ج ٨ .
وقد ذكر ابن حجر أن هذا الأثر قد ذكر في باب بدء الخلق بأتم من هذا، انظر المصدر نفسه والصفحة.
(3) سورة الأنعام الاية ١٠١
(4) سورة الاخلاص الآيات من ٣-٤

بشيء من خلقه على سبيل التكريم ،وأن العباد لا يصلح أن يتخذ شيئا منهم بمنزلة الولد ، وهذا يبطل - أيضا - دعوى من يدعى مثل ذلك في المسيح وغيره ،ومن يقول: (نحن أبناء الله) ومن يقول : (الفلسفة هى التشبيه بالاله) . فان الولد يكون من جنس والده ويكون نظيرا له ،وان كان فرعا له . ولهذا كان هؤلاء القائلون بهذه المعاني من أعظم الخلق قولا بالتشبيه والتمثيل ،وجعل الأنداد له ،والعدل والتسوية ولهذا كانت الفلاسفة الذين يقولون بصدور العقول والنفوس عنه على وجه التولد والتعليل يجعلونها له أندادا ويتخذونها آلهة أربابا ،بل قد لا يعبدون الا اياها ،ولا يدعون سواها ،ويجعلونها هى المبدعة لما سواها مما تحتها .

فالحمد لله الذى لم يتخذ ولدا ،ولم يكن له شريك فى الملك : (تَبَارَكَ الَّذِى نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ،الَّذِى لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا ،وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِى الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا)(1) (2)

والاشكال الوارد - فى نظرهم - من صدور الكثرة عن الواحد قد أجاب عنه الرسول الخاتم عليه أفضل الصلاة والسلام . ففى الحديث الطويل عن دِلْهم بن الأسود عن عمه لُقيط بن عامر أنه خرج وافدا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه صاحب له يقال له نُهيك بن عاصم بن مالك بن المنتفق ،قال لقيط فى حديث طويل : (فقلت : يا رسول الله كيف يجمعنا بعد ما تمزقنا الرياح والبلى والسباع؟ قال : أنبئك بمثل ذلك فى آلاء الله ،الأرض أشرفت عليها وهى فى مَدَرة بالية ، فقلت لا تحيا أبدا ،ثم أرسل ربك عز وجل عليها السماء ،فلم تلبث عليك الا أياما حتى أشرفت عليها ،وهى شربة واحدة ولعمر الهك لهو أقدر على أن يجمعهم من الماء على أن يجمع نبات الأرض فيخرجون من الاصواء ومن مصارعكم فتنظرون اليه وينظر اليكم . قال : قلت : يا رسول الله

---

(1) سورة الفرقان الآيتان ١-٢

(2) مجموع الفتاوى ج ٤ ص ١٣٤-١٣٥ .

وكيف نحن ملء الارض وهو شخص واحد ننظر إليه وينظر إلينا ؟ قال : أنبئك بمثل ذلك في آلاء الله عز وجل الشمس، والقمر، آية منه صغيرة ترونها وتريانكم ساعة واحدة ولا تضارون في رؤيتها . . .) (١)

فالفلاسفة ومنهم الفارابي وابن سينا قد أخطأوا طريق القياس في العلة والتولد حين زعموا أن هذه العقول والنفوس معلولة عن الله تعالى صادرة عن ذاته صدور المعلول عن علته (٢). وهذا قول باطل لأن مؤداه تولد هذه العقول عن الله وان الله ولد الملائكة الى غير ذلك مما نزه الله عنه نفسه ، وكذب قائله ، وبين كذبه بقوله : (لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ) وبقوله تعالى (أَلَا إِنَّهُم مِّنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ وَلَدَ اللَّهُ ، وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ اصْطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ ، مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ؟ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ؟ أَمْ لَكُمْ سُلْطَانٌ مُّبِينٌ ؟ فَأْتُوا بِكِتَابِكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ) (٣) وبقوله تعالى : (وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَصِفُونَ) (٤) وقال تعالى : (وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَٰنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ ، يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ) (٥).

أما ما ذهب اليه الفارابي وابن سينا ، ومن سبقهما من الفلاسفة في مسألة النفوس الفلكية والعقول العشرة فلم ينطبق به كتاب ولا سنة ، وأدلة المتفلسفة العقلية - كما قدمنا - عليه ضعيفة .

---

(١) مسند الامام احمد ج ٤ ص ١٣ . والمَدَرة : واحدة المَدَر ، والعرب تسمي القرية مَدَرة . والمَمْدَرة : الموضع ، انظر الصحاح للجوهري ج ٢ فصل الميم باب الراء مادة مدر . والاصواء : الصُوى : الأعلام من الحجارة ، الواحدة : صُوَّة ، ومنه قيل للقبور أصواء . انظر الصحاح ج ٦ فصل الصاد باب الياء مادة : صوى .

(٢) للمزيد انظر مجموع الفتاوى ج ٤ ص ١٢٧ .

(٣) سورة الصافات ١٥١ - ١٥٧

(٤) سورة الانعام ١٠٠

(٥) سورة الانبياء الآيات ٢٦ - ٢٨

أما ما احتجوا به على أن أول ما فاض عن الله هو العقل الأول، وهو حديث: (أول ما خلق الله العقل، قال له: أقبل فأقبل، ثم قال له: أدبر فأدبر، فقال: وعزتي ما خلقت خلقا أكرم عليّ منك، فيك آخذ، وبك أعطي، وبك الثواب وعليك العقاب)(١)

أما ما احتجوا به من هذا الحديث على قولهم بفيض العقل الأول عن الله فقد قال الامام ابن تيمية: (هذا الحديث كذب موضوع على النبي صلى الله عليه وسلم كما ذكر ذلك أهل العلم بالحديث، كأبي جعفر العقيلي، وأبي حاتم ابن حبان البُستي، وأبي الحسن الدارقطني، وأبي الفرج ابن الجوزي وغيرهم.

ثم لو كان صحيحا حجة، على نقيض مطلوبهم، فانه قال: (أول ما خلق الله العقل) بنصب (أوَّل) وفي لفظ: (لما خلق الله العقل قال له). فلفظه يقتضي أنه خاطبه في أول ما خلقه فحرفوا لفظه وقالوا: (أوّلُ) ما خلق الله العقل بالضم، وليس هذا لفظه، ولكن لفظه يقتضي أنه خاطبه في أول أوقات خلقه، ولهذا قال: (ما خلقت خلقا أكرم عليّ منك، وهذا يقتضي أنه خلق قبله غيره.

وعندهم أن العقل هو أول المبدَعات يمتنع أن يتقدمه شيء، مع أنه وسائر العقول والأفلاك - عندهم - قديمة أزلية لم تزل ولا تزال).(٢)

أما زعم الفارابي وابن سينا ومن نحا نحوهما من أن الملائكة ليسوا الا مجرد عقول عملها التعقل فقط فباطل لما قدمنا من أدلة في هذا الشأن من أن الملائكة عباد مكرمون، أسندت إليهم الأعمال الكونية الكثيرة، ولهم القدرة على التشكل الى غير ذلك

---

(١) هذا الحديث أورده عنهم الامام ابن تيمية في الجواب الصحيح ج٣ ص ٢١٨، وأورده ابن القيم في المنار المنيف في الصحيح والضعيف. وذكر ابن القيم أن أحاديث العقل كلها كذب، كحديث: (لكل شيء معدن، ومعدن التقوى قلوب العاقلين). وحديث (ان الرجل ليكون من أهل الصلاة والجهاد وما يُجزى الا على قدر عقله).
قال الخطيب البغدادي: حدثنا الصوري قال: سمعت الحافظ عبد الغني بن سعيد يقول: قال الدارقطني: ان كتاب العقل وضعه أربعة: أولهم ميسرة بن عبد ربه، ثم سرقه منه داود بن المُحَبَّر، فركبه بأسانيد غير أسانيد ميسرة، وسرقه عبد العزيز بن بن أبي الرجاء، فركبه بأسانيد أخر ثم سرقه سليمان بن عيسى السِّجزي فأتى بأسانيد أخر. وقال أبو الفتح الازدي: لا يصح في العقل حديث، قاله أبو جعفر العقيلي، وأبو حاتم بن حبان - والله أعلم. انظر المنار المنيف في الصحيح والضعيف لابن القيم تحقيق عبد الفتاح ابو غدة مكتب المطبوعات الاسلامية بحلب ص٦٦-٦٧
(٢) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ج٣ ص ٢١٨

مما جاء فى الكتاب والسنة كما سبق أن فصلنا القول فـى ذلك فى الباب الأول.[1]

يقول الامام ابن تيمية : (فمن جعلهم - أى الملائكة - عشرة ،أو تسعة عشر ، أو زعم أن التسعة عشر فى سقر ،هم العقول والنفوس، فهذا من جهله بما جاء عن الله ورسوله وضلاله فى ذلك بيّن اذ لم تتفق الأسماء فى صفة المسمى ،ولا فى قدره كما تكون الألفاظ المترادفة ،وانما اتفقت المسميات فى كون كل منهما روحا متعلقـــــا بالسموات).[2]

فما أثبته الفلاسفة للملائكة من التعقل هو بعض صفاتهم ،وهو بالنسبة لهـــم ، ولصفاتهم وأقدارهم وأعدادهم فى غاية القلة .

فمن المعلوم أن الملائكة لهم من العلوم ،والأحوال والارادات والأعمـال ما لا يحصيه الا ذو الجلال .

---

(١) انظـر ص ١٩٠ من هذه الرسالة وما بعدها .

(٢) مجموع الفتاوى لشيخ الاسلام ابن تيمية ج ٤ ص ١٢٠ وما بعدها .

٢) ابطال الجانب النفسي من النظريتين :

الأساس النفسي لنظريتي الفارابي وابن سينا في الوحي - كما قدمنا - يعتمد في الارتقاء على قوة النفس وصفائها ، وهذه النفس عندما تتصل عند النوم بالعقول الفلكية التي تنطوي على العلم بالموجودات ينطبع في النفس ما في تلك العقول من حقائق الوجود وأموره الغيبية ثم يأتي دور المخيلة فتركب صورا مناسبة لما ينطبع فيها من الحقائق والمعاني ، ثم تنحدر تلك الصور المركبة من المخيلة الى الحس المشترك فتنكشف الغيبيات ، وهذا الذي يحصل في المنام قد يحصل في اليقظة لمن كانت نفسه قوية وافية ، فتتصل النفس بالمعقول في حال اليقظة وتدرك من هناك أمورا ، ثم تركب المخيلة صورا مناسبة لتلك التعقلات ، ثم تنحدر تلك الصور الى لوح الحس المشترك فتصير محسوسة ، فتحصل حينئذ صور ، وسماع كلام ، وان لم يكن لشيء من ذلك وجود في الخارج .(1)

هذا الذي يراه الفارابي وابن سينا في تصورهم لتلقي الوحي - والذي فصلنا القول فيه سابقا - معناه :-

أ - القول بأن الوحي فيض فاض عن الله عن طريق هذه العقول العشرة الى النبي .

ب - ولما كان القول بالفيض يعارض ما ثبت من نزول جبريل بالوحي ، فقد عمدوا الى القول بانكار الوجود الحقيقي للملائكة الابرار على نحو ما تصورهم به النصوص الدينية .

وهذه الأقوال باطلة من أساسها ، لأن الارتقاء الى العقل الفعال الذي له من المعرفة الغيبية ما له يقودنا الى القول باكتساب النبوة التي يمكن حصولها بتزكية النفس ، وتقوية الملكة حتى تصبح ذات مخيلة حساسة ، وقدرة على التحكم في النوازع النفسية وعدم الخضوع للصوارف الحسية فيتيح لهم هذا الصفاء النفسي التلقي عن الملأ الأعلى لما يفيضه عليهم من الوحي والمعارف الغيبية .

---

(1) انظر الدين والوحي والاسلام لمصطفى عبد الرازق ص ٦٩

وعلى هذا الأساس يكون الفيلسوف فى منزلة النبى ،أو هو فى منزلة أرفع من منزلة النبى فبامكانه أن يصل الى هذه المرتبة عن طريق التأمل والفكر ، وبذلك يدعون باب النبوة مفتوحا على مصراعيه للجميع .

والقول باكتساب النبوة قول باطل ،لأن النبوة انما هى اصطفاء الهى يتم ابتداء من الله دون أن يكون لكسب النبى دخل فى ذلك .

فهى مأثرة عُلُويّة ،وحظوة ربانية ، وعطية الهية لا تكتسب بجهد ، ولا تنال بكسب قال تعالى : (ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ)(1) وقال : (وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَابُ وَلَا ٱلْإِيمَانُ)(2).

وان كان هذا لا يمنع من القول بأن اختيار الله سبحانه وتعالى لمن يصطفيه بالرسالة مبنى على أساس علم الله سبحانه وتعالى بمن يكون أهلا لهذا الاختيار فى صفاء نفسه ، ونقاء فطرته ،واخلاص عبادته ،وسمو خلقه ،ورجاحة عقله ،وان لم يستوجب ذلك النبوة بالضرورة .

يقول الآمدى : (ليست النبوة هى معنى يعود الى ذاتى من ذاتيات النبى ،ولا الى عرض من أعراضه ،استحقها بكسبه وعمله ، ولا الى العلم بربه ، فان ذلك لا يثبت قبل النبوة ولا الى علمه بنبوته ، اذ العلم بالشىء غير الشىء . (وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ) (3)
فليست النبوة الا موهبة من الله تعالى ،ونعمة منه على عبده ،وهو قوله لمن اصطفاه واجتباه ،انك رسولى ونبيى)(4)

فالوحى اذن لا يتوقف على استعداد القابل للمقبول فقط ،ولكنه فى حقيقته فعل اختيارى من الله لمن اصطفاه لا يستوجبه استعداد .

---

(1) سورة الأنعام الآية (١٢٤) .
(2) سورة الشورى الآية (٥٢) .
(3) سورة ابراهيم الآية ١١
(4) غاية المرام فى علم الكلام لسيف الدين الآمدى (٥٥١-٦٣١هـ) تحقيق حسن محمود عبد اللطيف أشرف على اصدارها محمد توفيق عويضة القاهرة ١٣٩١ هـ ١٩٧١م ص ٣١٧

ومعتقد أهل السنة والجماعة كما أخبر الله تعالى أن الوحي يكون باحدى طرق ثلاث كما في آية الشورى : "وما كان لبشر أن يكلمه الله الا وحيا او من وراء حجاب أو يرسل رسولا فيوحي باذنه مايشاء انه عليّ حكيم". (١)

وهذه المراتب الثلاث جميعها تبطل فكرة الفيض التي يقولون بها . وانما كان التنزيل من الله تعالى الى جبريل عليه السلام الى محمد صلى الله عليه وسلم بلسان عربي مبين . قال تعالى : "وانه لتنزيل رب العالمين ، نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربي مبين". (٢)

فالقرآن المنزل الى النبي صلى الله عليه وسلم منزل بلفظه ومعناه . وكونه منزل بلفظه ومعناه ينقض فكرة الفلاسفة في الفيض.

جاء في الرسالة الالهية : "وهناك حقيقة أخرى وهي أن اعتبار الفلاسفة لما يسمعه النبي أو يراه من قبيل المحاكاة لما يطلع عليه من الحقائق يترتب عليه الا يكون لفظ القرآن جزءًا من وحيه ،بل ترجمة نبوته لمعانيه ، وهو خلاف ما صح من أنه يوحى

---

(١) سورة الشورى الآية (٥١) .

(٢) سورة الشعراء الآيات ١٩٢ - ١٩٥ .

بلفظه ومعناه. والا لما كان هناك معنى للنص على أن ما أوحى الى الرسول فهو قرآن عربى ،فالمعانى لا توصف بالعربية أو غيرها ،وانما توصف بذلك الألفاظ ولما كان هناك وجه أيضا لاعجاز القرآن بألفاظه ومعانيه. ويترتب عليه أيضا أن يكون القرآن من عمل محمد صلى الله عليه وسلم وألا يكون من كلام الله)(١).

وهذا يختلف مع ما جاء به القرآن الكريم والسنة الشريفة من أن الرسول صلى الله عليه وسلم ليس له من قريب أو بعيد فى ظاهرة الوحى أو فيما يوحى اليه به. قال تعالى: (وإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدِّلْهُ ،قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِن تِلْقَاءِ نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ)(٢).

وقال تعالى: (وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ)(٣)

وقد أخبر سبحانه وتعالى أنه كلم عبده موسى تكليما ،واختصه باسماعه اياه بدون واسطة ،وأخبرنا تعالى بما كلمه به ،وبالموضع الذى كلمه فيه ،وبالميقات الذى كلمه فيه قال تعالى فى سورة طه: (وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى ، إِذْ رَأَى نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى . فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى،وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى ،إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي ،إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى ،فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَى ، وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى ؟ قَالَ: هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى ،قَالَ أَلْقِهَا يَا مُوسَى ،فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى ،

---

(١) الرسالة الالهية دراسة ودفاع ج ١ ص ٢٧٦ .

(٢) سورة يونس الآية ١٥ .

(٣) سورة الحاقة الآيات ٤٤- ٤٦ .

قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى ، وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ آيَةً أُخْرَى ، لِنُرِيَكَ مِنْ آيَاتِنَا الْكُبْرَى اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى . . . .) (١) الآيات .

فبأى برهان يقتنع هؤلاء القائلون بالفيض ، وبماذا يفسرون كلام الله المباشر لأنبيائه من وراء حجاب ، وبماذا يفسرون انزال الكتب التى ثبت فى بعضها أنهـا نزلت مكتوبة جملة واحدة كما أنزلت التوراة .

ان تفسير كل ذلك بمجرد انطباع ما فى العقول الفلكية من المعانى فى مخيلة النبى ، تفسير قاصر ، أو على الأصح تفسير ناقض ، لما ذكرناه سابقا من حقائق الوحى وطرقه .

ان الفلاسفة يربطون بين قوة المخيلة ، وقدرة النبى على الاتصال .

والواقع أن المخيلة التى يقع العبء عليها فى عملية الوحى عند الفلاسفة ، ليست وحدها أداة اتصال لأن الخيال ليس ملكة بصيرية تكشف وتتذوق ، أو ملكة عقلية تدرك وتفكر .

حقيقة أن غيرنا قد يؤثر فى خيالنا فيلونه بألوان مختلفة لكن ذلك لا يكون الاعن طريق ما نسمع أو نحس ، أو نرى من ذلك الغير .

ثم نفترض أن : (المخيلة تحاكى الأفكار بالصور ، فانه لا يرتسم على صفحتها من هذه الصور الا ما له أصل خارجى يرجع اليه ، مما رآه الانسان أو سمعه ، أو قرأه أما المخيلة المبدعة ، أو الخالقة - كما يصفها الغربيون - تلك التى توجد شيئا من لا شئ فليس لها وجود حقيقى ، واذا كان الأمر كذلك فليس صحيحا ما يزعمه الفلاسفة من محاكاة المخيلة لبعض ما يوحى اليها بصور ليس لها ما يشبهها ، أو ما يمت اليهـا بسبب فى الوجود الخارجى . ثم ان القول بأن المخيلة تحول معانى الوحى الى

---

(١) سورة طه الآيات ٩ - ٢٤ وما بعدها .

صور وألفاظ لا وجود لها ،وليست من الوحي في شيء الا أن تكون رمزا له يجعل الوحي في جزء كبير منه ،وفي حقيقته الظاهرة من عمل النبي نفسه ،وفيه أيضا نزول به من قمة الأشياء الثابتة الى حضيض الأمور الخيالية ،زد على ذلك ما يضاف الى الأنبياء من شبه المرضى والمجنونين اذ كانوا يرون ويسمعون ما ليس له في الخارج وجود)(١) .

ثم ان تفسير الفارابي وابن سينا للوحي والالهام على النحو السيكلوجي الذي سقناه عن مصادرهم يتعارض مع كثير من النصوص الدينية التي تثبت الظواهر الحسية المصاحبة للوحي باعتبارها حقائق موجودة وليس مجرد أمور خيالية ، وأن التجربة الحسية ليست تجربة النبي فقط ،بل تجربة المحيطين به تثبت ظواهر الوحي كحقائق وجودية يدرك المحيطون بالنبي بعض جوانبها ، ومن ثم لا يكون ما يشهده النبي أثناء الوحي مجرد أمور يتخيلها كما يقتضيه التفسير الفلسفي للوحي ، فقد ورد أن جبريل عليه السلام كان كثيرا ما يتشكل في صورة دحية الكلبي - كما قدمنا - وقد رآه الصحابة مرارا وتكرارا بهذه الهيئة ،علاوة على أنه قد ثبت بالطرق القطعية أن النبي صلى الله عليه وسلم قد رآه مرتين على هيئته التي خلقه الله عليها ، له ستمائة جناح سادا عظم خلقه مابين السماء والأرض . ذلك ليتبين للمرتابين من الفلاسفة أن رؤية النبي صلى الله عليه وسلم لملك الوحي كان على الحقيقة لا على سبيل المجاز ،وأن لجبريل عليه السلام ذات حقيقية ووجود حقيقي .

وقد أكد النبي صلى الله عليه وسلم أنه ما كذب في رؤيته لجبريل عليه السلام ليلة أسرى به ،قال تعالى : (مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى)(٢)

---

(١) الرسالة الالهية دراسة ودفاع د . عثمان عبد المنعم ج ١ ص ٢٧١

(٢) سورة النجم الآية ١١

يقول الامام الرازى فى تفسير هذه الآية : (الفؤاد فؤاد من ؟ المشهور أنه فؤاد محمد صلى الله عليه وسلم معناه أنه ما كذب فؤاده ، واللام لتعريف ما علم حاله لسبق ذكر محمد عليه الصلاة والسلام فى قوله تعالى : (الى عبده) وفى قوله تعالى (وهو بالافق المبين) أى جنس الفؤاد لأن المكذب هو الوهم والخيال - كما هو عند الفلاسفة - يقول كيف يرى الله ، أو كيف يرى جبريل مع أنه ألطف من الهواء ، والهواء لا يرى ، وكذلك يقول الوهم والخيال : ان رأى ربه ، رأى فى جهة ، ومكان وعلى هيئة ، والكل ينافى كون المرئى إلها . ولو رأى جبريل عليه السلام مع أنه صار على صورة دحية الكلبى أو غيره ، فقد انقلبت حقيقته ، ولو جاز ذلك لارتفع الأمان عن المرئيات .

فنقول : رؤية الله تعالى ، ورؤية جبريل عليه السلام على ما رآه محمد عليه السلام جائزة عند من له قلب ، فالفؤاد لا ينكر ذلك وان كانت النفس المتوهمة والمتخيلة تنكره) (١) .

وقد ورد كذلك أنه كان يسمع عند وجهه الشريف صلى الله عليه وسلم دوى كدوى النحل ، وكان وجهه يتفصد عرقا فى اليوم الشديد البرد الى غير ذلك .

يتضح لنا من ذلك كله بطلان هذه النظرية ، لأن تفسير الفارابى وابن سينا لما يراه النبى من الصور ، وما يسمعه من الأصوات كما يقول الرازى : (يجوّز لنا الشك فى وجود ما نراه ونلمسه ونسمعه من الأشياء و الأصوات ، اذا جاز لانسان أن يرى صورة ويسمعها ، ويتحدث معها ، دون أن يكون لها وجود حقيقى ، بل تكون هذه الأشياء مجرد خيالات مرتسمة فى حسه المشترك ، أما بناء الفكرة الفلسفية فى هذه النقطة على وجود هذه الأداة الحسية الباطنية ، وهى الحس المشترك فعنده أن القول

---

(١) التفسير الكبير للفخر الرازى ج ٢٨ ص ٢٨٨ .

بالمدرك لجميع المدركات بجميع الادراكات على قوى مختلفة قول باطل) .(١)

ثم ان في صعق الملائكة وموتهم لدليل آخر على وجودهم الحقيقي الذي يختلف تماما عما يتصورهم عليه الفلاسفة ، لأن الموت حقيقة لا يطلق الا في مقابلة الحياة . وقد وردت أحاديث كثيرة في هذا الشأن .

قال صلى الله عليه وسلم (اذا تكلم الله بالوحي سمع أهل السماء ، للسماء صلصلة كجر السلسلة على الصفا ، فيصعقون ، فلا يزالون كذلك حتى يأتيهم جبريل ، حتى إذا جاءهم جبريل فُزِّع عن قلوبهم قال : فيقولون : يا جبريل ماذا قال ربك ؟ فيقول : الحق ، فيقولون : الحق ، الحق) .(٢)

والملائكة يموتون كما يموت الانس والجن ، وقد جاء ذلك صريحا في قوله تعالى: (وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَن شَاءَ اللَّهُ ، ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ)(٣)

قال ابن كثير في تفسيره لهذه الآية : (هذه النفخة هي الثانية ، وهي نفخة الصعق ، وهي التي يموت بها الأحياء من أهل السموات والأرض الا من شاء الله ، كما جاء مصرحا به مفسرا في حديث الصور المشهور ، ثم يقبض أرواح الباقين حتى يكون آخر من يموت ملك الموت وينفرد الحي القيوم الذي كان أولا وهو الباقي آخرا بالديمومة والبقاء ، ويقول : لمن الملك اليوم ؟ ثلاث مرات . ثم يجيب نفسه بنفسه فيقول : (لله الواحد القهار) .(٤)

---

(١) المطالب العالية للرازي - مخطوط ورقة رقم ٤١٩ وما بعدها نقلا عن الرسالة الالهية ج ١ ص ٢٧٥ .

(٢) أخرجه أبو داود في سننه كتاب السنة ، باب في القرآن ٤٧٣٨/٤ عن عبد الله بن مسعود مرفوعا .

(٣) سورة الزمر الآية ٦٨ .

(٤) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ج ٦ ص ١٠٩

وقال الامام ابن تيمية : (الذى عليه أكثر الناس أن جميع الخلق يموتون حتى الملائكة) .(١)

ويدل على ذلك قوله تعالى : (كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلاَّ وَجْهَهُ) .(٢) وقوله تعالى : (كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ) .(٣)

وغاية ما ننتهى اليه فى هذا المقام أن ظواهر الوحى ،من رؤية الملك على هيئته الخاصة ،وسماع صوته ،ومايكون فيه من الكلام المنظوم الى غير ذلك كلها أمور حقيقية ،وليست مجرد أمور معنوية تحاكى بها المخيلة ما تدركه نفس النبى من المعانى المعقولة كمايقول الفلاسفة .

---

(١) مجموع الفتاوى لابن تيمية ج ٤ ص ٢٥٩

(٢) سورة القصص الآية ٨٨

(٣) سورة الرحمن الآية ٢٦

الفصل الثانى

إبطال شبهات الماديين حول إمكان الوحى

الفصل الثاني

إبطال شبهات الماديين حول إمكان الوحي

المذهب المادي من المذاهب التي تقوم على معارضة الاديان والرسالات السماوية . ويمثل الاتجاه المادي الحديث ، الجانب العلمي في فهم الكون والانسان.

وقبل أن نقوم بابطال المذهب المادي وتفسيراته للوجود ،نحب أن نشير الى الصلة الوثيقة بينه وبين مبحث امكان الوحي المتقدم في الباب الأول . فقد اتجهنا فيه اتجاها ايجابيا بدعم مبدأ الروحية ،واثبات الوحي والنبوة على أساس اثبات الحقائق الغيبية من وجود الله ، والملائكة والروح الانساني ،وهي الأسس التي يقوم عليها أمر الوحي بصفة خاصة ،والنبوة بصفة عامة ،وفي نفس الوقت تتمثل فيها الحقائق التي ينكرها المذهب المادي .

فاذا أبطلنا هذا المذهب وأبطلنا انكاره لهذه الحقائق الغيبية التي يقوم عليها الوحي الى الأنبياء فاننا نكون بذلك قد أبطلنا الشبهات حول امكان الوحي . وهو الهدف الأساسي من هذا الفصل .

ولما كان الماديون لا يعترفون بالحقائق الغيبية ،ويغفلون عن مبادئ الوجود ، وعلله الأولى ،ويكتفون بدراسة الظواهر الطبيعية ، واكتشاف قوانينها ،رغم أن من المسائل والظواهر مالا تحتمل المعالجة بالتجربة مطلقا .

- لمّا كانوا لا يؤمنون بكل الغيبيات - فإننا نتجه ببحثنا فيما يلي لاثبات الوجود الروحي ،أو مايسمى عند الغربيين بالخرافة الميتافيزيقية ، والتي أخذت طابع الرواج في الشرق في الفكر الاسلامي الحديث . وذلك بدحضنا لشبهات الماديين حول الجانب الروحي أو الغيبي في الوجود ،والذي اعتمدوا في انكارهم له على شهادة الحس ،والعقل ،وشهادة العلم الحديث .

وبذلك نكون قد دافعنا كما قلنا عن امكان الوحي ،ودافعنا عن الأساس الروحي الذي يقوم عليه هذا الامكان .

والمادية كمذهب وما نتج عنها من نظريات كلها قائمة على التفسير المادى للوجود . فهى تعنى أن الوجود هو المادة ، وما لها من أحوال وأعراض وما ينتج عنها من ظواهر . فالموجود عندهم هو ما تدركه الحواس ولا شىء وراء ذلك مما يعبر عنه الدين باسم الغيب ، وتعبر عنه الفلسفة باسم الوجود الميتافيزيقى . فجميع المعارف الانسانية ترجع عند الماديين الى التجربة الحسية أو النفسية ، وليس الى ما وراء الطبيعة مما يسمى بالنبوة أو الفلسفة الميتافيزيقية فالوجود المشاهد هو مصدر المعرفة الحقيقية اليقينية . أما انتزاع المعرفة مما وراء الظواهر الطبيعية الحسية ، والبحث عن العلة فى هذا المجال فأمر مرفوض عندهم . وعمل العقل فى نظرهم وقف على ما تأتى به الحواس والتجارب . فليس له من عمل سوى أنه يربط بين ما تأتى به هذه الحواس والتجارب بتحصيل علل الظواهر الطبيعية ، وترتيب آثارها فى دائرة قليلة من العلل العامة . (١)

فالعقل قد يغير فى وضع هذه الصور والظواهر : (فى نفسه عن وضع أصولها فى الخارج . وقد يوسع أو يقلل فى الصور نفسها التى هى التجارب والمدركات الحسية ولكن على أى حال لا يخرج عن دائرتها . وبهذا العمل العقلى تنشأ الأفكار) (٢)

هذا الاتجاه المادى الذى أوضحنا سماته قد عرف منذ أقدم عصور التاريخ . (٣)

فمثلا عند البراهمة فى الهند كان يوجد بجانب التصور الدينى ، مدرسة مادية لا ترى الوجود الحق الا للمادة وحدها ، وأنكرت وجود الله والنفس ، ولم تعترف

---

(١) للمزيد انظر الفكر الاسلامى الحديث وصلته بالاستعمار الغربى تأليف الدكتور محمد البهى ، الطبعة الرابعة - مكتبة وهبة ص ٢٧١-٢٧٥ وكذلك انظر الرسالة الالهية دراسة ودفاع ج ٢ ص ٧٣-٧٤ .

(٢) الفكر الاسلامى الحديث وصلته بالاستعمار الغربى ص ٢٧٥

(٣) يرجع د . محمد البهى تاريخ المذهب المادى الى القرنين الخامس والرابع قبل الميلاد ، بقيادة الفيلسوف (انتيس تنيس)، (وبرتا جوراس) الاغريقى ثم تتابع الأمر من بعدهما . انظر الفكر الاسلامى الحديث وصلته بالاستعمار الغربى ص ٢٧١

الا بما فى الجسم من حيوية ،وأن النفس التى بين جنبى الانسان اذا فرض وجودها ، فهى ضعيفة الأثر عليه . ومن تلك المفاهيم القديمة نشأت هذه الفلسفات الحديثة التى اتخذت التحليل المادى للطبيعة منهجا فى تفسير الوجود ،كدارون ،وسبنسر وماركس وغيرهم . (١)

وكان من الأسباب التى أدت الى سيطرة الاتجاه المادى على الفكر الغربى الحديث : (٢)

* تقدم العلوم الطبيعية والميكانيكية تقدما ظاهرا ، والوصول الى وفرة من الحقائق المتعلقة بالمادة الكونية ،مما يكفى فى تفسير الكون دون تلمس هذا التفسير فى أمر خارج عنه .

* وكذلك فشل بعض الفلاسفة العقليين فى القرن الثامن عشر أمثال (فختهوهيجل) فى بحوثهم الميتافيزيقية . فوقف الفكر الأوربى موقف العداء من كل فكر مجرد ،واتجه الى دراسة الطبيعة وقوانينها باعتبارها المصدر الوحيد للمعرفة .

* ومن ذلك أيضا التحرر من سلطان الكنيسة وسيطرة رجالها بموقفهم العدائى من كل كشف علمى لا يتفق مع تصورهم للكون والحياة . فأدى هذا الموقف العدائى الى اهدار جميع القيم الروحية والخروج على كل تصور دينى للوجود . والاعتداد بالطبيعة كحقيقة وحيدة للوجود ومصدر للمعرفة .

---

(١) انظر أسس المادية الديالكتيكية والمادية التاريخية:سيركين وياخوت ترجمة محمد الجندى دار القلم موسكو ص ٣٩

(٢) انظر الفكر الاسلامى الحديث ص ٢٩٢ ويؤكد الدكتورالبهى أن المحاولات العقلية الفلسفية المادية ما قامت الا لمقاومة نفوذ الكنيسة الكاثوليكية أولا وليس فى مقاومة الايمان فى ذاته . للمزيد كذلك انظر الرسالة الالهية دراسة ودفاع ج ٢ ص ٨٠-٨١

وانظر مذاهب فكرية معاصرة ص ٣٠٦

وقد أثر هذا الاتجاه المادى على الحقائق الدينية التى وراء العالم المحسوس بالتضييق على المعانى النظرية الصرفة وأصبح مفهوم العلم مقصورا على التجربة الطبيعية والانسانية.[1] ويمكننا حصر النتائج الالحادية للمذهب المادي في الآتي[2] :

١- انكر كثير من الماديين أن يكون هناك وجود روحى مغاير للمادة ،اذ لا وجود لديهم الا للمادة فى أشكالها المحددة المتغيرة التى تسبق كل ظاهرة حتى الظواهر الروحية والعقلية فلا قصد ولا تدبير عندهم لأن المصادفة ،والتطور التلقائى المحتوم هما القانون الكونى العام .

٢- أن كل ما يروى عن الأنبياء من معجزات فأمر مستحيل فالمعجزات عند نظر الطبيعيين ما هي إلا أمور طبيعية تتم حسب سنن معروفة ،وان كانت مجهولة لأتباع الأنبياء ، أو من قبيل الدجل الذى يستكثر به الأنبياء من الأتباع البلهاء .

٣- ما دام الانسان فى حد ذاته -عندهم- آلة مادية مصغرة ،وفى الوقت نفسه جزء من الآلة الكونية الكبرى تسيره الميكانيكية الصارمة ،فلا روح انسانى ولا نفس انسانية ومن ثم فلا خلود .

٤- أنكر الماديون كذلك أن يكون للمعرفة مصدر غير المادة وأن يكون للادراك أداة غير الاحساس. فكل ما يتحدث عنه الدين اذن من معرفة غيبية أو يقينية يأتى عن طريق الوحى بما فيه من اتصال روحى - مباشر أو بواسطة روح آخر بين الله والانسان - فهو خرافة . وكل ماكان من الوحى بمايصحبه من أعراض جسمية أو نفسية فهو عندهم مجموعة من الحالات النفسية والأعراض المرضية - كما سنوضح ذلك فى معرض الرد عليهم - .

---

(١) انظر التفكير الاسلامى الحديث وصلته بالاستعمار الغربى ص ٢٧٥-٢٧٦ .

(٢) الرسالة الالهية دراسة ودفاع ج ٢ ص ٨٩-١٠٢ بتصرف

هذه فى الجملة بعض نتائج المذهب المادى . وبتتبعنا له نجد أن الماديين قد ركنوا فى تقرير مذهبهم الى شهادة الحس والعقل ، وشهادة العلم الحديث .

فلنتتبع هذه الشهادات فى عرض موجز لنرى قيمتها الاستشهادية فى تقرير الواقع .

لقد استند الماديون فيما استندوا عليه ، على الحواس . فقد قرروا بأن لا موجود الا المادة . لأن الحواس لا تدرك الا المادة . وحقيقة ان الاحساس لا يدرك الا المادة ، ولكن لا يقتضى ذلك أن نحكم بأن احساساتنا قد أدركت جميع جوانب الوجود ، وأن ما لا تدركه فهو غير موجود .

فالالوان كما يذكر مالك بن نبى على سبيل المثال : (تقدم لنا حالة نموذجية لا يمكن أن ترى فيها بعض الألوان بالنسبة لكل العيون ، وهناك أيضا مجموعة من الاشعاعات الضوئية دون الضوء الأحمر ، وفوق الضوء البنفسجى لا تراها أعيننا ، و لا شيء يثبت علميا أنها كذلك بالنسبة لجميع العيون ، فقد توجد عيون يمكن أن تكون أقل أو أكثر حاسية) (١)

من هذه الأنواع غير المرئية أشعة (أكس) التى تخترق الجسد الآدمى أثناء تصويره لتساعد الطبيب على تشخيص المرض . والانسان يولّدها على الرغم من عدم رؤيتها .

وكذلك التيار الكهربائى لا يرى فى السلك الناقل ، وانما تحس آثاره من برودة فى الثلاجة ، وحرارة فى المكواة ، ونور فى المصباح ..... الخ (٢)

ويتضح لنا بعد دراسة ظاهرة الكهرباء أنّه لا يمكن التوصل الى طبيعة هذه الظاهرة ، وكل ما نعرفه الآن عن الكهرباء ، هو أنّه عنصر له تأثيره فى آلات الوزن والقياس ، وهذا يعنى أن علم الطبيعة الذى يزعمون قد اعترف بوجود لا نعرف عنه

---

(١) الظاهرة القرآنية ص ١٢٧

(٢) انظر تفصيل هذا الأمر فى نبوة محمد صلى الله عليه وسلم فى القرآن الكريم لحسن ضياء الدين عتر ، دار النصر ، حلب ص ١٧٢

الا هيكله الرياضي ،ولم يعد هذا العلم في موضع يسمح له بالمعرفة المباشرة لخصائص الأشياء ، بل ان حقيقة هذه الأشياء خارجة عن حدود الإدراك[١] .

فهذه الأشياء التي تعرف عليها الانسان بآثارها لا يمكن القول بأنها كانت معدومة قبل أن يكتشفها الانسان ، ولا يكون الانسان في القديم مصيبا لو أنكر وجودها بحجة أنه لم يبصرها بعينيه أو يحسها بحواسه .

أما عن شهادة العقل فانها كذلك باطلة . فلقد كان العقل خليقا أن يحكم بحمل المادية على الوجود حمل مواطأة[٢] ، أن لو كانت الكثافة المادية لازمة لمفهوم الوجود لزوما بيّنا بالمعنى الأخص - على حد تعبير المناطقة - وكان خليقا أن يحكم باستحالة الوجود الروحي أن لو تناقض التجرد من المادة مع مفهوم الوجود . لكن شيئا من ذلك ليس بصحيح .

ليس بصحيح أن التلازم بين المادية ، ومفهوم الوجود تلازم بيّن ،كالتلازم الذي نجده بين الزوجية والأربعة مثلا .

فالتلازم البيّن يكون من وضوحه في كل عقل إلى الحد الذي لا يحتاج معه إلى دليل عليه ،ويصبح كل دليل يقام عليه مجرد توضيح للواضح أو لونًا من عبث الكلام فهل يتمتع التلازم بين الوجود والمادية بمثل هذا الوضوح ، والتّسليم من جميع العقول ؟ فأين هذه الجهود التي بذلت والأدلة الكثيرة التي أُقيمت في سبيل تقرير مادية الوجود ؟

وليس كذلك بصحيح أن التجرد من كثافة المادة يتناقض مع مفهوم الوجود ، فان هذا التناقض لا يكون الا اذا كانت الكثافة المادية تمثل خصيصة الخصائص في كل

---

(١) انظر الدين في مواجهة العلم ، لوحيد الدين خان ، ط ٢ ، المختار الإسلامي القاهرة ص ٤١ .

(٢) الألفاظ المتواطئة : هي التي تدل على أعيان متعددة بمعنى واحد مشترك بينهما ،كدلالة اسم (الانسان) على (زيد) و(عمرو) ودلالة اسم (الحيوان) على (الانسان) و(الفرس) و(الطير) لأنها متشاركة في معنى (الحيوانية)

انظر تهافت الفلاسفة المسمى معيار العلم ص ٨١

موجود بحيث لا يمكن خلوه عنها . وليس الأمر كذلك ،فقد يكون الشيء مجردا عن كل صلابة مادية بحيث لا تناله حواسنا المجردة ثم يكون موجودا .

والكثافة المادية لم تعد كما كان يظن ضرورية في وجود المادة نفسها بعد أن انحلت المادة الى ذرات ،وانحلت الذرات الى أشعاع أو الى زوبعات من القوة فاذا لم تكن الكثافة المادية خصيصة لازمة للمادة في نفسها ،فكيف نجعلها ضرورية لمفهوم الوجود المطلق ؟ واذا لم تكن الكثافة ضرورية لمفهوم الوجود ،فالتجرد منها لا يناقض هذا المفهوم ،ولا تحمل بذلك فكرة الوجود الروحي المجرد ما يجعلها من النقائض المستحيلة في العقل . أو التي تعصى على الفهم والقبول .

ان العقل لا يضع الأمور وضعا بغير دليل يتألف من البدائه العقلية ، أويرجع في أصوله الأولى الى هذه البدائه .

فأى دليل عقلي من هذا الطراز أقامه الماديون على دعواهم؟

لا شيء . (١)

ومن جهة شهادة العلم : نفترض أن بعض ما توصل اليه الماديون من تجارب باسم العلم الحديث صحيحه ،فليس لهم من حق في أن يقولوا كلمة الفصل في مسألة الوجود ،لأن العلم الحديث الذى يدعونه لم يجعل من مسألة الوجود موضوعا له ، ولا هي مما تقع تحت تجاربه . فالظواهر شيء ،والحقائق شيء ، والموجودات وعللها وغاياتها البعيدة شيء آخر .

يقول (ادوارد لوثر كيسل) : (قد يعتقد بعضهم أن هذا الكون هو خالق نفسه ،على حين يرى البعض الآخر أن الاعتقاد في أزلية هذا الكون ليس أصعب من الاعتقاد بوجود اله أزلي . ولكن القانون الثاني من قوانين الديناميكا الحرارية (٢)

---

(١) انظر الرسالة الالهية ج ٢ ص ١٢٠-١٢٢ بتصرف .

(٢) قانون الديناميكا الحرارية هو قانون : (المادة المتاحة) أو (ضابط التغيير) الذى يثبت أنه لا يمكن أن يكون وجود الكون أزليا ،فهو يصف لنا أن الحرارة تنتقل دائما من (وجود حرارى) الى (عدم حرارى) والعكس غير ممكن ،وهو أن تنتقل هذه الحرارة من (وجود حرارى قليل) أو (وجود حرارى عدم) الى (وجود حرارى أكثر) فان ضابط التغيير هو التناسب بين (الطاقة المتاحة) و(الطاقة غير المتاحة) انظر الاسلام يتحدى ص ٥٠

تثبت خطأ هذا الرأى الأخير . فالعلوم تثبت بكل وضوح أن هذا الكون لا يمكن أن يكون أزليا . فهناك انتقال حرارى مستمر من الأجسام الحارة الى الأجسام البارد ة ، ولا يمكن أن يحدث العكس بقوة ذاتية بحيث تعود الحرارة فترتد من الأجسام البارد ة الى الأجسام الحارة. ومعنى ذلك أن الكون يتجه الى درجة تتساوى فيها حرارة جميع الأجسام ،وينضب فيها معين الطاقة ،ويومئذ لن تكون هناك عمليات كيماوية أو طبيعية ،ولن يكون هناك أثر للحياة نفسها فى هذا الكون .

ولما كانت الحياة لا تزال قائمة ،ولا تزال العمليات الكيماوية والطبيعية تسير في طريقها ، فاننا نستطيع أن نستنتج أن هذا الكون لا يمكن أن يكون أزليا ، والا لاستهلكت طاقته منذ زمن بعيد ،وتوقف كل نشاط فى الوجود) . (١)

ويقول الدكتور (كلود م هانا واى) : (ان فلسفتى تسمح بوجود غير المادى ، لأنه بحكم تعريفه لا يمكن ادراكه بالحواس الطبيعية . فمن الحماقة اذن أن أنكر وجوده لسبب عجز العلوم عن الوصول اليه . وفوق ذلك فان الفيزياء الحديثة قد علمتنى أن الطبيعة أعجز من أن تنظم نفسها أو تسيطر على نفسها . . . ان الطبيعة لا تستطيع أن تصمم أو تبدع نفسها ،لأن كلّ تحول طبيعى لا بد أن يؤدى الى نوع من أنواع ضياع النظام . أو تصدع البناء العام . . ان هذا الكون الا كتلة تخضع لنظام معين ، ولا بد له من سبب أول لا يخضع للقانون الثانى من قانون الديناميكا الحرارية . ولا بد أن يكون هذا السبب غير مادى فى طبيعته انه هو الله اللطيف الخبير الذى لا تدركه الابصار) . (٢)

---

(١) الله يتجلى فى عصر العلم ص٢٧

(٢) العلم يدعو للايمان ص ٩٠-٩١

ثم ان الاساس الذى يرجع اليه الماديون فى تفسيرهم للكائنات وما يلازمها من خصائص ،هو القول بالجواهر الفردة (١) أو الذرات المتجانسة (٢) وقد انهار هذا الأساس بما انتهى اليه العلم الحديث من تحليل الذرة الى قوة أو اشعاع فان من المقطوع به أن القول بالجوهر الفرد لم يعد قولا علميًا . ومن ثم فليس من العلم فى شىء أن يقوم على أساسه مذهب يدعى لنفسه الكلمة الأخيرة فى تفسير الوجود .

ان تشابه الذرات فى الحقيقة لا ينتج اختلافا فى مهايا الأشياء ،وا ختلاف ما بينها بالعرض(٣) لا ينتج بين الأشياء اختلافا حقيقيا بينما أن الاختلاف الحقيقى فى الأشياء أمر ظاهر ، فالكائنات متباينة فى أشياء ذات خصائص ثابتة مطردة ، ليس بين الأجناس الكبرى فقط ، جماد ، ونبات ، وحيوان ،بل فى داخل كل جنس . وذلك باختلاف الخصائص والوظائف والكيفيات الفيزيقية والكيميائية فضلاعن الأشكال الظاهرية ، وهو اختلاف بالماهية .(٤) واذا تساءلنا عن أصل الاختلاف بين العناصر فلا نرى لهذا السؤال عند الماديين جوابا .(٥)

---

(١) المتكلمون يخصون اسم (الجوهر) : بالجوهر الفرد الذى لا ينقسم . ويسمون المنقسم (جسما) لا (جوهرا) وبحكم ذلك يمتنعون عن اطلاق اسم الجوهر على المبدأ الأول . انظر تهافت الفلاسفة ص ٣٠١ .

(٢) المتجانسان : هما اللذان لهما تشابه معا فى الوضع ،وليس يجوز أن يقع بينهما ذو وضع . انظر تهافت الفلاسفة ص ٣٠٥ .

(٣) العرض : هو الذى ليس وجوده شرطا لوجود الشىء سريعا كالقيام والقعود للانسان ،أو بطئيا ككونه شابا . انظر تهافت الفلاسفة ص ٩٤-٩٧

(٤) قول القائل فى الشىء : ما هو؟ طلب لماهية الشىء ومن عرف الماهية وذكرها فقد أجاب . انظر تهافت الفلاسفة ص ١٠٣

(٥) انظر الرسالة الالهية ج ٢ ص ١٢٨ وما بعدها .

واذا كان المذهب المادى يرجع تكون الأجسام من المادة الأولية التى حركتها المصادفية فاننا لا نرى فى المصادفة والاتفاق تلك القوة السحرية التى تنتج ما فى الكائنات من اتساق ونظام ،والتى تحفظ عليها اتساقها ونظامها فضلا عن ترقيها وتكاملها فى اطراد دائم ،وعلى نسق صحيح . فالمادة والحركة الصرفة لا تقتضيان نوعا أو قانونا دون آخر ، ونظام تركيب الذرات لا يعلل ذلك لأنه بدوره يحتاج الى تعليل . والمصادفة لا تعلل اتساق الكائن الطبيعى مرة واحدة ، فكيف به فى كل مرة ؟ (١).

وعلى سبيل المثال يقول وحيد الدين خان : (الغلاف الذى فوق الأرض مكون من ستة غازات منها ٧٨ فى المائة من النتروجين و٢١ فى المائة من الأوكسجين والغازات الأخرى توجد بنسبة قليلة . وهذا الغلاف يضغط الأرض بنسبة ١٥ رطلا فى البوصة المربعة ،.. ونسبة الأوكسجين فى هذا الضغط ٣ أرطال فى البوصة المربعة ،والمقادير الأخرى للأوكسجين الموجود اليوم قد انجذبت الى الأرض وهى تشل ٨ر. من الماء الموجود على سطح الأرض ...

فلو كانت نسبة الأوكسجين ٥٠ فى المائة أو أكثر بدلا من ٢١ فى المائة لزادت قابلية الاحتراق ،بما يساوى ارتفاع هذه النسبة ... فاذا احترقت شجرة واحدة فى غابة حينما تكون نسبة الأوكسجين ٢١ فى المائة ،فان الانفجار الخاطف الناجم عن ارتفاع هذه النسبة الى ٥٠ فى المائة يجعل احتراق الغابة كلها أمرا حتميا فى لحظات) . (٢)

فالعقل حين ينظر الى هذا النظام العجيب والتنظيم الدقيق الغريب لا يلبث أن يحكم باستحالة أن يكون هذا كله قائما بنفسه ،ويحكم كذلك بأن هناك طاقة غيبية غير عادية هى التى تقيم هذا النظام العظيم وتسيطر عليه وهو الله سبحانه وتعالى .

---

(١) انظر الطبيعة وما بعد الطبيعة ،يوسف كرم دار المعارف بمصر ص ١٤

(٢) الاسلام يتحدى ص ٥٩ - ٦٠ . وانظر الدين فى مواجهة العلم ص ٢٦ .

هناك اذن مبدأ ذاتي في كل جسم يعين نوعه وخصائصه ويستخدم المادة والحركة تبعا لمقتضيات ماهيته ،وهناك مبدأ أعلى ترجع الكائنات ونطاقها الى خلقه وتدبيره لا الى المصادفة في المادة العمياء .

أما عن دعوى الماديين في أن لا فرق بين الجسم الحي ، والجسم الجامد الا بتعقد هذه القوى تعقدا تنتج عنه الحياة فباطلة لأن للحياة في الأجسام الحية وظائف خاصة مثل النمو والتوليد والمجاوبة بالحركة النوعية للتأثيرات الخارجية وبالادراك في بعضها ، وفي أن الأفعال الحيوية باطنية في جسم الحي . أما الجماد فلا يتحرك الا من خارج ،وليس له ادراك أو شعور وهو متناسق الأجزاء(١).

والواقع أننا اذا تتبعنا الكون في جميع مظاهره بالنظر الصحيح لرأينا فيه من آيات القصد والتدبير ما يطول ذكره ، وما هو متناول النظر العادي قبل أن يكون نتيجة البحث العلمي . وحسبنا أن نشير هنا من دلائل القصد الى وجود الذكر والانثى في كل فصيلة حية . أيّ مصادفة هذه ، وأيُّ اتفاق يعمل في وعي على حفظ الحياة فيزاوج بين الكائنات ،ويمد كل من الزوجين بكل ضروري من الخصائص والأعضاء لبقاء الأنواع .

فالقول بعدم القصد في الكون لا دليل عليه ،وأن الميكانيكية نفسها تعني وجود القصد ،فالآلة الميكانيكية يقصد بتنظيمها تحقيق غايات معينة .

وهناك أمثلة علمية أخرى كثيرة استدل بها العلماء على وجود غيبي في الوجود مبطلين بذلك القول بالمصادفة من ذلك ما خرج به أ ـ كريسي موريسون في كتابه (العلم يدعو للايمان) حيث يقول : (ان حجم الكرة الأرضية ،وبعدها عن الشمس ، ودرجة حرارة الشمس وأشعتها الباعثة للحياة ،وسمك قشرة الأرض وكمية الماء ،ومقدار ثاني أوكسيد الكربون ،وحجم النّتروجين وظهور الانسان وبقاءه على قيد الحياة ،

---

(١) انظر الرسالة الالهية ج٢ ص١٣٠ . وكذلك انظر المذاهب الفكرية المعاصرة للشيخ محمد قطب ص ٣١٠

كل أولاء تدل على خروج النظام عن الفوضى ،وعلى التصميم والقصد ،كما تدل على أنه طبقا للقوانين الحسابية الصارمة ،وما كان يمكن حدوث كل ذلك مصادفة في وقت واحد على كوكب واحد ،مرة في بليون مرة ولكن لم يحدث هكذا بالتأكيد) (١).

فهذا يثبت بالبرهان الواقعي ،وبطريقة علمية واضحة أن جميع مقدمات الحياة الحقيقية ما كان يمكن أن توجد على كوكب واحد في وقت واحد بمحض المصادفة .

ويقول (ميرتت ستانلى كونجدن) العالم الطبيعي : (نستطيع بطريقة الاستدلال والقياس بقدرة الانسان وذكائه في عالم يغيض بالأمور العقلية ،أن نصل الى وجوب وجود قوة مسيطرة مدبرة تدير هذا الكون ،وتدبر أموره وتعيننا على فهم ما يغمض علينا من أمر منحنيات التوزيع ،ودورة الماء في الطبيعة ،ودورة ثاني أوكسيد الكربون فيها ، وعمليات التكاثر العجيبة ،وعمليات التمثيل الضوئي ذات الأهمية البالغة في اختزان الطاقة الشمسية وما لها من أهمية بالغة في حياة الكائنات الحية ،وما لا يحصى من عجائب هذا الكون اذ كيف يتسنى لنا أن نفسر هذه العمليات المعقدة المنظمة تفسيرا يقوّم على أساس المصادفة والتخبط العشوائي وكيف نستطيع أن نفسر هذا الانتظام في ظواهر الكون والعلاقات السببية ، والتكامل والغرضية ، والتوافق والتوازن ،التي تنظم سائر الظواهر وتمتد آثارها من عصر الى عصر ؟ كيف يعمل هذا الكون دون أن يكون له خالق مدبر هو الذي خلقه وأبدعه ودبر سائر أموره) (٢)

ولنكتف بهذا القدر من الحقائق الطبيعية التي رأينا دلالتها بنفسها على بطلان التفسير المادي للكون واثبات الوجود الغيبي الخالق للظواهر

---

(١) العلم يدعو للايمان تأليف أ. كريسى موريسون ترجمة محمود صالح الفلكي مكتبة النهضة المصرية ص ١٩٥ .

(٢) الله يتجلى في عصر العلم لمجموعة من العلماء الأمريكيين مؤسسة الحلبي وشركاه ص ١٩ - ٥٠ .

الكونية والمدبر لأمورها وهو وجود الله على عكس ما كان يظنه الماديون من أن هذه المباحث الطبيعية ، والمنهج المادى فى دراستها ينتهى بالضرورة الى اثبات المادية الخالصة ،وانكار كل حقيقة غيبية فى الوجود كالله والملائكة والارواح.

ولسنا نكتفى بما قدمناه من ابطال التفسير المادى للوجود بحيث تكون الحقائق الغيبية التى يقوم عليها الوحى أمورا ممكنة فحسب،بل نتخطى ذلك الى أفق جديد ارتاده العلماء بتجاربهم لاثبات الروحية فى الكون ،وتفسير كثير من ظواهره تفسيرا روحيا بعد أن تعذر عليهم تفسيرها تفسيرا ماديا .

فاثبات الروحية بعد ابطال المادية يجعل الوحى كظاهرة روحية أكثر معقولية ، وأقرب الى تصوره ،والحكم بامكانه دون أن تكون هناك شبهات تحول دون ذلك.

فقد فتح الله للناس الى عالم الروح نافذتين ،نافذة من علم التنويم المغناطيسى ونافذة من علم المباحث النفسية وقد كان لما ظهر من خلال هاتين النافذتين من الأدلة المحسوسة على وجود الروح كافيا لاثباته فقد انبثقت عنهما عدة جمعيات وأجريت التجارب على الاف من البشر وصار لهما فى الغرب أنصار من علماء وطلاب وله دور وكتب ومستشفيات يرتادها الناس . وهو يحق وصدق صفعة كبيرة ولطمة عنيفة على وجوه الماديين الذين ينكرون عالم ما وراء المادة .

من هذه الجمعيات التى ألفت فى هذا الشأن :

جمعية كبار علماء (لوندرة) تألفت سنة ١٨٦٩م لفحص كثير من الظواهر التى تعذر تفسيرها تفسيرا طبيعيا قائما على الأسباب والنتائج المادية . وانتهى الأمر الى ارجاعها ـ بعد التجارب الدقيقة ـ الى قوى روحية عاقلة تدرك ما تفعله ، وتستجيب لما يطلب منها . وكانت هذه الجمعية برئاسة العلامة (جون لبوك) وعضوية كل من (كروكس) ، أكبر علماء انجلترا الطبيعيين ، و(لويس) الفزيولوجى المشهور و(الفريد روسل ولاس) أكبر فزيولوجيي الإنجليز ،ومكتشف ناموس الانتخاب الطبيعى وهو زميل (داروين) ومن (دومرجان) رئيس الجمعية الرياضية ،و(فارلى)

رئيس مهندسي قومبانيات التلغراف ،و(جان كوكس) الاصولي الفيلسوف و(اكسون) استاذ في كلية اكسفورد وغيرهم ،فاستمرت هذه الجمعية في البحث المتواصل ثمانية عشر شهرا ،وكانت النتيجة تأكيدها صحة تلك المشاهدات الخارقة للعادة . وكتبت بذلك تقريرا مطولا منه هذه الجملة :-

(ان الجمعية اقتصرت في تقريرها على المشاهدات التي رآها كل الأعضاء بطريقة محسوسة ، وكانت صحتها مقترنة بالبرهان القاطع . ان أربعة أخماس الأعضاء ابتدأوا البحث وهم في أشد درجات الانكار لهذه الأشياء معتقدين قلبا وقالبا ،أنها ليست الا نتيجة الغش أو الوهم ،أو بالأقل نتيجة حال اضطراري للأعصاب ،ولكن بعد اتضاح هذه الحوادث لهم اتضاحا تاما في شروط نفت تلك الفروض ، وبعد تجارب دقيقة جدا تكررت مرارا لم ير هؤلاء الأعضاء المنكرون بدا من اعتقاد أن هذه الخوارق حقيقة على غير ما كانوا يتوقعون) .(1)

وكذلك قامت في (لوندرة) نفسها عام ١٨٨٢م جمعية دعيت باسم: (جمعية المباحث النفسية) تحت رئاسة الاستاذ (سيد جويك) المدرس بجامعة كمبردج ،وهو من أكبر العقول في انجلترا ،وعضوية الاستاذ (السير أوليفر لودج) الملقب بداروين علم الطبيعة ، لعلمه بالطبيعة ،والسير (وليم كروكس) أكبر كيماويي الانجليز والاستاذ (وليم جيمس) المدرس بجامعة هارفارد بأمريكا والعلامة الكبير (شارل ريشيه) المدرس بجامعة الطب الباريسيّة والعضو بالمجمع العلمي الفرنسي ، وغيرهم من كبار علماء الأرض . وكان الغرض من قيام هذه الجمعية البت في المسألة الروحية وتحقيق حوادثها باسلوب النقد الصارم والحكم بقبولها نهائيا في العلم ،ان كانت حقيقة ،أو تقرير ابعادها عن العلم والفلسفة ان كانت من الأمور الوهمية .

---

(1) دائرة معارف القرن العشرين لمحمد فريد وجدي ،دار الفكر بيروت ج٤ ص ٢٧٦- ٢٧٧ .

وقد مضى على هذه الجمعية أكثر من خمسين سنة حققت فى خلالها ألوفا من الأمور الروحية ، وعملت من التجارب فى النفس وقواها ما لا يكاد يدرك لولا أنه مدون فى محاضر تلك الجمعية فى نحو خمسين مجلدا ضخما .

وكان من نتائج هذه الجمعية :

وجود شخصية راقية للانسان وراء شخصيته العادية وهى التى تحرك جميع أعضائه التى ليست تحت حكم ارادته كالكبد والقلب والمعدة وغيرها ، فهو انسان بها لا بهذه الشخصية العادية . وأن هذه الشخصية الباطنية أصبحت مدركة بالحس ، فان ظهور النائم نوما مغناطيسيا بهذا المظهر من العقل الراجح والفكر الثاقب والنظر البعيد ... وجولاته فى الأقطار البعيدة ، بينما يكون هو جاهلا غبيا فى حالته العادية أدل دليل على أن للانسان شخصية تحجبها هذه الحياة الجسدية ولا تظهر الا اذا وقع جسمه فى نوم طبيعى أو صناعى (١).

(وتألفت كذلك جمعية فى انكلترا وأمريكا ، تحت رئاسة الاستاذين المشهورين : (هيزلوب) عن أمريكا ، والدكتور (هودسن) عن انكلترا فاستمرت هذه الجمعية فى الفحص والبحث نحوا من اثنتى عشرة سنة ، ثم أعلنت أخيرا فى سنة ١٨٩٩م أنها قد اقتنعت بصحة تلك المشاهدات ، واعتقدت أنها فعل أرواح الموتى) (٢).

وقد قال الاستاذ (هيزلوب) بعد الفحص والبحث : (أومل أن أثبت بعد مضى سنة للعالم أجمع ببراهين لا تحتمل شبهة أنه يوجد حياة بعد هذه الحياة) (٣) ثم قال (وقد رأيت بعينى خوارق ومدهشات حقيقية ليست منسوبة للتدليس ولا للوهم .) (٤)

وبجانب هذه الجمعيات كانت هناك كتابات وأبحاث فردية قام بها بعض المهتمين بهذا الجانب . من ذلك ما قاله الاستاذ (ستنتون موزس) المدرس

---

(١) انظر دائرة المعارف القرن العشرين ج ١٠ ص ٧١٣-٧١٤ بتصرف .

(٢) دائرة معارف القرن العشرين ج ٤ ص ٣٨٦-٣٨٧

(٣) المصدر نفسه ص ٣٨٧

(٤) نفس المصدر والصفحة .

بكلية اكسفورد بلندرة بعد أن قام بفحص(الاسبرتزم)[1] عدة سنين هو وطائفة من رجال العلم معه . قال : (ان وضوح وجود هذه القوة المحكومة بعقل ، يرتكن على ما يأتى :

أ / وضوحها لحكم الحواس

ب/ تكلمها غالبا بلغة يجهلها المستحضر .

جـ/ سمو الموضوع الذى تتكلم فيه عن معلومات المستحضر غالبا .

د / ثبوت استحالة انتاج هذه النتائج بواسطة الغش فى الشروط التى حصلت فيها الخ) (٢)

ويقول العلامة (روسل ولاس) مكتشف ناموس الانتخاب الطبيعى مع(دارون) فى كتابه المسمى : (عجائب الاسبرتزم الحالى) : (لقد كنت دهريا صرفا مقتنعا بمذهبى تمام الاقتناع ولم يكن فى ذهنى أدنى محل للتصديق بحياة روحية ولا بوجود عامل فى هذا الكون كله غير المادة وقوتها ، ولكننى رأيت المشاهدات الحسية لا تغالب فانها قهرتنى وأجبرتنى على اعتبارها أشياء مثبتة قبل أن اعتقد نسبتها الى الأرواح بمدة طويلة . ثم أخذت هذه المشاهدات مكانا من عقلى شيئا فشيئا . ولم يكن ذلك بطريقة نظرية تصورية ولكن بتأثير المشاهدات التى كان يتلو بعضها بعضا بطريقة لا يمكن التخلص منها بواسطة أخرى . أى بغير نسبتها الى الارواح -)[٣] .. الخ

وقد ذكر محمد فريد وجدى أن : (كتب هذا الفن مشحونة بالمشاهدات التى دلت على فقد المنوّمين (بفتح الواو المشددة) لخاصية الحس ومنا ما يعارض قوانين (الفسيولوجيا) بالمرة . من ذلك أن الدكتورين الشهيرين (مارج) ،و(اسكيرول) اشتغلا بهذه المسألة فى مستشفى (سبلتريز) فى فرنسا وأثبتا عدم الحس عند

---

(١) (الاسبرتزم) كلمة أصلها فى الانجليزية (Spirit) ويطلق على الروح والنفس، والحياة ، والخيال والطيف. ويطلق على العلم الروحانى ، ومخاطبة الأرواح (spiritism) وعلى العالم الروحانى المشتغل بمناجاه الأرواح (Spiritist) . انظر قاموس الياس العصرى ، تأليف انطون الياس ، وادوار الياس الطبعة ١٩ ص ٦٨٢

(٢) دائرة معارف القرن العشرين ج ٤ ص ٣٩٠ - ٣٩١

(٣) المصدر نفسه ص ٣٩١ ، وكذلك ص ٤٠٠

المنوّمين (بفتح الواو المشددة) بطريقة مدهشة على رؤوس الأشهاد . ومن ضمن تجاربهما ، أنهما أتيا بأربع أوقيات من محلول النشادر المركز ، وأشماه للمنوّم بضع دقائق متوالية ، وجربا ذلك جلسة مرات فلم يشاهد أدنى أثر من ضجر أو ألم عنده فشك أحد الدكاترة المنكرين فى وجود محلول النشادر المركز فى الاناء لدهشه من عدم تأثيره ، فاقترب من الاناء وشمّه فخر صريعا ميتا للحال) .(١)

وقد نقل الاستاذ : (أكزاكوف) فى كتابه (المذهب الروحى فى استحضار الارواح)(٢) ، أن زوجة الاستاذ الشهير (د . ومرنجان) معتادة على تنويم سيدة وجعل روحها تخرج من جسدها ، وتذهب الى المحل الذى تعينه لها . . . فقالت لها يوما وهى تحت تأثير المغناطيس : اذهبى الى منزلى الذى كنت أسكنه سابقا . فقالت المنومة : قد فعلت ، وطرقت الباب بشدة . قالت زوجة الاستاذ : فذهبت فى اليوم التالى لأتأكد من صدقها ، وسألت عما حصل فى تلك اللحظة ، فأجابنى السكان بأنهم سمعوا طرقا شديدا على الباب فذهبوا اليه ، فلم يجدوا أحدا . فعلموا أن ذلك فعل أشقياء الأطفال .

يقول الاستاذ (أكزاكوف) : ان هذه الحادثة ، وأمثالها تثبت بطريقة لا تقبل الشك أن للروح وجودا مميزا عن المادة ، وأنها تستطيع أن تعمل ما يعن لها بنفسها .

وقد أغرت هذه المشاهدات كثيرا من الماديين الى الخوض فى هذا المباب لفحص هذه الأمور العجيبة خاصة بعد أن كثر سواد أنصاره ، وصار فيهم من عِلْية العلماء من لا يشك فى تحقيقهم . فلم يلبث هذا الفن أن عُدَّ فرعا من العلم الرسمى جديرا بالبحث والتنقيب . وكثرت فيه التجارب الى حد لم يكن منتظرا . قال : (جـ . دولن) فى كتابه المدعو : (المذهب الروحى أمام العلم) : (أما الآن فقد حصل فى صالحه رد فعل عظيم ، فانك ترى الجرائد على اختلاف صبغتها وأماكنها ،

---

(١) دائـرة معارف القرن العشرين لمحمد فريد وجدى ج ١٠ ص ٤١٣ .

(٢) مذهب تحضير الأرواح مذهب يدعو إلى دين جديد أو بالأحرى معول من معاول الصهيونية العالمية التى تحاول بها هدم الدين ، وقد ألف الدكتور محمد محمد حسين كتابا عن الروحية الحديثة كشف فيه النّقاب عن هذه المؤامرة الخسيسة من الصهيونية العالمية تحت مظلة تحضير الأرواح وذكر أنها نجحت فى الهند وأنها تسير بخطى حثيثة بين بلاد العرب وفى مصر خاصة . انظر الروحية الحديثة

والمجلات الطبية مشتغلة بالمشاهدات العجيبة لفن التنويم المغناطيسى)[1] .

ويقول (جـ.د ولن) أيضا تحت عنوان (الاسبرتزم فى العالم كله) : (يمكننا أن نقول بلا أدنى خشية من تكذيب أن للاسبرتزم اليوم أنصارا وأعضاء فى كل صقع من أصقاع الكرة الأرضية ، ولأجل أن لا نطيل الكلام فى هذا الموضوع كيلا نخرج عن حد الاعتدال نكتفى بذكر الممالك التى يطبع فيها جرائد (اسبريتية) اذ لا يخفى أنه لو لا وجود ناس يعتقدون وجود الأرواح ويصدقون بمذهبها لم تكن لتوجد تلك المجلات فيمكن للمطالع أن يدرك كنه خطورة تلك الحركة الاسبرتية فى العالم بعدد المجلات التى تدافع عنها وأنشئت من أجلها . .)[2]

وقد نوه المؤلف (جـ. د ولن) بأشهر المجلات فى بعض الدول وعد منها مجلة (لوروفومادور) التى تطبع فى (ريسود وجانيرو) عاصمة (الأرجنتين) ، ومجلة (ال بان ديل أبريتو) التى تطبع فى مدينة (سنتاجو) فى (شيلى) ومجلة (الاسبيروتيزمو) التى تطبع بمدينة (شالشوابا) فى جمهورية (سان سلفادور) وقد عد المؤلف أكثر من عشر دول على سبيل المثال[3] .

فهذه الخوارق للطبيعة التى شغلت بال العالم الغربى بأسره تثبت بطريقة محسوسة لا تحتمل الشك وجود الأرواح .

وكل هذه المشاهدات والملايين من مثلها مسطورة فى كتب العلم الطبيعى ، وليست مقتصرة على عدم الحساسية بل على امور أخرى مهمة كالاخبار بالمغيبات التى وقعت بالفعل فى مكان وزمان معينين ولكنها غائبة عن الأنظار وقت حدوثها ، وكرؤية الأشياء فى الأماكن النائية المحجوبة عن الرائى ، والتخاطر على البعد ومعرفة الماضى والمستقبل وأمور أخرى مما لا يكاد يصدقه الانسان لولا أنه محقق ـــ

ــــ دعوة هدامة ، د. محمد محمد حسين. مؤسسة الرسالة ص٥٧ وما بعدها .

ونحن اذ نقدم هذا لا نسلّم بكل ما جاء فى الأمثلة التى سقناها ونسوقها ، فلا ينبغى أن يغيب عن بالنا أن مثل هذه الأعمال التى يدعونها تدخل فى واحد من أقسام ثلاثة : (١) الغش والخداع (٢) التأثير المغناطيسى على الحاضرين (٣) الاتصال بخلق الله من الجن . فالمراد هنا أن يعترف هؤلاء وأمثالهم بعالم ما وراء المادة الذى ينكرونه .

(١) دائرة معارف القرن العشرين ج ١٠ ص ٤١١

(٢) ، (٣) المصدر نفسه ج ٤ ص ٣٩٩ ، ٤٠٠ .

المشاهدات الحسية الكثيرة ، والتواتر العلمي ـ كما ذكرنا ـ .

يقول الدكتور (ميرس) في آخر كتابه (الشخصية الانسانية) بعد ما رواه عن كثير من الموهوبين من القوى الباطنية الفائقة للطبيعة : (أنا أؤكد اذن وجود روح في الانسان تستمد قوتها وجمالها من عالم روحاني ، وأؤكد أيضا وجود روح عامة في العالم يمكن أن تتصل بها الروح الانسانية ولها بها علاقة) (1)

ونضيف الى ما تقدم أن ادراك الانسان لذاته ،وهو مايسمى بادراك (الأنا) لا يمكن أن يرجع الى مادته الجسمية ،بل الى قوته الروحية . ولا يمكن أن تفسر النوازع والوجدانات والمشاعر ، والأفكار ، وما لدى الانسان من تدين واخلاق الا بارجاع كل ذلك الى هذه القوة الروحية .

وغاية القول هو صحة التفسير الروحي للكون والانسان ،بمعنى أن هذا الكون يتضمن جانبا غيبيا ولا يقتصر أمره على جانبه المحسوس فقط .

وغاية القول كذلك بطلان التفسير المادى للكون والانسان ،بل ان ظواهر الطبيعة لتدل دلالة قوية ـ كما قدمنا ـ على عالم الغيب الذى ترجع اليه فى خلقها وتنظيمها .

فاذا بطلت المادية ،وثبتت الروحية فى الوجود ،فانه يكون بذلك قد بطلت أكبر شبهة يوجهها الماديون الى امكان الوحى .

---

(1) دائرة معارف القرن العشرين ج ١٠ ص ٧١٩

الفصل الثالث

إبطال شبهات المشركين حول وقوع الوحي

الفصل الثالث

ابطال شبهات المشركين حول وقوع الوحي

في الباب الأول من هذه الرسالة اتخذنا من اثبات وقوع الوحي لمحمد صلى الله عليه وسلم طريقاً الى اثبات وقوعه للأنبياء السابقين عليه ،بناء على تواتر الكتاب الذى جاء به وحيا من الله ، وهو القرآن الكريم ، وبقائه محفوظا من التحريف والتبديل وكذلك بقاء الصحيح من حياته ، وسنته . الأمر الذى يتيح لنا ولكل باحث المادة العلمية الوافرة والوثيقة لدراسة نبوته واثبات وقوع الوحي له . وهو ما يتميز به صلى الله عليه وسلم عن غيره من الأنبياء الذين ضاعت كتبهم أو حرفت ولم تتوفر الوثاقة التاريخية لما بقي من أخبار حياتهم وأقوالهم .

ومن هنا اضطرنا المنهج العلمي الصحيح أن نتخذ كما قلنا من اثبات الوحي المحمدى طريقا الى اثبات وقوع الوحي لكل من تحدث عنه القرآن من الأنبياء السابقين .

وسبيلنا هنا هو سبيلنا فيما قدمناه من قبل . أى أننا سنتخذ من ابطال الشبهات حول الوحي المحمدى طريقا الى ابطال الشبهات التى يمكن أن توجه الى وحي كل نبي شهد القرآن بنبوته ، فطريق الوحي الى جميع الأنبياء واحد ، وكذلك طبيعته حتى وان اختلفت مظاهره بين كل نبي ونبي ، بل وان اختلفت أحوال النبي الواحد . ومن هنا فإنّ الشّبهات التّي توجه إلى الوحي المحمدى على أنّه نقل فكرى عن السابقين ، أو أنّه وليد حالات نفسية ، أو أنّ أعراضه أعراض

مرضيّة إنّ ما يوجه إلى الوحي المحمدى من هذه الشبهات يمكن أن يوجه الى وحي غيره من الأنبياء . بل لقد قيل ذلك بالفعل فقيل عن موسى عليه السلام: انه نقل شريعة التوراة من شريعة حمورابي العربي ملك الكلدان الذى كان قبل موسى

معاصرا لابراهيم عليه السلام وقد قال علماء الألمان الذين عثروا على شريعة حمورابي في حفائر العراق : أنه قد تبين أن شريعة موسى مستمدة منها لا وحي من الله تعالى ، وان أقل ما يمكن أن يقوله مستقل الفكر في ذلك ، أن التوراة ان لم تكن مستمدة من شريعة حمورابي فلا تعد أحق منها بأن تكون وحيا من الله تعالى ، ولم ينقل عن حمورابي أنه ادعى ذلك .

وقيل عن عيسى عليه السلام أنه لم يأت بشريعة جديدة بل كان تابعا لشريعة التوراة ، التابعة لشريعة حمورابي مع نسخ قليل في أحكامها ، واصلاح روحي أدبي لجمود اليهود المادي على ظواهر ألفاظها . فأمكن لجاحدي الوحي أن يقولوا انه لا يكثر على رجل ذكي الفطرة والعقل ناشئ في حجر الشريعة اليهودية ، والمدنية الرومانية ، والحكمة اليونانية ، غلب عليه الزهد والروحانية أن يأتي بتلك الوصايا الأدبية . (١)

ومن هنا كان ابطال الشبهات الموجه الى الوحي المحمدي ابطالا للشبهات التي يمكن أن توجه - كما قلنا - إلى الوحي وإلى الأنبياء السابقين عليه . وفي نفس الوقت فان الدفاع عن الوحي المحمدي هنا معناه اتمام القول فيما قدمناه من صحة وقوع الوحي للنبي صلى الله عليه وسلم وسلامته من الشبهات ، ومن ثم يتم ما قدمناه أيضا من صحة وقوع الوحي لجميع الأنبياء الذين شهد القرآن بنبوتهم سالمة من كل شبهة .

وإثارة الشُّبهات حول الوحي المحمدي ليست أمراً حديثا على أَلْسِنَةِ الماديين المنكرين للأديان ، أو على ألسنة المستشرقين من أتباع الأديان الأخرى بل هي أمر

---

(١) انظر الوحي المحمدي ، للشيخ محمد رشيد رضا ، الطبعة التاسعة ، المكتب الاسلامي ص ٦٧-٦٨ .

قديم صاحب نزول القرآن ،وذلك على ألسنة المشركين من العرب ،واستمر بعد ذلك على ألسنة الملاحدة والزنادقة .

وسوف نعرض هنا بالرد لما أثير حول الوحي المحمدى من شبهات تتصل بمصدره أو بمدى صحته ، وهى الشبهات التى أثارها المشركون وذكرها القرآن ورد عليها أما الشبهات الحديثة فهى شبهات المستشرقين فسوف نبطلها فى الفصل التالى ان شاء الله .

ولقد سجل القرآن الكريم والسنة المطهرة شبهات المشركين حول الوحي والقرآن فمرة ردوه الى ذاته وشخصه صلى الله عليه وسلم وذلك على النحو التالى :

١- أنهم قالوا أن ما جاء به صلى الله عليه وسلم كان نتاج مؤثرات فكرية لأشخاص من أهل الكتاب كان صلى الله عليه وسلم يتردد عليهم بين الحين والآخر وقد حكى الله عنهم ذلك فى قوله : (وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلاَّ إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا ،وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِىَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلاً) .(١)

فهؤلاء الجهلة من الكفار يقولون ان ما جاء به مجرد كذب واختلاق منه صلى الله عليه وسلم واستعان على جمعه بقوم آخرين .

وقد رد القرآن عليهم بقوله تعالى : (فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا) (٢) أى افتروا قولا زورا وهم يعلمون أنه باطل ،ويعرفون كذب أنفسهم فيما زعموه .

فقد علم بالتواتر وبالضرورة أن محمدا صلى الله عليه وسلم لم يكن يعانى شيئا من الكتابة لا فى أول عمره ولا فى آخره . قال تعالى : (وَمَا كُنتَ تَتْلُوا مِن قَبْلِهِ مِن كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذاً لارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ) . (٣)

---

(١) سورة الفرقان الآيتان ٤-٥

(٢) سورة الفرقان الآية ٤

(٣) سورة العنكبوت الآية ٤٨

وسجل القرآن الكريم شبهتهم هذه في موضع آخر في قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ ، لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ ﴾(١)

فقد ادعوا أن الذي يعلم محمدا صلى الله عليه وسلم هذا الذي يتلوه عليهم من القرآن انما هو رجل أعجمي كان بين أظهرهم ، غلام لبعض بطون قريش،(٢) وكان بياعا عند الصفا وكان النبي صلى الله عليه وسلم يجلس اليه ويكلمه بعض الشيء وكان هذا الرجل أعجمي اللسان لا يعرف العربية ، أو كان يعرف الشيء اليسير بقدر ما يرد جواب الخطاب فيما لابد منه.(٣)

وقد رد الله عليهم افتراءهم فقال ﴿ لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ ، وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ ﴾(٤).

فكيف يتعلم محمد صلى الله عليه وسلم هذا القرآن في فصاحته وبلاغته ، ومعانيه التامة الشاملة التي هي أكمل من معاني كل كتاب نزل من قبله على بني اسرائيل . كيف يتعلمه من رجل أعجمي ؟.

---

(١) سورة النحل الآية ١٠٣ .

(٢) هذا الغلام الأعجمي الذي يدعي هؤلاء المشركون أخذ النبي منه ،قد أورد اسمه محمد بن اسحاق بن يسار في السيرة ، ان اسمه (جبر) وكان عبدًا لبعض بني الحضرمي .
وفي رواية عن مجاهد عن ابن عباس أن اسمه بلعام وكان أعجمي اللسان ،وكان المشركون يرون النبي صلى الله عليه وسلم يدخل عليه ويخرج من عنده . وقيل غير ذلك .

(٣) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ج ٤ ص ٢٦٦ .

(٤) سورة النحل الآية ١٠٣ .

لا شك أن هذا لا يقوله من له أدنى مسكة من العقل . وادعوا كذلك بأنه صلى الله عليه وسلم تقوله ،قال تعالى : (أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ)(١) ، أى اختلقه وافتراه من عند نفسه ، يعنون بذلك القرآن . فرد الله عليهم مقالتهم : (بَلْ لَا يُؤْمِنُونَ)(٢) أى كفرهم هو الذى يحملهم على هذه المقالة : (فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ)(٣)

٢- وزعموا كذلك أن ما جاء به النبى صلى الله عليه وسلم ليس الا وليد طاقة عاطفية فقالوا : انما هو شاعر . قال تعالى : (أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمَنُونِ)(٤) .

ونسبوا اليه الشعر ،لأن الشاعر انما يأتى بمعان تتولد من عاطفته كلما أثيرت هذه العاطفة أو استفزت . لذلك كانت العرب تحترز عن ايذاء الشعراء ، واثارتهم ، فتتقى بذلك ألسنتهم . لذلك صبروا عليه -كما حكى القرآن عنهم ذلك - حتى يأتيه الموت فيستريحوا منه ،ومن شأنه دون أن يتعرضوا له .

وقد ذكر ابن كثيرفى تفسيره عن ابن عباس رضى الله عنهما : (أنَّ قريشا لمَّا اجتمعوا فى دار الندوة فى أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قائل منهم احتبسوه فى وثاق وتربصوا به ريب المنون حتى يهلك كما هلك من كان قبله من الشعراء : زهير والنابغة انما هو كأحد هم فأنزل الله الآية)(٥) .

فرد الله عليهم : (قُلْ تَرَبَّصُوا فَإِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُتَرَبِّصِينَ)(٦) أى انتظروا فانى منتظر معكم ،وستعلمون لمن تكون العاقبة والنصرة فى الدنيا والآخرة)(٧) .

---

(١) ،(٢) سورة الطور الآية ٣٣ .
(٣) سورة الطور الآية ٣٤ .
وانظر تفسير القرآن العظيم لابن كثير ج ٦ ص ٤٣٦
(٤) سورة الطور الآية ٣٠ .
(٥) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ج ٦ ص ٤٣٥
(٦) سورة الطور الآية ٣١ .
(٧) انظر تفسير القرآن العظيم ج ٦ ص ٤٣٥

وقد رد عليهم الله تعالى اتهامهم اياه بالشعر فى قوله تعالى : (وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِى لَهُ إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُبِينٌ)(١) .

والفرق واضح لمن أراد أن يتدبر بين الشعر فى أوزانه ، وأغراضه ، وبين الذكر الحكيم ، والقرآن العظيم فى أسلوبه ومعانيه ، وأغراضه التى لا تشتبه بما للشعر من ذلك كله .

٣- وزعموا كذلك أن به مسا من الجنون . قال تعالى: (أَنَّى لَهُمُ الذِّكْرَى وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُبِينٌ ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلَّمٌ مَجْنُونٌ)(٢)

فالجن على رأيهم هم الذين يتلقى عنهم هذه الكلمات حال ما يعرض له الغشى .

وقد رد الله عليهم بقوله : (مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ)(٣) . (أى لست ولله الحمد بمجنون كما يقوله الجهلة من قومك المكذبون بما جئتهم به من الهدى والحق المبين ،فنسبوك فيه الى الجنون)(٤) .

وفى قصة عتبة بن ربيعة مع قومه يتضح لنا ذلك : قالت جماعة من قريش: (ها هو ذا سيد من قريش: عتبة ابن ربيعة . يتوسط بين رسول الله وبينهم لاصلاح ذات البين ، فيعرض له أمورا لعله يقبل بعضها ،فيقول : يا ابن أخى ان كنت انما تريد بما جئت به من هذا الأمر مالا ،جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالا ، وان كنت انما تريد به شرفا سودناك علينا ، وان كان هذا الذى يأتيك رئيا تراه ولا تستطيع رده عن نفسك طلبنا لك الطب وبذلنا فيه أموالنا حتى نبرئك منه ،فانه ربما غلب التابع على الرجل حتى يداوى منه . . . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (أوقد فرغت

---

(١) سورة يس الآية ٦٩ .

(٢) سورة الدخان الآيتان ١٣-١٤ .

(٣) سورة القلم الآية ٢ .

(٤) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ج ٧ ص ٧٩ .

يا أبا الوليد ؟ قال : نعم . قال : (فاستمع منى) قال : أفعل . فقرأ عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم آيات من أول سورة فصلت . . . ثم مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها وهو يقرؤها عليه ، فلما سمع عتبة أنصت لها وألقى يديه خلف ظهره معتمداً عليه ، يستمع منه حتى انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم الى السجدة منها فسجد ، ثم قال : (قد سمعت يا أبا الوليد ما سمعت ، فأنت وذاك) . فقام عتبة الى أصحابه ، فقال بعضهم الى بعض : نحلف بالله لقد جاءكم أبو الوليد بغير الوجه الذى ذهب به . فلما جلس اليهم قالوا : ما وراءك يا أبا الوليد ؟ قال : ورائى أنى سمعت قولا ، والله ما سمعت مثله قط ، والله ما هو بالسحر ولا بالشعر ، ولا بالكهانة يا معشر قريش أطيعونى واجعلوها لى ، خلوا بين الرجل وبين ما هو فيه فاعتزلوه . .)(١)

وقد رد الله سبحانه وتعالى عليهم دعاويهم الباطلة فى آيات كثيرة منها قوله تعالى : (آلم تَنْزِيلُ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ لِتُنْذِرَ قَوْمًا مَا أَتَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ)(٢) .

وقال تعالى (فَلَا أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ وَمَا لَا تُبْصِرُونَ ، إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ، وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَا تُؤْمِنُونَ ، وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ ، تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ)(٣) .

قال ابن كثير فى تفسيره : (وهذا الكلام لسخافته وكذبه ، وبهته منهم ، كلٌّ أحد يعلم بطلانه ، فإنَّه قد علم بالتواتر وبالضرورة أنَّ محمداً رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن يعانى شيئا من الكتابة لا فى أول عمره ولا فى آخره ، وقد نشأ بين أظهرهم من أول مولده إلى أن بعثه الله نحوا من أربعين سنة ، وهم يعرفون مدخله ومخرجه وصدقه ونزاهته وبره وأمانته ، وبعده عن الكذب والفجور ، وسائر الأخلاق الرذيلة ، حتى أنهم كانوا يسمونه فى صغره وإلى أن بعث : الأمين ، لما يعلمون من صدقه

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام ج ١ ص ٢٦١-٢٦٢ ، وكذلك السيرة النبوية لابن كثير بتحقيق مصطفى عبد الواحد ج ١ ص ٥٠٣-٥٠٥

(٢) سورة السجدة الآيات ١-٣ .

(٣) سورة الحاقة الآيات ٣٨-٤٢ .

وبره ،فلما أكرمه الله بما اكرمه به نصبوا له العداوة ورموه بهذه الأقوال التى يعلم كل عاقل براءته منها ، وحاروا فيما يقذفونه به ، فتارة من إفكهم يقولون ساحر ، وتاره يقولون شاعر ، وتارة يقولون مجنون ، وتارةيقولون كذاب . وقال تعالى: (انظر كيف ضربوا لك الأمثال فضلوا فلا يستطيعون سبيلا)(١).

هذه هى شبهات المشركين التى أثاروها حول الوحى الإلهى وقد سجلها القرآن عنهم ورد عليهم فيها ،كما رأينا . ومن العجيب أننا نجد المستشرقين يوجهون إلى هذا الوحى الإلهى بعض هذه الشبهات ،الامر الذى يضطرنا الى أن نتوسع فى الرد عليهم تبعا لتوسعهم فيمايثيرونه من شكوك ،ولأن تثبيت النبوة لمحمد صلى الله عليه وسلم يتبعه بالتالى تثبيت كل النبوات التى أقرها القرآن . وتصحيح وقوع الوحى الإلهى كذلك ، هو - كما قلنا - تصحيح لوقوع الوحى الى الأنبياء السابقين على محمد صلى الله عليه وسلم وهذا هو موضوعنا فى الفصل التالى .

---

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ج ٥ ص ١٣٥ والآية من سورة الإسراء ٤٨ .

الفصل الرابع

إبطال شبهات المستشرقين حول الوحي الإلهي

أ ـ شبهات المستشرقين حول النبي صلى الله عليه وسلم للوحي النفسي والتأثير الفكري .

ب ـ ابطال القول بأن الوحي الإلهي وليد مؤثرات كتابية أو قوة فكرية .

حـ ـ الوحي الإلهي ليس وحياً نفسياً .

د ـ الرد على المستشرقين في تمثيلهم لقضية "جان دارك"

هـ ـ ظواهر الوحي الإلهي ليست ظواهر مرضية .

الفصل الرابع

إبطال شبهات المستشرقين حول الوحي الإلهي لمحمد صلى الله عليه وسلم

أ- شبهات المستشرقين حول خضوع النبي للوحي النفسي والتأثير الفكري

الوحي المحمدي عند المستشرقين ليس الا مجرد أفكار ورغبات تجمعت في المجال (اللاشعوري) لمحمد صلى الله عليه وسلم أخذا بما قرره (فرويد) حول العقل الباطن واللاشعور. وبمرور الزمن تفاعلت هذه المشاعر والأفكار وقويت. حتى اذا برزت هذه الأفكار الى شعور الرسول صلى الله عليه وسلم برزت في قوة حتى ليبلغ من امتلاء عاطفته بها أنه يظن، ويخيل اليه أنه يتلقاها من ذات خارجية عليا يراها ويسمع كلامها دون أن يكون في الخارج على الحقيقة أي شيء من ذلك. (١)

يقول (جولد تسيهر): (وكان قد بلغ الأربعين من عمره - يعني محمدا صلى الله عليه وسلم، وأخذ يقضي وقته على ما تعود من الخلوة في الغيران المجاورة للمدينة - يريد مسقط رأسه، أي مكة - حيث كان نهبا للأحلام القوية، والرؤى الدينية وتملكه شعور بأن الله يدعوه بقوة تزداد شيئا فشيئا ليذهب الى قومه منذرا اياهم بما يؤدي بهم ضلالهم من الخسران المبين، وبكلمة واحدة، أحس بقوة لا يستطيع لها مقاومة، تدفعه الى أن يكون مربيا لشعبه (أي منذره ومبشره). (٢)

فهؤلاء المستشرقون تراهم يحسنون الظن بصدق الرسول صلى الله عليه وسلم في التعبير عن نفسه، وعن يقينه المطلق بما جاء به. فكان كما يرونه صلى الله عليه وسلم رجلا يؤمن بالله ويبغض الأصنام، ويمقت ما كان عليه قومه من المآثم والمنكرات

---

(١) انظر دراسات في العقيدة الاسلامية والاخلاق ص ٤١

(٢) العقيدة والشريعة في الاسلام لجولد تسيهر نقله الى العربية د. محمد يوسف موسى، د. علي حسن عبد القادر، والاستاذ عبد العزيز عبد الحق، الطبعة الثانية دار الكتب الحديثة بمصر، ومكتبة المثنى ببغداد ص ١٤

وكان ممتلئا بعاطفة دينية جياشة تدفع به الى القيام بالاصلاح ، واشاعة الحق والخير ،وكانت تؤجج فيه هذه الرغبة ، نفسه العالية وخلقه الكريم .

وقد كان الى جانب ذلك -كما يظنون - قد امتلأ فكره بكثير من الأفكار والمعتقدات ، والرؤى الدينية عن اليوم الآخر والملائكة ، وبتواريخ الرسل السابقين مع أممهم ،التى استفادها من أهل الكتاب الذين كانوا يحيون فى مكة ،والذين اتصل بهم فى رحلاته التجارية الى الشام .(١)

والى ذلك يشير (قولد تسيهر) : (فتبشير النبى العربى ليس الا مزيجا منتخبا من معارف وآراء دينية عرفها أو استقاها بسبب اتصاله بالعناصر اليهودية والمسيحية وغيرها التى تأثر بها تأثيرا عميقا ،والتى رآها جديرة بأن توقظ عاطفة دينية حقيقية عند بنى وطنه ،وهذه التعاليم التى أخذها من تلك العناصر الأجنبية كانت فى رأيه كذلك ضرورية لتثبيت ضرب من الحياة فى الاتجاه الذى تريده الارادة الالهية .

ولقد تأثر بهذه الأفكار تأثيرا وصل الى أعماق نفسه ،وأدركها بايحاء قوته - التأثيرات الخارجية - فصارت عقيدة انطوى عليها قلبه ،كما صار يعتبر هذه التعاليم وحيا الهيا ،فأصبح - باخلاص- على يقين بأنه أداة لهذا الوحى) .(٢)

وقد كان - كما يرى المستشرقون - لما يتناقله أهل الكتاب من قرب ظهور رسول جديد من ولد اسماعيل ، كان لذلك أثره فى أن يمتلئ قلبه رجاء بأن يكون هو ذلك الرسول الجديد ،وكانت آلامه وآماله وأفكاره فى المسألة الدينية قوية فى نفسه ، وزاد ذلك قوة ،انقطاعه للعبادة فى خلوته حتى بلغ به الشعور بأن اعتقد جازما بأنه هو الرسول الموعود ، وتمثل له هذا الشعور اليقينى فى صورة ملك ينزل عليه من السماء فيراه فى أشكال مخصوصة ،ويسمع منه كلامه . غير أنه لا شئ فى الواقع خارج

---

(١) انظر دراسات فى العقيدة الاسلامية والاخلاق ص٤٢

(٢) العقيدة والشريعة فى الاسلام ص ١٢ .

نفسه وأفكاره وآماله التى تسلطت على عقله وحسه فى قوة طاغية ،وان كان ذلك - على رأيهم - لا يطعن ولا ينقص من صدق الرسول فى تعبيره عما يسمعه ويراه .

وقد ضربوا مثلا لهذا الوحى - النفسى - بقضية (جان دارك) الفتاة الفرنسية التى كانت أجمل النساء سيرة ، وأسلمهن نية ،حيث اعتقدت - وهى فى بيت أهلها بعيدة عن التكاليف السياسية - أنها مرسلة من عند الله لانقاذ وطنها ودفع العدو عنه . وصارت تسمع صوت الوحى ،فأخلصت فى دعوتها الى أن استطاعت بصدق ارادتها أن تنجز وتحقق ما لم يستطعه الأبطال من الرجال . فقررت الكنيسة الكاثوليكية قداستها بعد موتها بزمن .(١)

وهكذا يضربون الامثال للوحى النفسى ويوردون الشبهات على الوحى المحمدى فى أنه وليد تأثيرات عقلية ونفسية للبيئة التى كان يحيا فيها .

هذا على وجه الاجمال مذهب بعض المستشرقين فى تفسيرهم للوحى المحمدى

وقبل أن نتولى الرد على هؤلاء المستشرقين فى قولهم بالوحى النفسى ينبغى أن نشير الى أن ابطال القول بالوحى النفسى عند الرسول صلى الله عليه وسلم يتصل اتصالا وثيقا ببعض الجوانب التى سبق أن أثبتناها عند حديثنا عن صدق الرسالة المحمدية واثبات وقوعها . لذلك سنكتفى فيما يتعلق بهذه الجوانب ،بالاشارة الموجزة ، حتى لا نخرج البحث عن طبيعته ، وكونه مجرد رد على تفسيرهم النفسى للوحى المحمدى الى كونه اثباتا لصدق الرسول صلى الله عليه وسلم فى دعوى الوحى وان كان بحثنا هنا بطبيعة الحال ينتهى الى هذه النتيجة ويستفيد من مقدماتها .

---

(١) انظر الوحى المحمدى لمحمد رشيد رضا ص ٨٨ - ٨٩ .

ب ـ ابطال القول بأن الوحي المحمدي وليد مؤثرات كتابية أو ثقافة فكرية :-

١) الحقائق التاريخية تثبت أن الوحي المحمدي ليس وليد مؤثرات كتابية :

فقد رأينا كيف ذهب المستشرقون الى أن النبي صلى الله عليه وسلم قد أخذ الوحي الذي جاء به من المصادر الكتابية التي اتصل بها . وهذا زعم باطل مردود بشهادة الحقائق التاريخية كما تحكيها كتب التاريخ والسير .

فالبيئة التي عاش فيها الرسول صلى الله عليه وسلم كانت بعيدة كل البعد عن الافكار الدينية ،حافلة بكثير من أنواع المنكرات والفواحش ،وكانت مكة التي ظهرت الرسالة الخاتمة فيها بصفة خاصة ، كانت في معزل عن التجمعات الدينية ،ولم يكن فيها من اليهود ـ كما قدمنا ـ الا بعض نفر لا يتجاوزون أصابع اليد عدا . وكانوا من عامة اليهود ،في معزل عن مراكزهم الثقافية والسياسية فأي تأثير فكري أو نفسي يمكن أن يكون لهؤلاء بل لقد فقدوا بصفة عامة التأثير الديني فعزلوا بذلك عن قيادة الأمم . (١)

---

(١) ذكر ابن هشام في السيرة أن بعض أهل الكتاب كانوا قد بيّتوا الشر لمحمد صلى الله عليه وسلم لما رأوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل ما رأى (بحيرى) فأرادوه فردهم عنه (بحيرى) وذكرهم الله وما يجدون في الكتاب من ذكره وصفته ،وأنهم ان أجمعوا لما أرادوا به لم يخلصوا اليه ، فصدقوه بما قال .
وقد سماهم ابن هشام في السيرة النبوية وهم : زُرَيْر ، وتَمّام ،ودَريس .
السيرة النبوية لابن هشام ج ١ ص ١٧٦ . وعن العالم الذي واجهه محمد صلى الله عليه وسلم انظر ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين
انظر:ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ـ للندوي دار السلام للطباعة والنشر حلب ، الطبعة الحادية عشر ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م ص ٨٩-٩١ .

وكذلك انظر: النبأ العظيم للدكتور دراز ص ٥٨ ، ٩٤

قال تعالى فى شأنهم: (ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَمَا ثُقِفُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِنَ النَّاسِ ،وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ ، وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ،ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ، وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ)(١)

وقال تعالى : (فَبِظُلْمٍ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ ، وَبِصَدِّهِمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا ، وَأَخْذِهِمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ ،وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ ، وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا)(٢).

وقال تعالى : (وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ ،غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا . بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ ، وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا ،وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ ، وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا ، وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ)(٣).

هذه الصورة التي سقناها بايجاز شديد عن حال اليهود تنطبق تماما على العالم المسيحى فحين قامت الدعوة الجديدة الخاتمة ،لم تكن الحالة التى عليها المسيحية بأحسن مما فى اليهودية ،فلم تقابل الدعوة الجديدة إلا خرافات منفرة ووثنية منحطة ،ومخجلة ، ومذاهب كنسية مغرورة ،وطقوسا دينية منحلة .

فاذا كانت هذه ، وتلك هى حالة أهل الكتابين فكيف يتأتى مع هذا أن يكون الوحى الذى جاء به النبى صلى الله عليه وسلم مقتبسا من بيئة كان اليهود والنصارى فيها من الندرة بمكان ،علاوة على ما كانوا عليه من زيف فى العقيدة وتحريف فى الكتب ،وانحراف فى السلوك .

---

(١) سورة آل عمران الآية ١١٢ .

(٢) سورة النساء الآيتان ١٦٠ - ١٦١ .

(٣) سورة المائدة الآية ٦٤ .

ولا شك أن ما صادفه عليه الصّلاة والسلام لدى أهل الكتاب من المـــــادة الدينية ،والمخلفات الثقافية ،كان يصلح لهدم الأمم لا لبنائها . فلم يكن فيها ما هو صالح ليحتذى به ،وتبنى عليه رسالة جديدة تختلف في مبادئها التي قامــت على قواعد ثابتة وراسخة من العقيدة الصحيحة ،والشريعة السمحة والأخـــــلاق الفاضلة .

ونفترض جدلا أن البيئة التي أوحى إلى الرسول صلى الله عليه وسلم فيهـــا وما حولها ،كانت مليئة بالأحبار والرهبان ، وأنهم كانوا على عقيدة صحيحة . فهـــل حصل أن رحل النبي صلى الله عليه وسلم اليهم متتلمذا ،أو أنه صلى الله عليه وسلـــم في رحلاته جلس واستمع إليهم البتة ؟

إن المصادر التاريخية لا تثبت من ذلك شيئا فيه دلالة على ذلك . فحـــين سافر الى يثرب التي كانت معقل اليهودية ، ومركزهم في الجزيرة العربية مع أمـــه لزيارة أخواله من بني النجار، كان صغير السن ، ولم يحفظ التاريخ أنه أعاد هذه الرحلة في شبابه .

وتذكر كتب السير أيضا أنه ما رحل الى الشام قبل بعثته الا مرتين[(1)]:-

الأولى : مع عمه أبي طالب ،وهو صغير لم يتجاوز الثانية عشرة من عمره ، ولم يحدث أنه في هذه الرحلة قد انفرد بأحد من الرهبان .

أمّا ما كان من خبر (بحيرى) الرّاهب، وما دار بينه ، وبين أبي طالب عن هذا الغلام اليافع ، فلم يكن للنبي صلى الله عليه وسلم نصيب من هذا الحديـــث ،لأن من شيمة الغلمان أمثاله ، أن يكونوا مع الرّحل . وإذا افترضنا أنه قد سمع مـــا دار فلا نتوقع من ذاكرة صبي مثله أن تتنبه لما دار . وحتى لو أنه تنبه لذلك ،فهل يمكن

---

(1) انظر السيرة النبوية لابن هشام ج ١ ص ١٦٥ ، ١٧١ .
وانظر كذلك الظاهرة القرآنية لمالك بن نبي ، ص ١٢٥ وما بعدها .

لما قل أن ينسب شيئا من الوحى الذى نزل على محمد صلى الله عليه وسلم لما قاله هذا الراهب عن مخايل محمد صلى الله عليه وسلم تلك التى قال عنها انها توافق ما يعرفه عن أوصاف النبى المرتقب .

أما الرحلة الثانية : فقد خرج فى تجارة للسيدة خديجة بنت خويلد رضى الله عنها فلم يتفرغ لأى أمر دينى ، بل كان همه بطبيعة الحال ، أن يثبت جدارته بثقتها التى وضعتها فيه ، ومهارته فى البيع والشراء ، واكتساب الأرباح . ولو كان قد اتصل ببعض النصارى فى رحلته هذه ، لذكرهم المستشرقون بأسمائهم كما ذكروا (بحيرة) الراهب.

ومع كل هذا فلنفترض جدلا أنه قد أتيحت له الفرصة فى رحلته هذه ، وجلس مع الرهبان ، وتتلمذ عليهم ، فهل هذه الفترة التى لا تزيد مدتها عن الشهر أو الشهرين كافية لأن يأخذ عنهم نظاما متكاملا يشتمل على عقائد وشرائع وعبادات. فما بالك اذا كان النبى صلى الله عليه وسلم قد تناول بالنقد والتجريح كل ما كان عند هؤلاء الرهبان ، والقساوسة من العقائد المحرفة لدى اليهود والنصارى كما قال تعالى : (وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ ، وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ، ذَلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ ، اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ ، وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَٰهًا وَاحِدًا لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ)(1).

وذكر مساوئهم الأخلاقية عبر تاريخهم الطويل ، كما قال تعالى: (وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ الطُّورَ بِمِيثَاقِهِمْ وَقُلْنَا لَهُمُ ادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا ، وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا فِي السَّبْتِ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا ، فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ وَكُفْرِهِم بِآيَاتِ اللَّهِ وَقَتْلِهِمُ الْأَنبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ، وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا)(2).

---

(1) سورة التوبة الآيتان ٣٠-٣١ .

(2) سورة النساء الآيتان ١٥٤-١٥٥ .

وصحح إلى جانب ذلك أخطاءهم فى كثير من الجوانب الدينية .

ويطول بنا المقام لو نقلنا مطاعن القرآن فى أهل الكتاب .

أفيقال بعد هذا أن الوحى المحمدى ، كان وليد تأثير كتابى فى رسول الله صلى الله عليه وسلم رغم كل ما بينه وبين اليهود والنصارى من أوجه الخلاف الظاهرة .

أمّا فى المحيط الداخلى فالذين تنصروا من العرب ،وهم قلة ، لم يكن لهم البتة نشاط للتبشير المسيحى .

فورقة بن نوفل الذى تنصر وقرأ الكتب ،وسمع من أهل التوراة والانجيل ، لم يحفظ التاريخ لنا أنّ النبى صلى الله عليه وسلم كان يتتلمذ له ،وحتى ما كان بينه وبين الرسول صلى الله عليه وسلم من لقاء ، إنما كان بعد أن أوحى إليه صلى الله عليه وسلم . وكان بحضرة السيدة خديجة رضى الله عنها ، وهى التى شهدت له بالصدق عند أول نزول الوحى عليه . ثم إنّ ورقة بما لديه من علم أكد أن ذلك هو الناموس الأكبر الذى كان يأتى موسى ،وشهد له بأنه نبى هذه الأمة .

فاذا كان ورقة بن نوفل الذى يدعى هؤلاء المستشرقون أنه صلى الله عليه وسلم أخذ عنه ،ينسب ما جاءه من وحى الى الناموس الأكبر الذى هو جبريل عليه السلام . فكيف ينسب هؤلاء المستشرقون الوحى الى تأثيره ؟. قال ابن هشام: (. . فرجعت خديجة إلى الرسول صلى الله عليه وسلم فأخبرته بقول ورقة. فلما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم جواره وانصرف صنع كما يصنع ،بدأ بالكعبة فطاف بها ،فلقيه ورقة بن نوفل وهو يطوف بالكعبة فقال : يا ابن أخى أخبرنى بما رأيت وسمعت فأخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ورقة: والذى نفسى بيده ، إنك لنبى هذه الأمة ولقد جاءك الناموس الأكبر الذى جاء موسى ،ولتكذّبنّه ، ولتؤذينّه ، ولتخرجنّه ، ولتقاتَلنّه ،ولئن أنا أدركت ذلك اليوم لأنصرن الله نصرا يعلمه ،ثم أدنى رأسه منه فقبل يافوخه . ثم انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم

الى منزله).[1]

فاذا كان ورقة نفسه يشهد بهذا ،فأيهما المعلم للآخر؟ وأيهما الذى كان يستمع للآخر؟ وأين التعليم والتلقى فى هذا اللقاء؟ ولقد مات ورقة قبل أن يبعث الرسول صلى الله عليه وسلم بدليل رواية (لم ينشب)[2] الواردة فى الحديث. والمعنى: لم يتعلق ورقة بشىء من الأمور حتى مات.[3]

ويبدو أن ورقة كان يدرك أنه مشرف على أجله لفرط هرمه، ووهن عظمه، ففى حديث البخارى أنه قال للرسول صلى الله عليه وسلم: (ليتنى أكون حيا إذ يخرجك قومك، ... وان يدركنى يومك أنصرك نصرا مؤزرا).[4]

وقد نقل الدكتور حسن ضياء الدين عتر: أن جمهور المؤرخين والمحدثين وكتاب السيرة جميعهم يقولون على هذه الحقيقة، وهى وفاة ورقة سريعا بعد هذا اللقاء.[5]

فاذا كان ورقة بن نوفل لم يعش طويلا ،فمن أين استمد الرسول صلى الله عليه وسلم معارفه هذه، وعلومه التى ظل يتلوها أكثر من عشرين عاما ؟ .

ولقد فطن المستشرق البروفسور (مُونْتِجُمَرِى واط) للاعتراض القائل بأن هذا اللقاء مما يعلق عليه المستشرقون آمالهم فى القول بالوحى النفسى، انما تم بعد نزول الوحى على محمد فعلا، مما يفيد أنه لا علاقة لورقة به ،ولا تأثير لآرائه فى حصوله قبل هذا اللقاء على الأقل . وهذا استنتاج موضوعى حتى ملزم .

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام ج١ ص ٢٢٢.
(٢) متفق عليه : صحيح البخارى : كتاب بدء الوحى باب ٣ بدون تبويب ١ / ٣ . صحيح مسلم: كتاب الايمان باب بدء الوحى الى الرسول صلى الله عليه وسلم ١ / ١٦٠
(٣) انظر فتح البارى، شرح صحيح البخارى لابن حجر العسقلانى رئاسة إدارات البحوث ج ١ ص ٢٧ وكذلك،انظر عمدة القارى فى شرح صحيح البخارى للعينى ج ١ ص ٥٢ .
(٤) انظر تخريج الحديث ص ٢١١ من هذا البحث .
(٥) انظر وحى الله حقائقه وخصائصه فى الكتاب والسنة د . حسن ضياء الدين عتر ص ٩٤-٩٥ .

لذلك نبه (واط) الباحثين الغربيين أن لا يستدلوا بهذه الرواية ذاتها . لأنها لا تخدم مآربهم ،وأغراضهم . بل الأفضل والانجع أن يستدلوا بافتراض آخر ، حيث قال : (ولهذا فمن الأفضل الافتراض بأن محمدا كان قد عقد صلات مستمرة مع ورقة بن نوفل منذ وقت مبكر ،وتعلّم أشياء كثيرة . . . وقد تأثرت التعاليم الاسلامية اللاحقة كثيرا بأفكار ورقة . وهذا ما يعود بنا الى طرح مشكلة : (العلاقة بين الوحي الذى نزل على محمد ، والوحي السابق له) [(١)] .

وقد علل (واط) ذلك بقوله : (فان النص الذى يجمع بين محمد وورقة أفضل من النص الذى يجعلهما لا يلتقيان) [(٢)] .

ومما لا شك فيه أن افتراض تعدد اللقاءات بين ورقة ، ومحمد صلى الله عليه وسلم قبل نزول الوحي عليه ،هو محض اختلاف لا أصل له ،فلم يحفظ التاريخ من ذلك شيئا ، ومن ثم فلا صحة لما يزعمه (واط) من الجمع بينهما على طريق الأخذ والتلقي حتى ولو كان ذلك على سبيل الافتراض .

أما سلمان الفارسي رضي الله عنه فقد كان إسلامه بعد الهجرة ،ولم يتمكن من مصاحبة الرسول صلى الله عليه وسلم الا فى معركة الخندق فى السنة الخامسة للهجرة [(٣)] .

أما عبد الله بن سلام الذى كان من أكبر علماء أهل الكتاب فقد أسلم بعد الهجرة الى المدينة المنورة . ولم يذكر التاريخ أنه رآه قبل ذلك . وقد شهد له ابن سلام بالرسالة . فكان متتلمذا عليه صلى الله عليه وسلم .

أما الحنفاء الذين تمردوا على المجتمع الوثني الضال ، فرغم أن رجاحة عقولهم وسلامة فطرتهم هدتهم إلى طلب الحق إلا أن الدين أشمل من ذلك بكثير . فكانوا يجهلون عبادة الله سبحانه وتعالى على وجهها الصحيح ، ويجهلون أمور الآخرة ، و تواريخ الأنبياء ،وأحكام العبادات والمعاملات .

---

(١) (٢) وحي الله حقائقه وخصائصه ص ٨٦ ، ١٠٠

(٣) انظر السيرة النبوية لابن هشام ج ١ ص ٢٠١ - ٢٠٢ .

فلم يكن لهم من ذلك ميراث يطلع عليه محمد صلى الله عليه وسلم ولم يكن لمن بقى منهم إلى عهده من العلم ، والمعرفة ما يستفيده منهم .

وبصفة عامة لا يمكن أن يكون للبيئة العربية بكل ما فيها ، ومن فيها من الناس أى تأثير فكرى على رسول الله صلى الله عليه وسلم ،ولا أن يكون لشخصيته من الانفصال عن هذه البيئة بحيث تكون مصدرًا لما جاء به من الوحى .

فإذا ثبت بما لا يدع مجالا للشك أن محمدا صلى الله عليه وسلم لم يتعلّم قط الا ما تعلّموا ، ولا صاحب إلاّ من صحبوا ، ولا فارقهم بمكة إلاّ مشى معهم قدما بقدم ، ولم يقم فى الشام إلاّ ما يقوم التاجر لأمر تجارته.(1)

إذا ثبت كل ذلك فقد ثبت أن الوحى الذى كان يأتيه صلى الله عليه وسلم ليس إلاّ من معلّم واحد هو الله رب العالمين بواسطة ملك الوحى جبريل عليه السلام، لم يتلقاه من راهب، ولا كاهن ، ولا فيلسوف . فيثبت بذلك أن الوحى ليس من تأثير بيئته ، ولا من عند نفسه ،بل خارج عن ذاته صلى الله عليه وسلم .

أمّا ادعاء المستشرقين بأنه صلى الله عليه وسلم امتلأ رجاء أن يكون هو الرسول الذى تناقل أنباءه أهل الكتاب إلى غير ذلك ،فذلك دعوى من غير دليل . لأن مثل هذا يكون أمرا نفسيا ،أو فكريا لا يعرف بغير اعتراف من صاحبه . وإنّ مجرد أمله فى الرسالة لا يكفى لأن يَصْدُر عنه القرآن ،ولا يدل عليه ادعاؤه للوحى .

فليس هناك اذن من الناحية التاريخية - كما قدمنا - أية مؤثرات فكرية أو عاطفية ،فلا تأثير كتابي مزعوم فى فكر الرسول صلى الله عليه وسلم وشعوره ، ولا أفكار وآمال دينية عند الرسول على النحو الذى يصوره هؤلاء المستشرقون ،ومن ثم يبطل جميع ما رتبوه على ذلك من أحكام فيما يتعلق بالوحى المحمدى(2)

---

(1) انظر مقامع الصلبان ومراتع روضات الإيمان للقرطبى تحقيق محمد سامة ، طبع بمطابع المدنى بمصر ص ٢٠٦ .

(2) انظر دراسات فى العقيدة الاسلامية والاخلاق ص٤٨- ٤٩

وقد وردت آيات كريمات فى كتاب الله عز وجل تنفى أن يكون هذا الوحى ، وهذا القرآن قد استفيد من أهل الكتاب قال تعالى: (مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ وَلَا المُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُم ، وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الفَضْلِ العَظِيمِ) (١) .

وقال تعالى : (وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ بِكُلِّ آيةٍ مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ ، وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُم ، وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ، وَلَئِن اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ العِلْمِ إِنَّكَ إِذاً لَمِنَ الظَّالِمِين) (٢) .

وقال تعالى : (يَا أَهْلَ الكِتَابِ قَدْ جَاءَكُم رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُم كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُم تُخْفُونَ مِنَ الكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُم مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ) (٣) .

فأهل الكتاب لشدة عداوتهم للمسلمين لا يودون انزال الخير عليهم من الله سبحانه وتعالى . وقد بين سبحانه شدة عداوتهم للرسول صلى الله عليه وسلم ،ولما جاء به صلى الله عليه وسلم ،ولما جاء به من الهدى والخير فحكم عليهم بعدم متابعة الرسول صلى الله عليه وسلم مهما يأتى به من البينات .

فكيف يتأتى بعد هذه العداوة أن يكون الرسول صلى الله عليه وسلم قد أخذ عنهم هذا الخير الوفير ،والهدى المبين الذى كانوا يخفون كثيرا منه .

---

(١) سورة البقرة الآية ١٠٥ .

(٢) سورة البقرة الآية ١٤٥ .

(٣) سورة المائدة الآية ١٥ .

٢) **النظرة الموضوعية فى القرآن الكريم تدل على أن الوحى المحمدى ليس وليد قوة فكرية :-**

فقد رأينا كيف أن المستشرقين يدّعون أن محمدا عليه الصلاة والسلام ، كان له من حدة الذكاء ونفاذ البصيرة ،وقوة الفراسة ، وشدة الفطنة ، وصفاء النفس، ما يجعله يدرك مقاييس الخير والشر ، ويتعرف على خفايا الأمور. ولا يخرج القرآن عندهم أن يكون في كثير من جوانبه أثرا لقوته الفكرية وحسن إدراكه للأمور ،عبرّ عنه محمّد صلى الله عليه وسلم باسلوبه وبيانه.(١)

وما دمنا قد حملنا راية الموضوعية التى تخلى عنها هؤلاء المستشرقون فى جوانب كثيرة من بحوثهم ، فانا سنلقى النظر الموضوعى فى القرآن نفسه لنرى كيف أنه لا يمكن اعتباره من نفسه وليد الفكر المحمدى .

الحقائق العلمية التى جاء بها القرآن الكريم منذ أكثر من أربعة عشر قرنا من الزمان ،والتى خلت عن الأوهام ، والأخطاء العلمية الشائعة فى البيئة العربية فى فهمها للكون ،وطبيعته . هذه الحقائق العلمية التى إنتهت إليها التجارب العلمية الحديثة بعد جهود دراسية مضنية أنتجتها تجارب كثيرة . إذا ما قارناها بالبيئة المحمدية التى ظهرت فيها أول ما ظهرت، تلك البيئة البعيدة عن كلّ اشعاع علمى تُعَدّ سابقة لعصرها ،غريبة عنه . ممّا يؤكد لنا الانفصال التام بين الوحى ،والفكر النبوى الشريف .

من ذلك ما جاء فى قوله تعالى : (وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ)(٢)
وقوله تعالى : (وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ)(٣)

وقوله تعالى : (يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ)(٤).

وقوله تعالى : (أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا

---

(١) انظر مباحث فى علوم القرآن للقطان ص ٤٢ .
(٢) سورة الحجر الآية ٢٢ .
(٣) سورة الذاريات الآية ٤٩ .
(٤) سورة الزمر الآية ٦ .

وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ[1])) .

(فمن أين لعربي أمي في ذلك العصر الملئ بأوهام العلمية معرفة وظيفة التلقيح التي تقوم بها الرياح ؟ أو أن الصلة بين المخلوقات تقوم على أساس التزاوج بين الذكر والأنثى سواء في الحيوان ، أو في النبات . وكون العالَمُ الفلكي كتلة واحدة انفصلت أجزاؤها عن بعض .

إنَّ الفكر المحمدى في هذه الناحية لابد وأن يكون صورة لبيئته وعصره ،ودائما يتساوى موضوع الفكر مع الفكر نفسه بما تمده به الملاحظات، والتجارب. ولكننا نجد المعرفة الكونية في القرآن تتجاوز قوة فكره ، وتجاربه كما تتجاوز معرفة عصرة)[2] .

ففى هذه النظرة الموضوعية يبدو لنا الانفصال تاما بين الوحي شكلا وموضوعا ، وبين الذات المحمدية فكرا وشعورا .

ومن البديهي أن معرفة الوسط الأمي الذي نشأ فيه الرسول صلى الله عليه وسلم حتى لتاريخه القديم ،كانت معرفة ضئيلة ، ومشوشة لا تصلح أن تكون مصدرا للتاريخ القرآني . أما القرآن الكريم الذي يدعي هؤلاء المستشرقون أنه من تأليف محمد صلى الله عليه وسلم فقد جاء بتواريخ الأمم السالفة بتفاصيلها الدقيقة ،وتواريخها المعقدة .

فهل للذكاء العقلي طريقٌ للمعرفة التاريخية المفصلة الصحيحة؟ أم كان طريقها الاطلاع، والاكتشاف الأثري والتلقي بالسماع ؟

يجيب د . محمد عبد الله دراز على هذا السؤال فيقول : (اللهم كلا ،ففي القرآن جانب كبير من المعاني النقلية البحتة التي لا مجال فيها للذكاء والاستنباط. ولا سبيل الى علمها لمن غاب عنها إلا بالدراسة والتلقي والتعلم .

---

(١) سورة الأنبياء الآية ٣٠ .

(٢) دراسات في العقيدة الاسلامية والاخلاق ص٥

ماذا يقولون فيما قصه علينا القرآن من أنباء ما قد سبق ، وما فصله من تلك الأنباء على وجهه الصحيح كما وقع ؟ أيقولون إن التاريخ يمكن وضعه أيضا بأعمال الفكر ، ودقة الفراسة ؟ أم يخرجون الى المكابرة العظمى فيقولون ان محمدا قد عاصر تلك الأمم الخالية ، وتنقل فيها قرنا فشهد هذه الوقائع مع أهلها شهادة عيان ....

إنهم لا يسعهم أن يقولوا هذا ولا ذاك . لأنهم معترفون مع العالم كله بأنه عليه الصلاة والسلام لم يكن من أولئك ، ولا من هؤلاء)[١]. قال تعالى : (وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِم إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُم أَيُّهُم يَكْفُلُ مَرْيَمَ)[٢] . وقال : (وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِم إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُم وَهُمْ يَمْكُرُونَ)[٣]. وقال : (وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَا إِلى مُوسَى الأَمْرَ وَمَا كُنْتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ)[٤] . وقال تعالى : (وَمَا كُنْتَ تَتْلُوا مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لَارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ)[٥]. وقال : (نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ)[٦].

فليست للرسول صلى الله عليه وسلم قراءات ، ولا مقارنات بين الوثائق التاريخية ، ولا سياحات في الأماكن المؤرخ لها ، ولم يؤثر عنه أي حديث تاريخي قبل الدعوة كما كان يفعل النضر بن الحارث في رواياته لأخبار بلاد فارس ، وملوكها الى غير ذلك .

ومن الجانب الاخباري كذلك تناول القرآن الكريم أنباء دقيقة ، تناول الأرقام الحسابية التي لا يعلمها الا الدارس البصير كما في قصة نوح عليه السلام : (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِم أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ)[٧].

---

(١) النبأ العظيم للدكتور دراز ص ٣٦-٣٧ .
(٢) سورة آل عمران الآية ٤٤ .
(٣) سورة يوسف الآية ١٠٢ .
(٤) سورة القصص الآية ٤٤ .
(٥) سورة العنكبوت الآية ٤٨ .
(٦) سورة يوسف الآية ٣ .
(٧) سورة العنكبوت الآية ١٤ .

وَرَدَ هذا الخبر موافقا لما جاء في سفر التكوين من التوراة (١).

وقال تعالى في قصة أصحاب الكهف: (وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَمِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا) (٢).

وهي عند أهل الكتاب ثلاثمائة سنة شمسية، والسنون التسع هي فرق ما بين عدد السنين الشمسية والقمرية (٣).

فمن أين لمحمد صلى الله عليه وسلم هذه التواريخ الدقيقة الصحيحة لو لم يكن يوحى إليه، وهو رجل أمي عاش في أمة أمية لا تكتب ولا تحسب.

أما ما جاء به صلى الله عليه وسلم من العقائد، والأمور التفصيلية عن بدء الخلق ونهايته، والحياة الآخرة، وما فيها من الجنة والنار، وما يتبع ذلك من الملائكة وأوصافهم ووظائفهم، فمن المعلومات الغيبية التي لا مجال فيها للذكاء، وقوة الفراسة البتة. قال تعالى: (وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً، وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا) (٤).

ولقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم يتحرج عن الخوض في الحديث عن هذا الجانب الغيبي. فقد قالت السيدة عائشة رضي الله عنها عن طفل صغير مات انه لم يفعل شيئا فاستحق الجنة. فقال لها صلى الله عليه وسلم: (أو غير ذلك يا عائشة) (٥)

وقد كان عليه الصلاة والسلام عاجزا عن ادراك حقيقة ما وقع بين خصمين شاهدين أمامه ليقضي بينهما، وهو يسمع أقوالهما. فهو بلاشك أشد عجزا عن ادراك ما يغيب عنه مما لا مجال لإدراكه من أمور الآخرة وغيرها من المغيبات.

---

(١) سفر التكوين الاصحاح التاسع ٢٨ - ٢٩.
(٢) سورة الكهف الآية ٢٥.
(٣) انظر النبأ العظيم ص ٣٧، وكذلك مباحث في علوم القرآن لمناع القطان ص ٤٤
(٤) سورة المدثر الآية ٣١.
(٥) صحيح مسلم: كتاب القدر، باب معنى كل مولود يولد على الفطرة ٤/ ٢٦٦٢

سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم خصوما بباب حجرته فخرج إليهم فقال : (إنما أنا بشر ، وانكم تختصمون اليّ فلعلّ بعضكم يكون ألحن بحجته من بعض ، فأحسب أنه صادق فأقضي له بذلك فمن قضيت له بحق مسلم فإنما هي قطعة من النار فليأخذها أو ليتركها).(١)

ولقد جاء القرآن الكريم كذلك بأكمل النظم الأخلاقية والإجتماعية التى لا تصلح الحياة إلاّ بها . وقد عالجت هذه النظم مشاكل فى العصر البعيد لم تتنبه الإنسانية لها إلاّ فى هذا العصر الذى نعيشه ـ كما قدمنا ذلك فى الباب الأول(٢) ـ وذلك كالوجود الطبقي ، ووضع المرأة فى المجتمع ، ووضع الرقيق ... الخ وقررت مبادئ لا تستقيم الحياة الانسانية بدونها ، كمبادئ الحرية والاخاء والمساواة والعدالة والشورى .

ذلك كله مع تطابق رائع مع الفطرة الانسانية بشكل اعتبرت به الشريعة الاسلامية شريعة عالمية تفوق الشرائع الأخرى .

قال تعالى : (إِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ).(٣)

وقال تعالى فى شأن الوحدة الإنسانية والمساواة بين الأجناس (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ).(٤)

وقد بلّغ النبى صلى الله عليه وسلم ذلك فى حجة الوداع : (الا لا فضل لعربى على أعجمى ، ولا لعجمى على عربى ولا لاحمر على أسود ولا لاسود على أحمر الا بالتقوى)(٥)

ويطول بنا المقال لو حاولنا إبراز ميزات الشريعة القرآنية وتجديداتها السابقة لعصرها . وقد سبق أن قدمنا بعضا من ذلك.

---

(١) صحيح البخارى : كتاب الشهادات ، باب من أقام البينة بعد اليمين : ٥ / ٢٦٨٠
صحيح مسلم : كتاب الأقضية باب الحكم بالظاهر واللحن بالحجة ٣ / ١٧١٣

(٢) انظر ص ١١٦ من هذا البحث ، ما بعدها .

(٣) سورة الأنبياء الآية ٩٢ .

(٤) سورة الحجرات الآية ١٣ .

(٥) مسند الامام احمد ج ٥ ص ٤١١

ولا شك أن هذه المعلومات والأفكار والتشريعات الاجتماعية والأخلاقية خارجة أيضا عن حدود الفكر الإنساني عامة، وعن العصر المحمدي بصفة خاصة. فليست من عمل الذكاء، بل ويستحيل أن ينشئها أي فكر انساني على مر الدهور والعصور ويكشف ذلك بدون أدنى ريب عن صدورها عن وحي إلهي (١).

وهذا لا يعني أن أحدا ينكر ما للنبي صلى الله عليه وسلم من ذكاء ونقاء فطرة يستطيع أن يهتدي إلى كثير من قيم الحق والخير. لكن أن يصدر عن الذكاء والفطرة وحدهما هذا الكمال المطلق في مبادئ دينية وأخلاقية واجتماعية تنظم شئون الحياة كلها بحيث تصلح به صلاحا لا مجال فيه لتصحيح أو تصويب - أن يكون هذا - فأمر مستحيل (٢).

ثم أننا اذا نظرنا الى الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد، والذي يدعي المستشرقون أن النبي صلى الله عليه وسلم أخذ تعاليمه منه. فإننا نجد أنه يحمل في طياته الأباطيل بعد أن أصابه معول التغيير والتحريف حتى لحق بالعقائد والشرائع الكتابية ما لحقها من الأباطيل. ويكفي أن نشير فقط إلى انحراف عقيدة الكتاب المقدس عن عقيدة التوحيد والتنزيه، إلى القول بتأليه البشر، والغلو في التشبيه، والانحراف عن خط التوحيد هو أساس ما في هذا الكتاب من انحرافات عقدية وتشريعية وأخلاقية يطول أمر الاستشهاد عليها.

فكيف بهم يلحقون الكامل بالناقص. كان الأحرى بلا شك أن يكون لخلو القرآن من هذه الأباطيل دليلا على مصدره الإلهي وانفصاله عن المصادر الدينية الموجودة في عصره صلى الله عليه وسلم.

ولقد قدمنا فيما قدمنا في الباب الأول أن القرآن الكريم معجز من جميع نواحيه؛ من ناحية أسلوبه، ومن ناحية علومه، ومن ناحية الأثر الذي أحدثه في العالم،

---

(١) انظر الظاهرة القرآنية لمالك بن نبي ص ٢١٢

(٢) انظر دراسات في العقيدة الاسلامية والاخلاق ص ٥٤ .

وغير به وجه التاريخ . بل ومن تلك النواحي مجتمعة .(1)

وقد تحدى به النبي صلى الله عليه وسلم معاصريه ومازال التحدي قائما ،وسيرا دون أن يجد من يعارضه ،مما يؤكد أن هذا القرآن ليس صنعة بشرية يعجز البشر بمثل شيء منه . وإلاّ فمن الإحالة بمكان أن يتميز انسان ما عن البشر جميعا هذا التمييز الغريب مع مساواته لهم في البشرية ، بحيث يأتي بهذا القرآن من عند نفسه فلا يستطيع أحد أن يعارضه في شيء مما جاء به ،ولا سيما هؤلاء العرب الذين امتازوا بالفصاحة والبلاغة ،والذين أثار القرآن حميتهم لمعارضته لما تضمنه من الطعن على آلهتهم وتسفيه عقولهم ، وبما تحداهم به أن يأتوا بسورة واحدة منه . ولقد كان قبول هذا التحدي - لو أمكن - أيسر عليهم مما دخلوا فيه من المواقع الحربية التي أزهقت فيها أرواحهم ،وسالت دماؤهم وضاعت أموالهم ، وهم يحاولون القضاء على الاسلام . فلو كانت معارضة القرآن ممكنة لكانت أيسر طريق لتحقيق غرضهم هذا . فلما لم يفعلوها مع ما كان لهم من القدرة البلاغية ومع ما استثيروا به من الناحية الدينية والعصبية ، ومع ما كانوا يهدفون إليه ويسعون في سبيله للقضاء على الإسلام - لما لم يقوموا بمعارضة القرآن برغم كل ما تقدم - دل ذلك على أنها ليست أمرا ممكنا ، لأن القرآن وحي إلهي وليس من عمل النبي صلى الله عليه وسلم .

---

(1) للمزيد انظر النبأ العظيم للدكتور دراز ص ٧٩ .

جـ ـ الوحي المحمدي ليس وحيا نفسيا :

رأينا في دراستنا للحقائق التاريخية، وفي نظرتنا الموضوعية للقرآن الكريم، أن الفصل واضح بين الوحي المحمدي، وبين ما يدعيه هؤلاء المستشرقون. وأن الفصل تام بين الوحي شكلا وموضوعا، وبين الذات المحمدية فكرا وتجربة.

إن تجربة الوحي منذ مبدئها وحتى نهايتها كانت أمرا منفصلاً عن شخصية الرسول صلى الله عليه وسلم وإرادته الذاتية، تفرض عليه من إرادة عليا تفوق كل إرادة بشرية وقد مرت به في عمر دعوته ظروف عصيبة احتاج فيها بصورة بالغة الإلحاح - إلى هبوط فوري للوحي، ولكن الوحيَ كان يبطئ عليه في بعضها - مراعاة لحِكَم مختلفة -.(١)

ولقد أثبتت الروايات الصحيحة أن الوحي قد انقطع فترة من الزمن عن النبي صلى الله عليه وسلم. قيل في تحديدها أقوال مختلفة: أقلها ثلاثة أيام وأكثرها ثلاث سنين.(٢)

ولكن الروايات الصحيحة التي وصلت إلينا لم تذكر تحديداً لها.(٣)

وقد روى أنه صلى الله عليه وسلم كان يغدو الى (ثبير) مرة، وإلى (حراء) مرة أخرى يريد أن يُلقِيَ بنفسه من قمم الجبال الشاهقة. لم يمنعه من ذلك إلا ظهور جبريل عليه السلام له وتثبيت قلبه.(٤)

وقد شق ذلك عليه، وأحزنه حتى ظن أن الله قد قلاه، فجاءه جبريل عليه السلام بسورة الضحى يقسم له ربه، هو الذي أكرمه بما أكرمه به، أنه ما ودعه، وما قلاه. قال تعالى: (وَالضُّحَىٰ ، وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ، مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ، وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الْأُولَىٰ).(٥)

---

(١) انظر بحوث في الدين والوحي والاسلام لمحمد بلتاجي، مكتبة الشباب المنيرية ص١٣٩.

(٢) انظر السيرة الحلبية ج ١ ص ٢٨٥-٢٨٦، وكذلك السيرة النبوية والآثار المحمدية لأحمد زيني، دار المعرفة، بيروت ج ١ ص١٨٦. وكذلك فضائل القرآن لابن كثير المطبوع ضمن تفسير القرآن العظيم ص٤٢٥ وأيضا خاتم النبيين للشيخ أبي زهرة ج ١ ص ٢٩٧ -

(٣) انظر السيرة النبوية لابن هشام ج ١ ص ٢٦٠

(٤) انظر السيرة النبوية لابن هشام ج ١ ص ٢٦٠، وكذلك السيرة النبوية والآثار المحمدية للسيد أحمد زيني ج ١ ص ١٨٦-١٨٧.

(٥) سورة الضحى الآيات ١ - ٤.

وروى البخارى عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لجبريل عليه السلام : (ما يمنعك أن تزورنا أكثر مما تزورنا ؟ فنزلت الآية : (وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا ، وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ ، وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا) (١).

فانقطاع الوحى وتلبثه ستة أشهر أو أكثر على الخلاف المعروف فيه - كما قدمنا - من أبلغ الردود على ما يفسر به هؤلاء المستشرقون الوحى النبوى من أنه الاشراق النفسى المنبعث لديه من طول التأمل والتفكير ، وأنه أمر داخلى منبعث من أعماق ذاته . وإلاّ فكيف يفسر الباحثون الصادقون هذا الانقطاع على الرغم من شدة طلبه وحرارة لهفته إليه ، لدرجة أنه يحاول الإلقاء بنفسه من قمم الجبال الشاهقة .

لا شك أن ذلك أمر فجائى إلزامى يأمره بالتسليم التّام . ولهذا دلالته البليغة على أن نزول الوحى مستقل عن ذات النبى صلى الله عليه وسلم وإرادته ، وأنه لا سبيل له إلى دفعه أو استحضاره . وهذا مما يقوى اليقين بصدق صاحبه والاطمئنان إلى ربانية مصدره (٢).

وصدق الله العظيم إذ يقول : (وَإِذَا جَاءَتْهُمْ آيَةٌ قَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نُؤْتَى مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ . اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ ، سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا صَغَارٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا كَانُوا يَمْكُرُونَ) (٣).

وقال تعالى: (يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ) (٤).

وقال تعالى : (وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ، أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَةَ رَبِّكَ ، نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ، وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا ، وَرَحْمَةُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ) (٥).

---

(١) سورة مريم الآية ٦٤ . والحديث أخرجه البخارى فى صحيحه : كتاب بدء الخلق باب ذكر الملائكة ٦/٢٢١٨ . وكذلك الامام أحمد فى مسنده ج١ ص ٢٢١ ، ٢٣٤ ، ٣٥٧ .

(٢) لمزيد من التفصيل انظر كبرى اليقينيات الكونية ص ٢٠ ، ووحى الله حقائقه وخصائصه ص ٦٨ - ٧٤ .

(٣) سورة الأنعام الآية ١٢٤ .

(٤) سورة آل عمران الآية ٧٤ .

(٥) سورة الزخرف الآيتان ٣٠-٣١ .

(تلكم آيات بينات أكدت أن الوحي أمر إلهي محض لا أثر لسعي المرء في كسبه أو دفعه، وبالتالي فإن النبوة منحة إلهية الزامية غير كسبية فلا ينالها الإنسان بالجهد الفكري، أو الترقي الروحي والأخلاقي ولا غيره في حصولها للقيم الدنيوية والاعتبارات المادية فان الله جلت قدرته وعظمته قد اختص بالنبوة من شاء، ومن الوقت الذي شاء حسب مشيئته وحكمته، وعلمه ورحمته.)(1)

(وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ)(2)

وحين شاع حديث الإفك وأرجف المنافقون بما اتهموا به السيدة عائشة رضي الله عنها قاصدين بذلك الطعن في رسالة النبي صلى الله عليه وسلم وإيذاء الرسول صلى الله عليه وسلم بأيام بالغة العسر، لأن اتهامها يمس كرامته وشرفه. وأبطأ الوحي عليه في هذه القضية. وتحرج الصحابة معه حتى بلغت القلوب الحناجر وبذل جهده في التحري والاستشارة، ومضى شهر بأكمله، ولم يزد على أن قال لها آخر الأمر: (يا عائشة أما أنه بلغني كذا وكذا فان كنت بريئة فسيبرئك الله، وان كنت ألممت بذنب فاستغفري الله).(3)

وظل عليه الصلاة والسلام هكذا إلى أن نزل الوحي ببراءتها.

عن عائشة رضي الله عنها قالت: (رميت بما رميت وأنا غافلة فبلغني بعد ذلك رضخ من ذلك فبينما رسول الله صلى الله عليه وسلم عندي إذ أوحي إليه، وكان إذا أوحي إليه يأخذه شبه السُّبات، فبينما هو جالس عندي إذ أنزل عليه الوحي، فرفع رأسه وهو يمسح جبينه فقال: أبشري يا عائشة. فقلت: بحمد الله عز وجل لا بحمدك فقرأ: (وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ (حتى بلغ) مُبَرَّأُونَ مِمَّا يَقُولُونَ)(4)

---

(1) وحي الله حقائقه وخصائصه للدكتور حسن ضياء الدين عتر ص ٧٤

(2) سورة البقرة الآية ١٠٥.

(3) مسند الامام احمد ج ٦ ص ١٩٦، ١٩٧

(4) مسند الامام أحمد ج ٦ ص ١٠٣، والآيات من سورة النور ٣-٢٦

فماذا كان يمنعه لو أن أمر القرآن إليه أن يتقول هذه الكلمة الحاسمة من قبل ليقطع بها ألسنة المتخرصين ويحمى بها عرضه ويذب بها عن عرينه، وينسبها إلى الوحي السماوي ؟ لكنه عليه الصلاة والسلام ما كان ليذر الكذب على الناس، ويكذب على الله.[1] (وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الأَقَاوِيلِ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ).[2]

وفي سؤال المشركين عن الروح دليل على أن هذا الوحي منفصل عن ذاته صلى الله عليه وسلم .

قالت اليهود لقريش: (سلوا محمدا عن الروح ، وعن أصحاب الكهف، وعن ذى القرنين . فسألوه . فلما تطلع إلى إسلامهم إن أخبرهم بتلك الأمور التى لم يكن يعرفها إلا نبى . قال لهم : ائتونى غدا أخبركم . ولم يقل : (إن شاء الله) ، فأبطأ عليه الوحي حتى شق عليه ذلك . وكذبته قريش ،وأمعنوا فى إيذائه ، وقالوا له: لقد هجرك شيطانك الذى كان يوحى إليك).[3]

فلو كان أمر الوحي بيده صلى الله عليه وسلم لاستدعاه على الفور،واستنبطه استنباطا ،لكن الأمر بيد الله وحده ،فلما أذن الله بنزول الوحي عليه بعد طول انتظاره وانقطاعه أجاب عن أسئلتهم ،وقال لنبيه : (وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ ،وَاذْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ ،وَقُلْ عَسَى أَنْ يَهْدِيَنِي رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَدًا).[4]

فالأمر إذن على نقيض ما يتوهم المستشرقون لو أمعنوا النظر ،وقلبوا الأمور فى تلك النقائض القرآنية مع مشاعر الرسول وعواطفه البشرية ،لأن انفصال الوحي عن شخصية الرسول صلى اللهعليه وسلم وإرادته على النحو السابق ـالذى ذكرناه ـ رغم

---

(١) لمزيد من التفصيل انظر النبأ العظيم ص ٢٥-٢٦ . وكذلك مباحث فى علوم القرآن لمناع القطان ص١ ٤
(٢) سورة الحاقة الآيات ٤٤-٤٧ .
(٣) متفق عليه : صحيح البخارى كتاب الاعتصام باب ما يكره من كثرة السؤال ٢٠٠٠/١ ٧٢٩٧ .
وصحيح مسلم :كتاب صفات المنافقين وأحكامهم ،باب سؤال اليهود ٢٧٩٤/٤٠٠٠
(٤) سورة الكهف الايتان ٢٣-٢٤

وجود أقوى الدوافع والدواعي عند الرسول صلى الله عليه وسلم لاستدعاء الوحي وطلبه فيه دليل قوى كذلك على أن شخص الرسول لم يكن هو مصدر الوحي القرآني بأي وجه من الوجوه .

ولا شك أن أقرب إدراك مباشرة للإنسان هو إدراكه لوجوده ، وشعوره بنفسه فيما يتحدث به ، وعجيب أن لا نجد سطرا واحدا في القرآن الكريم الذي يدعي هؤلاء المستشرقون صدوره عن ذات النبي صلى الله عليه وسلم يعبر فيه عن شعوره بذاته أثناء الوحي ، إنك لا تجد الحديث عنه صلى الله عليه وسلم في القران الا بضمير المخاطب : (يا أيها النبي) ، (يا أيها الرسول) أو ضمير الغائب .

فلم يجر على لسانه ضمير المتكلم ولو لمرة واحدة في هذا الكتاب الكبير . الذي استغرق وحيه ثلاثا وعشرين سنة ، ولقد كانت هذه الفترة بمستجداتها ، ومستحدثاتها خليقا أن يغلت فيه شعوره الطاغي من زمام فكره ليشعر بوجوده ، ولو لمرة واحدة في أحد هذه المواقف التي كانت تهز مشاعره ، فيتحدث عن نفسه بضمير المتكلم.(١)

فالرسول صلى الله عليه وسلم مهما يكن فهو بشر في شعوره واحساساته ، وفي أفراحه وأتراحه بكل ما للبشرية من معنى . فكيف يَشُذّ عنها لا شك أن ذلك دليل آخر على انفصال شخصيته صلى الله عليه وسلم عن الوحي الذي يدعو به .

وقد وردت في القرآن الكريم آيات كثيرة فيها عتاب للنبي صلى الله عليه وسلم على غير ما يحبه ويهواه ، فتخطئه في آرائه ، وتأذن له في الشيء لا يميل إليه ، فإذا تلبث فيه يسيرا تلقاه القرآن بالتعنيف الشديد ، والعتاب القاسي ، والنقد المر حتى نسي أقل الأشياء خطرا . قال تعالى : (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ)(٢) .

وقال : (وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ)(٣)

---

(١) انظر دراسات في العقيدة الاسلامية والاخلاق ص ٦٠
(٢) سورة التحريم الآية ١ .
(٣) سورة الأحزاب الآية ٣٧ .

وقال فى شأن الإذن لجماعة المتخلّفين عن غزوة تبوك : (عَفَا اللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ)[١] .

ويقف القرآن الكريم إزاء قلب الرسول الكبير، وعاطفته الروحية التى وسعت المنافقين على نفاقهم والمشركين رجاء إيمانهم، من أن يستغفر لهم . قال تعالى : (مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَن يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَىٰ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ)[٢] .

ونظير ذلك ما نزل فى شأن أسرى بدر قال تعالى : (مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا، وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ، وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ لَّوْلَا كِتَابٌ مِّنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ)[٣] .

وقال تعالى فى شأن إعراضه عليه الصلاة والسلام عن عبد الله بن أم مكتوم طمعا فى إيمان بعض المشركين : (أَمَّا مَنِ اسْتَغْنَىٰ فَأَنتَ لَهُ تَصَدَّىٰ، وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ، وَأَمَّا مَن جَاءَكَ يَسْعَىٰ وَهُوَ يَخْشَىٰ فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّىٰ)[٤]

يقول د . محمد عبد الله دراز : (أرأيت لو كانت هذه التقريعات المؤلمة صادرة عن وجدانه، معبرة عن ندمه، ووخز ضميره حين بدا له خلاف ما فرط من رأيه أكان يعلنها عن نفسه بهذا التهويل والتشنيع؟ ألم يكن له فى السكوت عنها سترا على نفسه، واستبقاء لحرمة آرائه؟ بلى ان هذا القرآن لو كان يفيض من وجدانه لكان يستطيع عند الحاجة أن يكتم شيئا من ذلك الوجدان . ولو كان كاتما شيئا ، لكتم أمثال هذه الآيات - لكنه الوحى، لا يستطيع كتمانه : (وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ) [٥].

---

(١) سورة التوبة الآية ٤٣ .

(٢) سورة التوبة الآية ١١٣ .

(٣) سورة الأنفال الآية ٦٧ - ٦٨ .

(٤) سورة عبس الآية ٥ - ١٠ .

(٥) النبأ العظيم د . محمد عبد الله دراز ص ٢: والآية من سورة التكوير آية ٢٤

ولقد قاســى النبى صلى الله عليه وسلم شدة ،وبذل فى تحمل الوحى غاية مافى الوسع من جهد ، بل انه فى هذه الجولة عانى منه هلعا ارتج له فؤاده حتى خشيعلى نفسه .

وبتتبعنا لصور الوحى نعلم أنّ الرسول صلىالله عليه وسلم لم يستشرف الوحى ، ولم يتأهّب له . بل قد طرق الوحى حياته طروقا مباغتا لم يكن فى حسبانه ،فلقــد فوجــىء عليه الصلاة والسلام وهو فى غار حراء بجبريل عليه السلام امامه يراه بعينيه ، وهو يقول له اقرأ حتى يتبين أن هذه الظاهرة ،وهذا الطروء ليس ذاتيا داخليــا ، مرده الى حديث النفس المجرد كما يزعم هؤلاء الناعقون ، ومن ورائهم المستشرقــون ، انما هو استقبال وتلق لحقيقة خارجية لا علاقة لها بالنفس ، أو داخل فى الذات .

وضم المَلَك له عليه الصلاة والسلام ، وإرساله ثلاث مرات ،قائلا له فى كل مرة اقرأ يعتبر ذلك تأكيدا لهذا التلقى الخارجى ،ونفيا لماقد يتصوَّر من أن الأمر لا يعــدو خيالاً داخليا فقط .

يقول د . البوطى : (ولقد داخله الخوف والرُّعب مما سمع ورأى حتى أنه قطــع خلوته فى الغار وأسرع عائدا الى البيت يرجُف فؤاده ،لكى يتضح لكل مفكر عاقــل أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن متشوّقا للرسالة التى سيدعى إلــى حملها ،وبثها فى العالم ،وأن ظاهرة الوحى هذه لم تأت منسجمة أو متممة لشىء مما كان يتصوره ،أو يخطر فى باله ،وإنّما طرأت طروءا مثيرا فى حياته ،وفوجىء بها دون أى توقع سابق .

ولا شك أن هذا ليس شأن من يتدرج فى التأمل والتفكر إلى أن تتكون فــى نفسه ـ بطريقة الكشف التّدرجى المستمر ـ عقيدة يؤمن بالدعوة إليها) .(١)

---

(١) كبرى اليقينيات الكونية ص ٢٠٣-٢٠٤

وبجانب أن الوحى حدث مفاجىء ، فهو أيضا حدث الزامى يتميز بصفة القهر النفسى لرسول الله صلى الله عليه وسلم ويستبين ذلك فى الآتى :

الأعراض الجسدية ، والأحوال النفسية من احمرار الوجه ، وتتابع الأنفاس ، وأصوات كصلصلة الجرس تزخر منها أذناه يجد لها دويا كدوى النحل ، والخوف الى غير ذلك من الأعراض الجسدية ، والأحوال النفسية .

فقد ورد عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال : (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا نزل عليه الوحى يسمع عند وجهه كدوى النحل . فأُنزل عليه يوما ، فمكثنا ساعة ، ثم سُرِّى عنه فقرأ : (قد أفلح المؤمنون)(١)

وجاء رجل يستفتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حكم التطيب للمحرم بعمرة فلا يملك النبى صلى الله عليه وسلم له جوابا ، حتى جاءه الوحى فاحمر وجهه ، وخاض فى غطيط .

روى البخارى أن يعلى قال لعمر بن الخطاب رضى الله عنه : (أرنى النبى صلى الله عليه وسلم حين يوحى إليه قال : فبينما النبى صلى الله عليه وسلم بالجعرانة ، ومعه نفر من أصحابه جاءه رجل فقال : يا رسول الله : كيف ترى فى رجل أحرم بعمرة وهو متضمخ بطيب؟ فسكت النبى صلى الله عليه وسلم ساعة . فجاءه الوحى فأشار عمر رضى الله عنه الى يعلى . فجاء يعلى وعلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثوب قد أُظِلَّ به فأدخل رأسه ، فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم محمر الوجه ، وهو يغط . ثم سرى عنه فقال : أين الذى سأل عن العمرة . فأتى برجل . فقال عليه الصلاة والسلام اغسل الطيب الذى بك ثلاث مرات ، وانزع عنك الجبة ، واصنع فى عمرتك كما تصنع فى حجتك) .(٢)

---

(١) مسند الامام أحمد ج ١ ص ٣٤ عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه مرفوعا .

(٢) متفق عليه : صحيح البخارى : كتاب الحج ، باب غسل الخلوق من الثياب ٣ / ١٥٣٦
وصحيح مسلم : كتاب الحج باب ما يباح للمحرم ، وبيان تحريم الطيب عليه ٢ / ١١٨٠

يقول الدكتور حسن ضياء الدين عتر في تعليقه على هذه الأعراض: (وواضح لكل ذي لب أن هذه الأعراض الزامية مفاجئة ،فليس في طوق أحد من البشر افتعالها وأن مسببها - بلا مراء - ذات أخرى تغاير الذات المحمدية .

على أن هذه الأعراض غير الإرادية ما كانت تعترى الرسول صلى الله عليه وسلم قط إلاّ في الفترة الوجيزة التي يتلقى فيها القرآن .

فاقتران هذه الأعراض العضوية بهذا الحدث ـ الوحي - برهان جلي على براءة ظاهرة الوحي من شوائب الذات الإنسانية الصحيحة ،أو العليلة)[1]

ثم إنّ لاقتناع الرسول صلى الله عليه وسلم نفسه بالوحي المنزل عليه ،دليل على صدق ما يقول به ،ودليل كذلك على أن هذا الوحي ليس من عند نفسه ،لأنّه لم يتعلق بالأوهام ،ولم يعرف عنه أنه يصدق بدون تجربة أو اطمئنان عقلي ولا يتّبع هواه ، ولا هوى غيره . وكان يعالج الأمور معالجة واقعية لا عا طفية . والمتتبع لحياته وسيرته يدرك أنه كان سويّ الفكر والشعور في جميع تصرفاته . ويبدو واضحًا أن في جميع أفعاله وأقواله ،وأعماله أقوى دليل على ما ذكرنا . وأنّ رجلا مثله سويّ الفكر والشعور ،راجحَ العقل في جميع تصرفاته ،وعلى جميع أحواله ،وفي جميع أيام حياته لا يمكن أن يختل عقله ،وشعوره في إدراك ظاهرة الوحي . وإلاّ فكيف به يختل في هذا الأمر دون سواه .

فإذا قال النّبي صلى الله عليه وسلم أنه أُوحي إليه ،وأن ملكا نزل عليه صدقه .[2]

وبتتبعنا لسيرته الشريفة صلى الله عليه وسلم نُدرك انه صلى الله عليه وسلم في حياته ودعوته ،مَرَّ بهزات شعورية قوية ، وامتلأت نفسه بالعواطف والأحزان . مات عمه أبو طالب ،وزوجته خديجة ، وهو أحوج ما يكون لحماية العم ورعاية الزوج .

---

(١) وحي الله ، حقائقه وخصائصه ص ٦٦ .

(٢) انظر دراسات في العقيدة الاسلامية والاخلاق ص ٦٤ .

وفقد ولده ابراهيم وهو شيخ قد جاوز الخمسين ،مات أبناؤه الذكور ،وتعلق أمله بالوليد الجديد فلما مات انقطع به الرجاء . وقل هذا في كلّ الحوادث التّي صادفته والمسرات التي صاحبته من نشوة النصر إلى مرارة الهزيمة إلى غير ذلك .

رغم كل ذلك لا نجد في كل القرآن الّذى يدعى هؤلاء المستشرقون أنّه منه بدا آية واحدة تعبر عن مسراته وآلامه .

فكيف يقال انه امتلا شعوره ،وانفعاله بقصص لا صلة لها بعصره ،قصص عاد وثمود ،وأقوام موسى وعيسى ،أكثر من انفعاله ليس بقصة تُروى ،ولكن بحادثة تَلْذَع احساسه بألم قاتل ، وهو وقتئذ أحوج ما يكون إلى العون والسّلام النفسى ؟ (١)

---

(١) انظر دراسات في العقيدة الاسلامية والاخلاق ص ٦٠-٦١

د - الرد على المستشرقين فى تشبثهم بقصة (جان دارك) :

قبل أن نقول شيئا فى الرد عليهم فى هذه الفرية ، هناك أسئلة تطرح نفسها نجد فى طيات أجوبتها الرد الشافى إنْ شاء الله .

والأسئلة هى :

هل هذه الفتاة الفرنسية (جان دارك) ادعت النبوة ، أو دعت الى مذهب معين فيه سعادة البشرية فى الحياتين كما هو شأن جميع المرسلين ؟ .

إذا افترضنا أنها ادَّعت النُّبوَّة فهل ثبت عنها أنها أتت بمعجزة أو آية كونيـــة تحدَّت بها أهل زمانها ؟

وهل كانت حقيقة بعيدة عن السياسة ، فى شغل عنها - كما يدعـــى هؤلاء المستشرقون - حتى نحكم عليها بأنها لم تكن لها دوافع سياسية للقيام بما قامت به ؟

فيما ورد فى ترجمتها فى دائرة المعارف العربية (للبستانى) نجد الرد على تلك التساؤلات . فقد ورد ما نصه :

(كانت متعددة الشُّغل خارج البيت كرعى المواشى ، وركوب الخيل إلى العين ومنها إلى البيت ، وكان الناس فى جوار (دومرى) - بلدها - متمسكين بالخرافـات ، ويميلون الى حزب (أورليان) فى الانقسامات التى مزقت مملكة فرنسا ، وكانت (جان دارك) تشترك فى الهياج السياسى ، والحماسة الدينية ، وكانت كثيرة التخيل ، والورع ، تحب أن تتأمل فى قصة العذراء ، وعلى الأكثر فى نبوءة كانت شائعة فى ذلك الوقـت وهى أن احدى العذارى ستخلِّص فرنسا من أعدائها .

ولما كان عمرها ثلاث عشرة سنة كانت تعتقد بالظهورات الفائقة للطبيعة ، وتتكلم عن أصوات كانت تسمعها ، ورؤى كانت تراها ثم بعد ذلك ببضع سنين خيل لها أنها قد وعيت لتخلص بلادها وتتوج ملكها ، ثم أوقع (البرغيتور) تعدّيا على القرية الـتى ولدت فيها ، فقوى ذلك اعتقادها بصحة ما خيل لها) .[1]

---

(١) دائرة معارف القرن العشرون ج ٣ ص ١٥

وقد ذكرت هذه الدائرة توسل (جان دارك) إلى الحكام، وتعيينها قائدة لجيش بلدتها، فهجمت بعشرة آلاف جندى ضباطهم ملكيون على عسكر الإنجليز، واستطاعت أن تدحرهم وتفك حصار مدينتها، وكان ذلك عام ١٤٢٩م ثم ذكرت أنها بعد ذلك زالت أخيلتها الحماسية، ولذلك هوجمت فى السنة التالية - أى سنة ١٤٣٠م - فانكسرت وجُرحت وأُسرت.(١)

تلك هى حال الفتاة. فأين حالها (من حال شمس النبوة المحمدية التى اشرقت فأنارت الأرجاء، ولا يزال نورها ولن يزل متألق البناء: أمى يتيم قضى سن الصبا وشرخ الشباب هادئا ساكنا، لا يعرف عنه علم ولا تخيل، ولا وهم دينى، ولا شعر ولا خطابة، ثم صاح على رأس الأربعين بالعالم كله صيحة: انكم على ضلال مبين، فاتبعونى أهدكم الصراط المستقيم، فأصلح وهو الأمى أديان البشر: عقائدها وآدابها وشرائعها، وقلب نظام الأرض. فد خلت - أى البشرية - بتعليمه فى طور جديد)(٢)

لا جرم أن الفرق بين الحالين عظيم، ولا يمارى أحد فى أن الرسول صلى الله عليه وسلم قد تلقى ذلك من الله عن طريقٍ من طرق الوحى المذكورة فى آية الشورى (وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلاَّ وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ)(٣) وأن الانفصال بين الوحى وبين ذاته صلى الله عليه وسلم كان انفصالا تاما لا يمارى فى ذلك الا متعنّت متجبّر.

---

(١) انظر دائرة معارف القرن العشرون ج ٣ ص ١٨

(٢) الوحى المحمدى ص ٩٣

(٣) سورة الشورى آية ٥١ .

هـ - ظواهر الوحى المحمدى ليست ظواهراً مَرَضِيَّةً :

لقد فسر المستشرقون الأعراض التى كانت تبدو على حواس النبى صلى الله عليه وسلم وخلجاته تفسيرا مرضيا ، فزعموا بأنَّه صلى الله عليه وسلم كان يعانى من النَّوبات الهستيرية التَّى إذا حدثت للمريض خيلت اليه أنه يرى صورا وأشكالا ويسمع أصواتا وان كان الواقع يخلو من ذلك ،فكل ما يراه النبى صلى الله عليه وسلم ويسمعه من أصوات -عندهم - ما هو إلاَّ نتاج للنوبة الهستيرية التى تنتابه بين الفينة والأخرى .

هذه الادعاءات مردودة بلآتى :-

١- التغييرات التَّى عليها يُعَوِّل المستشرقون تفسيرهم للوحى بأنه ظاهرة مرضية ، والتى تصيب النبى صلى الله عليه وسلم وتنتابه بين الفينة والأخرى أمور يقتضيها هذا الاتصال بين عالم الغيب وعالم الشَّهادة ، فلا بد أن يكون لهذا الاتصال من مناسبة ومقاربة بين الروح النبوى ، والرُّوح الملائكى . ومن هنا تظهر الحكمة من تعهد الله سبحانه وتعالى لأنبيائه قبل البعثة وأثنائها حتى تصفو نفوسهم . وقد تعهد الله سبحانه وتعالى نبيه صلى الله عليه وسلم فوكل به إسرافيل - كما قدمنا[(١)] - ثلاث سنوات قبل بعثته الشريفة ،ومن قبل ذلك وهو ابن سنتين ، كما حكى ابن هشام فى السيرة قال : (قالت -يعنى حليمة السَّعدية - فرجعنا به ، فوالله انه بعد مقدمنا بشهر مع أخيه لفى بَهْمٍ لنا خلف بيوتنا ، إذ أتانا أخوه يشتد ،فقال لى ولأبيه: ذلك أخى القرشى، قد أخذه رجلان عليهما ثياب بيض،فأضجعاه فشقا بطنه ،فهُمَا يسوطانه . قالت: فخرجت أنا وأبوه نحوه ،فوجدناه قائما منتقعا وجهه .قالت : فالتزمته والتزمه أبوه ،فقلنا له : مالك يا بنى ،قال : جاءنى رجلان عليهما ثياب بيض فأضجعانى وشقا بطنى فالتمسا شيئا لا أدرى ما هو. قالت: فرجعنا إلى خبائنا)[(٢)].

---

(١) انظر ص ٢١٧ من هذا البحث .

(٢) السيرة النبوية لابن هشام ج ١ ص ١٥٢

كل ذلك من باب التمهيد لما سيأتي من شدائد الوحي ونزوله .

٢ - الفروق الكبيرة بين الحالات الهستيرية وبين الحالات التي كانت تظهر على الرسول صلى الله عليه وسلم تؤكد لنا أن الوحي ليس ظاهرة مرضية فهناك فروق كبيرة بين حالات الهستيريا وأعراضها ، وبين ما كان يصاحب النبي صلى الله عليه وسلم من حالات تظهر عليه أثناء الوحي ، من تغيرات نفسية عميقة ، وأعراض جسمية ظاهرة . وقد نقلت الأخبار الصحيحة هذه الظواهر والأعراض الجسمية ، والتغييرات النفسية التي كانت تصاحب النبي صلى الله عليه وسلم حين ينزل الوحي ، فقد كان يحتقن وجهه ويثقل جسمه ، وترتفع حرارته ، وتسكن أطرافه ، ويسمع منه كغطيط النائم . إلى غير ذلك من الأحوال الباطنية والحسية التي لم يكن لأحد ممن حوله عليها اطّلاع .

من ذلك ما روته السيدة عائشة رضي الله عنها (فوالله ما رام رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا خرج أحد من أهل بيته حتى أُنزل عليه ، فأخذه ما كان يأخذه من البُرَحاء ، حتى انه ليتحدَّر منه مثل الجُمان من العرق ، وهو في يوم شات من ثقل القول الذي ينزل عليه) .(1)

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أنزل عليه الوحي يسمع عند وجهه كدوي النحل ، فأُنزل عليه يوما ، فمكثنا ساعة ثم سُرِّي عنه فقرأ : (قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ) الى عشر آيات منها . .) الحديث(2)

لا شك أن هذه الأعراض ، أعراض الزامية مفاجئة ، فليس في طوق أحد من البشر افتعالها لأن الخوف والرعب ، ورجفان الجسم ، وتغير اللون ، وثقل الجسم الى غير ذلك من الأعراض والانفعالات القسرية ، لا سبيل الى اصطناعها والتمثيل بها ، حتى ولو فرضنا المستحيل من انقلاب طباعه صلى الله عليه وسلم المعروفة ، قبل البعثة

---

(1) متفق عليه : صحيح البخاري : كتاب التفسير ، باب : (لولا إذ سمعتموه . .) الآية ٤٧٥٠/٨ . وصحيح مسلم كتاب التوبة ، باب في حديث الإفك وقبول توبة القاذف ٢٧٧٠/٤ ومسند الإمام أحمد ج ٦ ص١٩٧ .

(2) سنن الترمذي ، كتاب التفسير ، باب ومن سورة المؤمنين ٣٢٢٢/٥

وبعدها من الصدق والأمانة . وحتى لو فرضنا كذلك .امكان صدور المخادعة والتمثيل منه عليه الصلاة والسلام ،فالتمثيل بمثل هذه الأعراض القسرية محال .(١)

ويزيد القضية جلاء أن هذه الأعراض القسرية غير الإرادية ما كانت تعترى رسول الله صلى الله عليه وسلم قط إلاّ في الفترة الوجيزة التّي يتلقى فيها النبى صلى الله عليه وسلم الوحى . ولا شك، أن لذلك دلالة على براءة هذه الظاهرة من شوائب ما ينسبون إليها من الأعراض الهيستيرية .

أما الهستيريا كما يقول الدكتور عصام محمد القطقاط فهى عبارة عن (انتفاضات غير صرعية تبدأ تدريجيًّا عادة بعد تأثر عاطفى ،وعادة في وجود أناس ،ولا تحدث أبدا إذا كان المريض وحده ، أو نائما . ولا تكون النوبات الهستيرية التّقلصيّة مرحلية ، ولكن المريض يأتى بحركات عرضية ،مثل الرفس والعض ،وشد الشعر ، وتمزيق الملابس ولطم الوجه ،ويأتى المريض بأوضاع مختلفة مع الصراخ والغناء)(٢)

أمّا الصَّرع فهى نوبة عابرة نتيجة خلل بوظيفة المخ تبدأ فجأة وتتوقف بذاتها ، ولها قابلية التكرار .

والوعى خلال النوبة رهن اتساع دائرة الخلل أو ضيقها) .(٣)

فالمصاب بالهستيريا والنوبات العصبية يصفر وجهه وتبرد أطرافه ،وتصطك أسنانه ،وأحيانا تنكشف عورته ،ويحتجب نور العقل ،ويخيم ظلام الجهل ،ويشرق لونه وترتفع درجة حرارته ، فيكون دائم الاختلاط ، مشوش الفكر فى أغلب أحواله .(٤)

---

(١) انظر كبرى اليقينيات الكونية ص ٢٠٤ .

(٢) نقلا عن ترجمة للدكتور عصام محمد القطقاط مدير الإدارة الطبية بجامعة امالقرى

(٣) المصدر نفسه .

(٤) انظر النبأ العظيم د . محمدعبد الله دراز ص ٧٢ . وكذلك دراسات فى العقيدة الاسلامية والاخلاق ص ٦٨ .

فاذا قسنا هذه الحالات الهستيرية بالحالات التى كانت تصحاب نزول الوحى على النبى صلى الله عليه وسلم فإننا نجد البون شاسعًا فقد كان النبى صلى الله عليه وسلم حين ينزل الوحى عليه ،بل وفى جميع أحواله مستكملا للصحة فى جميع نواحيه العقلية والنفسية والجسمية ،وكان كماله فى ذلك كمالا دائما فى جميع أحواله وأقواله ،وأعماله ولم تكن تظهر عليه هذه الأعراض الغريبة إلاّ عند الوحى ،وحتى فى أشد هذه الحالات لم تكن حالاته مصحوبة بالتّخبط والصّياح[1]، ولا الرّفس والعض وشد الشعر، وتمزيق الملابس، ولطم الوجه بل كان على العكس من ذلك تماما .

وكان كثيرا مايُوحى إليه ، وهو منفردا فى نوم أو يقظة دون أن يكون معه أحد لا كما يحدث للمصاب بالهستيريا الذى لا تنتابه هذه النوبة إلاّ فى جماعة .

ومن أعراض الهستيريا كذلك : فقدان الذاكرة ،فلا يتذكر المصاب أى شئ مما يحدث أثناء النُّوبة . وهذا مايسميه علماء النفس ـ الأمنيزيا الهستيرية ،أو فقدان الذاكرة الهستيرى -[2] وهو على درجات منها[3]:

١ـ نسيان كل ما يحدث للمريض حين يمر فى النوبات الهستيرية وقد تظهر لديه فجوات خطيرة تتصل بأشخاص معينين أو أمكنة معينة أو فجوات فى إدراك هويته وذاته.

وقد تتميز هذه الدّرجة بنسيان الشخص كل ما يتصل بماضيه ويدخل فى ذلك اسمه وعنوانه والمكان الذى جاء منه ، والناس الذين يعرفهم ، ويسمى هذا النوع بفقدان الذاكرة الكامل .

٢ـ شكل آخر من أشكال فقدان الذاكرة يسمى (التجوال أو الشُّرود) وهو أن ينسى المصاب هويته لمدة من الزمن ويهرب من مكان إقامته إلى مكان آخر . فإذا ما انتبه فيه إلى نفسه تساءل أين هو؟ وكيف وصل إلى ذلك المكان .

---

(١) دراسات فى العقيدة الاسلامية والاخلاق ص ٦٨

(٢) انظر الهيستيريا تأليف د . فائز محمد على الحاج المكتب الاسلامى ص ٢٣

(٣) المصدر نفسه ص ٢٤

فهل كان صلى الله عليه وسلم قد نسى هويته فى لحظة من لحظات الايحاء اليه أو نسى شيئا مما كان يوحى اليه فلم يتذكره ،وطلبه ثانية ؟ اللهم لا .

فقد كان حين يوحى إليه يكون بكامل وعيه ، وإدراكه ، حتى إنّه كان يعى ويحفظ كل مايقال ، بل كان يجهد فكره ليحتفظ فى ذاكرته الواعية كلّ مايسمع ، فكان ينطق به أثناء سماعه ،حتى نُهى عن ذلك ، قال تعالى : (لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ)(١) .

والهلوسة الهستيرية كذلك لا تحدث فيها أصوات يسمعها صاحبها ، بل هى من حقيقتها ليست إلاّ صورا مفزعة وأوهاما خيالية ،تناسب الأعصاب المريضة عند صاحبها فهى لا تفعل شيئا أكثر من اقلاق الشخص المريض ،وقد تؤدى به إلى الجنون .

أما الأصوات التى تسمع للنبى صلى الله عليه وسلم أثناء الوحى ،فتكون مسموعة له ومفهومه تحمل الخير كلّه فى هداية الناس ،وصلاح الحياة ،والمَلَك الذى كان يتراءى له صلى الله عليه وسلم ،كان يأمره بالخير ،ويهديه إلى الحق ،ويطلب إليه هداية الناس بمايعلمه من الحق والخير ،وهو محتفظ بقواه العقلية فى أتم صورها (٢) .

ولقد فسر البعض هذه الظواهر التى كانت تصيب النبى صلى الله عليه وسلم بأنها كانت حالات عصبية تَشَنُّجِيَّة .

ولكن الواقع أن المتشنّج لا يكون كامل الوعى ،ولا كامل الذاكرة ،وقد يصاب المتشنج بالشلل علاوة على أن التشنج عام يصيب كل الجسم .

إنّ العوارض المرضية فى الحقيقة لا تُفسر لنا على هذا النحو ما يصاحب الوحى الى النبى صلى الله عليه وسلم من ظواهر حسية ونفسية . فشتان بين الحالين ،على نحو ماشرحنا ،ولا وجه للشبه بينهما ، ولا يمكن لعاقل أن يقول إنّ الظواهر

---

(١) سورة القيامة الآية ١٦

(٢) انظر دراسات فى العقيدة الإسلامية ص ٦٩

الهستيرية يصدر عنها من الهدى والخير والمعرفة والعلم أدنى شيء مما يصدر عن الوحي النبوي .

فشتان بين المرض والصحة ، وشتان بين ما يصدر عن المرض من قلق وتدمير وبين ما يصدر عن ظواهر الوحي المحمدي من الخير والنور .

٣- كمال الفكرة القرآنية وسمو الشخصية المحمدية ببطلان تفسير المستشرقين للوحي تفسيرا مرضيا :

المخايل النبوية التي لازمته صلى الله عليه وسلم قبل البعثة وبعدها ، من حركات وسكنات ، وعبارات وإشارات ، في رضاه ، وغضبه ، وفي خلوته وجلوته ، والتي شهد بها أصدقاؤه وأعداؤه . (١)

هذه المخايل تعطينا الصورة الصحيحة عن كماله الجسمي فقد كان صلى الله عليه وسلم أقوى الناس جسما ، وأصحهم نفسا وأسلمهم حسا ، وأنضجهم عقلا . تجوب بنظرك آفاق المراجع فلم تر أنه نسي الليل والنهار ، والحلم واليقظة ، ولا قضى الساعات الطوال جاثيا في الغار ، أو مستلقيا في الشمس كما يدعي "أميل درمنغام" (٢)

بل كان دائم الصمت طويل الفكر ، ثاقب النظر ، له سمت مهيب ، وعليه جلال يدعو كل من عداه إلى توقيره وإجلاله ، وآية اكتمال شخصيته في كل أبعادها العميقة والظاهرة أنه كان موضع الحب والإجلال من أصحابه جميعا على اختلاف ما بينهم من ملكات العقول والنفوس . ومدار عظمته وأسباب كماله ترجع كذلك الى آثاره في محيطه وعصره ، وفيما انداح حول محيطه الضيق من دوائر غطت أطراف الكون قديمه وحديثه . وليس الذي ذكرناه عن كمال شخصيته صلى الله عليه وسلم مبالغة منا في الثناء ولكنها الحقيقة الواقعة التي تتجاوز بواقعيتها كلَّ ثناء . (٣)

---

(١) اقرأ مثلا ما كتبه (توماس كارليل) الانجليزي في كتابه (الابطال) وان كان له من قصد آخر ليس هذا مجال الرد عليه لكن ما كتبه يعد شهادة منه . واقرأ كذلك شهادة قريش التي سجلها أبو سفيان وهو في الجاهلية بين يدي هرقل عظيم الروم . لمّا سألهم هرقل : هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال ؟ قال : لا وسألهم : هل يغدر ؟ قال : لا . . . . الخ

(٢) انظر النبأ العظيم د . محمد عبد الله دراز ص ٢٣ وكذلك وحي الله حقائقه وخصائصه ص ١٤٩

(٣) انظر دراسات في العقيدة الاسلامية والاخلاق ص ٧١

فقد حوت هذه الشخصية من العظمة آفاقا لا نعلم لها شبيهًا فى الأنبياء والرسل السابقين فضلا عن أفراد البشر العاديين، آفاقا متعددة وشاملة فى ذات الوقت .

فكان قائدًا سياسيا ناجحا استطاع جمع الأمة والنهوض بها . وكان قائدا حربيا استطاع أن يكون جيشا من المقاتلين قويا متآلفا تَشَرّب روح العسكرية، وأتقن فنون القتال، وتشبّع بروح التّضحية والفداء . . . الخ .

جاء فى كتاب الثقافة الإسلامية فى اجمال وصف شخصيته صلى الله عليه وسلم : (فكأنما شخصيته صلى الله عليه كانت شخوصًا عدة فى شخصية واحدة، كل شخص منها عظيم بل كل شخص منها فائق العظمة، ثم تجتمع كلّ هذه العظمات فى شخصية واحدة فذة فى التاريخ .

وليس تعدد جوانب شخصية الرسول صلى الله عليه وسلم وسعتها وعمقها هو جانب العظمة الوحيد فى شخصيته الكريمة، ولكن هناك أفقا آخر من آفاق العظمة أعلى وأرفع، هو التّوازن إلى جانب الشّمول .

فمع شمول شخصيته صلى الله عليه وسلم لهذه الجوانب كلها، فإنه يشتمل عليها فى توازن فى ذات الوقت، فلا يطغى منها جانب على جانب، ولا يشغله أمر عن أمر، فلا مهمة القائد السياسى شَغَلَته عن مهمة القائد الروحى، ولا هذه وتلك شغلتاه عن مهمة القائد الحربى، ولا هذه جميعًا، شغلته عن مهمة التربية والتوجيه لصحابته صلى الله عليه وسلم ولا عن أسرته المتعددة الأشخاص، المتعددة التكاليف التّى لا تخلو عن مشاكل الأزواج ومتاعبهم .

هذا التّوازن، مع الشمول هو درجة جديدة من العظمة فوق كل ما تقدم . إنّه باختصار شخصية فذة لا مثيل لها فى التاريخ) .(١)

---

(١) الثقافة الاسلامية المستوى الرابع (٤٠١) تأليف الشيخ محمد قطب والأستاذ محمد المبارك، والأستاذ مصطفى كامل ٢٨-٢٩

فكمال هذه الشخصية وسعتها وعمقها ،وتوازنها وشمولها وصحتها النفسية والعقلية الى غير ذلك من الشمائل التى ضاقت الكتب عن حصرها وعدها يبعد عنه صلى الله عليه وسلم ما يصفه به هؤلاء المستشرقون ،من الأمراض الجسمية ،وفساد الحس،واختلاط العقل .

لا شك أن من يدعى ذلك حرى بأن يوصف هو بالاختلال والمرض لا غيره . لأن التاريخ لم يرو ،ولن يرويه ،أنّ إنساناً ما مختلا استطاع أن يرتقى درجة واحدة فى هذا السلم النبوى الملىء بالعظمات ،ناهيك عن درجتين أو ثلاث .

أما عن كمال الفكرة القرآنية - كما قدمنا - (١) فى اعجازه اللغوى ، واعجازه العلمى واعجازه التشريعى فانه يبطل من أول الأمر ،ابطالا أساسيا أى تفسير مرضى لظواهر الوحى اذ المرض لا يمكن أن ينتج عنه صحة ،والاختلاط لا تستقيم معه فكرة ، والنقص لا يصدر عنه هذا الكمال .

وبعد :

فإنّ الذى ينبغى التّنويه به فى ختام الرّد على هذه الشُّبهة لكل باحث عن الحق فى ظاهرة الوحى من المستشرقين وغيرهم أن ينظر إلى هذه الظاهرة بكل مافيها ، ويفسر الأحوال المختلفة فيها على ضوء الظاهرة مكتملة غير مجزأة ،فلا يقتطع جزءاً منها ويفسره تفسيرا معزولا عن بقية الأجزاء التى يكوّن واياها وحدة متكاملة . وإذا ما فسرنا ظواهر الوحى على ضوء مضمونه وهو القرآن الكريم فلسنا فقط ننتهى بذلك إلى ابطال تفسيرها تفسيرا مرضيا فقط ،وإنما يبدو لنا وبوضوح طبيعتها كعمل إلهى ، يستتبع فى نفس الرسول وجسمه وآثاره ،كما يستتبع أى عمل إلهى آثاره الطبيعية فى الكون والانسان . (٢)

---

(١) انظر ص ٩٩ من هذا البحث وما بعدها .

(٢) انظر دراسات فى العقيدة الاسلامية ص ٧٢ .

الفَصلُ الخامِسُ

إبْطالُ ادِّعاء الوَحيِ بعدَ النُّبُوّة المُحَمَّدِيَّة

الفصل الخامس
إبطال ادعاء الوحي بعد النبوة المحمدية

١ / ختم النبوة بالنبوة المحمدية :

عقيدة ختم النبوة بالنبوة المحمدية هي عقيدة المسلمين منذ عهد النبي صلى الله عليه وسلم ولا تزال كذلك إلى أن يرث اللّه الأرض ومن عليها . وهذه العقيدة تقوم على اصول دينية راسخة من الكتاب والسنة ، واجماع المسلمين .

فقد جاء في القرآن الكريم قوله تعالى : (مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ)(١) .

قال الإمام الطبري : (يقول تعالى ذكره : ما كان أيها الناس محمد أبا زيد بن حارثة ، ولا أبا أحد من رجالكم الذين لم يلده محمد ، فيحرم عليه نكاح زوجته بعد فراقه إياها ، ولكنه رسول الله ، وخاتم النبيين الذى ختم النبوة فطبع عليها ، فلا تفتح لأحد بعده إلى قيام السّاعة ، وكان الله بكل شيء من أعمالكم ، ومقالكم ، وغير ذلك ، ذا علم لا يخفى عليه شيء)(٢)

ثم ذكر الطبرى عن قتادة فى قوله : (وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ) : أنه قال : (أى آخرهم)(٣)

وقال ابن كثير فى تفسير قوله تعالى : (وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ) قال : (كقوله عز وجل : (اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ) فهذا نص فى أنّه لا نبى بعده ، واذا كان لا نبى بعده فلا رسول بعده بطريق الأولى والأحرى ، لأن مقام الرسالة أخص من مقام النبوة ، فان كل رسول نبى ولا ينعكس)(٤) .

---

(١) سورة الاحزاب الآية ٤٠ .

(٢) جامع البيان عن تأويل آى القرآن ج ٢٢ ص ١٦ .

(٣) المصدر نفسه والصفحة . وقد روى هذا الأثر السيوطى فى الدُّر المنثور عن عبد عبد الرزاق ، وعبد بن حميد ، وابن المنذر ، وابن أبى حاتم .

انظر الدُّر المنثور ج ٥ ص ٢٠٤ .

(٤) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ج ٥ ص ٤٧٠

وقال الألوسى فى تفسيرها : (والخاتم اسم آلة لما يختم به ، كالطابع لما يطبع به فمعنى خاتم النبيين : الذى خُتِم النَّبيون به ، ومآله آخر النبيين) .(١)

ولا يختلف عامة المفسرين فى تفسير قوله تعالى : (وخاتم النبيين) عما ذكرناه من أنه صلى الله عليه وسلم آخر النبيين الذين ختمهم فلا يأتى بعده نبى ، وإن اختلفت أساليبهم فى تقرير هذه الحقيقة التى أجمعوا عليها .(٢)

وقد وردت بذلك الأحاديث الصحيحة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم برواية جمع كبير من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم من ذلك ما رواه أبو هريرة رضى الله عنه أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (إنَّ مثلى ومثل الأنبياء قبلى كمثل رجل بنى بيتا فأحسنه وأجمله إلاَّ موضع لبنة من زاوية ، فجعل الناس يطوفون به ويتعجبون له ويقولون هلا وضعت اللَّبِنَة؟ قال : فأنا اللَّبنة وأنا خاتم النبيين)(٣)

وروى جابر بن عبد الله رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (مثلى ، ومثل الأنبياء كرجل بنى دارا فأكملها وأحسنها الا موضع لبنة فجعل الناس يدخلونها ويتعجبون ويقولون لولا موضع اللبنة ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنا موضع اللبنة جئت فختمت الأنبياء) .(٤)

---

(١) روح المعانى للالوسى ج ٢٢ ص ٣٤ .

(٢) انظر الجامع لأحكام القرآن للقرطبى ج ١٤ ص ١٩٦ . وانظر فتح القدير للشوكانى ج ٤ ص ٢٨٥-٢٨٦ . وانظر : إرشاد العقل السليم الى مزايا الكتاب الكريم الشهير بتفسير أبى السعود للقاضى أبى السعود بن محمد العمادى الحنفى المتوفى ٩٨٢ هـ تحقيق عبد القادر احمد عطا ، دار الفكر للطباعة والنشر بيروت ج ٤ ص ٤٢١

(٣) متفق عليه : صحيح البخارى كتاب المناقب باب خاتم النَّبيين صلى اللَّه عليه وسلم ٦/ ٣٥٣٥ .
وصحيح مسلم كتاب الفضائل باب ذكر كونه صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين ٤/ ٢٢٨٦

(٤) متفق عليه : صحيح البخارى : كتاب المناقب باب خاتم النبيين ٦/ ٣٥٥٤
وصحيح مسلم : كتاب الفضائل باب ذكر كونه صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين ٤/ ٢٢٨٦

وعن انس بن مالك رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (إنَّ الرسالة والنبوة قد انقطعت فلا رسول بعدى ولا نبى) .(١)

وأخرج الإمام أحمد عن العرباض بن سارية رضى اللّه عنه قال : قال لى النبى صلى الله عليه وسلم : (إنىّ عند الله لخاتم النبيين ، وإنَّ آدم لَمُنْجَدِلٌ فى طينته)(٢)

ويطول بنا المقام لو ذهبنا نستقصى الأحاديث الواردة فى تقرير عقيدة ختم النَّبيين بمحمد صلى الله عليه وسلم فقد وردت بهذه العقيدة كثير من الأحاديث التَّى رواها البخارى ومسلم ،وغيرهما من أصحاب السنن.(٣)

بل أنَّ هناك من تفرغ لجمع الروايات الواردة فى تقرير هذه العقيدة حتى بلغ مـا جمعه منها ما يزيد على مائتى حديث. (٤)

ولقد أجمع على هذه العقيدة الصحابة والتابعون ،وتابعوهم باحسان إلى يوم الدين ،وأجمع عليها عامة المتكلمين والمفسرين ، والمحدِّثين ، والفقهاء ، والأُصوليين ، وغيرهم من علماء الاسلام ، وكان هذا الإجماع منذ عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وإلى يومنا هذا فلم يوجد من الصحابة والتابعين ، وعلماء الدين قرنا بعد قرن

---

(١) مسند الامام أحمد ج ٣ ص ٢٦٧

(٢) مسند الامام أحمد ج ٤ ص ١٢٧-١٢٨

(٣) وقد ذكر الدكتور أحمد سعد حمدان فى كتابه عقيدة ختم النبوة بالنبوة المحمدية ٦٥ حديثا فى تقرير هذه العقيدة .
انظر عقيدة ختم النبوة بالنبوة المحمدية لأحمد سعد الغامدى رسالة ماجستير جامعة أم القرى ١٣٩٨هـ ص ٢٢ - ٦١ .

(٤) انظر النبى الخاتم لابى الحسن الندوى طبعة المختار الاسلامى الطبعة الاولى ص٢٣ فقد أورد الندوى فى هامش كتابه أن العلامة السيد أنور شاه الكشميرى شيخ المحدثين فى عصره (١٣٥٢هـ) قال فى كتابه (عقيدة الاسلام) : تواترت الاحاديث فى ختم النبوة نحو مائتى حديث) .
وذكر أيضا أن العلامة المفتى محمد شفيع الديوبندى كبير علماء باكستان قد جمع الأحاديث الواردة فى هذا المعنى فى كتاب(ختم النبوة) فبلغت ٢١٠ حديثا .

من يخرق هذا الاجماع فيتأول الآيةالواردة في تقرير كونه صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين على غير وجهها الصحيح ،أو يحمل الأحاديث الواردة في تقرير هذه العقيدة على معنى آخر يخالفها . ومؤلفات هؤلاء العلماء -قديمها ،وحديثها - شاهد على هذا الاجماع.(١)

٢ / ظهور أدعياء النبوة بعد محمد صلى الله عليه وسلم :

لقد كان ثبوتعقيدة ختم النُّبوة بالنّبوة المحمديّة ، على أساس من الكتاب والسنة والاجماع -على نحو ما ذكرناآنفا - خليقا أن يقطع الطريق على كل من تسول له نفسه ادعاء الوحي بعد محمد صلى الله عليه وسلم فلا يقوم على ذلك ،مخالفا بدعواه الكتاب السنة واجماع المسلمين . لكن وجد هناك من خالف هذه الأصول ،وشذَّ عن هذا الاجماع ،فادعى النُّبوة بعد النّبوة المحمدية ،ومن تأول آية الختم ، وأحاديثها على وجه يتيح له دعوى نزول الوحي عليه بعده صلى الله عليه وسلم . وقد تنبأ رسول الله صلى الله عليه وسلم بظهور هؤلاء الأدعياء فقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم كما أخرج الشّيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (لا تقوم السّاعة حتى يبعث دجالون كذابون قريبًا منثلاثين كلهم يزعم أنَّهُ رسول الله)(٢)

وعن ثوبان قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (إنَّه سيكون في أمتي ثلاثون كذابون كلُّهم يزعم أنَّه نبي)(٣)

وقد حذَّر النَّبي صلى الله عليه وسلم الأمة منهم فقد روى جابر بن سمرة قال : سمعت رسول اللّه صلى الله عليه وسلم يقول:(إنَّ بين يدي الساعة كذابين فاحذروهم)(٤)

---

(١) انظر رسالة عقيدة ختم النبوة بالنبوة المحمدية د .أحمد سعد حمدان الغامدي من ص ٦٦-٨٢

(٢) متفق عليه : صحيح البخاري كتاب المناقب ،بدون تبويب٦/ ٣٦٠٩ . وصحيح مسلم :كتاب الفتن ، باب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل فيتمنى أن يكون مكان الميت من البلاء ٤/ ٢٩٢٣ .

(٣) سنن ابن ماجة ،كتاب الفتن باب مايكون من الفتن ٢/ ٣٩٥٢

(٤) صحيح مسلم ، كتاب الفتن وأشراط الساعة ،باب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل فيتمنى أنْ يكون مكان الميت من البلاء ٤/ ٢٩٢٣ عن جابر بن سمرة مرفوعا، ومسند الإمام احمد بن حنبل ج ٥ ص ٨٦ ، ٩٠ ، ٩٢

وقد تحقق ما تنبأ به صلى الله عليه وسلم فتتابع هؤلاء الشواذ من أدعياء الوحى منذ عصر النبى صلى الله عليه وسلم الى عصرنا الحاضر .

واذا كنا قد عقدنا هذا الفصل لابطال ادعاء الوحى بعده صلى الله عليه وسلم فليس معنى ذلك أننا سنتناول بالتفصيل الجانب التّاريخى لادعياء النبوة ، أوالقائلين باستمرار نزول الوحى عليهم ،وان لم يسمّوا أنفسهم بوسم النبوة فقد تكفلت بهذا الجانب التاريخى دراسات خاصة . وانّما الذى يعنينا بالدرجة الأولى هو ابطال ما ادعوه من نزول الوحى عليهمْ بعد الوحى المحمدى ،وما قد يستدون به دعواهم هذه من التأويلات الفاسدة والشبهات الباطلة ،ومن ثم فلن نأخذ من الجوانب التاريخيةفى الموضوع إلاّ بقدر ما نحتاج اليه فى ابطال دعوى نزول الوحى بعد محمد صلى الله عليه وسلم .

٣- ابطال دعوى الوحى فى عهده صلى الله عليه وسلم وعهد صحابته الكرام :

لقد ورد عنه صلى الله عليه وسلم أنَّه قال : (بينا أنا نائم أُتيت خزائن الأرض فوضع فى يدى أسوارين من ذهب فكبرا علىّ وأهمّانى ،فأوحى إلىّ أن أنفخهما فنفختهما فذهبا ،فأوّلتهما الكذابيْن اللّذين أنا بينهما : صاحب صنعاء وصاحب اليمامة)[1]

وصاحب صنعاء هو الأسود العنسى[2] الذى ادعى النبوة فى آخر حياته صلى الله عليه وسلم وكان رجلا مشعبذًا يُرى الناس الأعاجيب ،وكانت ردته تلك هى أول ردة فى الاسلام.[3]

---

(١) صحيح مسلم كتاب الرؤيا باب رؤيا النبى صلى الله عليه وسلم ٤/٢٢٧٣ ومسند الامام أحمد ج٢ ص٣١٩

(٢) الاسود العنسى اسمه : عيهلة بن كعب بن غوث وقيل ابن عوف ،ويلقب بذى الخمار لأنه كان معتمًّا متخمّرًا أبدا . وهو من بلدة يقال لها (كهفحنان) من أعمال اليمن ،ادعى النبوة فى حياته صلى الله عليه وسلم وكان له شيطان يساعده. قتله جماعة من المسلمين منهم قيس وزيره ،وذلك بمساعدة زوجته المسلمة . وكانت فترة ملكه منذ ظهوره الى مقتله ثلاثة أشهر وقيل أربعة . انظر البداية والنهاية لابن كثير ج٦ ص ٣٠٧-٣١٠ . والكامل للشيخ عز الدين ابى الحسن على بن محمد بن محمد (ابن الاثير) دار صادر للطباعة والنشر، دار بيروت للطباعة والنشر بيروت ١٣٨٥هـ - ١٩٦٥م ج٢ ص٣٣٦-٣٣٨

(٣) الكامل لابن الاثير ج٢ ص٣٣٧

وأما صاحب اليمامة فهو : مسيلمة الكذاب(١)، الذى ظهر فى عهده صلى الله عليه وسلم أيضا وكان قد وفد إلى النبى صلى الله عليه وسلم قبل ادعائه الوحى مع جماعة من بنى حنيفة ،وكان يقول : (إنْ جعل لى محمد الأمر من بعده تبعته فأقبل اليه النبى صلى الله عليه وسلم ومعه ثابت بن قيس بن شماس وفى يد النبى صلى الله عليه وسلم قطعة جريدة حتّى وقف على مسيلمة فى أصحابه وقال : (لو سألتنى هذه القطعة ما أعطيتُكها ، ولن أتعدى أمر الله فيك ،ولئن أدبرت ليعقرنك الله ، وإنّى لأراك رأيت ،وهذا ـ أى ثابت بن قيس ـ يجيبك عنى ثم انصرف)(٢) .

وكان مما يزعم أنه أنزل إليه : (يا ضفدع بنت الضفدعين نُقّى لكم تَنقّين لا الماء تكدرين ولا الشارب تمنعين ،رأسك فى الماء ،وذنبك فى الطين)(٣) .

وكان يقول : (والمبذرات زرعا ، والحاصدات حصدا ، والذاريات قمحا ، والطاحنات طحنا ،والخابزات خبزا ،والثاردات ثردا ،واللاقمات لقما ،إهالة وسمنًا ، لقد فضلتم على أهل الوبر ،وماسبقكم أهل المدر ،رفيقكم فامنعوه ،والمعتر فآووه ، والنّاعى فواسوه)(٤) .

---

(١) مسيلمة الكذاب: هو مسيلمة بن ثمامه بن كبير بن حبيب الحنفى ولد باليمامة فى قرية تسمى اليوم (بالجبيلة) ببلاد نجد ،وكان يتلقب برحمن اليمامة . ارتد عن الاسلام فأرسل اليه الخليفة أبو بكر الصديق رضى الله عنه جيشا بقيادة خالد بن الوليد وعكرمة بن أبى جهل ،وشرحبيل بن حسنة ، وقابلهم مسيلمة بجيش قوامه أربعين ألف مقاتل ،واستطاعوا دحره ، وتمكن وحشى بن حرب قاتل حمزة من قتله . انظر الاعلام لخير الدين الزركلى الطبعة الثالثة ج ٨ صـ ١٢٥ والبداية والنهاية لابن كثير ج ٥ ص ٥٠ ، وكذلك ج ٦ ص ٣٢٣-٣٢٦ .

(٢) متفق عليه : صحيح البخارى كتاب المناقب بدون تبويب٦ / ٣٦٢٠ وصحيح مسلم كتاب: الرؤيا باب رؤيا النبى صلى الله عليه وسلم ٤ /٢٢٧٣

(٣) البداية والنهاية لابن كثير ج ٦ ص ٣٢٦ .

(٤) المرجع نفسه ج ٦ ص ٣٢٧

وكان ممن ادعى الوحى فى صدر الاسلام : طليحة بن خويلد الأسدى.(١)

وسجاح التغلبية.(٢)

والأول تنبأ فى حياته صلى الله عليه وسلم وكان يدّعى أن جبريل عليه السلام يأتيه بالوحي . وكان يسجع للناس الأكاذيب ، وقد تبعه القوم عصبية ، فكان أكثر اتباعه من أسد وغطفان وطىء.(٣)

وأما سجاح التغلبية فقد ادّعت النبوة بعد موت النبى صلى الله عليه وسلم ومما جاء فى وحيها المزعوم أنها قالت: (أَعِدُّوا الركاب واستعدوا للنهاب، ثم أغيروا على الرباب فليس دونهم حجاب).(٤)

---

(١) طليحة بن خويلد الأسدى من أسد خزيمة ،كان أشجع العرب، يعد بألف فارس قدم على النبى صلى الله عليه وسلم، فى وفد بنى أسد سنة ٩ هـ وأسلموا ورجعوا الى بلادهم ،ثم ارتد بعد ذلك فى حياته صلى الله عليه وسلم وقاتله خالد بن الوليد رضى الله عنه فى خلافة الصديق رضى الله عنه فهزمه وفر طليحة مع زوجته الى الشام . وفى رواية أنه بقى فى قبيلة كلب إلى موت الصديق رضى الله عنه والمتفق عليه أنه تاب إلى الله سبحانه وتعالى وأبلى فى الإسلام بلاء حسنا واستشهد بنهاوند . انظر الاعلام ج ٣ ص ٣٢٢-٣٢٣ ، والبداية والنهاية ج ٦ ص ٣١٨ .

(٢) وسجاح : هى سجاح بنت الحارث بن سويد التغلبية كانت من نصارى العرب ادّعت النبوة بعد موت النبى صلى الله عليه وسلم . تزوجها مسيلمة الكذاب، وعاشت حتى أيام معاوية رضى الله عنه ويذكر أنَّها أسلمت وحسن إسلامها . انظر البداية والنهاية ج ٦ ص ٣٢١ ، وكذلك الكامل ج ٢ ص ٣٥٧ .

(٣) انظر الكامل ج ٢ ص ٣٤٣-٣٤٤ ، وانظر تاريخ ابن خلدون للعلامة عبد الرحمن بن خلدون المغربى ،دار الكتاب اللبنانى للطباعة والنشر ١٩٥٦م ج ٢ ص ٨٦٩

(٤) البداية والنهاية لابن كثير ج ٦ ص ٣٢٠

وظاهر أن الذين ادعوا نزول الوحي في عهده صلى الله عليه وسلم ، وخلال العصرين الأموي والعباسي - كما سنبين ذلك - قد اقتصر أمرهم على مجرد هذه الدعوة دون أن يكون لدعواهم هذه مضمون عقدي ، أو أدلة يقيمونها عليها ، ودون أن تكون لهم تأويلات خاصة لآية الختم وأحاديثه . بل قاموا بدعواهم هذه بدوافع بيئية خاصة ، من العصبية والمطامع المادية .

فقد كانت العصبية القبلية حادة في الجزيرة العربية ذاقت من ويلاتها الكثير عبر القرون الطويلة الى أن جاءها الاسلام بالبلسم الشافي . فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم كثيرًا ما يحذر الناس منها ، كما جاء في قوله صلى الله عليه وسلم : (من قتل تحت راية عِمِّيَّة يغضب للعصبية ، أو يقاتل للعصبية ، أو يدعو إلى العصبية فقتلة جاهلية)(١) . وقد عدها صلى الله عليه وسلم من دعوى الجاهلية .

كما حكى جابر بن عبد الله قال : كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم في غزاة فكسع رجل من المهاجرين رجلا من الانصار . فقال الانصاري : يا للانصار ، وقال المهاجري : يا للمهاجرين . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (ما بال دعوى الجاهلية)(٢)

فالذين أسلموا وحسن إسلامهم ، وتمكن الإسلام من قلوبهم نبذوها وراء ظهورهم لأنها منتنة . وأما الذين في قلوبهم زيغ فتمسكوا بها وغلفوها بادّعاء بعضهم الشركة في النبوة . ويظهر لنا هذا جليا في الكتاب الذي بعثه مسيلمة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي جاء فيه : (من مسيلمة رسول الله الى محمد رسول الله ، سلام عليك أما بعد : فإني قد أُشركت في الأمر معك ، فإنّ لنا نصف الأمر ، ولقريش نصف الأمر ولكن قريش قوم لا يعدلون)(٣)

---

(١) صحيح مسلم ، كتاب الامارة ، باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن ١٨٥٠/٣ ، ومسند الامام أحمد ج ٢ ص ٣٠٦ ، ص ٤٨٨

(٢) صحيح البخاري كتاب المناقب ، باب ما ينهى من دعوى الجاهلية ٣٥١٨/٦ . ومسند الامام أحمد ج ٣ ص ٣٢٨ ، ٣٨٥

(٣) البداية والنهاية ج ٥ ص ٥١

فقد كان مسيلمة يشهد أن محمدا رسول الله ،ولكن عصبيته ساقته إلى أن يدعى الشركة فى النبوة .

وقد ذكر ابن كثير عن عمير بن طلحة عن أبية أنه جاء اليمامة فقال : أين مسيلمة؟ فقال من؟ رسول الله؟ فقال : لا حتى أراه . فلما جاء قال : أنت مسيلمة؟ فقال : نعم . قال : من يأتيك؟ قال : رجس . قال : أفى نور أو فى ظلمة؟ فقال : فى ظلمة . فقال : أشهد أنك كذاب ، وأن محمد صادق ،ولكن كذاب ربيعة أحب الينا من صادق مضر) (١) .

ومن ذلك أيضا قول عيينة بن حصن أحد أتباع طليحة آنذاك : (والله لنبى من بنى أسد أحب الى من نبى بنى هاشم ،وقد مات محمد ،وهذا طليحة فاتبعوه) (٢)

وكانت هذه العصبية مشوبة أيضا بالمطامع المادية على عادة الجاهلية . من ذلك قول مسيلمة الكذاب لسجاح التغلبية حينما غزته الأخيرة بجيوشها ، واعترفت لمسيلمة بالنبوة قال لها مسيلمة : (هل لك أن أتزوجك ، وآكل بقومك وقوم العرب؟ قالت : نعم) (٣) .

ويظهر لنا من سجعهم الذى ادعو نزول الوحى به عليهم ،أنهم كانوا مأخوذين بالبيان القرآنى فحاولوا تقليده ،ولكن بطريقة يمجها الذوق ، وأسلوب يشذ عن صياغ اللغة الصحيحة ،فضلا عن أن يعد وحيا سماويا كما يزعمون .

من ذلك مثلا قول مسيلمة : (لما رأيت وجوههم حسنت ، وأبشارهم ضعفت ، وأيديهم طفلت ، قلت لهم لا النساء تأتون ،ولا الخمر تشربون) (٤) .

---

(١) البداية والنهاية ج ٦ ص ٣٢٧

(٢) المصدر نفسه ج ٦ ص ٣١٨

(٣) المصدر نفسه ج ٦ ص ٣٢١

(٤) المصدر نفسه ج ٦ ص ٣٢٠

وقال طليحة الذى أمر قومه بترك السجود فى الصلاة زاعما أن الله تعالى أوحى به قال : (إنَّ الله لا يصنع بتعفير وجوهكم ، وتقبيح أدباركم شيئًا ، فاذكروا الله أعفَّه قيامًا ، فإن الرَّغوة فوق الصَّريح)(١)

ويظهر لنا كذب ما ادعوه ، رجوع بعضهم إلى حظيرة الإسلام . فطليحة وسجاح عند ما تبين لهما أنهما على ضلال رجعا . وهذا خير شاهد على كذب ما كانوا عليه من ضلال .

زد على ذلك أنهم جميعا لم يأتوا ببرهان مبين ولا غير مبين .

أمَّا ما حاولوا الاستدلال به على صدق دعواهم فقد عاد عليهم بالتكذيب . من ذلك : أن مسيلمة دعا بماء جماعة ، فغار ماء آبارهم ، ويبس النخل . وكذلك أنه مَرَّ بيده على رؤوس أولاد بنى حنيفة وحنكهم ، فقرع كل صبى مسح رأسه ، ولثغ كلّ صبى حنكه (٢)

وهكذا حال أهل " الأحوال الشيطانية " فالاسود العنسى (الذى ادعى النبوة كان له من الشياطين من يخبره ببعض الأمور الغيبية . فلما قاتله المسلمون كانوا يخافون من الشياطين أن يخبروه بما يقولون فيه . حتى أعانتهم امراته لما تبين لها كفره فقتلوه)

وكذلك مسيلمة الكذاب كان معه من الشياطين من يخبره بالمغيبات ، ويعينه على بعض الأمور) (٣)

وغاية القول أن دعوى هؤلاء للوحى لم تقم على دليل ، وانقطع أمرها انقطاع الباطل وأنَّهم كانوا مدفوعين فيها بدوافع العصبية القبلية والمطامع المادية وأنَّ ما حفظ من وحيهم - المزعوم - إنْ دلَّ على شىء فإنَّما يدل على ما كانوا عليه من خبال وضلال .

---

(١) الكامل ج ٢ ص ٣٤٣

(٢) المصدر نفسه ج ٢ ص ٣٦٢
وكذلك البداية والنهاية ج ٦ ص ٣٢٧

(٣) مجموع الفتاوى ج ١ ص ٢٨٤-٢٨٥

٤ / ابطال ادعاء الوحي في العصرين الأموي والعباسي :

ادّعى النبوة ونزول الوحي في هذه الفترة عدد من الكذّابين [1]، منهم على سبيل المثال :

١- المختار بن أبي عبيد الثقفي .
٢- بيان بن سمعان .
٣- المغيرة بن سعيد العجلي .
٤- أبو منصور العجلي .
٥- أبو الخطاب الأسدي .
٦- علي بن فضل الحميري .

أما المختار بن أبي عبيد الثقفي ، فهو مؤسس فرقة المختارية ،والذي تظاهر أولا بالتّشيّع ،وكان يقول بامامة محمد ابن الحنفية ،ثم ادعى الوحي ،وادّعى أن جبريل عليه السلام كان ينزل عليه . وكان يدعي علم ما يحدث من الأحوال ،اما بوحي يوحى اليه ،وإمّا برسالة من قبل الإمام . وكان إذا وعد أصحابه بكون شيء ، وحدوث حادثة ،فان وافق كونه قوله ،جعله دليلاً على صدق دعواه . وإن لم يوافقه ،قال : (قد بدا لربكم) فعرف هذا القول بالبداء . وعندما وصلت ضلالاته هذه لابن الحنفية رضي الله عنه تبرأ منه [2].

وقد قيل لابن عمر رضي الله عنهما أنّ المختار يزعم أن الوحي يأتيه . فقال ابن عمر : (صدق . قال تعالى : (وإِنَّ الشَّياطِينَ لَيُوحُونَ إِلى أَولِيائِهِمْ) [3]

---

(١) انظر الفصل في الملل والأهواء والنّحل لابن حزم ج ٤ ص ٢٦-٢٩ وقد أورد ابن حزم عددا آخر من الذين ادعوا النبوة منهم بزيغ الحائك بالكوفة ،ومعمر بايع الحنطة بالكوفة ، وعمير التّبّان بالكوفة أيضا ،وعمار الملقب بخداش، وغيرهم .
انظر المصدر نفسه ص٢٨
ويذكر ابن كثير في البداية والنّهاية من الذين ادعوا النبوة في هذه الفترة الحارث بن سعيد الدمشقي من غلاة الصوفية الذّي قتله الخليفة عبد الملك بعد أن أمر رجاله من أهل العلم أن يعظوه . انظر البداية والنهاية ج ٩ ص ٢٨

(٢) انظر المصدر نفسه ج ٨ ص ٢٨٩-٢٩٢ . وكذلك الفَرْق بين الفرق للبغدادي ص ٤٧

(٣) سورة الأنعام (١٢١) .

وكان مما ادعى أنه أوحي اليه قوله : (أما والذى أنزل القرآنَ ،وبين الفرقان ، وشرَّع الأديان ،وكره العصيان ،لأُقتلنَّ البغاةَ من أَزْدَ عُمان ، وَمَذْحِجٍ همْدان ،ونهدٍ وَخَوْلان ،وبكرٍ وهزَّان ،وثُعَلٍ ، ونبهان ،وعبسٍ،وذُبْيان ، وقيسٍ وعيلان) [١]

أما بيان بن سمعان التميمى [٢] ، الذى ظهر بالعراق فقد ادعى النبوة ،وبعث كتابا إلى محمد بن على بن الحسين الباقر - رضى الله عنه - دعاه فيه إلى نفسه جاء فيه : (أسلم تسلم ،وترتقى من سلَّم ،فانك لا تدرى حيث يجعل الله النبوة . فأمر الباقر الرسول الذى حمله الكتاب أن يأكل قرطاسه الذى جاء به فأكله فمات فى الحال واجتمعت طائفة على بيان ابن سمعان ودانوا بما جاء بهويمذهبه) [٣] .

وادعى أنه هو المذكور فى القرآن فى قوله تعالى : (هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ) [٤]

أما المغيرة بن سعيد [٥] ،فقد ادعى الإمامة أولاً ،ثم ادَّعى : (أنهَ رسول نبى وأنَّ جبرائيل يأتيه بالوحى من عند الله) [٦]

---

(١) الفرق بين الفرق ص ٢٣

(٢) بيان بن سمعان النهرى من بنى تميم ظهر بالعراق بعد المائة وادعى النبوة ، ولما علم خالد بن عبد الله القسرى فى زمان ولايته فى العراق بخبره ،احتال عليه حتى ظفر به وصلبه ،وقيل : بل أحرقه مع المغيرة بن سعد . انظر ميزان الاعتدال فى نقد الرجال تأليف ابى عبد الله محمد بن عثمان الذهبى تحقيق على محمد البجاوى ج ١ ص ٣٥٧ . وكذلك الفرق بين الفرق للبغدادى ص ٢٢٧ . والفصل فى الملل والأهواء والنحل ج ٤ ص ١٨٥ .

(٣) الفصل فى الملل والاهواء والنحل ج ١ ص ١٥٢

(٤) نفس المصدر والصفحة ،أما الآية فمن سورة آل عمران الآية ١٣٨ .

(٥) المغيرة بن سعيد هو مولى خالد بن عبد الله القسرى ،من أهل الكوفة ،ادعى الإمامة ،ثم النبوة وكانت له ترّهات كثيرة منها تحريمه لماء الفرات ،وكل ماء نهر أو عين أو بئر وقعت فيه نجاسة ،قتله خالد بن عبد الله القسرى سنة ١١٩هـ انظر البداية والنهاية ج ٩ ص ٣٢٣ .

(٦) فرق الشيعة ص ٧٥ .
وكذلك الملل والنحل ج ١ ص ١٧٧

وأما منصور العجلى[1] فقد (زعم أن جبرائيل عليه السلام يأتيه بالوحى من عند الله عز وجل ، وان الله بعث محمدا بالتنزيل وبعثه هو ـ يعنى نفسه ـ بالتأويل)[2]

وادعى كذلك أنه عرج به إلى السماء ، وأنّ الله تعالى مسح بيده على رأسه ، وقال له يا بنى اذهب فبلغ عنى)[3]

أمّا أبو الخطاب الأسدى[4] فقد ادعى النبوة[5] بعد أن ادعى الإمامة لنفسه[6] وزعم أن الأئمة أنبياء محدَّثون.[7]

أمّا على بن الفضل الحميرى[8] ، فقد ادعى النبوة باليمن وكان اسماعيليا . وقد صرح بذلك فى قصيدته المشهورة :

---

(١) أبو منصور العجلى من أهل الكوفة زعم أنّ الرّسالة لا تنقطع ، وادعى أنّ على بن أبى طالب نبى رسول ، وكذلك الحسن والحسين ، وأبناء الحسين ، أباح المحرمات وأسقط الصلاة والزكاة والصيام والحج . صلبه يوسف بن عمر الثقفى أيام هشام بن عبد الملك. انظر مقالات الإسلاميين ج ١ ص ٧٥ . والملل والنحل ج ١ ص ١٧٩ . وكذلك فرق الشيعة للنوبختى ، الطبعة الحيدرية ص ٥٤ .

(٢) فرق الشيعة ص ٥٤

(٣) الفصل فى الملل والأهواء والنحل ج ٤ ص ١٨٥ .

(٤) هو محمد بن أبى زينب من موالى بنى أسد بالكوفة ، ادَّعى النبوة ، وأنكر الجنة والنار . قتله عامل المنصور بالكوفة عيسى بن محمد ، وقيل صلب فى كناسة الكوفة . انظر مقالات الإسلاميين للأشعرى ج ١ ص ٧٦ ، ولوامع الأنوار البهية ج ١ ص ٨٢ الملل والنحل ج ١ ص ١٨٠

(٥) انظر مقالات الإسلاميين ج ١ ص ٧٦

(٦) انظر الملل والنحل ج ١ ص ١٨٠

(٧) انظر فرق الشيعة ص ٨١

(٨) على بن فضل الحميرى كان داعية الفاطميين فى اليمن فلما كثر أتباعه تمرد وادعى النّبوة ، مات على يد أحد الاطباء عام ٣٠٣ هـ .
انظر تاريخ اليمن الثقافى تأليف أحمد حسين شرف الدين ، مطبعة السنة المحمدية بالقاهرة ج ٤ ص ٨٧ .

خذى الدُّفَ يا هـذه واضربى * وغنى هزارك ثم أطربى
تولى نبى بنى هاشم * وجاء نبى بنى يعرب
أحل البنات مع الأُمهات * ومن فضله زاد حل الصبى
لكلّ نبى مضى شرعةٌ * وهذى شريعة هذا النبى(١)

وفى سبيل ابطالنا دعوى هؤلاء الوحى والنبوة نقدم الملحوظات الآتية :

أولا : العصبية التى كانت السمة الظاهرة فى الذين تنبئوا فى صدر الإسلام ، والتى كانت من دوافع التّنبوء ، تكاد تختفى فى متنبئ هذين العصرين ، بل ان بعض هؤلاء كانوا من الموالى كالمغيرة بن سعيد مولى بجيلة(٢) وأبى الخطاب محمد ابن أبى زينب مولى بنى أسد بالكوفة(٣).

ثانيا : أَنَّ جميع هؤلاء - كما يذكر ابن حزم -(٤) من غلاة الشيعة ، الذين أوجبوا النبوة والوحى بعد النبى صلى الله عليه وسلم مع اختلاف مذاهبهم بين كيسانية وإمامية .

ثالثا : من خلال تتبعنا لأفكار هؤلاء المتنبئين يظهر لنا تأثّرهم بالفكر الفارسى الوثنى ،فكرة النور والظلمة ،وبأنّهما صانعان قديمان ،والنّور منهما فاعل الخيرات والمنافع ، والظلام فاعل الشرور والمضار ، وأن الاجسام ممتزجة من النور والظلمة... .. الخ .(٥)

فكما زعمت الثنوية وغيرهم ،زعم المغيرة بن سعد العجلى أنّ الشيعة خلقوا من البحر العذب النير ، فهم المؤمنون ، وخُلِق الكفرة وهم أعداء الشيعة من البحر المظلم المالح .(٦)

---

(١) انظر تاريخ اليمن الثقافى ج ٤ ص ٨٧

(٢) انظر الفصل فى الملل والأهواء والنحل ج ٤ ص ١٨٤ .

(٣) المصدر نفسه ص ١٨٧ .

(٤) المصدر نفسه ص ١٨٣ .

(٥) الفرق بين الفرق للبغدادى ص ٢٦٩ .

(٦) المصدر نفسه ص ٢٣٠

رابعا : كل دعوات هؤلاء المتنبئين تضمنت تجسيم الإله كما يذكر المغيرة بن سعيد العجلي : (إنّ معبوده رجل من نور على رأسه تاج من نور ، وله أعضاء وقلب ينبع منه الحكمة ، وزعم أيضا أن أعضاءه على صور حروف الهجاء ، وأن الألف منها مثال قدميه ، والعين على صورة عينية . . .)[1]

وتضمنت دعواتهم كذلك التأويل الباطني للقرآن . فقد وضع المغيرة تفسيرا للقرآن سماه علم الباطن ، خارجا مما عليه المسلمون ، وزعم أن القرآن كلّه أمثال ورموز ، وأن النّاس لا يعلمون من معانيه شيئا ، إلاّ الإمام ، أو من أيّده الإمام بالقوة المعرفيّة الخاصة .[2]

وبناء على هذه التفاسير الباطلة : (أحلوا المحارم من الزنا ، والسرقة ، وشرب الخمر ، وتركوا الصلاة ، والصيام والحج وأباحوا الشهوات بعضهم لبعض ، وقالوا : من سأله أخوه ليشهد له على مخالفيه فليصدقه ، ويشهد له ، فإن ذلك فرض واجب ، وجعلوا الفرائض رجالا سموهم ، والفواحش رجالا[3] وتأولوا على ما استحلوا قول الله تعالى : (يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ)[4] وقالوا : خفف عنا بابي الخطاب ، ووضع عنا به الأغلال ،

---

(١) الفصل في الملل والاهواء والنحل ج ٤ ص ١٨٤ . وكذلك الفرق بين الفرق للبغدادي ص ٢٢٩ .

(٢) انظر مسائل الامامة ومقتطفات من الكتاب الأوسط في المقالات للناشئ الأكبر المتوفى ٢٩٣ . حققها وقدم لها : يوسف فان اس ، المطبعة الكاثوليكية بيروت ص ٤١

(٣) يعني بذلك تأويلهم للفرائض التي يجب اتباعها بالإمام ، وأنصاره الذين يجب معرفتهم ومناصرتهم فمن فعل ذلك سقطت عنه تلك الفرائض ، أمّا المحرمات التي نهينا عنها ، فهي رمز لأعداء الإمام الذي أمرنا بمعرفتهم ، والبعد عنهم ، فمن فعل ذلك فقد أحلت له تلك المحرمات ، وبذلك يسقطون كلّ التكاليف بالكلية .

(٤) سورة النساء آية ٢٨ .

والآصار يعنون الصلاة والزكاة والصيام والحج - فمن عرف الرسول النبي الامام فليصنع ما أحب) .[1]

فهؤلاء المتنبئون لم يقدموا إلاّ مخلفاتٍ وثنية بالية ، ولم يقدموا دعوة إلى خير الإنسانية ، وليست في دعواهم هذه أي عقيدة سليمة ، وليس هذا شأن الوحي الإلهي ، وليس معهم دليل على أنهم متّصلون بالله ، وانما فيه دليل على أن بعضهم يوحي إلى البعض الآخر زخرف القول غرورا .

٥ / ابطال ادعاء الإماميّة نزول الوحي على أئمتهم :

ادعت الإمامية الإثنا عشرية وقوع الوحي لفاطمة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقد أسند في كتاب أصول الكافي[2] الى عبد الله جعفر الصادق أنه قال : (وان عندنا لمصحف فاطمة عليها السلام ، وما يدريهم ما مصحف فاطمة . قال : مصحف فيه مثل قرآنكم هذا ثلاث مرات ، والله ما فيه من قرآنكم حرف واحد)[3]

ثم ذكر أن الله أرسل اليها جبرائيل يسليها ويحدثها وأن ذلك المصحف كان عبارة عن ذلك الحديث كتبه علي بن أبي طالب رضي الله عنه .[4]

وأسند اليه كذلك أنه قال : (إنّ علمنا غابر ومزبور ونكت في القلوب ، ونقر في الأسماع . فقال : أمّا الغابر فما تقدم من علمنا ، وأمّا المزبور فما يأتينا . وأمّا النكت في القلوب فالهام ، وأمّا النَّقر في الأسماع فأمر المَلَك) . (٥)

---

(١) فرق الشيعة للنوبختي ص ٤٢- ٤٣

(٢) ان كتاب الكافي في طليعة الكتب الاربعة التي هي محور العمل عليها عند الشيعة ، وهذا الكتاب أوفاها في الحديث ولم يعمل الامامية مثله ، وعليه اعتماد العلماء منذ أن دونه مؤلفه أبو جعفر محمد بن يعقوب الكليني (ت٣٢٨هـ) وحتى اليوم . انظر شرح الكافي للكليني ج ١ ص٣ ، ٥ - نقلا عن عقيدة ختم النبوة لاحمد سعد الغامدى . ص ١٧٥ .

(٣) اصول الكافي ج ١ ص ١٩٩ نقلا عن عقيدة ختم النبوة د . أحمد سعد الغامدى ص ١٧٦

(٤) المصدر نفسه ص ٢٠٢ نقلا عن عقيدة ختم النبوة ص ١٧٦

(٥) المصدر نفسه ج ٣ ص ٢٤٨ نقة عن عقيدة ختم النبوة ص ١٧٦

والإمام عند الشيعة الإثنى عشرية هو وارث العلم النبوى ويعلو على البشر ، باتصاله الدائم بالعلم الإلهى ، ولم يصل إلى هذا عن اكتساب واعتمال دليل ، بل ينقدح العلم فى نفسه انقداحا . فالعلم الغيبى اللَّدنى قد انتقل بعد تسلسل طويل فى أرواح الرُّوحانيين من الملائكة والأنبياء حتى وصل محمدا صلى الله عليه وسلم ومنه إلى على وفاطمة ، واجتمع النور فى الأئمة الفاطميين .

(فالعلم الغيبى إذن للأئمة هو أشبه بالوحى . بل ان علوم الأئمة ، أشمل وأعظم من علوم الأنبياء باستثناء النبى صلى الله عليه وسلم)(١)

ويورد الاثناء عشرية قولا منسوبا الى الامام جعفر الصادق فى قول الله تعالى: (وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ)(٢) قال الصادق - كما يزعمون - (منذ نزل ذلك الروح على النبى ما صعد الى السماء وهو فينا)(٣)

ويحدد الرضا(٤) اتصال الإمام بالوحى : (بأنَّهُ يسمع الكلام ولا يرى الشخص، أى يتلقى الوحى ولا يرى الملك)(٥) .

---

(١) نشأة الفكر الفلسفى فى الإسلام ، تأليف الدكتور على سامى النشار الطبعة ٣ ، ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٥ م دار المعارف بمصر ج ٢ ص ٢٩٦ .

( ) سورة الشورى الآية ٥٢

(٣) نشأة الفكر الفلسفى للنشار ص ٢٩٦

(٤) الرضا هو: الامام الثامن من أئمة الشيعة الامامية الاثنى عشرية وهو أزهد أهل زمانه وكان أعلمهم وأخذ عنه الفقهاء المشهورون كثيرا ، وولاه المأمون لعلمه بما هو عليه من الكمال والفضل ، حتى ضرب المأمون اسمه على الدراهم والدنانير.
انظر منهاج السنة النبوية لابن تيمية دار الكتب العلمية بيروت ج ١ ص ١٢٥ .

(٥) الكافى للكلينى ج ١ ص ٨٢ نقلا عن نظرية الإمامة لدى الشيعة الاثنى عشرية تأليف الدكتور أحمد محمد صبحى دار المعارف بمصر . ص ١٤٦

وذلك حيث سئل عن الفرق بين الرسول والنبى والامام فقال : (الرّسول هو الذى ينزل عليه جبريل فيراه ويسمع كلامه وينزل عليه الوحى ،وربما رأى فى منامه ، نحو رؤيا ابراهيم ، والنبى ربما سمع الكلام ، وربما رأى الشخص ولم يسمع. والإمام هو الذى يسمع الكلام ولا يرى الشخص) . (١)

وقد استشهد على ذلك بآية من سورة الحج حسب روايتهم لها : (وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبى ، ولا محدث)(٢) حيث زادوا على هذه الآية قولهم (ولا محدث) للدلالة على أن المحدث يرسل اليه بالوحى ،شأنه فى ذلك شأن النبى والرسول .

ففى هذين الأثرين اثبات اسماع الملك لأئمتهم ، ولا شك أن الملك انما ينزل بأمر الله عز وجل بوحيه . كما قال تعالى فى الملائكة (وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلاَّ بِأَمْرِ رَبِّكَ)(٣)

ولا سيما وأنهم يسندون ماينزل على أئمتهم - بزعمهم - إلى جبريل عليه السلام.

هذه الآثار التى ذكرناها توضح لنا عقيدة الشيعة الإمامية الاثنى عشرية فى (نزول الوحى) فقد رفعوا أئمتهم الى مصاف الأنبياء والرسل من حيث تلقيهم الوحى والعلم اللدنى ،فلا يعتريهم الخطأ ، ولا السّهو ، ولا النسيان ،بل ويجعلونهم فى مقام أرفع من مقام الملائكة والأنبياء.(٤)

والواقع أنّنا إذا نظرنا إلى دعوى الإمامية -نزول الوحى على أئمتهم - فإنّنا نجدها لا تستند على دليل معتبر بل تخالف الأدلة النقلية من الكتاب والسنة ، وبذلك فإننا نجد الآثار التى أسندوها الى أئمتهم مجهولة السند فى بعضها ،

---

(١) الكافى للكلينى ج ١ ص ٨٢ نقلا عن نظرية الامامة لدى الشيعة الاثنى عشرية د. احمد محمود صبحى ص١٤٦ .

(٢) اصول الكافى ج ٣ ص٣٠ نقلا عن عقيدة ختم النبوة ص١٧٦ . والاية كما وردت فى سورة الحج (وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلاَ نَبِيٍّ إِلاَّ إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِى أُمْنِيَّتِهِ .) آية ٥٢

(٣) سورة مريم الآية ٦٤ .

(٤) انظر مقالات الإسلاميين ج ١ ص١٢٣ وكذلك انظر ضحى الإسلام تأليف احمد أمين ،الطبعة السابعة ،مكتبة النهضة المصرية ج ٣ ص ٢١٤ .

وضعيفة الإسناد في بعضها الآخر ، فهي اذن مكذوبة عليهم موضوعة.[١] يقول الإمام ابن تيمية رحمه الله : (إنَّ الرَّافضة[٢] في الأصل ليسوا أهل علم وخبرة بطريق النظر والمناظرة ومعرفة الأدلة ،وما يدخل فيها مع المنع والمعارضة ،كما أنهم من أجهل الناس بمعرفة المنقولات والأحاديث والآثار والتمييز بين صحيحها وضعيفها ، وإنَّما عمدتهم في المنقولات على تواريخ منقطعة الإسناد وكثير منها من وضع المعروفين بالكذب والإلحاد)[٣].

ثم إنَّ ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم من عقيدة وشريعة ، ونظام حياة متكاملة يكفي لقيادة الناس إلى الحياة الكريمة ، قال تعالى : (إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ)[٤].

فأي حاجة إذن إلى نزول الوحي أو استمرار النبوّة إلى أئمتهم المعصومين - بزعمهم - الذين يتلقون علومهم من الله مباشرة من غير واسطة - كما يدعون - فالخلفاء الراشدون رضي الله عنهم قد قادوا الأُمة بعده صلى الله عليه وسلم بالكتاب والسنة من غير ضرورة إلى وحي يأتيهم من السماء .

---

(١) انظر رسالة عقيدة ختم النبوة بالنبوة المحمدية د . أُحمد سعد حمدان الغامدي ص ١٨٣ .

(٢) الرافضة هم فرقة من فرق الشيعة بايعوا زيد بن علي بن الحسين رضي الله عنهم ثم قالوا : تبرأ من الشيخين ، فأبى وقال : كانا وزيري جدي ،فتركوه ،ورفضوه ، وأرفضوا عنه . وقيل سموا رافضة لرفضهم أكثر الصحابة ،وإمامة أبي بكر وعمر رضي الله عنهما . انظر مقالات الإسلاميين ج ١ ص ٨٧ . وكذلك رسالة في الرد على الرافضة تأليف أبو حامد محمد المقدسي تحقيق عبد الوهاب خليل الرحمن الدار السلفية بالهند ص ٦٥-٦٦

(٣) منهاج السنة النبوية ج ٢ ص ١٢ .

(٤) سورة الاسراء الآية ٩ .

(وان سلمنا لهم ذلك فأى شيء سيوحيه الله سبحانه وتعالى اليهم ،أبشيء فى الكتاب والسنة ، أم بشيء ليس فيهما ؟

فاذا كان بشيء فيهما فلا حاجة لنا به ،وإن كان بشيء ليس فيهما فذلك اتهام لدين الله عز وجل بأنَّه لم يكمل ،وأنه لا يزال يكمله على أيدى أئمة الشِّيعة ، وذلك يعارض قول الله تبارك وتعالى : (الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا)[1] ففى كل كلمة من هذه الآية دليل على عدم حاجة الناس الى وحى جديد) .[2]

ثم إنَّنا نجد أن الإمام الذى يعلِّقون عليه آمالهم غائبًا لأكثر من ألف عام فى سرداب بيت أبيه ،فى مدينة : (سر من رأى) .[3]

فإذا كان هذا الإمام - المزعوم - غائبا ،غير موجود الآن ،والإسلام لا يفهم إلاَّ بوحى ،والوحى غير موجود لاختفاء صاحبه ،ففهمهم للإسلام يكون غير صحيح خلال هذه الفترة على الأقل .

وما نقل عن إمامهم جعفر الصادق من أقوال باطلة فى متنها وسندها ،ينفى صحة نسبتها إليه ،ما ورد عنه فى مختصر التحفة الإثنى عشرية من أنَّه قال : (إنَّ الله عز وجل ختم بنبيكم النَّبيين ، فلا نبى بعده ، وختم بكتابكم - الكتب - فلا كتاب بعده أبدًا وأنزل فيه تبيان كلَّ شيء) .[4]

وينفيهما عنه كذلك شهادة شيخ الإسلام ابن تيمية له بصحة العقيدة ،وسلامة الدين وبراءته ممن أحاط به من الغلاة حيث يقول (جعفر الصادق - رضى الله عنه -

---

(١) سورة المائدة الآية ٣ .

(٢) عقيدة ختم النبوة بالنبوة المحمدية أحمد سعد الغامدى ص١٨٤

(٣) عقيدة الشيعة الامامية ان امامهم المنتظر قد اختفى فى هذه المدينة (سر من رأى) فى سرداب بيت أبيه ، وبه يبدأ عهد الائمة المستورين . انظر الرد على الرافضة ص٧

(٤) مختصر التحفة الاثنى عشرية شاه عبدالعزيز غلام ، المطبعة السلفية القاهرة ١٣٧٣هـ ص ١٩٠ .

هو من خيار أهل العلم والدين أخذ العلم عن جده أبي امه أم فروه بنت القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق ، وعن محمد بن المنكدر ، ونافع مولى ابن عمر ، والزهرى وعطاء بن أبي رباح ، وغيرهم ، وروى عنه يحي بن سعيد الأنصارى ، ومالك بن أنس ، وسفيان الثورى ، وسفيان بن عيينة ، وابن جريج ، وشعبة ، ويحى بن سعيد القطان وحاتم بن إسماعيل ، وحفص بن غياث ومحمد بن اسحاق بن يسار . وقال عمرو بن أبي المقدام كنت اذا نظرت الى جعفر بن محمد علمت أنه من سلالة النبيين) (١) .

لقد رأينا في الفقرة السابقة أن كل الذين قاموا خلال العصرين الأموى والعباسي بدعوى الوحي والنبوة كانوا من غلاة الشيعة ، والحق أن الأئمة العلويين كانوا يتبرأون من هؤلاء الغلاة ومن دعاويهم ، وقد نسب هؤلاء الغلاة إليهم من الأقوال والعقائد ما لا تصح نسبته إليهم ، وما يختلف اختلافا تاما عن عقيدتهم السلفية كالتي تلقوها عن آبائهم ، وهذا هو ماحدث بالنسبة للباقر والصادق ممن أحاط بهما من الغلاة . وإذا كانت النصوص التي نقلناها عن أُصول الكافي تدين رواتها ، ومن يعتقدون بها من الإمامية فان من الواجب علينا أن نقرر أن من الإماميين من يقطع بختم النبوة بالنبوة المحمدية ، ويكفر أدعياء الوحي بعد محمد صلى الله عليه وسلم .

يقول الشيخ آل كاشف الغطاء الشيعي في كتابه (أصل الشيعة وأُصولها) : (إنّ كلّ من اعتقد ، أو ادعى نبوة بعد محمد صلى الله عليه وسلم أو نزول وحي ، أو كتاب ، فهو كافر يجب قتله) (٢) .

والذى نلحظه في هذا المقام أنّ الشيخ لم يكشف لنا في كتابه هذا عن موقفه - وهو يعرض أُصول الأمامية في اعتدال - من المصادر الأولى للشيعة ككتاب (أُصول الكافي وما تضمنه منسوبا الى الأئمة من الأقوال والعقائد الباطلة .

---

(١) منهاج السنة النبوية ج ٢ ص ١٢٣-١٢٤ .

(٢) أصل الشيعة وأصولها للشيخ محمد الحسين آل كاشف ، الطبعة الثانية ١٣٦٣ هـ - ١٩٤٤م ص ٧٨ .

٦- ابطال ادعاء الوحى إلى الاولياء :

يفتح ابن عربى باب الوحى على الأولياء ، فهم فى رأيه يتلقونه من الله مباشرة ، أو عن طريق ملك الإلهام ، وليس عن طريق ملك الوحى الذى كان ينزل بالوحى على الأنبياء . وقد يكون الوحى إليهم مناماً ، أو يقظة ، وقد يكون معنى يجده الولى فى نفسه من الله ، أو يجده مكتوبا عنده على نحو خاص مخالفا لما يكون عند البشر ، فى كتابته وقراءته .

يقول ابن عربى فى الفتوحات: (الوحى على ضروب شتى ويتضمنه هذا المنزل فمنه ما يكون متلقى بالخيال ، كالمبشرات فى عالم الخيال ، وهو الوحى فى النوم ، فالمتلَقِّى خيال ، والنازل كذلك ، والموحى كذلك ، ومنه ما يكون خيالا فى حس على ذى حس ، ومنه ما يكون معنى يجده الموحَى إليه فى نفسه من غير تعلق حس ولا خيال بمن نزل به . وقد يكون كتابة ، ويقع كثيرا للأولياء ، وبه كان يوحى لأبى عبد الله قضيب البان ، ولأبى زكريا البجائى ، ولبقى بن مخلد تلميذ أحمد بن حنبل صاحب المسند ، ولكنه كان أضعف الجماعة فى ذلك ، فكان لا يجده إلاَّ بعد القيام من النوم مكتوبا فى ورقة)(١) .

ويقول فى الفرق بين كتابة المخلوق ، وكتابة الخالق حيث يدعى أنهّ: علم عجيب رآه وشاهده(٢) ، يقول : (من آية ذلك ذلك الكتاب أنه يقرأ من كل ناحية على السواء لا يتغير كلما قلبت الورقة انقلبت الكتابة لانقلابها ، فعلم الناس أنه من عند الله . .)(٣)

ومن قبل ابن عربى قرر أبو يزيد البسطامى أخذ الأولياء علومهم عن الله مباشرة

---

(١) الفتوحات المكية لمحمد بن على ابن عربى (ت ٦٣٨ هـ) ج ٢ ص ٦٧٢ .

(٢) المصدر نفسه ج ٣ ص ٥٩

(٣) المصدر نفسه ج ٣ ص ٦٠

وإن لم يسم ذلك وحيا حيث يقول : (أخذتم علمكم ميّتاً عن ميت، وأخذنا علمنا من الحى الذى لا يموت) .(١)

وابن عربى اذ يفتح باب الوحى على الأولياء يقدم لنا أحد كتبه ،وهو فصوص الحكم على أنهّ من هذا النوع الذى نزل عليه ، وأوحى به إليه ،فهو يقول فى مقدمة هذا الكتاب: (فما أُلقى إلاّ ما يلقى السبّوح ولا أنزل فى هذا المسطور،إلاّ ما ينزل به علىّ)(٢)

ويحاول ابن عربى الجمع بين الوحى للأولياء ،وبين عقيدة ختم النبوة بالنبوة بالمحمدية ، حيث يرى أن النبوة المحمدية ختمت النبوات التشريعية ،أمّا النبوة العامة فلا يزال بابها مفتوحا على الأولياء بما فيها من وحى وإلهام .

(فالنبوة فى رأى ابن عربى نبوتان ، نبوة تشريعية ونبوة غير تشريعية ،فنبوة التّشريع هى ما ينزل فيها الوحى بشرع جديد ، فأمّا النبوة الأخرى ،فهى إلهامات وخواطر ووحى لا ينزل بتشريع ، وإذا كانت النبوة الأولى خاصة بأنبياء الشرائع ، وكانت قد ختمت بنبوة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فإنّ النبوة الأخرى عند هؤلاء لا تزال مفتوحة للأولياء والواصلين ،لم تختم بعد ، وإنّما يأتى ختامها بخاتم الأولياء ،وكما أنّ الوحى ينزل على أنبياء التّشريع ،فإنّه كان ولا يزال ينزل على الأولياء أيضا ،وإنّما الذى اختص به النبى دون الولى من أنواع الوحى ، إنّما هو وحى التشريع ،والأولياء ليس لهم إلاّ بيان صحة ما جاء به النبى كما كان يسمع الصحابة ،ثم يكونون على بصيرة فيما هو صحيح فى نفس الأمر ،وإن ظننا خطأ ،وفيما هو خطأ فى نفس الأمر وإنْ ظنناه ثابتا صحيحا) .(٣)

---

(١) الفتوحات المكية ج ٢ ص ١٣٥ .

(٢) فصوص الحكم لمحق الدين بن عربى المتوفى سنة ٦٣٨ هـ تعليق ابو العلا عفيفى ـ دار الكتاب العربى بيروت ص٤٨

(٣) عقيدة ختم النبوة بالنبوة المحمدية د . عثمان عبد المنعم يوسف ص٩٦

ولما كان ابن عربي يعتقد ختام النبوة التشريعية، وبقاء باب النبوة العامة مفتوحا، وكان الأنبياء المشرعون رسلا، فإنه يعبر عن عقيدة الختم عنده، ويعقب على أحاديثها بما يتفق مع فكرته هذه.

فيقول في وصف النبي صلى الله عليه وسلم بالختم: (وختم بمحمد صلى الله عليه وسلم جميع الرسل عليهم السلام، وختم بشرعه جميع الشرائع، فلا رسول بعده بشرع، ولا شريعة بعد شريعته تنزل من عند الله ...)(١).

ومعنى ذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين المشرعين فقط، أما النبوة التي ليس فيها وحي بشرع جديد، فليست النبوة المحمدية خاتمة لها، بل بابها مفتوح على الأولياء من بعده. وهذا هو مقتضى كلام ابن عربي كما يقرره من أن ختم الرسالة لا يقتضي ختم النبوة. وإذا كان الرسول أخص من النبي فنفي الأخص لا يستلزم نفي الأعم.

ويعلق ابن عربي على حديث: (لا نبي بعدي) بأن هذا الحديث: (قصم ظهور الأولياء)(٢) وما ذلك إلا لما فيه من اغلاق باب الوحي بعده صلى الله عليه وسلم ولهذا فانه يفسره تفسيرا لا يغلق هذا الباب عليهم فيقول ان معنى الحديث: (أي لا شرعة خاصة لا أنه لا يكون بعده نبي)(٣).

ويقول ابن عربي: (قالت عائشة رضي الله عنها أول ما بدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي الرؤيا فكان لا يرى رؤيا إلا خرجت مثل فلق الصبح، وهي التي أبقى الله على المسلمين، وهي من أجزاء النبوة، فما ارتفعت النبوة بالكلية. ولهذا قلنا إنما ارتفعت نبوة التشريع، فهذا معنى (لا نبي بعده) .... فهذا مثل قوله: (إذا هلك كسرى فلا كسرى بعده)(٤).

---

(١) الفتوحات المكية لابن عربي ج ٤ ص ٧

(٢) ،(٣) فصوص الحكم ص ١٣٤

(٤) الفتوحات المكية ج ٢ ص ٥٨

ومعنى ما تقدم ،استمرار الوحي الى الأولياء سواء كان وحيا مسطورا أو غير مسطور .

وفي سبيل ابطال ذلك الذى ذكره ابن عربي نقرر الحقائق التالية :-

أولا : أنهّ مما لا شك فيه أن الله يفتح على عباده المتقين ، وأوليائه الصالحين من أنواع الإلهامات ، والكرامات بقدر إقبالهم عليه ، وإخلاص أسرارهم له ، وما يكون لهم معه من الذكر والشكر ،وحسن العبادة ،والتّجرد من الشهوات وتصفية القلوب من خواطر السوء .

ولكن مايُعطاه الولي من هذا شيء ،والوحي شيء آخر . وقد فرّقنا من قبل بين الوحي والالهام[(١)] فاعتبارهما شيئا واحدا ،يخلط ما بين المفاهيم والحقائق ولا يمايز بينهما .

وقد يعبر القرآن بالوحي عن الهامات غير الأنبياء بل عن هداية الله التي أودعها فطر بعض المخلوقات من غير البشر ،لكن هذا تعبير مجازى لا ينبغي أن نخلط بينه وبين التعبير بكلمة (الوحي) بالمعنى الخاص عن الوحي إلى الأنبياء .

لقد كان لبعض الصحابة أحوال مع الملائكة والحديث معهم . ولكن واحدا منهم لم يسم ذلك وحيا . فالوحي له ملكه الخاص ، واعتبار الهامات الأولياء وحيا يخلط بين الأولياء والأنبياء ،ويجعل باب النبوة مفتوحا يدخل منه أصحاب الرياضات الروحية ،ويؤدى بالقول باكتسابها - حتى لو كانت نبوة عامة كما يقول ابن عربي - وذلك يخالف ما هو مقرر شرعا ، من أن النبوة اصطفاء إلهي لا تنال بكسب بشرى .[(٢)]

ثانيا : ان قول الله تبارك وتعالى : (مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ)[(٣)]

---

(١) انظر ص ٤٢ من هذا البحث ومابعدها .

(٢) انظر ص ٣٩٩ من هذا البحث ومابعدها .

(٣) سورة الأحزاب الآية ٤٠ .

قد تضمن ختم النبوة بنبوّة محمد صلى الله عليه وسلم دون تفرقة بين النبوة التشريعية ، ونبوة غير تشريعية . فالآية على إطلاقها ما دام لم يرد نص يقيدها .

ثالثا : لا فرق بين أنبياء التشريع ، والأنبياء الذين لا شرعة لهم ، فيما يتعلق بحقيقة النبوة الحاصلة لهم ، فكل منهم قد أُوحي إليه ، بغض النظر عن كون ما أوحي إليه تشريعا عاما أم خاصا . ومن ثم جاءت الآية الكريمة بختم باب هذا الإنباء والوحي، دون تفرقة بين وحي فريق من الأنبياء ، ووحي فريق آخر تبعا لمضمون كل وحي كما يقول ابن عربي .

رابعا : تعبير ابن عربي عن عقيدته في الختم بأن الله ختم المرسلين بمحمد صلى الله عليه وسلم وختم بشريعته الشرائع تعبير يخالف نص القرآن كما هو ظاهر وبالتالي فإنّ مقتضى كلامه يخالف مقتضى هذا النص القرانى . فمقتضى كلامه أنّ الرسل إذا كانوا قد ختموا ، فان الأنبياء لم يختموا . وإذا كان وحي التشريع قد ختم فان الوحي العامّ لم يختم . ومقتضى النص القرآني ، أن النبيين قد ختموا بمحمد صلى الله عليه وسلم ومن ثم فليس بعده نبي ولا رسول ومن ثم كذلك ليس بعده وحي ينزل ، حيث لا نبي بعده ولا رسول .

ويكفي في الدلالة على بطلان ما قرره ابن عربي في هذا المقام مخالفته للنص القرآني مخالفة واضحة على نحو ما شرحناه .

خامسًا : ويتبع هذا وضوح مخالفة أفكار ابن عربي للأحاديث النّبويّة الشّريفة ، ولإجماع المسلمين على انقطاع الوحي ، وختم باب النبوة بمحمد صلى الله عليه وسلم .

ويكفي في الدلالة على ذلك ما رأيناه من عدم قبوله لحديث (لا نبي بعدى) في اطلاقه الذى جاء على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قيده بما لم يقيده به صاحبه ، مدعيا أن المقصود ، نفي التشريع لا نفي النبوة بصفة عامة ، وفي ذلك القول منه تحكم ظاهر ، وتفسير لقول النبي صلى الله عليه وسلم بما لم يرده .

سادسا : يدعى ابن عربى أن كتابه فصوص الحكم وحى ألقى اليه، ولا دليل له على دعواه هذه ، بل ان مضمون هذا الكتاب يقوم دليلا على نقيض هذه الدعوة وذلك لمخالفته لصريح الكتاب والسنة ، وما هو معلوم من الدين بالضرورة من عقائد الإسلام فى مواضع عدة منه ، مما يظهر لكل مطلع عليه ولا سيما مخالفته لعقيدة التوحيد بما تقرر فيه من وحدة الوجود .

سابعا : أما ما ذكره ابن عربى مما تضمنه الحديث الشريف من أن الرؤيا أحد أجزاء النُّبوة مستدلا بذلك على أن النبوة لم ترفع ، فالواقع أن هذا المعنى وردت به روايات كثيرة ، لكنها لا تدل على بقاء النبوة كما قال ابن عربى ، وليست الرؤيا جزءا من أجزاء النبوة على الحقيقة ، بل على المجاز . ونعيد هنا بعض ما ذكرناه حول هذا المعنى فى الفصل الرابع من الباب الأول من هذه الرسالة .

قال ابن حجر العسقلانى : (حصلنا فى هذه الروايات على عشرة أوجه ، أقلها جزء من ست وعشرين ، وأكثرها من ستة وسبعين ، وبين ذلك : أربعين ، وأربعة وأربعين وتسعة وأربعين ، وخمسين وسبعين ، أصحها مطلقا الأول ويليه السَّبعين) (١)

وهناك روايات أخرى غير التى ذكرها ابن حجر فى شرحه .

ولكن هل المراد بالرؤيا فى هذه الأحاديث ما يشمل رؤيا الأنبياء ، وغير الأنبياء ، أم المراد بها رؤيا الأنبياء فقط ، وأنها جزء من نبوتهم ؟

قال ابن حجر : (فقيل - فى الجواب - ان وقعت الرؤيا من النبى ، فهى جزء من أجزاء النبوة حقيقة . وإن وقعت من غير النبى فهى جزء من أجزاء النبوة على سبيل المجاز .

وقال الخطّابى : قيل معناه أنّ الرؤيا تجىء على موافقة النبوة لا أنها جزء باق من النبوة .

---

(١) فتح البارى بشرح صحيح البخارى ج ١٢ ص ٣٦٣

وقيل المعنى : أنها جزء من علم النبوة ،لأن النبوة ،وان انقطعت فعلمها باق .

وقال ابن بطال : كون الرؤيا جزءًا من أجزاء النبوة مما يستعظم ،ولو كانت جزءا من ألف جزء ،فيمكن أن يقال ان لفظ النبوة مأخوذ من الإنباء ،وهو الاعلام لغة ،فعلى هذا المعنى ،أنّ الرؤيا خبر صادق من الله لا كذب فيه ، كما أن معنى النبوة نبأ صادق من الله لا يجوز عليه الكذب ،فتشابهت الرؤيا النبوة فى صدق الخبر .

وقال المازرى : يحتمل أن يراد بالنبوة فى هذا الحديث ، الخبر بالغيب لا غير . وإن كان يتبع ذلك إنذار أو تبشير فالخبر بالغيب أحد ثمرات النبوة) .(١)

وغاية القول أن ليس فى اعتبار الرؤيا الصادقة جزءًا من أجزاء النبوة فتحا لباب النبوة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا قولا بأنّها لم ترفع كما يدعى ابن عربى .

---

(١) فتح البارى بشرح صحيح البخارى ج ١٢ ص ٣٦٣

٧/ ابطال ادعاء الباب الوحى :

الدعوة البابية تعتبر امتدادا لمذهب الشيعة الاثنى عشرية ،فقد ظهرت هذه النحلة فى وسط شيعى يعتقد فى إمام غائب اختفى منذ القرن الثالث الهجرى ، ولا يزال حيا إلى اليوم ،وهو الإمام المنتظر .

وقد قام على بن محمد رضا الشيرازى فى إيران سنة (١) ١٢٦٠ هـ يَدّعى أنهُ هو باب المهدى المنتظر ثم ترقّى بدعوته فزعم أنه المهدى طبقا للتفسيرات التى سبق أن قدمها الشيخ أحمد الإحسائى لظهور المهدى ،(٢) ليس بجسده ،ولكن بروحه التى تحل فى شخص مستعد لذلك الحلول ،ويكون هذا هو ظهوره . وقد كان هذا الشخص الذى تحققت فيه أهلية هذا الظهور - كما يزعم - هو الباب .

ولا يعنينا فى بحثنا هذا دعوى الباب للمهدية ،ولا مناقشة التصورات المختلفة لظهور المهدى عند الإمامية ،وإنّما الذى يعنينا هو ابطال دعواه للوحى ،فقد ادعى الباب نزول الوحى عليه ،ونسب كتابه البيان الذى ألفه على نسق القرآن إلى هذا الوحى المزعوم .

وقد ادعى أنّ كلّ ما فيه هو كلام الله ،وأن شريعته الجديدة نسخت شريعة الإسلام . ومما جاء فيه مقررا بعثته إلى الناس ،وإلى وحيه إليه بذلك كما يزعم قوله :

(قل إن الله لينصرن من يُظهر الله ،بجنود السموات والأرض وما بينهما أن يأتوا بمثل ذلك الإنسان لن يستطعن ،ولن يقدرن ،ولو كانوا كلٌّ بكل مستعينين ،ذلك خلق البيان فى كتاب الله ،أفأنتم تستطيعون أن تقابلون) .(٣)

---

(١) انظر البابية عرض ونقد تأليف إحسان إلهى ظهير ، الطبعة الأولى ١٣٩٨ هـ ١٩٧٨م المطبعة العربية ليك رود ،لاهور ،باكستان ص ٥٦

(٢) للمزيد من التفصيل انظر : المصدر نفسه ص ٤٧-٤٨ ،وص ٥٠ وما بعدها .

(٣) نقلا عن عقيدة ختم النبوة بالنبوة المحمدية د . عثمان عبد المنعم يوسف ص ١١٦

ويقول في موضع آخر : (قد خلقتك ورزقتك وأمتك ، وأجبتك ، وبعثتك ، وجعلتك مُظهر نفسي لتتلون من عندى إياى ولتدعونّ كلّ من خلقته إلى دينى ، هذا صراط عزٍ منيعٍ ، وخلقت كل شيء لك ، وجعلتك من لدنا سلطانا على العالمين ، وأذنت لمن يدخل في دينى بتوحيدى ، وأقرنته بذكرك ، ثم ذكر من قد جعلته حروف الحق باذنى ، وما قد نزل في البيان من دينى ، فإن هذا ما يدخل به الرضوان عبادى المخلصين) (١) .

وقال في تفسيره لسورة يوسف : (وان الله أوحى إلى إن كنتم تحبون الله فاتبعونى) (٢) .

وهكذا نرى أن الباب قد ادعى نزول الوحى عليه ، وأن كل ما جاء فى كتابه البيان هو وحى من الله تعالى أوحاه إليه وقد كان يؤكد ذلك برسائل يبعث بها إلى العلماء ليصدّقوه فقد جاء فى خطابه للشهاب الألوسى : (بسم الله الأمنع الأقدس فلتشهد من على أننى أنا الذكر الأول عند الله ، قد آتانى الله تلك الآيات من عنده لأبلغنك ، وكلّ نفس تريد أن يومن بالله ، وآياته ، وكان من المؤمنين ، وكلّ ما قد أبعث الله الرسل ظهور من ذلك الذكر الأول إلى حينئذ ، فإذا فى خلق أفئدتكم تنظرون .

وما نزل الله فى كتاب إلا بذلك الذكر الأول ، وأنه من يجعل محمد رسول حقٍ محبوب ، وقد جاء بالهدى ، وبلغ ما أُنزل عليه من كتاب ربه حيث أنتم يومئذ به مؤمنون ولقد بعثنى الله ، بمثل ما قد بعث محمد رسول الله من قبل وأنزل عليه آياته ، أفغير الله يقدر أن ينزل من آياته ، أفلا تبصرون ، ولو أن اجتمع من على الأرض كلهن على أن يأتوا بمثل ذلك الكتاب من عند الله ، لن يستطيعوا ، ولن يقدروا على ذلك والذين هم أولوا العلم ، أولئك هم فى دين الله يشاهدون . . .) (٣)

---

(١)(٢) كتاب البيان المطبوع مع كتاب خفايا الطائفة البهائية ص ٤٩ نقلا عن عقيدة ختم النبوة بالنبوة المحمدية لاحمد سعد الغامدى ص ٢٤٩

(٣) مفتاح باب الابواب لمهدى خان ص ٢٥١ نقلا عن عقيدة ختم النبوة بالنبوة المحمدية د . عثمان عبد المنعم ص ١٠٩

ولم يكتف الباب بدعواه الوحي ، ولكنه عمد إلى تأويل القرآن الكريم حسب هواه ، فزعم أن المراد بيوم القيامة في القرآن الكريم هو ظهور أمره ، وإعلان دعوته ، والمقصد من البعث والحشر هو قيامه بدعوته ، وأن كل من لم يستجب لأوامره وطاعته ، ولم يذعن لأقواله بعد هذا التاريخ عاص ، فاسق . والذى يخالفه فهو كافر جاحد مهدور الدم .(١)

ويطول بنا القول لو ذهبنا نذكر من كتاب الباب ما يثبت دعواه للوحي والرسالة وما ينسخ به كثيرا من تفاصيل الأحكام الفقهية في الإسلام ، بأحكام جديدة يتضمنها كتابه .

والواقع أن كتابه المزعوم في أسلوبه ومضمونه ، وطريقة قيامه بدعوته ، وأحواله خلال هذه الدعوة ، وكذلك خصائصه الشخصية ، الواقع أن كلّ ذلك يحمل في طياته دليل بطلان ما ادعاه من نزول الوحي عليه .

فمن سنن الأنبياء أنهم يبعثون في أقوامهم بألسنتهم كما روى الإمام أحمد في مسنده عن أبي ذر رضي عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (لم يبعث الله نبيا إلاّ بلغة قومه) .(٢)

ولقد خالف الباب هذه السنة ، فأتى بكتاب مشوش بالعربية ، ملغوز بالفارسية ، ساق عباراته بلغة عربية ركيكة لا يجيدها ، فجاءت عباراته معقدة مبهمة ، لا تكاد أسطره تخلو من الأخطاء اللغوية - كما ترى - فلو كان كما يدعى أنه كلام الله سبحانه وتعالى ، لكان بأعلى الأساليب وأفصحها بيانا وبلاغة وإعجازا .

---

(١) مفتاح باب الأبواب ص ٢٥١ نقلا عن عقيدة ختم النبوة بالنبوة المحمدية د . عثمان عبد المنعم ص ١٠٩

(٢) مسند الامام أحمد ج ٥ ص ١٥٨

ولما عاب عليه أهل زمانه اللحن فيه ،اعتذر عن ذلك بما يضحك الثّكلى حيث زعم: (أن الحروف والكلمات كما علّمها الله لآدم ،عصت هى الأخرى مع عصيانه ،فعوقبت، وقيدت بسلاسل الإعراب ،ثم أطلقت بهذه البعثة التى هى رحمة لكل شئ ، ومنها الكلمات.)(١)

وقد لوحظ عليه أنه تدرج فى ادعاء النبوة ،فادعى أولا أنه الباب للإمام الغائب، ثم ادعى أنه المهدى المنتظر، ثم ختم ذلك فادعى النبوة بادعائه الوحى . علما بأن النبوة لا تأتى تدرجا ،وأن الموحَى إليه لا يتستر وراء أقنعة مختلفة من الدعاوى الأخرى . فالموحَى إليه يعلن ذلك صراحة من أول الأمر . وعلى فرض أنه جاز له أن يتدرج فى ابلاغ دعوته ،فإنه لا يُخفِى حقيقة هذه الدعوة من أول لحظة وذلك على العكس مما فعل الباب فى دعوته . (٢)

ثم إنّ دعوة الباب ،دعوة تفقد الدليل والبرهان عليها ،وكل دعوة كذلك فهى بلا شك باطلة . فقد كان مناظروه من العلماء يطالبونه بمعجزة فلا يأتى منها بشئ علاوة على أن دعوته ،لم تحط بها القرائن الدالة على صدقه ،فلم يكن فى شبابه على جانب كبير من السلامة الخلقية ،والنفسية ، والعقلية ،وقد اشتغل منذ صباه بمعرفة أسرار الحروف وحساب المواليد ،والطوالع وتسخير روحانيات الكواكب عن طريق الرياضات الشاقة ، فكان يصعد إلى سطح البيت يقيم الساعات الطويلة ، عارى الرأس فى الشمس المحرقة ،حتى انحطت قواه ،واصيب بنوبات عصبية فأرسل إلى كربلاء للاستشفاء.(٣) وهذا يدل على أن شخصيته لم تكن شخصية سوية. بل لقد حكم عليه بعض علماء زمانه بالجنون(٤) عند قيامه بدعوته بما سمعوه من كلامه وما رأوه من أحواله.

---

(١) عقيدة ختم النبوة بالنبوة المحمدية د . عثمان عبد المنعم ص ١٠١

(٢) انظر المصدر نفسه ص ١١٢

(٣) انظر البابية عرض ونقد لاحسان ظهير ص ٥١

(٤) انظر عقيدة ختم النبوة بالنبوة المحمدية د . عثمان عبد المنعم ص ٩٩

وهذا خير دليل على أنه لم يكن رسولا كما يزعم ،لأن كمال العقل ،والضبط والعدالة من صفات الرسل الضرورية التي هي شرائط النبوة[1]، التي يجب أن تتوفر في كل نبي بل صفة العقل من مستلزمات أداء الرسالة التي يكلف بها النبي ، ولو أمكن أن يكون الرسول ناقصا في عقله أوضبطه ،أو عدالته مع تكليفة بتبليغ الرسالة المنوطة به ،لكان ذلك متنافيا مع أصل الرسالة ،وهو من العبث المحال على الله عز وجل . (٢)

واذا كان الوحي الالهي يحمل في طياته الدليل على مصدره بما يتضمنه من العقائد الصحيحة والتشريعات القويمة ،فإنَّ وحي الباب المزعوم يحمل في طياته ما يدل على مصدره الشيطاني من العقائد الباطلة كالقول بالحلول ،وظهور الإلهفي أشخاص البشر ،والقول باستمرار الوحي بعد الوحي المحمدي ،وتأويل القيامة والبعث والحشر والنشر والجنة والنار ،والثواب والعقاب بمايخرجها عن حقيقتها[3] بل ويؤدي إلى إنكار تلك الحقيقة التي قررتها الكتب السماوية . وكذلك ماتضمنه من

---

(١) الصفات الضرورية وشرائط النبوة شيء واحد لا فرق بينهما . وجملة مايجب للأنبياء من الصفات أربع هي :

أ/ الذكورة : فلا يمكن أن تكون النبوة والرسالة لأنثى عند جمهور المسلمين ولم يقع خلاف بينهم في اشتراط هذه الصفة .

ب/الامانة : ونعني بها الصدق وحفظ الله لظواهرهم وبواطنهم عن التلبس بأي منهي عنه .

جـ/العصمة عن الوقوع في الذنوب الكبائر قبل وبعد النبوة بالاجماع . وأما الصغائر التي لا تخل بالمروءة ولا تسلتزم حسنة فهي محل خلاف وبحث عند العلماء والبحث فيه داخل في الأمور الاجتهادية التي لم تنهض لهما أدلة قاطعة تقطع دابر الخلاف فيها ، وان كان جمهور أهل السنة والجماعة يميلون الى القول بامتناع الصغائر في حق الأنبياء خصوصا بعد البعثة .

د / كمال العقل والضبط والعدالة . انظر كبرى اليقينات الكونية للبوطي ص ٢١٦-٢١٩

(٢) انظر المصدر نفسه ص٢١٨

(٣) انظر البابية عرض ونقد لاحسان إلهي ظهير ص ١٩٥-٢٠٤

التشريعات الباطلة المخالفة لشريعة الإسلام فى الصلاة والصيام والزكاة والحج [(١)] وغير ذلك من أحكام الفقه والمواريث ،حيث قلل عدد الصلوات ،وغير أحكامها ،وقلل عدد أيام الصيام ،وغيّر ميقاته فجعله فى الاعتدال الربيعى ،وجعل ختامه عيد النيروز الفارسى ، وجعل الحج إلى موطنه بشيراز ،وغيّر نظام المواريث ،فجعله بحساب الجمل إلى غير ذلك من الأمور الباطلة ،وما استلزم الباطل فهو باطل ،فكيف وادعاؤه الوحى مخالف للنص الصريح فى كتاب الله عز وجل ،ولما روى متواترا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم - من كونه - صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين ،ومايقتضية ذلك من أنه لا وحى بعد الوحى المحمدى .

٨ / ابطال ادعاء البهاء للوحى :

الدعوة البهائية من حيث المبدأ نشأت على أعقاب الدعوة البابية . قام بها الميرزا حسين على الطقب بالبهاء ،وهو أحد اتباع الباب ،ولكنه هو الآخر ادعى نزول الوحى عليه بكتاب جديد ،ففتح بذلك باب النبوة من جديد .

وقد مرت دعوته كذلك بثلاث مراحل .[(٢)]

فادعى أولا : أنه المسيح ابن مريم .

وادعى ثانيا : النبوة والوحى .

وادعى أخيرا : الألوهية .

وسوف نعنى هنا فى هذا البحث بالمرحلة الثانية من دعوته ، وهى ادعاء نزول الوحى عليه ونبوءته .

---

(١) انظر البابية عرض ونقد لاحسان إلهى ظهير ص ٢٠٤ وما بعدها

(٢) انظر البهائية لاحسان الهى ظهير ص ٦٢-٦٧

فالوحي عند البهائية: (عبارة عن المعاني التي تنبجس في قلب مظهر أمر الله بوساطة روح القدس المتجلي فيه ،ثم تظهر على هيئة الكلمات من لسانه ، وتنسبك في قوالب الألفاظ بنطقه وبيانه) . (١)

ويمعن البهائية في الباطل فيقولون : (ليس في القرآن دليل على أن جبريل عليه السلام نزل على محمد صلى الله عليه وسلم وإنما في القرآن : (نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ)(٢) . أو قوله : (قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ)(٣) ، وهو الله تجلى في محمد فنطق محمد بالقرآن وكذلك في البهاء) .(٤)

وقد ادعى البهاء أن الله فض الخاتم الذي ختم به على الوحي ،وصار الوحي ينزل عليه ،وأنزل عليه كتاب : (الأقدس) الذي ذكر فيه : (لا تحسبن أنا أنزلنا لكم الأحكام بل فتحنا ختم الرحيق المختوم بأصابع القدرة ،والاقتدار ،يشهد بذلك ما نزل من قلم الوحي تفكروا يا أولي الأفكار)(٥) .

وقال في الكتاب الثاني : (الإيقان) : (فعليك بالاعتراف من معين الإيقان ، الذي جرى من قلم الرحمن هذه الأزمان ،فإنه مع وجازته تبيان الزبر والألواح ،ومترجم كتب الله ، خالق الاصباح به فك ختم النبيين)(٦)

---

(١) البهائية لعبد الرحمن الوكيل طبعة المكتب الاسلامي الطبعة الثالثة ص ٢٢٣

(٢) سورة الشعراء الآية ١٩٣ .

(٣) سورة النحل الآية ١٠٢ .

(٤) البهائية سراب للشيخ عبد الله النوري ، دار العربية للطباعة والنشر والتوزيع ص ٦٩

(٥) كتاب الاقدس المطبوع مع كتاب خفايا الطائفة البهائية ص ١٤١ نقلاً عن عقيدة ختم النبوة بالنبوة المحمدية لأحمد الغامدي ص ٢٦٩

(٦) البهائية لمحب الدين الخطيب المكتب الاسلامي ،الطبعة الرابعة ص ٢٧ .

فقد ادعى فيهما فتح باب النبوة بعد النبوة المحمدية وادعى أن مدد الوحي الالهي لا ينقطع . فهو لا يرى فرقا بين المسلمين الذين يدعون - على زعمه - قفل باب النبوة بعد النبوة المحمدية ، لا يرى فرقا بينهم وبين اليهود الذين يزعمون أن النبوة قد انتهت بعد موسى إلا أن يكون نبيا يحكم بالتوراة ، وينشر سلطانها . (١)

وقد استشهد البهاء بأقوال نسب بعضها لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه وإلى جعفر الصادق وبعضها آيات جاء بها وفسرها تفسيرا باطنيا . (٢)

فمّا نسبه إلى الإمام علي رضي الله عنه في ذلك من جملة الكلمات الدالة على الشرع الجديد ،والأمر البديع فقرات الندبة للإمام علي التي تقول : (أين المدخر لتجديد الفرائض والسنن ،وأين المتخير لإعادة الملة والشريعة) (٣) . ثم أضاف كذلك استفسارا للصادق على سيرة ذلك الذي تحدّث عنه علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقال : (سئل أبو عبد الله عن سيده المهدي كيف سيرته ؟ قال : يضع ما وضع رسول الله ، ويهدم ما كان قبله كما هدم رسول الله أمر الجاهلية) (٤)

ومن استدلالاته الباطنية ،تفسيره لقوله تعالى : (وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ) (٥) .

قال في تفسيره لها : (يجب أن ننظر إلى المقصود من هذه الآية لا إلى ما تخيله اليهود من أن السلطان الحقيقي قد خلق الموسوية ،وخلع عليه ثوب الرسالة

---

(١) انظر كتاب ختم النبوة بالنبوة المحمدية دكتور عثمان عبد المنعم ص ١٢٤ .

(٢) انظر عقيدة ختم النبوة بالنبوة المحمدية احمد سعد الغامدي ص ٢٧٠

(٣) (٤) الايقان ص ٩٤ نقلا عن عقيدة ختم النبوة أحمد الغامدي ص ٢٧١

(٥) سورة المائدة الآية ٦٤

رسولاً
وبعدها أصبحت يداه مغلولتين ،وغير قادر على إرساله بعد موسى ،والتفت إلى هذا القول الذى لا معنى له ،وكم هو بعيدٌ عن شريعة العلم والمعرفة .....

انظر كيف أن جميع هؤلاء الناس يشتغلون بأمثال هذه الأقوال المزخرفة ، وقد مضى عليهم أكثر من ألف سنة وهم يرددون تلاوتها ،ويعترضون على اليهود من حيث لا يشعرون ،وما التفتوا وما أدركوا بأن ما يقولونه سرا وجهرا هو عين ما يعتقد به اليهود . كما سمعت أنهم يقولون إنّ جميع الظهورات قد انتهت ، وأبواب الرحمة الالهية قد انسدت فلا تطلع بعد ذلك شمس من مشارق القدس المعنوية ،ولا تظهر أمواج من بحر القِدَم الصمدانى ،ولا يأتى هيكل مشهود من خيام الغيب الربانى . هذا هو مبلغ إدراك هؤلاء الهمج الرعاع الذين اعتقدوا بجواز انقطاع الفيض الكلى والرحمة المنبسطة ،الأمر الذى لا يجوز لأى عقل أو ادراك أن يسلم بانقطاعه) .(١)

وقد مضى البهاء يتساءل قائلا : (ليت شعرى كيف أجازوا انقطاع فيض كلى ، ورحمة منبسطة لا يتصور فى عقل عاقل ،وإدراك مدرك تناهيه ونفاده)(٢)

وقد فسر لقاء الله يوم القيامة ،بلقاء مظاهره يوم قيامهم بالأمر .

(واذا كانت الغاية من الفيض الالهى هى لقاؤه بلقاء مظاهره ، وكان هذا الفيض لا ينقطع ،ولا ينفذ ،فإنّ سلسلة المظاهر لا تنقطع ،وليس ما وصف به محمد صلى الله عليه وسلم من ختم النبيين يوجب هذا الانقطاع عند البهاء . فكلّ نبى فى رأيه خليق أن يوصف بالبَدْئية والختمية على سواء) (٣)

وقد أثبت البهاء البدئية والختمية لكل نبى ،انطلاقا من قوله بالرجعة ووحدة الأنبياء ،وحدة حقيقية .

---

(١) الايقان ص ٩٤ نقلا عن رسالةعقيدة ختم النبوة أحمد سعد حمدان الغامدى ص ٢٧١

(٢) الايقان للبهاء ص ٢٢ نقلا عن رسالة ختم النبوة بالنبوة المحمدية د . عثمان عبد المنعم ص ١٢٤

(٣) عقيدة ختم النبوة بالنبوة المحمدية د . عثمان عبد المنعم ص ١٢٦

واستشهد للرجعة بقوله تعالى : (قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالَّذِي قُلْتُم ،فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُم إِنْ كُنْتُم صَادِقِين)(١) وبقوله تعالى : (وكَانُوا من قَبْلُ يَسْتَفْتِحُون عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُم مَا عَرَفُوا كَفَرُوا به ....)(٢) الآية

فهذه الآيات تشير الى أن العرب المعاصرين للنبى صلى الله عليه وسلم الذين خاطبهم القرآن هم بأعينهم الذين كانوا فى عصور الأنبياء السابقين ، وإن كانت العين تظهر أنهم غير هؤلاء السابقين . وأيضا تشير الى أن من عرفوه من الأنبياء بالأمس هو الذى جاءهم اليوم فأنكروه .

أما وحدة الأنبياء فى نظر البهاء ،فإنَّ الذين يحملون اللواء ، ويبلغون الناس هم فى حكم نفس فردة واحدة ،فلا يصح فى الأذهان عنده التفرقة بينهم ،فالكل داع إلى التوحيد وحاظ بخلعة النبوة ،ورداء المكرمة(٣) .

وإذا كان أمر الله واحدا ،فلا بد من وحدة المظاهر أيضا . (وَمَا أَمْرُنَا إِلاَّ وَاحِدَةٌ)(٤) .

وعلى أساس القول بالرجعة ،ووحدة الأنبياء وحدة حقيقية يرى البهاء أن كل نبى هو رجعة الأنبياء السابقين ،وأن كل ما تصف به واحد منهم من الصفات يعتبر وصفا للجميع بناء على أن النبوة فى حقيقتها ظهورالله فى أشخاص هؤلاء الأنبياء ،وأن الوحدة بينهم لذلك وحدة حقيقية . فإذا صح على هذا أن يوصف آدم ومحمد عليهما السلام بما وصفا به معا من البدئية والختمية ولم يمنع ذلك من توالى الأنبياء بعد

---

(١) سورة آل عمران الآية ١٨٣ .

(٢) سورة البقرة الآية ٨٩ .

(٣) انظرعقيدة ختم النبوة بالنبوة المحمدية د . عثمان عبد المنعم ص ١٢٧ .

(٤) سورة القمر آية ٥٠ .

آدم عليه السلام فان ذلك يقتضى فى نظر البهاء أن وصف محمد صلى الله عليه وسلم بالختمية لا يمنع من توالى الأنبياء بعده .

فالبهاء يرى كما ذكرنا آنفا أن وصف الرسول صلى الله عليه وسلم بأنه خاتم النبيين لا يمنع من نزول الوحى بعده ، فلا تعارض بين الأمرين فى نظره بناء على تأويلاته الفاسدة لمفهوم النبوة ووحدة الأنبياء[1].

والواقع أن كل ما ادعاه البهاء من فتحه لباب النبوة وادعاء الوحى ونسخ الشريعة الاسلامية بشريعته ، كل ذلك يتناقض مع عقيدة ختم النبوة ، تلك العقيدة التى رأينا أنها تقوم على أساس من الكتاب والسنة ، والاجماع ، حتى أصبحت أمرا معلوما من الدين بالضرورة ، ومن ثم فليس صحيحا ما يزعمه البهاء من أن المسلمين ، قلدوا اليهود فى تلك العقيدة . بل على العكس من هذا تضمنت كتب اليهود البشارات بمقدم هذا النبى الخاتم صلى الله عليه وسلم - وإن عاندوا وجحودا - فى تطبيق هذه البشارات على مبعثه صلى الله عليه وسلم . وقد سجل القرآن الكريم معرفة اليهود للنبى صلى الله عليه وسلم وترقبهم لظهوره فى قوله تعالى (وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ . .)[2] الآية .

فقوله (ولما جاءهم) يعنى اليهود ، وقوله (كتاب) يعنى القرآن .

والاستفتاح : الاستنصار . أى كانوا من قبل يطلبون من الله النصر على أعدائهم بالنبى المنعوت فى آخر الزمان الذى يجدون صفته عندهم فى التوراة .

وقيل الاستفتاح هنا يعنى : الفتح ، أى يخبرونهم بأنه سيبعث ويعرفونهم بذلك)[3] .

---

(١) انظر البابية عرض ونقد إحسان إلهى ظهير ص ١٣٥ وما بعدها ، وكذلك عقيدة ختم النبوة بالنبوة المحمدية د . عثمان عبد المنعم ص ١٢٦ .

(٢) سورة البقرة الآية ٨٩

(٣) فتح القدير للامام الشوكانى ج ١ ص ١١٢

ولعل هذا يبطل ما أقام عليه البهاء دعوته من القول بالرجعة ، ويبطل استشهاده عليها بمثل هذه الآية .

(فالقول بالرجعة قول بالتناسخ ،وتناسخ النفوس فى أجساد إنسانية أوحيوانية أمر لا يقوم عليه دليل عقلى ولا يشهد له الواقع ، ويخالف ما أجمعت عليه الأديان من عقيدة البعث والجزاء الأخروى) .(١)

والآيات القرآنية التى استشهد بها البهاء لا يفهم منها -كما قدمنا- رجعة الأمم السابقة ، والأنبياء السابقين ، فاذا خاطب القرآن الكريم اليهود اليوم بأنهم يعرفون محمدا ، فليس معنى ذلك أن يهود العرب هم اليهود السابقون ،وأن محمدا هو موسى عليه السلام الذى عرفوه من قبل ، بل معرفة هؤلاء به ،انما هى معرفة بأوصافه وأخلاقه التى وردت بها البشارات فى توراتهم التى بين أيديهم (٢)

أما عن قولهم بوحدة الأنبياء ، فصحيح أنهم بعثوا من مصدر واحد ، ودعوا الى عقيدة واحدة . قال تعالى (وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلاَّ نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لاَ إِلَـهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدُونِ) .(٣)

وقد ثبت فى الصحيحين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (أنا أولى الناس بعيسى ابن مريم فى الدنيا والآخرة ، والأنبياء اخوة لعلات أمهاتهم شتى ودينهم واحد) .(٤)

---

(١) عقيدة ختم النبوة بالنبوة المحمدية د . عثمان عبد المنعم ص ١٣٦ .

(٢) انظر كتاب عقيدة ختم النبوة بالنبوة المحمدية د . عثمان عبد المنعم ص١٣٧ .

(٣) سورة الانبياء الاية ٢٥

(٤) الحديث متفق عليه :أخرجة البخارى فى صحيحه كتاب أحاديث الأنبياء باب قول الله تعالى: (واذكر فى الكتاب مريم اذ انتبذت من أهلها . . .)٦/ ٣٤٤٣
وسلم فى صحيحه كتاب الفضائل باب فضائل عيسى عليه السلام ٤/ ٢٣٦٥
كلاهما عن أبى هريرة رضى الله عنه مرفوعاً .

قال ابن حجر العسقلانى فى معنى الحديث: (ومعنى الحديث أن أصل دينهم واحد ، وهو التوحيد ،وإن اختلفت فروع الشرائع ، وقيل المراد : إنَّ أزمنتهم مختلفة) (١)

فلا يعنى صدورهم من مصدر واحد ،ودعوتهم إلى عقيدة واحدة ، وحدة أشخاصهم ولا أن الأول منهم هو عين الأخير، ولا أنَّ ما يتصف به أحدهم يكون وصفا لجميعهم - كما يزعمون - : (فالحقيقة أنهم أشخاص متغايرون لكل منهم كيانه الخاص ،بصفاته المعينة وزمنه المحدود ، والقدر المعلوم من الشريعة الذى يتلاءم مع حاجة الإنسانية فى هذا الزمن) (٢)

ففى حقيقة الأمر ،ورأى العين ،هم متعددون وتبقى الوحدة ،وحدة معنوية فقط . أى وحدتهم فى الرسالة عن إلهٍ واحدٍ ، والدَّعوة إلى عقيدة واحدة .

ومن ثم فإنَّ محمداً صلى الله عليه وسلم إذا وصف بكونه خاتم النبيين يكون وصفا له بخاصة ولا يكون وصفا لغيره ممن سبقه من الأنبياء. ومقتضى هذا الوصف هو أنه لا نبى بعده ، ومن ثم فلا وحى بعده . فَخَتْمُ النبوة يتعارض تعارضا صريحا مع ادعاء الوحى بعده صلى الله عليه وسلم خلافًا لما يزعمه البهاء فى هذا المقام لأن مزاعمه باطلة تقوم كما رأينا على تفسيراته الزائفة للكتاب والسنة .

أمَّا الادعاءات التى نسبها للإمام على بن أبى طالب رضى الله عنه وإلى جعفر الصادق رضى الله عنه فلا ريب أنَّها أقوال مزعومة لا أصل لها ،ولا يستطيع أحد أن

---

(١) فتح البارى بشرح صحيح البخارى ج ٦ ص ٤٨٩

(٢) عقيدة ختم النبوة بالنبوة المحمدية ص ١٣٧ .

يثبت سندها ،وهذا هو ديدن البابية والشيعة من قبلهم ، حيث نسبوا كل آرائهم الشاذة إلى أبي عبدالله جعفر الصادق رضي الله عنه . فإذا قال أبو جعفر الصادق قال ذلك ،فإنه لم يكن نبيا يؤخذ عنه ما يقول فهو كغيره من العلماء ، يؤخذ من قوله ويُرد .

ولقد صرح القرآن الكريم باكمال الدين واتمام النعمة قال تعالى : (الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُم دِينَكُمْ ،وأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلَامَ دِينًا)(١).

فهل يحتاج الدين الكامل إلى دين يكمله؟ والنعمة التامة إلى نعمة تتمها ؟

وغاية القول : إنّ هذه المحاولة التي قام بها البهاء من فتح لباب النبوة المحمدية باطلة في نفسها ،وفي الأساس الذي أقامها عليه . وكذلك يتضح كذب البهاء في ادعائه الوحي من الله إذا نظرنا إلى جوانب من حياته التي شابتها المكائد وأساليب السّباب المختلفة ،واللعن ،ومحاولة الفتك بأخيه الذي كان ينازعه الزعامة(٢).

زد على ذلك غلوه في تقدير نفسه ،حتى لينتحل لها صفة المظهرية لذات الله وصفاته .

ثمّ إنّ دعوة البهاء كسابقاتها تخلو من كل دليل . فلا قرينة ولا معجزة . وهو على علم بأن كلّ دعوة تفقد الدليل فهي باطلة . لذلك غدا يطعن في المعجزات ويحاول اسقاطها حتى لا يطالب بالدليل لما يزعم . ولكن هذا الزعم أيضا لا يعفيه من الإتيان بمعجزة دعوته وإلّا فهي مردودة عليه .

---

(١) سورة المائدة الآية ٣

(٢) كان للبهاء سبعة إخوة وكان مرموقا مع شقيقه يحي الملقب (بصبح الأزل) زعيم طائفة (الأزلية) والذي يعتقد بعض الشيعة بأن (الباب) أوصى له بالخلافة ،وأنه أمر أخاه البهاء باخفائه عن العيون حتى لا يصاب ويدعو الناس باسمه ولما استأثر البهاء بالأمر وقعت بينهما مشاحنات ودبّر كلّ منهما الفتك بأخيه بالسم والسلاح حتى نفوا من (استنانبول) بتركيا إلى (عكا) و(قبرص) عام ١٢٨٥ هـ

انظر: كتاب عقيدة ختم النبوة بالنبوة المحمدية د . عثمان عبد المنعم ص ١٢١-١٢٤

فختم النبوة حقيقة دينية لا يمكن لمن يؤمن بالاسلام أن يتغافل عنها ، أو يدعى الوحى بعدها ، سواء كان ذلك الوحى لا يتضمن نسخا لشرائع الإسلام ، أو كان يتضمن من العقائد والعبادات ، وأحكام المعاملات ما يدعى صاحبه أنه ينسخ به الإسلام كما فعل البهاء حيث أتى بشريعة كلها تحريف لشريعة الإسلام ، وانحراف عنها ، انحراف من الحق إلى الباطل ، ومن الكمال إلى النقص ، ومن الخير إلى الشر

فدعوى البهاء للوحى ، دعوى باطلة فى أساسها ، وباطلة إذا نظرنا فى مضمون هذا الوحى المزعوم من العقائد الباطلة ، كالقول بالظهور الإلهى فى أشخاص الأنبياء ، وانكار البعث والقيامة ، وما فى اليوم الآخر ، و تأويل كلّ ذلك تأويلا باطنيا على نحو ما فعل الباب ، وكذلك انكار المعجزات . أضف إلى ذلك المضمون التشريعى لهذا الوحى المزعوم وتاريخ مدعيه وخلائقه الشخصية ، كل ذلك يدلنا على بطلان دعوى البهاء للوحى ، أياً كان تصويره لكيفية نزول هذا الوحى عليه .

٩ / ابطال ادعاء القاديانى للوحى

القاديانية أو الأحمدية طائفة من الطوائف المحدثة ظهرت فى الهند فى أوائل القرن الرابع عشر الهجرى . قام بها غلام أحمد بن غلام مرتضى ، الذى ادعى نزول الوحى عليه ، وارسال الله له . وتعتبر هذه الدعوة امتدادا للدعوات السابقة التى قام بها الباب والبهاء ، سوى أن الاخيرة لم تأت بشريعة جديدة ، وما تزال تتستر بالإسلام ، وتدعى أنها فرقة إسلامية ، وهذا أسّر بقائها حتى اليوم فى بعض البلاد كأمريكا وأوروبا وجنوب أفريقيا .(١)

---

(١) انظر القاديانية لاحسان إلهى ظهير ص ١ حاشية ، و ص ١١٨

وقد كان للحكومة البريطانية التي كانت لها الحماية على الهند ، دورٌ كبيرٌ في إبــرازه للمجتمع المسلم على أنه مصلح ومجدد ليسدوا الثغرة التي فتحها المسلمون الثـــوار الذين كانوا يقودون الحركات الجهادية ضد المستعمر الكافر . (١)

لقد تدرج القادياني كما تدرج قبله الباب والبهاء في ادعائه الوحي . فادعـــى أول ما ادعى أنه مجدد ومحدَّث . يقول في حمامة البشرى : (وكذلك أرسلــــــت مجددا ومحدَّثا لآخر الزمان) (٢)

ويقول : (ويكلم اللـه المحدثين ، كما يكلم النبيين ، ويرسل المحدَّثين كما يرســـل الرسل ، ويشرب المحدَّث من عين يشرب منها النبي ، فلا شك أنه نبي لولا سد البـــاب ، فالمحدَّث يجمع كمالات النبوة في نفسه ، ولا فرق إلا فرق الظاهر ، والباطن ، والقوة والفعل في الخارج) (٣)

ثم ادعى بعد ذلك أنه عيسى ابن مريم وأن ظهوره في العصر الحديث هـــــو التأويل الصحيح لما جاءت به الأحاديث من نزول عيسى عليه السلام في آخر الزمان فقد توفرت فيه - كما يزعم - الاستعدادات الروحية الخاصة التي أصبح بها أهـــلا لظهور روحانية المسيح فيه ، ومجيئه في زمن الدجال . وهو تعبير عن النصارى فـــي العصر الحاضر الذين قام غلام أحمد بجدالهم ومناظرتهم ، وهذا هو معنى نـــزول المسيح في نظره ، وقد خاطبه الله بهذا كما يزعم فقال : (الحمد لله الذي جعلـــك المسيح ابن مريم) (٤)

---

(١) انظر القاديانية تاريخها وغاياتها ص ٧٩

(٢) حمامة البشرى لغلام احمد القادياني ص ١٤٩ وفي نسخة أخرى ص ٩٠ نقـلا عن عقيدة ختم النبوة بالنبوة المحمدية للدكتور احمد سعد حمدان الغامدي ص ٢٩٦

(٣) حمامة البشرى لغلام احمد القادياني ص ١٢٢-١٢٣ نقلا عن عقيدة ختم النبــوة بالنبوة المحمدية د . عثمان عبد المنعم يوسف ص ١٧٦

(٤) تذكرة وحي مقدس تأليف غلام أحمد القادياني ص ٣٧٨ نقـلا عن عقيدة ختم النبوة بالنبوة المحمدية د . احمد سعد الغامدي ص ٢٩٦

وقال : (بعثنى الله على رأس المائة لأجدد الدين وأنور وجه الملة ، وأكسر الصليب وأطفئ نار النّصرانية وأقيم سنة خير البرية وأصلح ما فسد وأروج ما كسد ، وأنا المسيح الموعود والمهدى المعهود)(١)

كما تدرج غلام أحمد فى دعاواه ،فادعى النُّبُوة ،وادعى نزول الوحى عليه حيث قال : (الحمد لله الذى جعلنى مظهر الآيات ،وصَيَّرنى ظل سيد الكائنات وجعل اسمى كاسمه بأنواع التفضيلات ،فأتم النِّعمة علىّ لأحمده وأكون له أحمد تحت السموات ،ونصر بى إيمان الناس ليحمدونى وأكون محمدا بين المخلوقات، فأنا أحمد وأنا محمد ،كما جاء فى الرِّوايات ،وأُعطيت حقيقة اسمى نبينا فخر الموجودات كانعكاس الصورة فى المرآة)(٢)

ويقول : (إنّى فُضِّلْتُ على العالمين ، قل إنّى أُرسلت إليكم جميعا) (٣)

وقد صرح بدعوى الوحى فى كثير من كلماته . قال فى كتاب(الهدى والتبصرة لمن يرى) : (وقالوا لست مرسلا بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه فسوف يعلمون .... وما كنت متفرِّداً فى هذا ،بل ما أتى النّاس من رسول إلاّ كانوا بهيستهزئون ، وهلم جرا إلى ما تشاهدون) . (٤)

---

(١) الاستفتاء لغلام احمد ص ٢٠٠ نقلاً عن عقيدة ختم النبوة بالنبوة المحمدية د . عثمان عبد المنعم يوسف ص ١٦٣

(٢) هذه الرسالة ضمن سلسلة تصنيفات أحمد ص ٢٤٩ ،نقلا عن رسالة ختم النبوة بالنبوة المحمدية د . احمد سعد الغامدى ص ٢٩٧

(٣) تذكرة وحى مقدس ص ١٢٩ نقلا عن عقيدة ختم النبوة لأحمد سعد حمدان الغامدى ص ٢٩٧

(٤) الهدى والتبصرة لمن يرى ص ٦ نقلا عن المصدر السابق ص ٢٩٨

وقال فى كتاب(سيرة الإبدال) : (أيُّهاالنَّاس إنِّى أذكركم ما أوحى إلىَّ من رب العالمين ،إنِّى أمرت من الرَّحمن فاتونى بأهلكم أجمعين ، وأعطيت الحكم من السماء ، ولا دجال ولا دفين ، انحطت لى الملائكة من الخضراء إلى الغبراء ،وإنِّى أتبَّع وحيه على البصيرة ، وما التاثَ على أمرى وما كنت من المفترين)(١)

ولم يختصر غلام أحمد القاديانى دعواه الوحى على نفسه ،بل يدعيه لانصاره ويزعم أنَّ اللَّه قال له : (ينصرك رجال نوحى إليهم من السَّماء)(٢)

وقد جاء ادعاء غلام أحمد للنبوة ،ليس بمقتضى دعوى الوحى والرسالة فقط ، بل كان ذلك منه بعبارة صريحة بل وختم بالإقرار بذلك حياته .

خطب أحد اتباع المرزا ـ وهو المولوى عبد الكريم ـ فى خطبة الجمعة ٧/٨/١٩٠٠م قال فيها : (واعلموا أنَّكم إنْ لم تحكِّموا المسيح الموعود فى كلِّ ما يشجر بينكم ، وتؤمنوا به كما آمن الصَّحابة بالنبى الكريم صلّى اللَّه عليه وسلَّم كنتم إلى حد كبير من المفرِّقين بين رسل اللّه كغير الأحمديين)(٣)

وبعد صلاة الجمعة صدَّقهُ المرزا وأيدَّه قائلاً : نعم(إنَّ مذهبى هو عين ما قد بينته فى خطبتك)(٤)

وألقى المولوى عبد الكريم خطبة أخرى فى الجمعة التالية والتفت إلى المرزا وقال له :

---

(١) سيرة الابدال لغلام أحمد ص ١ نقلا عن عقيدة ختم النبوة بالنبوة المحمدية د . عثمان عبد المنعم يوسف ص ١٦٢

(٢) الاستفتاء لغلام أحمد ص ٢٥ نقلا عن مصدر النقل السَّابق ص ١٦٣

(٣) ما هى القاديانية للمودودى ص٢٣

(٤) حقيقة الوحى لغلام احمد ص٤٩١ نقلا عن ما هى القاديانية للمودودى ص ٢٣

(" أنا اعتقد أنك نبي ورسول فإن كنت مخطئا نبهني على ذلك ولما انتهوا من الصّلاة وهَمّ المرزا بالانصراف أمسك المولوى عبد الكريم بذيله ، وطلب منه الحكم . فأقبل إليه المرزا وقال : (هذا الذى أدين به وأدعيه) وأقلق ذلك الشّيخ محمد أحسن وجعل يناقش المولوى عبد الكريم ، وارتفع صوتهما فخرج المرزا من بيته وقال : (يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ")[1]

زد على ذلك اثبات النبوة له من اتباعه في شعبة قاديان[2] حيث يقولون كما جاء في بعض منشوراتهم : (إنّ المسيح الموعود - يعني غلام أحمد - كان مرسلا من الله تعالى وانكار رسل الله جسارة عظيمة ،قد تؤدى إلى الحرمان)[3]

وقال أحد دعاتهم أيضا وهو أبو العطاء الجلندهرى (كلّم اللّهُ أحمد بجميع الطرق التّي تَكَلَّم بها أنبياؤه لأنَّ الأنبياء في وصف النبوة سواء)[4] .

وظاهر أنّ ادعاء الوحي والنبوة يتعارض صراحة مع ختم النّبوّة بالنُّبوّة المحمديّة فهذه العقيدة تعني انقطاع الوحي بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم لكن غلام أحمد واتباعه من بعده ،لا يرون تعارضا بين ماوصف به صلى الله عليه وسلم ،من كونه خاتم النبيين ،وبين القول بنزول الوحي عليه ،وإرساله إلى النّاس ،وذلك إذا عرفنا أقسام النُّبوّة ،وعرفنا المعنى الصحيح لصفة الختم في قوله تعالى : (مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبا أَحدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِن رَسُولَ اللّهِ وخَاتَمَ النَّبِيين)[5] .

---

(١) القاديانى والقاديانية للندوى الطبعة الثالثة ص ٦٩
(٢) انقسم القاديانيون بعد نور الدين إلى شعبة قاديان بزعامة محمود بن غلام أحمد القاديانى وهي تقر بنبوته ،وشعبة لاهور بزعامة محمد على مترجم القرآن إلى الإنجليزية وهؤلاء لا يصرحون بنبوته .
(٣) رسائل الاصلاح - الخضر حسين ج ص ١١٤ نقلا عن عقيدة ختم النبوة د . عثمان عبد المنعم ص ١٨١
(٤) عقيدة ختم النبــوة د . عثمان عبد المنعم يوسف ص ١٨١
(٥) سورة الأحزاب الآية ٤٠

(فالنبوة فى نظر القاديانية نبوّتان : نبوة تشريعية ونبوة غير تشريعية ، وأنبياء التشريع هم المستقلون بشرائع جديدة ناسخة لما قبلها كموسى وعيسى ومحمد أما الأنبياء غير المشرعين ، فهم الذين لا استقلال لهم بشرائع ناسخة كأنبياء بنى إسرائيل والنبوة التشريعية هى التى ختمت بالنبوة المحمدية فلا نبى بعد محمد ينسخ شرعه . أمّا النبوة غير التشريعيّة فبابها مفتوح للإمة المحمدية)(١)

وقد دخل غلام أحمد من هذا الباب فادعاها لنفسه ، وادعى نزول الوحى عليه فيها ، وهو لا يرى - كما قلنا - تعارضًا بين ذلك وبين وصف النبى صلى الله عليه وسلم بختم النُّبوّة إذا عرفنا المعنى الصحيح لكلمة الختم ، فإذا كان المقصود بهذه الكلمة الإنهاء والقطع ، فالمراد بذلك عندهم انهاء النبوة التشريعية ، وغلق بابها . أمّا إذا أُريد بالنبوة فى الآية النبوة غير التّشريعية ، أو النبوة بصفة عامة ، فإنّ الختم فى الآية لا يقصد به حينذاك الإنهاء والقطع ، ولكن يكون معناه أنه صلى الله عليه وسلم زينة النّبيين وأفضلهم (وذلك أنّ كلمة خاتم النبيين إنّما وردت فى معرض المدح الخاص للنبى صلى الله عليه وسلم وهذه هى نقطة الارتكاز التى يمكن البدء منها فى فهم الآية فهمًا صحيحًا . فالخاتَم (بالفتح) هو ما يختم به - كما يقولون - والختم قد يكون لشىء مادّى أو معنوى ، ومعنى الختم لشىء مادّى السّد والقطع والإنهاء ، وليس هو المعنى المراد من الآية هنا ، فللأنبياء اعتباران ، مادّى وروحى . والأول اعتبار مجازى ، والثّانى اعتبار حقيقى هم به أحياء ، وبه يجب الإيمان بهم ، إذ النبوة درجة روحية ، ثم إنّ الختم المادى بمعنى الإنهاء لابد لتحقيقه من أن يكون الشّىء المختوم موجودًا ، والأنبياء ليسوا كذلك عند بعثة النبى صلى الله عليه وسلم ومن ثم كان ختم النّبى لهم فى الآية ختمًا روحيا ، وإذا كان المختوم شيئًا روحيًا ، أو درجة معنوية كان المعنى هو بلوغ أكمل درجة فيه ، أو التصديق عليه ....

---

(١) عقيدة ختم النبوة بالنبوة المحمدية د . عثمان عبد المنعم يوسف ص ١٨١

وغاية القول في ذلك أنّ الآية تدلّ على أنّ محمداً أكمل الأنبياء ، لا على أنّه لن يأتي من بعده نبي)(١)

ولا يكتفي القاديانيون بمحاولة رفع التناقض بين دعوى الوحي ، وختم النبوة بالنبوة المحمدية ، بل يذهبون إلى أنّ باب الوحي والنُّبوة مفتوح بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم بل ويجب أن يكون كذلك بمقتضى الأدلّة النّقلية والعقلية .

أما الأدلة النقلية فإنّ الآيات القرآنية تفتح هذه النبوة كما في قوله تعالى : (مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ)(٢) وقوله : (اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ)(٣) وقوله : (وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ)(٤) وقوله : (يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ)(٥) الآية

فهذه الآيات وغيرها - عندهم - تدل على دوام اصطفاء الله لرسله ، وامداده م بالوحي ، وإنْ كانت هذه الآيات عامّة ، إلاّ أنّها مخصّصة بقوله تعالى : (وخاتم النبيين) أي غير المشرعين على نحو فهمهم لهذه الآية .

وأمّا فتح باب النُّبوة عقلاً فمداره - عندهم - على أنّ النبوة نعمة إلهية ، وليس يعقل انقطاع هذه النعمة وليس يعقل كذلك أن نصل إلى ما وصلنا إليه دون أن يبعث الله فينا من يجدِّد أمر الدين ، ويصلح ما فسد من أمور المسلمين .(٦)

---

(١) عقيدة ختم النبوة بالنبوة المحمدية د . عثمان عبد المنعم يوسف ص ١٨٢-١٨٤

(٢) سورة آل عمران الآية ١٧٩ .

(٣) سورة الحج الآية ٧٥ .

(٤) سورة النساء الآية ٦٩ .

(٥) سورة غافر الآية ١٥ .

(٦) عقيدة ختم النبوة د . عثمان عبد المنعم يوسف ص١٨٢-١٨٤

هذه باختصار شديد الدعوة القاديانية في ادعاء نزول الوحي والنبوة، ولا بد لنا من وقفة قصيرة معها لتفنيد مزاعمها، والكشف عن زيفها، وضلالها، لنرى اضطرابها، وتناقضها، وتهافتها.

وأول ما ينبغي الكشف عنه في هذا المقام، فهو الكشف عن بعد صاحب الدعوة عن سمت النبيين الصادقين ومهابط الوحي الإلهيين، في أخلاقه وسيرته، وعدم صدقه في دعوته، بخلوه في هذه الدعوة عما يثبت صدقه من الأدلة والمعجزات

أما عن أخلاقه فقد نقل عنه أنه كان لعانا سيئ الأخلاق، فاحش القول، تظهر بذاءته في ألفاظه التي كان يرمي بها المخالفين له في دعواه، إلى جانب البلادة والجبن، وحب الشهوات، والاكثار من جمع المال.(١)

وهذا بلا شك مخالف لصفات دهماء الناس، ناهيك عن العلماء فضلا عن أن يكون من الأنبياء كما يزعم القادياني لنفسه.

وإلى جانب ذلك فقد ارتبطت سيرته بسادته المستعمرين البريطانيين الذين ساندوه كثيرا في إبراز هذه الدعوة، فكان يحث اتباعه على مناهضة الحركة الوطنية في (البنجاب) ويحثهم على موالاة الحكومة البريطانية. وقد صرف جل وقته، وفي جميع كتبه على الإشادة بالإنجليز وابطال عقيدة الجهاد، وصد المسلمين عن مقاومة الحكم الإنجليزي.

يقول في الإشادة بالإنجليز والدعوة إلى موالاتهم: (ولا يخفى على هذه الدولة المباركة أنا من خدامها، ونصائحها، ودواعي خيرها من قديم، وجئناها في كل وقت بقلب صميم، وكان لأبي عند ها زلفى، وخطاب التحسين، ولنا لدى هذه الدولة أيدى الخدمة، ولا نظن أن تنسها في حين.. ثم بعد وفاتهما - يعني أبيه وأخيه - قفوت أثرهما، واقتديت سيرهما، فقمت لامدادها بقلبي ويدي.

---

(١) لمزيد من التفصيل انظر: عقيدة ختم النبوة بالنبوة المحمدية د. احمد سعد الغامدي ص ٢٩٤.

فانظروا يا أولى الأبصار لم فعلت هذه الأفعال ولم أرسلت هذه الكتب التى فيها منع شديد من الجهادلهذه الدولة فى ديار العرب وغيرها من البلاد)(١)

ويقول فى ابطال الجهاد فى هذا العصر : (سيصول علىّ شريرٌ أو ضرير ، ويقول ويحك أتحرّم الجهاد ، وإنّا ننتظر المهدى الذى يسفك الدماء ، ويفتح البلاد ، ويأسر كلّ من أرى الكفر والعناد ، فالجواب ، أنّ هذه القصص ما ثبتت بالقرآن ، بل يأتى المهدى بوقار وسكينة لا كمجنون بالسّيف والسّنان) (٢)

أمّا عن دعواه النّبوة ونزول الوحى ، فإنّنا نلاحظ عليه التّدرّج فى دعوته ، ففى أوّل أمره يقفل باب النبوة بخاتم النّبيين - صلى الله عليه وسلم - ثم يفتح باب النبوة على استحياء على أن تكون نبوة تابعة للنبوة المحمدّية لمن يصطفيه اللّهُ لذلك من أمّة محمد صلى الله عليه وسلم .

وأخيرا يفتح باب النبوة على مصراعيه فيدّعيها لنفسه ويقرّ من يشهد بها له ، وأنّ كتبه وحى من الله يتحدى به الناس .

ومن أقواله فى ذلك أنّه يقول قبل ادّعائه النّبوة : (ولا يجوز القرآن أن يأتى نبى جديد ، أو قديم ، بعد خاتم النبيين ، فإنّ الرسول لا يتلقى علم الدين إلاّ بواسطة جبريل ، وأنّ باب نزول جبريل بسلسلة وحى الرسالة مقفل ، ومن الممتنع أن يأتى الرسول بدون أن تكون سلسلةُ وحى الرّسالة باقية .) (٣)

---

(١) نور الحق للغلام أحمد ص ٢٦-٣١ مختصرا نقلا عن عقيدة ختم النبوة د . أحمد سعد حمدان الغامدى ص ٣٢٢

(٢) الهدى والتبصرة لغلام أحمد ص ٢٣ نقلا عن عقيدة ختم النبوة بالنبوة المحمدية د . أحمد سعد الغامدى ص ٣٠٥

(٣) إزالة الأوهام للميرزا غلام أحمد ص ٥٧٧ نقلا عن عقيدة ختم النبوة للدكتور احمد سعد حمدان الغامدى ص ٣١٩

ثم يقول بعد ذلك وهو يفتح باب النبوة على استحياء :

(إنَّ الله وتر يحب الوتر ،ولأجل ذلك قد استمرت سنته أنَّه يرسل بعض الأولياء على قدم بعض الأنبياء ،فمن بعث على قدم نبي يسمى في الملائكة باسم ذلك النبي الأمين ،وينزل الله عليه سر روحه ،وحقيقة جوهره ،وصفاء سيرته ،وشأن شمائله ... الخ)(١)

وكان القادياني يحاذر في هذه الفترة من سخط المسلمين عليه إذ يصادم عقيدتهم في ختم النبوة فيقرُّ بها ،ولا يعتبر النبوة الجديدة فضًّا لختم النبوة إذ هي في نظره بركة من بركات النبوة المحمدية ، وتابعة لها ،وأخيرا لا يترك فتح باب النبوة كقضية نظرية ،ولكنه يعلن تمثل هذه النبوة الجديدة في شخصه فتنساب الأقوال منه بعد أن تمكّن ،شأنه في إعلان رسالته عن الله ، والوحي منه إليه ، فيقول : (وقالوا لست مرسلاً بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ،فسوف يعلمون .. وما كنت متفرّدا في هذا ،بل ما أتى النّاس من رسول إلاّ كانوا به يستهزئون ،وهلم جرا إلى ما تشاهدون)(٢) .

وهكذا يتبين اضطراب القادياني في إعلان دعوته ومسايرته لمشاعر المسلمين في ذلك حتى تمكن فاستعلن بها . وماهكذا يتناقض الأنبياء الصادقون ، وماهكذا يدارون أو يتبجحون .

ولقد نسي القادياني ،أولعله يتناسى قول الله تبارك وتعالى : (وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ)(٣) فكان من المفترض أن يكون الوحي إليه - لو كان - بلسان فارسي ،ولكن الواقع أنَّ الوحي المزعوم جاء إليه كما يدعي بعدة لغات هي : العربية ، والانجليزية ،والاردية ، والفارسية... الخ(٤)

---

(١) عقيدة ختم النبوة د . أحمد سعيد الغامدي ص ٣٠٩

(٢) مستشهد به انظر ص ٤٢٢ من هذا البحث .

(٣) سورة ابراهيم الآية ٤

(٤) للمزيد من التفصيل انظر : عقيدة ختم النبوة لأحمد سعد الغامدي ص ٣١٤

وهذه اللغات هى التى كتب بها كتبه ، وزعمها وحيا له من الله . والوحى الصادق كما قلنا لا يكون إلاَّ بلسان قوم النبى .

أمَّا الأدلة الدينية التى استدل بها الغلام أحمد فى ادعائه الوحى ، والبعثة النبوية ، فاستدلاله بها باطل .

فالآيات التى استدل بها القاديانيون على دوام اصطفاء الله للرسل والأنبياء بما فيها من أفعال مضارعة اعتبارا لدلالة المضارع على الحال والاستقبال . فالواقع أنَّه لا دلالة فى هذه الآيات . فالمضارع قد يدل على الماضى المتصل بالحاضر ، كما فى قوله تعالى : (حمٓ عٓسٓقٓ كَذَٰلِكَ يُوحِي إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) (١)

فكلمة (من قبلك) تدل على الماضى الذى ينصرف إليه الفعل دون انصرافه إلى معناه فى الاستقبال ، وإلاَّ لقال (من بعدك) . وقد يعبَّر بالمضارع عن الماضى لمقتضيات بلاغية كإفادة تجدد الفعل فى الماضى ، أو استحضار الصورة الغريبة كأنها حاضرة ، ومشاهدة كما فى قوله تعالى : (إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ) (٢) .

على أن هذه الآيات التى يستدلون بها حتى ولو أخذت الأفعال فيها على عمومها الظاهر ، لا يفهم منها تناقضها مع آية الختم ، ولا يكون كذلك إلاَّ إذا أثبتت تلك الآيات صراحة تجدّد الأنبياء ، فكيف وهى لا تفيد حتَّى الظَّن ؟

ولو فرضنا جدلا دلالتها على عموم ذلك فالاطلاق فيها مقيد بآية الختم ، أى أنَّ اصطفاء الله للرسل بالوحى ، ليس على اطلاقه فى الزمان ، وإنَّما يكون هذا

(١) سورة الشورى آية ١-٣

(٢) سورة آل عمران آية ٥٩ . وانظر عقيدة ختم النبوة د . عثمان عبد المنعم ١٨٧ بتصرف .

الاطلاق مقيّدا بما تقرره آية الختم من أنّ الاصطفاء بالوحي قد ختم بمحمد صلى الله عليه وسلم .

ثمّ إنّ قوله تعالى : (ما كان محمدٌ أبا أحدٍ من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين) ،نص صريح فى كونه صلى الله عليه وسلم آخر الأنبياء ، لأن : (مادة الختم بمشتقاتها تستعمل فى معانى الطبع والإنهاء ، وفى التعبير عن آخر الأشياء وأنّ كلمة الخاتَم - بالفتح - والخاتِم - بالكسر - بمعنى واحد فى هذا التعبير ، وليست الآية دالة على أفضلية النبى على الأنبياء فقط لكونها سيقت مساق المدح - كما يقال - لأنها سيقت لتقرير الحقيقة الواقعة ،وإلاّ فلو فَهِمَ الرسولُ صلى الله عليه وسلم منها هذا المعنى لما كرّر نفي وجود الأنبياء بعده فى غير حديث)[1] حيث قال لعلى بن أبى طالب رضى الله عنه (أنتسنى بمنزلة هرون من موسى إِلاّ أنّه لا نبى بعدى)[2]

وعن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال (كانت بنو إسرائيل تسوسهم الأنبياء كلّما هلك نبى خلفه نبى ،وأنّه لا نبى بعدى ،وسيكون خلفاء فيكثرون)[3]

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى اللّه عنهما قال : خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما كالمودِّع فقال : (أنا محمد النَّبى الأُمى ، أنا محمد النبى الأُمى ثلاثا ،لا نبى بعدى)[4]

---

(١) عقيدة ختم النبوة بالنبوة المحمدية د . عثمان عبد المنعم يوسف ص ١٨٩

(٢) مسند الامام أحمد ج ٣ ص ٣٢ . ومجمع الزوائد ومنبع الفوائد للحافظ نور الدين على بن أبى بكر الهيثمى المتوفى سنة ٨٠٧ هـ دار الكتاب العربى بيروت ج ٩ ص ١٠٩

(٣) متفق عليه : صحيح البخارى كتاب أحاديث الأنبياء باب ما ذكر عن بنى اسرائيل ٦/ ٢٤٥

صحيح مسلم: كتاب الإمارة ،باب وجوب الوفاء ببيعة الخليفة الأول فالأول ٣/ ١٨٤٢

(٤) مسند الامام أحمد ج ٢ ص ٢١٢

وآية الختم ، وأحاديث النبى صلى الله عليه وسلم لم تفرق فى ختم النبيين به بين الأنبياء المشرِّعين ، والأنبياء غير المشرِّعين . فمن أين للقاديانيين بهذه التفرقة ،ومدار الأمر فى باب النبوة هو الوحى سواء كان بشرع جديد أو كان فى نطاق شرع قديم ،وباب الوحى قد ختم عليه بغض النَّظر عما يتضمنه من العقائد والتشريعات.

ولنفرض أنه كان فى بنى إسرائيل أنبياء بعثوا دعاة إلى التوراة مجدِّدين لأمرها بين الناس حاكمين بها فى أمورهم وأنَّ ذلك كان بحكمة من الله ،ورعاية لما تقتضى به طبيعة بنى إسرائيل وأحوالهم ، فهل بالضرورة لا بد وأن يكون مثل ذلك فى الأمة المحمدية ؟

هذه هى مهمة العلماء والمصلحين ، دون حاجة إلى وحى جديد لا مجال له مع الوحى المحفوظ : " (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ) (١)

أمَّا عن استشهاد القاديانى بالعقل على فتحه لباب النبوة من أنَّه ليس يعقل انقطاع هذه النعمة ،وليس يعقل أن نصل إلى ماوصلنا إليه دون أن يبعث الله فينا من يجدِّد أمر الدين ويصلح ما فسد من أمور المسلمين .

هذا الاستشهاد أيضا باطل . فمع أن النبوة حقا نعمة إلهية ، إلاَّ أنَّ الله أعلن تمام نعمته بنزول القرآن وكمال دينه بظهور دعوة الإسلام . قال تعالى : (الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلَامَ دِينًا) (٢) ، وليس على المسلمين إلاَّ أن ينتفعوا بهذه النعمة السَّابغة التى لا يحتاجون من نعمة الهداية بعدها إلى شىء . فصاحب النعمة سبحانه وتعالى هو الذى أعلن تمامها بالإسلام . وليس المسلمون هم الذين حجروا على نعمة الله كما يزعم القاديانى .

أمَّا ما يقوله من اقتضاء حال المسلمين لوجود نبى جديد ،فإنَّه لو صح وجود أنبياء بعد النبى صلى الله عليه وسلم لهذا السبب لكانت حالة المسلمين ، ولا تزال

---

(١) سورة الحجر آية ٩

(٢) سورة المائدة آية ٣

أحوج ما يكونون إلى مثل هذا النبي ،فمنذ أن اجتاح المغول والتّتار والصّليبيون أرض الإسلام ،وليس فقط في عصر القاديانى . بل لا يزال حال المسلمين اليوم على ما هو ظاهر من اضطراب سياسى ،وضعف اقتصادى ،وضلال فكرى ،فكم من الأنبياء كان المسلمون يحتاجون إليهم في الماضى ،ولا يزالون يحتاجون إليهم في الحاضر ، لو صح استدلال القاديانى ، وما هو دور العلماء والمصلحين في إصلاح حال المسلمين، وإذا كان الوحى الإلهى محفوظا بحفظ القرآن ،وكان سبيل الإصلاح هو الرجوع إلى هديه والعمل بمقتضاه ، أفيكون من الضرورى ألاّ يصلح المسلمون أنفسهم وأحوالهم به إلاّ إذا جاءهم بهذا نبى جديد ؟

إنّ لله سبحانه وتعالى سنته في حفظ الدين ، واصلاح الأُمة ولا يقتضى الضرورة العقلية بألاّ يتم ذلك إلاّ على يد نبى جديد ،ولا سيما وأنّ النبوة المحمدية لا تزال بهديها النبوى ،ووحيها الإلهى محفوظة على الزمان ،وقد تكفل اللّه بهذا الحفظ لأنها في علمه وحكمه خاتمة النبوات .

وهكذا يتبين لنا أن ليس بيد القاديانى دليل دينى أوعقلى يفتح به باب الوحى بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس في شخصه وكلامه وأُخلاقه ما يدل على أنّه من الأنبياء الصّادقين .

أمّا إذا تتبعنا النبوءات والمعجزات التى استند القاديانى عليها في دعوى الوحى والنبوة فلا نجد دليلا واحدًا يقطع بهذا الصِّدق .

فالكتب التى ادّعى أنّها من وحى السماء ككتاب نور الحق وغيره لا تحمل طابع البيان الصحيح ،فضلا عن أن تبلغ درجة الكمال فيه والتحدّى به .

وقد ادعى القاديانى أنّ الخسوف والكسوف اللّذين حصلا في عهده كانا لأجله، ومعجزة له ،ودليلاً على صدقه ،وإليه أشار القرآن الكريم بزعمه : (فَإِذَا بَرِقَ الْبَصَرُ وَخَسَفَ الْقَمَرُ،وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ ،يَقُولُ الإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفَرُّ) (١)

---

(١) سورة القيامة الآيات ٧-١٠

هذا استدلال باطل لأنَّ الخسوف والكسوف ليسا إلاَّ حادثين لهما ميقاتهما المحدَّد ، دون أن يرتبط ذلك بأمر انسان آخر . وقد أكد ذلك صلى الله عليه وسلم في قوله : (إنَّ الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا ينخسفان لموت أحد ولا لحياته)[1] .

ثم إنَّ من شروط المعجزة أنَّها يجب أن تقترن باعلان الدعوة ، والتحدي بها ، ولا تسبق عليها ، فكيف يستدل القادياني بما سبق ظهوره بدعوته؟

ثم إنَّ ما استدل به من سورة القيامة من جمع الشمس والقمر ، إنَّما يكون ذلك يوم القيامة . قال ابن كثير في تفسيره لهذه الآية : (إذا عاين ابن آدم هذه الأهوال يوم القيامة ، حينئذ يريد أن يفر ، ويقول أين المفر ..)[2]

وقد تنبأ القادياني بأنَّه سيولد له ولد ذكر ، فولدت زوجته بنتًا ، ولم تأت بولد .

ثم تنبأ كذلك بعدها بأنه يولد له ولد فكان خلاف ما ذكر .

وتنبأ أنه يتزوج نسوة أخريات ، ويولد له أولاد فلم يتزوج بعد هذه النبوة ، ولم يولد له[3] .

وتنبأ أن ولده مبارك أحمد يكبر ، ويكون مصلحا ، وصاحب العظمة ... الخ ، ولكن الله أخزاه فمات بعد ثمان سنين[4] .

ويطول بنا القول لو ذهبنا نتقصى جميع نبوءاته التي لم تتحقق ، فكانت شهادة واضحة بكذب صاحبها فيما يدعيه من الوحي .

---

(١) متفق عليه : صحيح البخاري كتاب بدء الخلق ، باب صفة الشمس ٦ / ٣٢٠١ ، وصحيح مسلم ، كتاب الكسوف ، باب صلاة الكسوف ٢ / ٩٠١

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ج ٧ ص ١٦٨ .

(٣) انظر عقيدة ختم النبوة د . احمد سعد حمدان الغامدي ص ٣١٧

(٤) انظر كتاب القاديانية لاحسان إلهي ظهيري ص ١٧٥-١٨٥ .

الخاتمة

الخاتمـــة

ونسأل الله حسنهـــــــا

أهمّ ما انتهى إليه البحث ،وكانت صفحات هذه الرسالة شرحا له واستدلالا عليه ، النتائج التالية :

أولاً : من استعراضنا للمعانى اللغوية لكلمة الوحى نجد أن لهذه المعانـــى اللغوية علاقة بمعانى كلمة الوحى واستعمالاتها فى القرآن الكريم ، وأنهـا تتمثل فى الوحى إلى الأنبياء .

ثانيًا : ما يسمى بالوحى النفسى لا يمكن أن يكون بأى اعتبار جزءًا من الوحى الدّينى ، فما يسمى بالوحى النفسى نابع من الذات بأفكارها وتجاربها وانفعالاتهـا أما الوحى الشرعى ، فتلقين إلهـى لأحد أنبيائه بمعرفةٍ خارجةٍ عن نفسـه وعقله وحسّه .

ثالثًا : الإلهام لغير الأنبياء من البشر لا يكون فيه سماع الخطاب الإلهى بالنسبة للمخلوقات الأخرى فهو عبارة عن فطرة الله لها على ما يصلح شأنها مـن الأحوال والأعمال .

رابعًا : الوحى أمرٌ ممكنٌ لوجود أطرافه الموضوعية من وجود اللّه والملائكة ، وأرواح الأنبياء ، وامكان الاتصال فيما بين الله وملائكته ،وأرواح أنبيائه اتصـالا خاصا ،وليس فى طبيعة الوجود ما يقضى باستحالته .

خامسًا : ليس الوحى أمرًا ممكنًا فقط ، ولكنه حقيقة واقعة بالفعل ،قد تحقّق وقوعُـه فيما أوحاه اللّه من دينه إلى من اصطفاهم من خلقه من الرسل والأنبياء .

وأدل دليل على ذلك هو وقوع الوحى إلى النبى صلى الله عليه وسلم بالقرآن الكريم ،الذى لا يزال التّحـدى به قائمًا إلى يوم القيامة ، ولا تزال دلالته بذلك على صدقه قائمةً إلى يوم القيامة . إضافةً إلى دلالة قرائـن أحواله ،وسائر معجزاته صلى الله عليه وسلم .

وبتقرير القرآن الكريم لما أوحاه الله لبعض أنبيائه من الكتب والصحف ، يتم تقرير وقوع الوحى إلى هؤلاء الأنبياء .

سادسًا : جبريل عليه السلام هو الملك المختص بالوحى إلى النبى صلى الله عليه وسلم شأنه فى ذلك شأن جميع الأنبياء والمرسلين السابقين ، وإن كان هـذا الاختصاص لا ينفى أن يأتى غيره من الملائكة ببعض البشريات كما ثبت فـى

السنة المطهرة مجيء إسرافيل عليه السلام للنبي صلى الله عليه وسلم . ولكن الوحي بالقرآن لم يأت إلاّ عن طريق جبريل عليه السلام .

سابعًا : طرق الوحي إلى الأنبياء متشابهة ، أشهرها الواردة في قوله تعالى : (وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ)(١) .

ثامنا : نظرية الفلاسفة الإسلاميين في النبوة والوحي نظرية خاطئة ،وإذا كانوا قد أقاموها على نظريتهم في الصدور ، وفكرتهم عن العقول العشرة ، ففكرة العقول والنفوس الفلكية فكرة خاطئة في أساسها ،قائمة على أصل يوناني وثني فلسفي ، ولم تقم على أسس علمية ، أو تستند إلى وجود واقعي .

تاسعا : ظواهر الوحي ، من رؤية الملك على هيئته الخاصة ، وسماع صوته ، وما يكون فيه من الكلام المنتظم إلى غير ذلك ،كلها أُمور حقيقية أثبتتها النصوص الشرعية الصحيحة ،وليست مجرد أُمورٍ معنويةٍ تحاكي بها المخيّلة ما تدركه نفس النبي من المعاني المعقولة ، كما تقول الفلاسفة .

عاشرًا : بطلان التفسير المادي للكون والإنسان عقلاً وعلمًا وواقعًا ،وصحة التفسير الرّوحي لهما ،إذ لا يمكن أن تفسر النوازع أو الوجدانات ، والمشاعر ،والأفكار وما لدى الإنسان من تدين وأخلاق إلاّ بإرجاع كل ذلك إلى هذه القُوّة الرّوحيّة ،بمعنى أنّ هذا الكون يتضمن جانبًا غيبيًا ،ولا يقتصر أمرُهُ على جانبه المحسوس فقط، كما يدعي الماديون . بل إنّ ظواهر الطبيعة لتدلُّ دلالةً قوية على عالم الغيب الذي ترجع إليه في خلقها وتنظيمها . وعلى أساس تقرير هذه الحقائق ، وإقامة البراهين عليها تبطل كلُّ الشبهات الواردة على إمكان الوحي .

حادي عشر: أنّ أعداء الإسلام هم أعداؤه القدامى ومطاعنهم هي نفسها ،وإن اختلفت لونا ورائحة . وإثارة الشّبهات حول الوحي المحمدي ليست أمرا حديثا على ألسنة الماديين المنكرين للأديان أو على ألسنة المستشرقين من اتباع الاديان الاخرى ، بل هي أمرٌ قديمٌ صاحب نزول القرآن الكريم وذلك على ألسنة المشركين من العرب . واستمر بعد ذلك على ألسنة الملاحدة والزنادقة . ولكن شبهات هؤلاء جميعًا شبهات داحضة على نحو ما تناولها البحث بالإبطال تفصيلاً .

---

(١) سورة الشورى آية ٥١

ثاني عشر : شبهات المستشرقين حول الوحي المحمدي ، وما يَزْعُمُونَهُ من أنَّه وليد تأثير كتابي أو حالةٌ شعورية ، أو ظاهرةٌ مرضيَّة عند النَّبي صلى الله عليه وسلم شبهاتٌ مردودة تناولها البحث بالإبطال أيضا في صفحات مطولة تنتهي بثبوت الصدق المحمدي في دعوى الوحي إليه من اللّه عزَّ وجلّ .

ثالث عشر : ختم النبوة بالنبوة المحمدية ، وانقطاع الوحي بعد محمد صلى الله عليه وسلم عقيدة دينية يقرّرها الكتابُ الكريم والسنةُ المطهرة والاجماع ، ولا تزال الآية التي تقررها معجزةً تتحدى الزمن إلى يوم القيامة . ولكن هذه الحقيقة لم تمنع من ظهور المتنبئين الكذابين . وقد بينت الدراسة أن دوافع التنبوء في العصور الإسلامية الأولى ، وفي العصر الحديث ، جميعها كانت - بجانب ما شابها من زيغٍ وضلال - مدفوعة بدوافع العصبية القبلية ، والعصبية الشُّعوبيَّة والحقد اليهودي والصليبي ، علاوة على الفكر الشيعي المنحرف ، والمجاهدات الصوفية المغالية ، والظروف السيئة التي مرت بها الأُمة الإسلامّية إبّان ظهور هذه الحركات ، وخاصة المعاصرة منها .

وجميع هذه الدعوات القديمة منها والحديثة ، تخلو من كل مضمون ديني أو ثقافي ، أو اجتماعي يمكن أن يساهم في إصلاح حال الأمة .

وتخلو قبل ذلك من أي دليل يدلُّ على صحة مجيئها من قبل اللّه عز وجل ناقضة تلك الحقيقة ، حقيقة ختم النبوة بالنبوة المحمدية . ومن ثم فسيبقى الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم آخر وحي من الله إلى البشر وأكمل وحي وأتمَّه وليس على البشرية إلاَّ أن تبتغي هداه وهي في طريقها إلى لقاء اللّه عزّ وجل .

هذا وبالله التّوفيق ، وصلى اللّه على سيدنا محمد على آله وصحبه وسلم ...

عبدالله عبدالحي أبوبكر

الفهارس

١- فهرس الآيات القرآنية .
٢- فهرس الأحاديث النبوية .
٣- فهرس المصادر والمراجع .
٤- فهرس الموضوعات .

فهرس الآيات القرآنية

سورة النســـــاء

سورة المائـــــدة

فهرس الاحاديث النبوية

	الحديث	الصفحة

فهرس المراجـــــع

١- القـــرآن الكـــريــــم

٢- الاتحافات السنية بالاحاديث القدسية
لزين العابدين بن عبد الرؤوف المناوى ، تحقيق محمد عفيف الزعبى
المكتبــــــة الشعبية بيروت - لبنان

٣- الاتقان فى علوم القرآن
للامام جلال الدين السيوطى ، الطبعة الثالثة ، مصطفة البابى الحلبى

٤- أحوال النفس لابن سينا - تحقيق د. احمد فؤاد الاهوانى - الطبعة الاولى ١٣٧١هـ
١٩٥٢م دار احياء الكتب العربية

٥- احياء علوم الدين
للامام ابى حامد الغزالى ، دار الشعب القاهرة

٦- آراء أهل المدينة الفاضلة
لابى نصر الفارابى ، مكتبة ومطبعة محمد على صبيح ، عيدان الازهر

٧- ارشاد العقل السليم الى مزايا القرآن الكريم الشهير بتفسير أبى السعود
للقاضى أبى السعود بن محمد العمادى ، تحقيق عبد القادر احمد عطــا
دار الفكر للطباعة والنشر بيروت

٨- أساس البلاغة
تأليف جار الله أبى القاسم الزمخشرى ، الطبعة الثانية دار الكتب المصرية

٩- أسس المادية الديالكتيكية ، والمادية التاريخية
سبركين وياخوت ، ترجمة محمد الجندى ، دار القلم موسكو .

١٠ الاسلام فى عصر العلم
محمد فريد وجدى ، الطبعة الثالثة ١٩٦٧ ، دار الكتاب العربى ، بيروت

١١- الاسلام يتحدى
وحيد الدين خان ، الطبعة السادسة ، الناشر المختار الاسلامى ، القاهرة

١٢- الاشارات والتنبيهات
لابى على بن سينا ، تحقيق الدكتور سليمان دنيا ، دار المعارف بمصر

١٣- اصل الشيعة واصولها
للشيخ محمد الحسين آل كاشف ، الطبعة الثانية ١٣٦٣هـ - ١٩٤٤م

١٤- أضواء البيان فى ايضاح القرآن بالقرآن
للشيخ محمد الامين الشنقيطى - المطابع الاهلية للاوفست بالرياض

١٥- الاعلام لخير الدين الزركلى - الطبعة الثالثة - بيروت ١٣٨٩هـ - ١٩٦٩م

١٦ - اعلام النبوة

للماوردى ، مكتبة الكليات الازهرية

١٧ - الاقتصاد فى الاعتقاد

للامام ابى حامد الغزالى تقديم الدكتور: عادل العوا ، دار الامانة

١٨ - الله (كتاب فى نشأة العقيدة الالهية)

تأليف عباس محمود العقاد ، دار المعارف بمصر الطبعة السادسة

١٩ - الله يتجلى فى عصر العلم

تأليف نخبة من العلماء الامريكيين . أشرف على تحريره جون كلوفسر مونسا ، ترجمة الدكتور الدمرداش عبد المجيد سرحان ، مراجعة وتعليق محمد جمال الدين الفندى - موسسة الحلبى وشركاه للنشر والتوزيع

٢٠ - انجيل برنابا

لمترجمه خليل سعادة - مطبعة محمد على صبيح واولاده بميدان الازهر

٢١ - الانصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به

للقاضى محمد بن الطيب الباقلانى ، تحقيق محمد زاهد بن الحسن الكوثرى الطبعة الثانية - موسسة الخانكى القاهرة ١٣٨٢ - ١٩٦٣م

٢٢ - البابية عرض ونقد

تاليف احسان الهى ظهير - الطبعة الاولى ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨م المطبعة العربية - ليك رود لاهور باكستان

٢٣ - بحوث فى الدين والوحى والقرآن

الدكتور محمد بلتاجى - الناشر مكتبة الشباب المنيرية .

٢٤ - البداية والنهاية

لاسماعيل ابن كثير - الطبعة الثانية - مكتبة المعارف بيروت

٢٥ - البرهان فى علوم القرآن للزركشى

تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم - الطبعة الاولى - دار احياء الكتب العربية

٢٦ - البهائية

لعبد الرحمن الوكيل ، طبعة المكتب الاسلامى - الطبعة الثالثة

٢٧ - البهائية

لمحب الدين الخطيب - المكتب الاسلامى - الطبعة الرابعة

٢٨- البهائية سراب
للشيخ عبد الله النورى ، دار العربية للطباعة والنشر والتوزيع

٢٩- تاج العروس
للزبيدى ، دار مكتبة الحياة بيروت

٣٠- تاريخ ابن خلدون
للعلامة عبد الرحمن بن خلدون المغربى ، دار الكتاب اللبنانى للطباعة والنشر ١٩٥٦م

٣١- تاريخ الفلسفة فى الاسلام
تأليف ت . ج . دى بور ترجمة محمد عبد الهادى أبو ريدة . مطبعة التاليف والترجمة والنشر .

٣٢- تاريخ اليمن الثقافى
تأليف احمد حسين شرف الدين ، مطبعة السنة المحمدية ، القاهرة

٣٣- التشريع الجنائى فى الاسلام
عبد القادر عودة ، الطبعة الثانية ، مكتبة العروبة

٣٤- تفسير أضواء البيان فى ايضاح القرآن بالقرآن
للشيخ محمد الامين الشنقيطى ، طبع على نفقة الامير احمد عبد العزيز

٣٥- تفسير البحر المحيط
لمحمد بن يوسف الشهير بابى حيان الاندلسى ، الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع

٣٦- تفسير جامع البيان عن تأويل آى القرآن
للامام الطبرى تحقيق محمود محمد شاكر ، الطبعة الثانية دار المعارف بمصر

٣٧- تفسير الجامع لاحكام القرآن
للقرطبى ، مطبعة دار الكتب المصرية القاهرة ، الطبعة الثانية ، ودار الكتاب العربى .

٣٨- تفسير روح المعانى
للالوسى ، دار الفكر بيروت ، وإدارة الطباعة المنيرية بيروت .

٣٩- تفسير فتح القدير
للامام الشوكانى ، مكتبة ومطبعة الحلبى بمصر

٤٠- تفسير فى ظلال القرآن
لسيد قطب ، دار الشروق بيروت

٤١- تفسير القرآن الحكيم
لمحمد رشيد رضا ، الطبعة الاولى ،مطبعة المنار بمصر
٤٢- تفسير القرآن العظيم
لابن كثير ،اشراف وتصحيح لجنة من العلماء ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع
٤٣- التفسير الكبير
للامام الفخر الرازى المطبعة البهية المصرية ، الطبعة الأولى ، وطبعة دار الكتب العلمية بطهران
٤٤- تفسير الكشاف
لابي القاسم جار الله الزمخشرى ، شركة ومطبعة مصطفى البابى الحلبى .
٤٥- تهافت التهافت .
للقاضى أبى الوليد محمد بن رشد ،تحقيق الدكتور سليمان دنيا ، دار المعارف بمصر .
٤٦- تهافت الفلاسفة المسمى بمعيار العلم
للامام الغزالى ،تحقيق الدكتور سليمان دنيا دار المعارف بمصر
٤٧- الثقافة الاسلامية - المستوى الرابع(٤٠١)
تأليف الشيخ محمد قطب والاستاذ محمد المبارك ، والاستاذ مصطفى كامل
٤٨- جامع الأصول فى أحاديث الرسول
تأليف ابى السعادات المبارك بن محمد (ابن الاثير) تحقيق وتخريج عبد القادر الأرناؤوط ،نشر وتوزيع مكتبة الحلوانى ، مطبعة الملاح ، ومكتبة دار البيان .
٤٩- الجانب الالهى من التفكير الاسلامى
الدكتور محمد البهى الطبعة الرابعة دار الكتاب العربى ١٩٦٧م
٥٠- الجغرافيا الفلكية
لاتور عبد الغنى العقاد ، دار المريخ السعودية الرياض
٥١- الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح
لشيخ الاسلام ابن تيمية ، مطابع المجد التجارية
٥٢- حاشية العلامة البنانى على شرح المحلى على متن جمع الجوامع
للامام تاج الدين عبد الوهاب السبكى ، شركة مكتبة احمد بن سعد نبهان باندونسيا
٥٣- حجة الله على العالمين فى معجزات سيد المرسلين
للنبهانى ،الناشر حسن جصنا ومحمد امين دمج

٥٤- حقائق الاسلام وأباطيل خصومه

عباس محمود العقاد ،طبعة دار الاسلام بالقاهرة

٥٥- حلية الاولياء لابى نعيم - دار الكتاب العربي بيروت .

٥٦- خاتم النبيين للشيخ محمد ابو زهرة - دار الفكر العربى - الطبعة الاولى - ١٩٧٢م

٥٧- الخصائص الكبرى
للسيوطى ، الناشر دار الكتب العلمية بيروت

٥٨- دائرة المعارف الاسلامية
تاليف مجموعة من العلماء - مراجعة دكتور محمد المهدى علامة

٥٩- دائرة معارف القرن العشرين
تاليف محمد فريد وجدى - دار الفكر بيروت

٦٠- الدر المنثور فى التفسير بالمأثور

للسيوطى - الناشر محمد امين دمج بيروت لبنان

٦١- دراسات فى العقيدة الاسلامية والاخلاق

تأليف لجنة من قسم العقيدة بكلية اصول الدين بالازهر - الطبعة الاولى

١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م الناشر مكتبة الازهر .

٦٢- دلائل النبوة

لأبى نعيم ،الناشر عالم الكتب بيروت ، والمكتبة العربية بحلب .

٦٣- دلائل النبوة

للبيهقى ،تحقيق الدكتور عبد المعطى قلعجى الناشر دار الكتب العلمية بيروت

٦٤- الدين فى مواجهة العلم

لوحيد الدين خان ترجمة ظفر الاسلام خان مراجعة عبد الحليم عويس

الطبعة الثانية ، المختار الاسلامى للطباعة والنشر والتوزيع القاهرة

٦٥- الدين والدولة

على بن زين الطبرى ،تحقيق عادل نويهض - دار الافاق الجديدة بيروت

٦٦- الدين والوحى والاسلام

لمصطفى عبد الرازق باشا ١٩٦٤هـ - ١٩٤٥م دار احياء الكتب العربية

القاهرة .

٦٧- الرسالة الالهية دراسة ودفاع

الدكتور عثمان عبد المنعم يوسف جامعة الازهر كلية اصول الدين

٦٨- رسالة التوحيد

للشيخ محمد عبده ١٩٦٦م

٦٩- رسالة فى الرد على الرافضة

تأليف ابو حامد محمد المقدسى ،تحقيق عبد الوهاب خليل الرحمن ،

الدار السلفية بالهند .

٧٠- الروحية الحديثة دعوة هدامة
للدكتور محمد محمد حسين ،مؤسسة الرسالة

٧١- الروض الانف
للامام عبد الرحمن السهيلي تحقيق وتعليق عبد الرحمن الوكيل- الناشر
دار النصر للطباعة

٧٢- زاد المسير في علم التفسير
لابي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي ، المكتب الاسلامي .

٧٣- زاد المعاد في هدى خير العباد
لابن قيم الجوزية (ت ٧٥١هـ) الطبعة الثانية ١٣٦٩هـ مصطفى البابي الحلبي

٧٤- سراج الطالبين شرح منهاج العابدين
تأليف احسان محمد دخلان مصطفى البابي الحلبي ١٣٧٤هـ-١٩٥٥م

٧٥- سنن ابن ماجة
للحافظ ابي عبد الله محمد بن يزيد القزويني (ت ٢٧٥ هـ) تحقيق
وتبويب وتعليق محمد فواد عبد الباقي ،دار احياء التراث العربي .

٧٦- سنن ابي داوود
للامام ابي داوود سليمان بن الاشعث السجستاني (ت ٢٧٥هـ) اعداد
وتعليق عزت عبيد الدعاس دار الحديث للطباعة والنشر حمص سورية

٧٧- سنن الترمذي (الجامع الصحيح)
لابي عيسى محمد بن عيسى تحقيق احمد شاكر وآخرين الطبعة الثانية
١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م مصطفى البابي الحلبي

٧٨- سنن الدارمي
للامام ابو محمد عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي ، طبع بعناية محمد احمد
دهمان دار احياء السنة النبوية

٧٩- سنن النسائي
للامام ابي عبد الرحمن بن شعيب النسائي (ت ٣٠٣هـ) الطبعة الاولى
١٣٤٨هـ - ١٩٣٠م المكتبة التجارية الكبرى

٨٠- السياسات المدنية لابي نصر الفارابي - المطبوع ضمن رسائل الفارابي الطبعة
الاولى مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد - الهند
١٣٤٥هـ- ١٩٢٦م

٨١- السيرة النبوية
لابن هشام تحقيق طه عبد الرؤوف سعد ،مكتبة الكليات الازهرية

٨٢- السيرة النبوية
لابن كثير ،تحقيق مصطفى عبد الواحد ، مطبعة عيسى البابى الحلبى
القاهرة ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م .

٨٣- السيرة النبوية والاثار المحمدية
للسيد احمد زينى دار المعرفة للطباعة والنشر بيروت الطبعة ٢

٨٤- شرح العقيدة الطحاوية
تحقيق جماعة من العلماء - المكتب الاسلامى

٨٥- شرح المواهب اللدنية
لمحمد بن عبد الباقى الزرقانى - القاهرة - المطبعة الازهرية المصرية ١٣٢٥هـ

٨٦- الشيخ محمد عبده
تحقيق الدكتور سليمان دنيا طبعة دار احياء الكتب العربية القاهرة
الطبعة الاولى .

٨٧- الشمس فى حياة الانسان
الدكتور طه عثمان الفرا،والاستاذ محمد محمود محمدين مكتبة دار العلوم

٨٨- الصحاح
لاسماعيل بن حماد الجوهرى . تحقيق احمد عبد الغفور عطار،دار العلم
للملايين بيروت .

٨٩- صحيح مسلم
للامام ابى الحسين مسلم بن الحجاج القشيرى النيسابورى (٢٦١ هـ)
تحقيق محمد فواد عبد الباقى ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع

٩٠- ضحى الاسلام
تأليف احمد امين ،الطبعة السابعة، مكتبة النهضة المصرية

٩١- الطبيعة وما بعد الطبيعة
يوسف كرم ، دار المعارف بمصر

٩٢- الظاهرة القرآنية
لمالك بن نبى ترجمة عبد الصبور شاهين ، دار الفكر للطباعة والنشر

٩٣- عالم الملائكة الابرار
لدكتور عمر سليمان الاشقر مكتبة الفلاح

٩٤- العقائد الاسلامية
للشيخ السيد سابق ، دار الكتاب العربى بيروت

٩٥- العقيدة الاسلامية سفينة النجاح
للدكتور كمال محمد عيسى دار الشروق بجدة

٩٦- عقيدة ختم النبوة بالنبوة المحمدية
للدكتور عثمان عبد المنعم يوسف مكتبة الازهر
٩٧- عقيدة ختم النبوة بالنبوة المحمدية
تأليف احمد سعد حمدان الغامدى . رسالة ماجستير قدمت لجامعة ام القرى بمكة المكرمة ١٣٩٧هـ - ١٣٩٨ هـ
٩٨- عقيدة المسلم
تأليف الشيخ محمد الغزالى ، ادارة احياء التراث الاسلامى ، الدوحة
٩٩- عقيدة المؤمن
تأليف ابو بكر الجزائرى ، دار الشروق جدة ، الطبعة الثالثة ١٤٠٢هـ ١٩٨٢م
١٠٠- العقيدة والشريعة فى الاسلام
لجولد تسيهر ، نقله الى العربية الدكتور محمد يوسف موسى والدكتور على حسن عبد القادر والاستاذ عبد العزيز عبد الحق ، الطبعة الثانية ، دار الكتب الحديثة بمصر ، ومكتبة المثنى ببغداد
١٠١- العلم يدعو للايمان
تأليف أ. كريسى موريسون ترجمة محمود صالح الفلكى مكتبة النهضة المصرية
١٠٢- عمدة القارئ بشرح صحيح البخارى
للامام البدر العينى دار الفكر بيروت
١٠٣- غاية المرام فى علم الكلام
لسيف الدين الامدى ، تحقيق حسن محمود عبد اللطيف ، أشرف على اصدارها محمد توفيق عويضة القاهرة ١٣٩١ هـ
١٠٤- غرائب القران ورغائب الفرقان
تحقيق ابراهيم عطوة عوض شركة مصطفى البابى الحلبى . الطبعة الاولى
١٠٥- فتح البارئ بشرح صحيح البخارى
شرح ابن حجر العسقلانى تحقيق الشيخ عبد العزيز بن باز ترقيم وتبويب محمد فؤاد عبد الباقى نشر وتوزيع ادارة البحوث العلمية والافتاء بالمملكة العربية السعودية
١٠٦- الفتوحات الالهية بتوضيح تفسير الجلالين
تأليف سليمان بن عمر الشهير بالجمل . مطبعة عيسى البابى الحلبى
١٠٧- الفتوحات المكية
لابى عبد الله محمد بن على المعروف بابن عربى دار صادر بيروت

١٠٨- الفرق بين الفرق
لعبد القاهر بن طاهر بن محمد البغدادى ، من مشورات دار الافاق الجديدة - الطبعة الرابعة بيروت ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م

١٠٩- فرق الشيعة
تأليف الحسن النوبختى تعليق محمد صادق بحر العلوم - الطبعة الرابعة - الطبعة الحيدرية ١٣٨٨ هـ ١٩٦٩م

١١٠- الفصل فى الملل والاهواء والنحل
لابى محمد على ابن احمد بن حزم الظاهرى دار المعرفة للطباعة والنشر بيروت

١١١- الفصوص ضمن رسائل الفارابى - الطبعة الاولى مطبعة دائرة المعارف العثمانية بحيدراباد بالهند

١١٢- فصوص الحكم
محى الدين بن عربى (ت ٦٣٨ هـ) تعليق ابو العلا عفيفى . دار الكتاب العربى بيروت

١١٣- فضائل القرآن الكريم المطبوع ضمن تفسير القرآن العظيم
لابن كثير الجزء السابع

١١٤- الفكر الاسلامى الحديث وصلته بالاستعمار الغربى
تاليف الدكتور محمد البهى - الطبعة الرابعة - مكتبةوهبة .

١١٥- فلاسفة الاسلام
للدكتور فتح الله خليف . دار الجامعة المصرية

١١٦- فى الفلسفة الاسلامية منهج وتطبيقه
لابراهيم مدكور دار المعارف بمصر

١١٧- القاديانية
لاحسان الهى ظهير - ادارة ترجمان السنة لاهور ١٣٨٦ هـ

١١٨- قاموس الياس العصرى
تأليف : انطون الياس، وادوار الياس الطبعة ١٩

١١٩- القاموس الفلكى
تاليف منصور حنا جرداق المطبعة الاميريكانية بيروت لبنان

١٢٠- القاموس المحيط
للفيروز آبادى دار الفكر بيـروت

١٢١- القرآن والعلم
للدكتور محمد جمال الدين الفـنـدى ،دار المعرفة القاهرة ،الطبعة الاولى

١٢٢- القرآن والعلم الحديث

تأليف عبد الرزاق نوفل ، دار الكتاب العربي بيروت.

١٢٣- قصص الانبياء

للحافظ ابن كثير تحقيق مصطفى عبد الواحد ، دار الكتب الحديثة

١٢٤- قصص الانبياء

لعبد الوهاب النجار، الطبعة الثالثة، دار احياء التراث العربي

١٢٥- قصة الحضارة

ول . ديورانت ترجمة زكي نجيب محمود ومحمد بدران القاهرة - لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٥٧م

١٢٦- الكامل

للشيخ عز الدين ابي الحسن علي بن محمد بن الاثير ، دار صادر للطباعة والنشر، ودار بيروت للطباعة والنشر ١٣٨٥ هـ ١٩٦٥م

١٢٧- كبرى اليقينات الكونية

لمحمد سعيد رمضان البوطي الطبعة الخامسة دار الفكر بيروت

١٢٨- الكتاب المقدس العهدين - العتيق والجديد -

جمعيات الكتاب المقدس المتحدة - النجمة بيروت

١٢٩- لسان العرب

لابن منظور الافريقي دار الفكر بيروت

١٣٠- ما هي القاديانية

لابي الاعلى المودودي دار القلم الكويت ١٣٨٩هـ - ١٩٦٩م

١٣١- ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين

لابي الحسن الندوي دار السلام للطباعة والنشر - حلب الطبعة الحادية عشر ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م

١٣٢- مباحث في علوم القرآن

للدكتور صبحي الصالح - دار العلم للملايين - بيروت

١٣٣- مباحث في علوم القرآن

لمناع القطان - مؤسسة الرسالة

١٣٤- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد

للحافظ نور الدين علي بن ابي بكر الهيثمي (ت ٨٠٧هـ) دار الكتاب العربي بيروت

١٣٥- مجموع الفتاوى

لشيخ الاسلام احمد بن تيمية ، جمع وترتيب عبد الرحمن محمد بن قاسم وولده محمد ، مطابع دار العربية للطباعة والنشر ، بيروت ، تصوير الطبعة الاولى .

١٣٦- محاضرات فى النصرانية

للامام محمد ابوزهرة ، دار الفكر العربى

١٣٧- مختصر التحفة الاثنى عشرية

تأليف شاه عبد العزيز غلام حكيم الدهلوى ، نقله من الفارسية الى العربية غلام محمد بن محى الدين واختصره محمود شكرى الالوسى المطبعة السلفية القاهرة ١٣٧٣ هـ

١٣٨- مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة

للامام ابن قيم الجوزية توزيع ادارات البحوث بالمملكة العربية السعودية

١٣٩- مدارج السالكين لابن قيم الجوزية - تحقيق محمد محى الدين عبد الحميد .

١٤٠- المدخل لدراسة القرآن الكريم

للدكتور محمد محمد ابو شهبة ، الطبعة الثانية - القاهرة الحديثة للطباعة ١٩٧٣م

١٤١- مذاهب فكرية معاصرة

الشيخ محمد قطب - دار الشروق - الطبعة الاولى

١٤٢- مذكرة اصول الفقه

تأليف الشيخ محمد الامين الشنقيطى ، من مطبوعات الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة

١٤٣- مذكرة فى العقيدة لطلاب السنة المنهجية - فرع العقيدة

للشيخ كمال محمد هاشم نجا - جامعة ام القرى

١٤٤- المزهر

للعلامة عبد الرحمن جلاء الدين السيوطى ، تحقيق محمد احمد جاد المولى ، وعلى محمد البجاوى ومحمد ابو الفضل ابراهيم ، دار احياء الكتب العربية .

١٤٥- مسائل الامامة ومقتطفات من الكتاب الاوسط فى المقالات

للناشئ الاكبر (ت٢٩٣هـ) تحقيق وتقديم يوسف فان . اس. المطبعة الكاثولوكية بيروت.

١٤٦- المستدرك على الصحيحين
للحاكم - مكتبة ومطابع النصر الحديثة بالرياض
١٤٧- مسند الامام احمد بن حنبل
الطبعة الثانية ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨م المكتب الاسلامي للطباعة
والنشر بيروت .
١٤٨- المعجم المفهرس لالفاظ الحديث النبوى الشريف
ترتيب وتنظيم لفيف من المستشرقين ونشر الدكتور: أ. ى. ونسنك ،
مكتبة بريل فى مدينة ليدل ١٩٣٦م

١٤٩- المعجم المفهرس لالفاظ القرآن الكريم
وضع محمد فواد عبد الباقى دار مطابع الشعب
١٥٠- معجم المؤلفين
تاليف عمر رضا كحالة - مطبعة الترقى بدمشق ١٣٧٦ هـ
١٥١- المعرب من الكلام الاعجمى
لابى منصور احمد بن محمد بن الخضر الجواليقى تحقيق الشيخ احمد
محمد شاكر الطبعة الثانية ، مطبعة دار الكتب المصرية .
١٥٢- مقالات الاسلاميين
لابى الحسن الاشعرى تصحيح هلموت ريتر الطبعة الثالثة - دار
احياء التراث العربى بيروت .
١٥٣- مقاطع الصلبان ومراتع روضات الايمان
للقرطبى تحقيق محمد سامة - مطابع المدنى بمصر
١٥٤- الملل والنحل
تاليف محمد عبد الكريم الشهرستانى ، تحقيق محمد سيد كيلانى - القاهرة
مكتبة الحلبى ١٣٨١هـ ١٩٦١م
١٥٥- المنار المنيف فى الصحيح والضعيف
لابن قيم الجوزية ، تحقيق عبد الفتاح ابو غدة - مكتب المطبوعات
الاسلامية بحلب .
١٥٦- مناهل العرفان
للشيخ محمد عبد العظيم الزرقانى ، دار احياء الكتب العربية .

١٥٧- منهاج السنة النبوية
لشيخ الاسلام احمد بن تيمية ، دار الكتب العلمية بيروت

١٥٨- المواقف فى علم الكلام
تاليف عبد الرحمن بن احمد الايجى ،عالم الكتب ،بيروت

١٥٩- ميزان الاعتدال فى نقد الرجال
تاليف ابى عبد الله محمد بن عثمان الذهبى ، تحقيق على محمد البجاوى

١٦٠- النبأ العظيم
للدكتور محمد عبد الله دراز دار القلم الكويت

١٦١- نبوة محمد صلى الله عليه وسلم فى القرآن الكريم
للدكتور حسن ضياء الدين عتر ،دار النصر حلب .

١٦٢- النبى الخاتم
لابى الحسن الندوى ،مطبعة المختار الاسلامى ، الطبعة الاولى
١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م ، القاهرة .

١٣٦- نشأة الفكر الفلسفى فى الاسلام
تأليف الدكتور على سامى النشار ، الطبعة الثالثة ، ١٩٨٥ هـ
١٩٦٥م دار المعارف بمصر .

١٦٤- نظام الاسلام العقيدة والعبادة .
تأليف محمد المبارك ، دار الفكر بيروت

١٦٥- نظرات فى الاسلام
للدكتور محمد عبد الله دراز ، تحقيق محمد موفق ابو ليت مكتبة الهدى حلب

١٦٦- نظرية الاسلام وهديه
لابى الاعلى المودودى طبعة دار الفكر

١٦٧- نظرية الامامة لدى الشيعة الاثنى عشرية
تأليف الدكتور احمد محمد صبحى ، دار المعارف بمصر

١٦٨- نظرية النبوة فى الاسلام
للدكتور طه الدسوقى ، دار الهدى للطباعة

١٦٩- النهاية فى غريب الحديث والاثر
لابى السعادات المبارك بن محمد الجزرى ابن الاثير ،تحقيق طاهر
احمد الزاوى ومحمود الطناحى ، الناشر المكتبة الاسلامية ،

١٧٠- الهستيريا
تأليف الدكتور فائز محمد على الحاج المكتب الاسلامى

١٧١- الوحدة الموضوعية فى القرآن الكريم
تأليف الدكتور محمد محمود حجازى ، دار الكتب الحديثة
١٧٢- وحى الله حقائقه وخصائصه
للدكتور حسن ضياء الدين عتر ،ادارة الصحابة والنشر ،رابطة العالم الاسلامى ١٤٠٤ - ١٩٨٤م
١٧٣- الوحى الى الرسول صلى الله عليه وسلم
لعبد اللطيف السبكى ، اصدار محمد توفيق عويضة من سلسلة التعريف بالاسلام - الكتاب الحادى والخمسون .
١٧٤- الوحى المحمدى
محمد رشيد رضا - الطبعة التاسعة - المكتب الاسلامى
١٧٥- اليواقيت والجواهر
للشعرانى - مطبعة مصطفى البابى الحلبى

فهرس الموضوعـــــات

الموضوع | الصفحة